



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



عمران
علیه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

مَنْهَاجُ الْبَرِيَّةِ

فَتْحٌ مُبْتَدِئٌ فِي الْبَلَاغَةِ

لِلْأَمِيرِ

الْعَالِمِ الْمُتَمَيِّزِ وَالْمُؤَلِّفِ الْمَشْهُورِ الْهَادِي

السُّيُوفِيِّ عَزَّ وَجَلَّ

الجزء الثاني

من مشوراته

الكتب الإسلامية

في مشورته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديڤيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

٥	فهرست
١٣	منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ٢
١٣	مشخصات كتاب
١٤	تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره
١٤	تتمه الخطبه الأولى
١٤	«الفصل التاسع»
١٤	اشاره
١٦	اللغه
١٧	الاعراب
١٧	المعنى
٥١	الترجمه
٥٢	الفصل العاشر منها فى صفه آدم عليه السلام
٥٢	اشاره
٥٢	اللغه
٥٣	الاعراب
٥٤	المعنى
٦٧	الترجمه
٦٨	الفصل الحادى عشر
٦٨	اشاره
٦٨	اللغه
٦٩	الاعراب
٦٩	المعنى
٦٩	اشاره
٧٩	و ينبغي التنبيه على امور مهمه مفيده لزياده البصيره فى المقام

٧٩ الاؤل أنه سبحانه ذكر قصه آدم و كلففه خلقته و معامله إبليس معه فى

٨٠ الثانى

٨١ الثالث

٨٣ الرابع

٨٨ الخامس

٩٠ السادس

٩٣ و أمأ الأوجه الحكمفه عن تلك الشبهات على التفصبل لمن هو أهلها

٩٣ اما الشبهه الاولى -

٩٤ و اما الشبهه الثانفه

٩٤ و اما الشبهه الثالثه

٩٥ و اما الشبهه الرابعه

٩٤ و أمأ الشبهه الخامسه

٩٧ و أمأ الشبهه السادسه

٩٧ و أمأ الشبهه السابعه

٩٧ الترجمه

٩٨ الفصل الثانى عشر

٩٨ اشاره

٩٨ اللغه

٩٨ الاعراب

٩٩ المعنى

٩٩ اشاره

١٠٤ تذيبلات

١٠٤ الاؤل

١٠٩ الثانى

١١١ الثالث

١١١ و ىنبغى أن نشفر أولأ إلى معنى العصمه

١٢٤ الترجمة

١٢٤ الفصل الثالث عشر

١٢٤ اشارة

١٢٤ اللغه

١٢٥ الاعراب

١٢٥ المعنى

١٢٥ اشارة

١٢٦ تنبيهات

١٢٦ الاول

١٣٢ الثانى

١٣٥ الثالث

١٤٢ الترجمة

١٤٢ الفصل الرابع عشر

١٤٢ اشارة

١٤٣ اللغه

١٤٤ الاعراب

١٤٤ المعنى

١٦٧ الترجمة

١٦٨ الفصل الخامس عشر

١٦٨ اشارة

١٦٨ اللغه

١٦٩ الاعراب

١٦٩ المعنى

١٧٦ الترجمة

١٧٦ الفصل السادس عشر

١٧٦ اشارة

١٧٧	اللغة
١٧٧	الاعراب
١٧٨	المعنى
١٨٩	الترجمة
١٨٩	الفصل السابع عشر
١٨٩	اشاره
١٩٠	اللغة
١٩١	الاعراب
١٩٣	المعنى
١٩٣	اشاره
٢٠٨	و ينبغي تذييل هذا الفصل بامور مهمه مفيده
٢٠٨	الاول
٢١٢	الثانى
٢١٥	احتج التافون القائلون بالعدم بوجه
٢١٥	الاول الاجماع
٢١٥	الثانى ما ظهر من كلام المرتضى من توقّر الدواعى و اشتداد العنايات على
٢١٨	الثالث قوله تعالى:
٢١٨	الرابع قوله تعالى:
٢١٩	الخامس الأخبار الداله على وجوب التمسك بالقرآن و الأمره بالرجوع
٢٢٢	و حجه القائلين بالتحريف أيضا وجوه كثيره
٢٢٢	القسم الاول الأدله الداله على مطلق التحريف و التغيير فيه
٢٢٢	اولها ما ذكره السيد الجزائرى من أنّ القرآن كان ينزل منجما على حسب
٢٢٤	الثانى ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه
٢٢٤	الثالث ما رواه على بن إبراهيم القمى عن الصادق عليه السلام
٢٢٤	الرابع ما رواه عنه عليه السلام أيضا
٢٢٤	الخامس ما رواه أيضا

٢٢٦	السادس ما رواه أيضا عن ابن أبي عمير عن ابن سنان
٢٢٧	السابع ما رواه السيد المعتمد السيد هاشم البحراني عن المفيد في كتاب
٢٢٨	الثامن ما رواه الصدوق في التوحيد
٢٢٨	القسم الثاني الأدلة الداله على وجود الزيادة و التقصان
٢٢٩	القسم الثالث الأدلة الداله على وجود التقصان فقط،
٢٣٦	التذييل الثالث
٢٤١	التذييل الرابع
٢٤٤	الترجمه
٢٤٥	الفصل الثامن عشر
٢٤٥	اشاره
٢٤٦	اللغه
٢٤٩	الاعراب
٢٤٩	المعنى
٢٤٩	اشاره
٢٥٠	المقصد الاول
٢٥٢	المقصد الثاني
٢٥٦	المقصد الثالث
٢٧٩	تكميل
٢٨١	الترجمه
٢٨٢	و من خطبه له عليه السلام
٢٨٢	اشاره
٢٨٢	الفصل الاول
٢٨٢	اشاره
٢٨٢	اللغه
٢٨٣	الاعراب
٢٨٤	المعنى

٢٨٤	اشاره
٢٨٨	تنبيه و تحقيق
٢٩٤	الترجمه
٢٩٤	الفصل الثانى
٢٩٤	اشاره
٢٩٥	اللغه
٢٩٦	الاعراب
٢٩٩	المعنى
٣٠٩	الترجمه
٣١٠	الفصل الثالث
٣١٠	اشاره
٣١٠	اللغه
٣١١	الاعراب
٣١١	المعنى
٣١١	اشاره
٣١٥	استدراك
٣١٥	الترجمه
٣١٧	الفصل الرابع منها و يعنى آل محمد صلى الله عليه و آله
٣١٧	اشاره
٣١٧	اللغه
٣١٧	الاعراب
٣١٧	المعنى
٣١٧	اشاره
٣١٨	و بالجمله فاؤل الاوصاف المذكوره
٣٢١	الثانى
٣٢٥	الثالث

٣٢٧	الرابع
٣٢٩	الخامس
٣٣٥	السادس
٣٣٦	السابع و الثامن
٣٣٧	الترجمه
٣٣٨	الفصل الخامس منها يعنى قوما آخرين (منها فى -
٣٣٨	اشاره
٣٣٨	اللغه
٣٣٨	الاعراب
٣٣٩	المعنى
٣٤١	الترجمه
٣٤٢	و من خطبه له عليه السلام و هى الخطبه الثالثه
٣٤٢	اشاره
٣٤٢	و لا بدّ قبل الشروع فى المقصود من تمهيد مقدّمات
٣٤٢	الاولى
٣٤٥	الثانيه
٣٤٥	اشاره
٣٤٦	المقصد الاول: فى الأدله التّقليه و النّصوص اللفظيه
٣٤٦	اشاره
٣٤٦	القسم الاول: الآيات القرآنيه
٣٤٦	اشاره
٣٤٦	منها آيه الولايه
٣٨٥	و منها آيه الإطاعه
٣٩١	و منها آيه الإبلاغ
٤٠٠	القسم الثانى: السنه التّيويه و الاخبار الداله على إمامته عليه السلام
٤٠٩	المقصد الثانى: فى الادله العقليّه الداله على إمامته عليه السلام

٤٠٩ اشارة

٤٠٩ منها أن الامام يجب أن يكون معصوماً و غير على عليه السلام لم يكن معصوماً

٤١٠ و منها أن الامام يجب أن يكون منصوماً و غير على عليه السلام لم يكن منصوماً

٤١٠ و منها أن الامام لا بد أن يكون أفضل من رعيته

٤١٢ منها سبقه إلى الاسلام

٤١٣ و منها المسابقه بالصله

٤١٤ و منها التسبقه إلى البيعه

٤١٧ و اما العلم

٤٢٧ و أمّا زهده و طلاقه للدينيا و رغبته بالكلية عنها

٤٢٩ و أمّا العباده و صالح الأعمال

٤٣١ و منها الشجاعه

٤٤١ دربارہ مرکز

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۲

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبيب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبيب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحيحه و تهذيبه ابراهيم الميانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلاميه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهري: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ريال (ج. ۸)

یادداشت: عربي.

یادداشت: فهرست نویسی بر اساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲ / خ ۹ ۱۳۰۰ ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

تمه الخطبه الأولى

«الفصل التاسع»

إشاره

«ثم فتق سبحانه ما بين السموات العلى، فملأهن أطوارا من ملائكته، فمنهم سجود لا يركعون، و ركوع لا يتصبون، و صاقون لا يترايلون، و مسبحون لا يسأمون، لا يغشيهم نوم العيون، و لا سهو العقول، و لا فتره الأبدان، و لا غفله النسيان، و منهم أمناء على وحيه، و ألسنه إلى رسله، و مختلفون بقضائه و أمره، و منهم الحفظه لعباده، و السدنه لأبواب جنانه، و منهم الثابته فى الأرضين السفلى أقدامهم، و المارقه من السماء العليا أعناقهم، و الخارجه من الأقطار أركانهم، و المناسبه لقوائم العرش أكتافهم، ناكسه دونه أبصارهم، متلفعون تحته بأجنحتهم، مضروبه بينهم و بين من دونهم حجب العزّه

و أستار القدره، لا- يتوهمون ربهم بالتصوير، و لا- يجرون عليه صفات المصنوعين، و لا يحدونه بالأماكن، و لا يشيرون إليه بالنظائر.»

اللغه

(أطوار) جمع طور كثوب و أثواب، و هو فى الأصل الثاره يقال: أتيتہ طورا بعد طور، أى تاره بعد تاره، و يجىء بمعنى الحاله، و المراد به هنا الأصناف المختلفه كما فسر به قوله تعالى:
«و قد خلقكم أطوارا».

أى مختلفين فى الصيغ، أغنياء و فقراء، و زمناء و أصحاب، (و الملائكه) مأخوذه من الالوك و هو الرساله، يقال: ألك بين القوم ألكا من باب ضرب، و الألوك الرسول، و واحدها ملك، و أصله على ما قاله الفيومى ملاك، و وزنه معقل، فنقلت حركه الهمزه إلى اللام و سقطت لكثره الاستعمال فوزنه معقل فانّ الفاء هى الهمزه و قد سقطت، و قيل: مأخوذ من لأك إذا ارسل، فملاء ك مفعل فنقل الحركه و سقطت الهمزه و هى عين، فوزنه مفل و على كل تقدير فملك إمّا اسم مكان بمعنى محلّ الرساله، أو مصدر ميمى بمعنى المفعول (و السجود) و (الركوع) هنا جمع ساجد و راع، و فاعل الصّفه يجمع على فعول إذا جاء مصدره عليه أيضا (و الانتصاب) القيام (و الصّف) من صفت الشىء من باب نصر إذا نظمته طولا مستويا و منه صفّ الجماعه (و التزاييل) التفارق (و السامه) الملاله و الضّجر (و يغشيه) مضارع غشيته أى أتيتہ (و الفتره) الانكسار و الضّعف (و السدنه) جمع سادن كخدمه و خادم لفظا و معنى (و المارقه) أى الخارجه يقال: مرق السيه من الرّميه إذا خرج من الجانب الآخر (و الاقطار) الأطراف (و الأركان) جمع الركن كأقفال و قفل و هو جانب الشىء، و المراد هنا الأجزاء و الجوارح (و التاكس) المتاطىء رأسه (و تلفع) بالتّوب تلحف و اشتمل به (و النظائر) جمع نظيره و هى

المثل و الشبه فى الأشكال و الأفعال و الأخلاق، و النّظير المثل فى كلّ شىء قيل (١): و فى بعض النسخ بالنّواظر، أى بالأبصار، و فى بعضها بالمواطن أى بالأمكنه.

الاعراب

كلمه ثمّ هنا للترتيب الحقيقى فىكون فتق السماوات بعد خلق الشمس و القمر بل بعد جعلها سبعا و خلق الكواكب فيها، و يحتمل أن يكون للترتيب الذكرى، و ناكسه و تاليها مرفوعات على أنّها أوصاف للمناسبه المرفوعه بالابتداء أو معطوفات عليها أو على الثابته بحذف العاطف، و مسوخ الابتداء فى المعطوفات مع نكارتها إمّا عطفها على ما يصح الابتداء، أو كون الخبر مجرورا، مثل و لكلّ أجل كتاب، أو كون الصفه عامله عمل الرفع، و هذه قواعد ثلاث من القواعد المصححه للابتداء بالنكرات، صرح به ابن هشام فى المعنى، أو لقيام الصفه مقام الموصوف و هو رابع القواعد المسوّغه للابتداء بالنكره كما قرّر فى الأدبيّه، مثل مؤمن خير من مشرك، أى رجل مؤمن خير، و يحتمل أن يكون ناكسه و المرفوعان بعدها خبرا لمبتدأ محذوف، و الجمله استينافا بيائيا كأنه سئل عن حال الملائكه المتّصفه بالأوصاف السالفه و عن شأنهم، فقال عليه السّلام: هم ناكسه الأبصار دون العرش هذا و عن بعض النسخ ناكسه و متلفعين و مضروبه بالنصب على الحالیه، و مثلها محلّ الجملات بعدها، أعنى قوله لا يتوهّمون اه.

المعنى

لما ذكر عليه السّلام كيفيه خلق السّماوات السّبع و تزيينها بزينه الشمس و القمر و الكواكب، أشار بعد ذلك إلى سكّانها و حالات الساكنين فيها و صفاتهم و أصنافهم المختلفه باختلاف الصّيفات، و أقسامهم الكثيره بكثره الشّئون و الحالات فقال عليه السّلام:

(ثم فتق ما بين السّماوات العلى) المستفاد من كلام الشّارح البحرانى أن كلمه ثمّ هنا للترتيب الذّكرى حيث قال: فان قلت: لم آخر ذكر فتق السّماوات و إسكان

ص: ٤

الملائكة لها عن ذكر إجراء الشمس والقمر وتزيينها بالكواكب و معلوم أنّ فتقها متقدّم على اختصاص بعضها ببعض الكواكب؟ قلت: إنّ إشارته إلى تسوية السماوات إشاره جمليّه، فكأنّه قدّر أولاً أن خلق السّماوات كره واحده كما عليه بعض المفسرين، ثم ذكر عليهنّ و سفلهن لجريانهما مجرى السّطحين الدّاخل و الخارج لتلك الكره، ثم أشار إلى بعض كمالاتها و هي الكواكب و الشمس و القمر جملة، ثم بعد ذلك أراد التّفصيل فأشار إلى تفصيلها و تمييز بعضها عن بعض بالفتق و إسكان كلّ واحده منهنّ ملاء معيّنا من الملائكة، ثم عقب ذلك بتفصيل الملائكة، و لا شك أن تقديم الاجمال و تعقيه بالتفصيل أولى في الفصاحة انتهى.

أقول: ظاهر كلمه ثمّ و ظاهر سياق كلامه عليه السّلام أنّها هنا للتّرتيب الحقيقي فيستفاد منهما أن خلق السّماوات بعد خلق الشمس و القمر و الكواكب، و بعد جعلها سببا، و دعوى معلوميّه تقدّم الفتق على اختصاص بعضها ببعض الكواكب ممنوعه إذ لم يقم دليل على التقدّم، بل يمكن أن يكون السّماوات السّبع مرتقه مطبقه مخلوقه فيها الكواكب، ثم فصل بينها بالهواء و نحوه، كما روى نظيره في مجمع البيان عن ابن عباس في تفسير الآيه الشّريفه:

«أَوْ لَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا».

حيث قال: المعنى كما كانتا ملتزقتين منسدّتين ففصلنا بينهما بالهواء، عن ابن عباس و غيره انتهى.

فان قيل: قد مضى في ثالث تنبيهات الفصل السابق في حديث أبي جعفر عليه السّلام ما يدل على بطلان هذا التّفسير، حيث أمر الشامي بالاستغفار عن زعم كون المراد بالرتق و الفتق الالتصاق و الانفصال إلى آخر ما مضى.

قلت: ما ذكرناه هنا من مجمع البيان إنّما هو على سبيل التّنظير، ضروره أنّ كلامنا في فتق السّماوات، و تفسير ابن عباس كالحديث السابق ناظران إلى

فتق السّماء والأرض، وأحدهما غير الآخر، و بطلان احتمال الالتصاق بين السّماء والأرض بدليل خاص لا يوجب بطلان احتمال الالتصاق فى السّماوات السّبع.

و الحاصل أنّه لا- دليل على كون ثم فى كلامه عليه السّلام للترتيب المذكور بخصوصه بل يحتمل ذلك و كونها للترتيب المعنوى، و على أى تقدير ففى كلامه عليه السّلام دلالة على بطلان مذهب الفلاسفة من تماس الأفلاك و عدم الفصل بينهما بهواء و نحوه.

و كيف كان فلما خلق الله سبحانه السّماوات و فضّل بعضها عن بعض (ملاهنّ أطوارا من ملائكته) و أسكنهم فيها على وفق ما يقتضيه تدبيره و حكمته، و للنّاس فى ماهية الملائكة آراء متشّته و أهواء مختلفة.

فمنهم من قال: إنّها أجسام لطيفة نورانية قادره على التشكلات بأشكال مختلفة كامله فى العلم و القدره على الأفعال الشّاقه، مسكنها السّماوات، رسل الله إلى أنبيائه و امناءه على وحيه يسبّحون اللّيل و النّهار لا يفترون، و لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون، نسبه فى شرح المقاصد إلى أكثر الامه و الفخر الرّازى إلى أكثر المسلمين.

و منهم من قال: إنّها هى هذه الكواكب الموصوفه بالاسعاد و الانحاس، المسعّادات ملائكة الرّحمه، و المنحسات ملائكة العذاب، و هو مذهب عبده الأوثان.

و منهم من قال: إنّهم متولّدون من جوهر النّور لا- على سبيل التناكح، بل على سبيل تولد الضوء من المضىء، و الحكمه من الحكيم، كما أنّ الشّياطين متولدون من جوهر الظلمه حسب تولد السّيفه من السّيفيه، و هو رأى معظم المجوس و التّنويّه المشبتين للأصلين حسب ما مر تفصيله فى شرح الفصل السّابع من فصول الخطبه، و هذه الأقوال متّفقه فى كون الملائكه أشياء متحيزه جسمانيه.

و منهم من قال: إنّهم فى الحقيقه هى الأنفس النّاطقه بذاتها المفارقة للأبدان

على نعت الصّفا والخيريّه، كما أنّ الشّياطين هي الأنفس النّاطقه على وصف الخباثه و الكدره، و هو قول طائفه من النّصارى.

و منهم من ذهب إلى أنّها جواهر قائمه بأنفسها و مخالفه بنوع النّفوس النّاطقه البشريّه من حيث الماهيّه و أكمل منها قوه، و أكثر علما، و إنّما النّفوس البشريّه جاريه منها مجرى الأضواء بالنسبه إلى الشّمس، ثمّ إنّ هذه الجواهر على قسمين منها ما هي بالنسبه إلى أجرام الأفلاك و الكواكب كنّفوسنا النّاطقه بالنسبه إلى أبداننا و منها ما هي أعلى شأنًا من تدبير أجرام الأفلاك، بل هي مستغرقة في معرفه الله و محبّته، و مشغله بطاعته، و هذا القسم هم الملائكه المقربون، و نسبتهم إلى الملائكه الذين يدبرون السّماوات كنسبه أولئك المدبرين إلى نفوسنا النّاطقه، و هذان القسمان اتّفقت الفلاسفه على إثباتهما.

و منهم من أثبت نوعا آخر و هي الملائكه المدبره لأحوال هذا العالم السفلى ثم قالوا: إنّ المدبرات إن كانت خيرات فهم الملائكه، و إن كانت شريره فهم الشّياطين، و هذه الأقوال الأخيره متّفقه في نفى التّحيز و الجسميه عنها هذا.

و قال المحدّث المجلسى طاب ثراه في البحار: اعلم أنه اجتمعت الاماميّه بل جميع المسلمين إلّا من شدّ منهم من المتفلسفين الذين أدخلوا أنفسهم بين المسلمين لتخريب اصولهم و تضييع عقايدهم: على وجود الملائكه، و أنّهم أجسام لطيفه نورانيه اولى أجنحه مثنى و ثلاث و رباع و أكثر قادرون على التّشكيل بالاشكال المختلفه، و أنّه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما شاء من الأشكال و الصّور على حسب الحكم و المصالح، و لهم حركات صعودا و هبوطا، و كانوا يراهم الأنبياء و الاوصياء عليهم السّلام، و القول بتجرّدهم و تأويلهم بالعقول و النّفوس الفلكيه و القوى و الطبايع و تأويل الآيات المتظافره و الأخبار المتواتره تعويلا على شبهات واهيه و استبعادات وهميّه، زيغ عن سبيل الهدى، و اتّباع لأهل الهوى و العمى انتهى.

ثمّ إنّ للملائكه أقساما لا تحصى حاصله من اختلافهم في النّوع و الصّيفات، و تفاوتهم في المراتب و الدّرجات، فمنهم الكروبيون و منهم الرّوحانيون و منهم

المدبرون و منهم الحافظون و منهم المسبحون و منهم الصّافون و منهم أمناء الوحي و سفراء الرسل و منهم الخزنه للجنان و منهم الزبانيه للنيران إلى غير ذلك، و قد أشار إلى جملة منها الامام سيّد السّاجدين و زين العابدين عليه السّلام في دعاء الصّحيفه في الصلاه على حمله العرش و كل ملك مقرب، و أمّا الامام عليه السّلام فقد قسمهم هنا إلى أقسام أربعه و فضّلهم بكلمه من، و الظاهر أنّ القسّمه ليست حقيقه، بأن يكون بين الأقسام تباينا و انفصالا- حقيقيا، ضروره جواز اتّصاف بعض هذا الأقسام بالأوصاف الثّابته لغيره، و جواز اجتماع اثنين منها، أو ثلاثه أو جميع الأربعه في نوع واحد أو فرد واحد كما قال عليه السّلام في الصّحيفه السّجديه:

«أللهم و حمله عرشك الذين لا يفترون من تسيحك، و لا يسأمون من تقديسك».

حيث أثبت لحمله العرش كونهم مسبحين و قد فصل (1) هنا حيث قال عليه السّلام: و مسبحون لا يسأمون، و منهم الثّابته اه و قد علم ممّا ذكرنا أنّ هذه القسّمه ليست أيضا بعنوان منع الجمع، فبقى كونها بعنوان منع الخلوّ، أو جميع أصناف الملائكه من المذكورين هنا و غيرهم يمكن دخوله في قوله عليه السّلام: و مسبحون لا يسأمون، إذ ما من ملك إلّا و هو مسبح له سبحانه كما قال سبحانه حكاية عنهم: و نحن نسبح بحمدك، غايه الأمر أنّ بعضا منهم متّصف مع ذلك بصفه اخرى أوجبت جعله قسما برأسه فافهم.

و ممّا ذكرنا يظهر ما في كلام القطب الزاوندی على ما حكى عنه الشّارح المعتزلي من جعله حفظه العباد و السّدنه لأبواب الجنان مع امناء الوحي قسما واحدا و ارجاعه الأقسام الأربعه إلى الثلاثه، كما يظهر منه أيضا ما في كلام الشّارح البحراني من جعله امناء الوحي و ألسنه الرّسل و المختلفين بالقضاء و الأمر، داخلين في الأقسام السّابقه على هذا القسم في كلامه عليه السّلام، لما عرفت من أنّ

ص: ٨

تفصيله فى الأقسام باعتبار اختلاف الصفات، لا باعتبار القسمة الحقيقية، و معه لا داعى إلى تقليل الأقسام و إرجاع بعضها إلى بعض و إدخالها فيه، و إن كان المقصود بيان أن حفظه العباد و السدنه للأبواب كما أن فيهم وصف الحافظه و السدانه كذلك فيهم وصف الامانه.

فنقول: إن فيهم وصف المسبحه أيضا فما الداعى إلى جعلهم مع الامناء بخصوصهم قسما واحدا، و كذلك نقول: إن اتصاف امناء الوحى و ألسنه الرسل و المختلفين بالقضاء و الأمر، بكونهم مع ذلك أيضا سجودا لا يركعون مثلا لا يوجب إدخالهم فى هذا القسم، لأننا نقول: إنهم متصفون مع ذلك بكونهم حفظه العباد أيضا فإن جبرئيل مثلا- مع كونه أمين الوحى كان حافظا لابراهيم عليه السلام مثلا عند إلقاء النار، و ليوسف عليه السلام فى غيابه الجبّ و نحو ذلك.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى شرح الكلام و توضيح الأقسام التى أشار إليها بقوله:(فمنهم) أى القسم الأول منهم (سجود لا يركعون، و ركوع لا ينتصبون، و صافون لا يتزايلون، و مسبحون لا يسأمون) يعنى أن بعضا منهم ساجد لا يرفع رأسه من السجود ليركع، و منهم من هو راعع لا- يقوم من ركوعه، و منهم صافون للعباده لا يتفارقون من مكانهم، و منهم مسبحون لا يملّون من تسبيحهم، كما قال سبحانه حكايه عنهم:

«وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ».

إشاره إلى تفاوت مراتبهم و درجاتهم فى العباده، أى ما منّا أحد إلا له مقام معلوم فى العباده و المعرفه و الانتهاء إلى أمر الله فى تدبير العالم، و إنّا نحن الصافون فى اداء الطاعه و منازل الخدمه، و إنّا نحن المسبحون المتزّهون الله عمّا لا يليق به.

وقيل: إن المراد بالصّافين القائمون صفوفًا فى الصلاة، و عن الكلبي صفوف

الملائكة فى السماء كصفوف أهل الدنيا فى الأرض، و عن الجبائى المعنى صافون بأجنحتنا فى الهواء للعباده و التسبيح، و المراد بالمسبحين القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله هذا.

و ينبغى أن يعلم أنّ المراد بالسجود و الرّكوع و الصّف و التسبيح فى كلامه عليه السّلام ما هو المتبادر منها، أعنى وضع الجبهه على ما يصحّ السجود عليه فى الأوّل، و الانحاء فى الثّانى، و القيام فى خط مستطيل فى الثّالث، و قول سبحان الله و نحوه فى الرابع، و أنكر الشّارح البحرانى ذلك و لا بأس بنقل عبارته لتوضيح ما رامه.

قال: ثمّ إنّ السّجود و الرّكوع و الصّف و التسبيح عبادات متعارفه من الحقّ و متفاوته فى استلزام كمال الخشوع و الخضوع، و لا يمكن حملها على ظواهرها المفهومه منها، لأنّ وضع الجبهه على الأرض و انحناء الظهر و الوقوف فى خط واحد و حركه اللسان بالتسبيح امور مبيته على وجود هذه الآلات التى هى خاصه ببعض الحيوانات، و بالحرى أن يحمل تفاوت المراتب المذكوره لهم على تفاوت كمالاتهم فى الخضوع و الخشوع لكبرياء الله و عظمته، إطلاقاً لفظ الملزوم على لازمه على أنّ السجود فى اللّغه هو الانقياد و الخضوع كما مر.

إذا عرفت ذلك فنقول: يحتمل أن يكون قوله منهم سجود إشاره إلى مرتبه الملائكة المقربين، لأن درجتهم أكمل درجات الملائكة، فكانت نسبه عبادتهم و خضوعهم إلى خضوع من دونهم كنسبه خضوع السجود إلى خضوع الرّكوع.

فان قلت: إنّه قد تقدّم أنّ الملائكة المقربين مبرءون عن تدبير الأجسام و التعلّق بها، فكيف يستقيم أن يكونوا من سكان السماوات و من الأطوار الذين ملئت بهم.

قلت: إنّ علاقه الشّىء بالشّىء و إضافته إليه يكفى فيها أدنى مناسبه بينهما، و المناسبه هنا حاصله بين الأجرام السّماويه و بين هذا الطور من الملائكة، و هى مناسبه العله للمعلول، و الشّرط للمشروط انتهى، و أشار بقوله: فان قلت: إنه قد تقدّم

اه، إلى ما ذكره سابقا من أن المقرّبين هم الدّوات المقدّسه عن الجسميه و الجهه، و عن حاجتها إلى القيام بها و عن تدبيرها اه.
أقول: و أنت خبير بما فيه.

أما اولاً- فلأنّ صرف الألفاظ المذكوره عن معانيها الظاهره فيها حسب ما اعترف به(١) لا- وجه له، بل قد قام الأخبار المتواتره على المعنى الظاهر، مثل ما رواه فى البحار عن أبى ذر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إننى أرى ما لا ترون، و أسمع ما لا تسمعون إنّ السّماء أظت(٢) و حقّ لها أن تتظ ما فيها موضع أربع أصابع إلّا و ملك واضع جبهته ساجد الله.

و عن ابن جبير أنّ عمر سأل النّبى صلّى الله عليه و آله عن صلاه الملائكه فلم يرد عليه شىء فأتاه جبرئيل فقال إنّ أهل سماء الدّنيا سجدوا إلى يوم القيامة يقولون: سبحان ذى الملك و الملكوت، و أهل السّماء الثّانيه ركوع إلى يوم القيامة يقولون: سبحان ذى العزه و الجبروت، و أهل السّماء الثّالثه قيام إلى يوم القيامة يقولون: سبحان الحىّ الذى لا يموت.

و فى الأنوار عن الصّيادق عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله مررنا ليله المعراج بملائكه من ملائكه الله عزّ و جل، خلقهم الله كيف شاء، و وضع وجوههم كيف شاء ليس شىء من أطباق وجوههم إلّا و هو يسبح الله و يحمده من كلّ ناحيه بأصوات مختلفه أصواتهم مرتفعه بالتّسبيح و البكاء من خشيه الله، فسألت جبرئيل عنهم، فقال: كما ترى خلقوا إنّ الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه قط: و لا- رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقهم، و لا- خفضوا رؤوسهم إلى ما تحتهم، خوفا من الله و خشوعا، فسلمت عليهم فردّوا علىّ ايماء براء و سهم، و لا ينظرون إلىّ من الخشوع، فقال لهم جبرئيل: هذا محمّد نبىّ الرحمه أرسله الله إلى العباد رسولا و نبيا، و هو خاتم الأنبياء و سيدهم، قال:

ص: ١١

١- (١) اى بالظهور منه

٢- (٢) ناله كرد منه

فلما سمعوا ذلك من جبرئيل أقبلوا علىّ بالسلام، و بشروني و أكرموني بالخير لى و لا امتى.

قال الشّارح: إنّه جاء فى الخبر أنّ حول العرش سبعين ألف صفّ قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتّهليل و التكبير، و من ورائهم مائة ألف صفّ قد وضعوا الايمان على الشّمائل ما منهم أحد إلّا و هو يسبح إلى غير ذلك، ممّا يقف عليه المتتبع، فإنّ نصّ الزّوايه الأولى أنّ سجود الملائكة إنّما هو بوضع الجبهه، و المستفاد من تخصيص السّاجدين بالسّماء الدّنيا و الرّاكعين بالثّانيه، و القائمين بالثّالثه، فى الزّوايه الثّانيه أنّ المراد من كلّ من الألفاظ المذكوره معانيها المتعارفه، إذ لو اريد المعنى الذى ذكره الشّارح لزم أن يكون السّاجدون الذين هم أكمل خشوعا، أدنى درجه و أسفل مكانا من الرّاكعين الذين هم أدنى خشوعا منهم، و هكذا و هو كما ترى.

و منه يظهر أيضا فساد ما ذكره الشّارح فى شرحه من جعل السّاجدين عباره عن المقرّبين، و الرّاكعين عباره عن حملة العرش، و الصّيافين عباره عن الحافّين حول العرش، بملاحظه أنّ زياده الخشوع يوجب ارتفاع الدّرجه، و السّاجد أعلى خشيه من الرّاكع فيكون أعلى درجه منه، و الرّاكع أكمل خشوعا من الصّافين فيكون أعلى مقاما منهم.

وجه ظهور الفساد أنّ ما ذكره من قبيل الاستدلال بالعقل، و لا عبره به فى مقابل النصّ الدّال على الخلاف، و أمّا الزّوايه الثّالثه فقد استفيد منها أنّ تسييح الملائكه إنّما هو برفع الأصوات و تكلمهم بحركه اللّسان، حيث إنّهم ردّوا السّلام أولا على النّبي بالايماء، ثم تعرض عليهم جبرئيل بالتكلم فسلموا عليه صلى الله عليه و آله و بشروه، و أمّا الزّوايه الرّابعه فقد دلت على أنّ صفّ الملائكه إنّما هو بالقيام، كما دلت على تسييحهم برفع الأصوات هذا.

و ممّا ذكرناه عرفنا أيضا ما فى تخصيص الجوارح و الآلات ببعض الحيات،

وإنكار ثبوتها في حق الملائكة على ما هو المستفاد من ظاهر كلامه، فإنّ هذا عجب غاية العجب، ضروره أنّ الملائكة لهم أيد وأرجل وعواتق وأبصار وجوه وأجنحة إلى غير ذلك من الجوارح المثبتة لهم في الآيات والأخبار والآثار، بل كان أن يكون ضروريا، غاية الأمر أنّ جوارحهم ليس من قبيل جوارحنا كثيفه، بل نورانيه لطيفه، والظاهر أنّ ما ذكره من فروعات مذهب الفلاسفه المستنده إلى الأوهام السخيفه والعقول الناقصه والاستبعادات الوهميّه حسبما عرفت سابقا، ولا يعبأ بها قبال الأدلّه القاطعه والبراهين الساطعه.

و أما ثانيا فلأنّه لقائل أن يقول: إنّه إذا لم يكن خضوع الملائكة و خشوعهم بعنوان السّجده و الرّكوع و القيام و التّسبيح و نحو ذلك من العناوين المتصوّره في عبادات البشر ففي ضمن أيّ عنوان يخضعون و يخشعون؟ و إن كان المراد بالخضوع التكويني، ففيه أنّ الخضوع التكويني عامّ لجميع الموجودات، و لا اختصاص له بالملائكة، إذ كلّ شيء خاضع له و مقهور تحت قدرته، قال:

«وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» و إن اريد الخضوع التكليفي كما هو الظاهر فلا بدّ و أن يكون التكليف في ضمن عنوان من العناوين، و الثّابت في الأخبار أنّ عبادتهم إنّما هو في ضمن واحد من العناوين المذكوره، و لم يثبت عنوان آخر وراء تلك العناوين من الأدلّه التّقليه و العقل لا مسرح له فيها.

هذا كلّه مضافا إلى قوله سبحانه:

«فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ».

فإنّ ذلك مقيد للعموم من جهات عديده، فيدلّ على سجود جميع أصناف الملائكة

و آحادهم و حينئذ نقول: إنّ سجدتهم لآدم إما أن يكون بالعنوان المتعارف الذى هو وضع الجبهه كما هو الظاهر، ففيه دلالة على هدم جميع ما قاله الشارح، و إمّا أن يكون عباره عن مجرد إظهار التواضع فهو خلاف الظاهر أولاً من حيث إنهم أظهروا التواضع لآدم، و اعترفوا بفضيلته حين أنبأهم بالأسماء و ثانياً من حيث إن حكاية حال قوم لقوم بألفاظ مخصوصه يوجب إرادته المعانى المتعارفه عند المحكى لهم من هذه الألفاظ، و لا ريب أنّ المتبادر من السجده هو المعنى الشرعى، هذا كله مضافاً إلى إفاده بعض الأخبار (١) كون سجودهم بالعنوان المتعارف، و بعد التّنزل نقول: إنّ أكثر المفسرين احتملوا إرادته كلّ من المعنيين، فلو لم يتصوّر فى حقهم وضع الجبهه لما احتملوا ذلك بل جعلوا الآيه نصّاً فى المعنى الآخر.

و أما ثالثاً فإنّ احتمالاه كون المراد بالسجود الملائكه المقربون نظراً إلى كون درجاتهم أكمل الدّرجات كما أنّ خضوع السجودى أفضل الخضوعات ممنوع، لما قد مرّ فى الرّوايه السابقه من أنّ أهل السّماء الدّنيا هم السّاجدون، و أنّه ليس فى السّماء موضع أربع أصابع إلّا- و فيها ملك ساجد، مع أنّ المقربين عنده أرفع درجه من حمله العرش الذين هم أعلى درجه من أهل السّماء الدّنيا بمراتب، و من أهل سائر السّماوات أيضاً.

و أما رابعاً فإنّ المستفاد من الايراد الذى أوردته على نفسه من كون المقربين منزّهين عن تدبير الأجسام اه، و تقريره فى الجواب ذلك حيث لم يتعرّض لرّدّه مضافاً إلى تصريحه سابقاً بما ذكره فى الايراد حسب ما حكيناه عنه: أنّ المقربين عنده منزّهون عن الجبهه و الجسميه و تدبير الأجسام و التعلّق بها كما هو رأى الفلاسفه الذى بيناه سابقاً، و على ذلك فنقول إنّ جبرئيل هل هو ملك مقرب أم لا؟ فان قال: لا، و لا أظنّه قائلاً به، فقد ردّ قوله سبحانه فى وصفه:

ص: ١٤

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ».

فإنَّ المكانه هو القرب كما صرَّح به المفسِّرون، و قوله عليه السَّلام في الصَّحيفه السَّجديه:

«و جبرئيل الأمين على وحيك، المطاع في أهل سمواتك، المكين لديك المقرب عندك».

و الأخبار الكثيره الداله على ذلك، مثل ما راه على بن ابراهيم في حديث المعراج قال جبرئيل: أقرب الخلق إلى الله أنا و إسرافيل إلى غير ذلك ممَّا لا حاجه إلى ذكره.

و إن قال نعم و هو الظاهر من كلامه بل صريحه في ذيل قوله: و منهم امناء على وحيه، فنقول: إنَّه كيف لا يكون في جهه و مكان و لقد قال سبحانه:

«و لَقَدْ رَأَهُ نَزَلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرِهِ الْمُنْتَهَى».

و قال: «و لَقَدْ رَأَهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ».

و كيف يمكن انكار جسميته و قد ملاء ما بين الخافقين بأجنحته، و كيف ينكر تدبيره الأجسام مع أنَّه كان ناصرًا للنبي صَلَّى اللهُ عليه و آله في غزواته، و مصاحبًا معه في خلواته، و قالعا لبلاد قوم لوط، و مهلكا بصيحته لثمود، و قد وصفه الله بكونه مطاعا في السَّماءات و معناه أن يطاع له في الأمر و النَّهى، و معلوم أن الأمر و النَّهى إنَّما يكونان لتدبير الامور.

و أما خامسا فإنَّ ما ذكره من كفايه أدنى الملابسه في صحَّه الاضافه مسلَّم، إلاَّ أنَّ هذا الجواب يدفعه ما مرَّ في الروايه، من أنَّه ليس في السَّماء موضع أربع أصابع إلاَّ- و فيها ملك ساجد، و مثله، الرّوايه الاخرى، فإنَّهما صريحتان في سكون الملائكه السَّاجدين في السَّماء بعنوان الحقيقه لا بعنوان المجاز.

و أما سادسا فإنَّ قوله: و المناسبه حاصله بين الأجرام السَّماويه و بين هذا

الطور من الملائكة، و هي مناسبة العله للمعلول، و الشرط للمشروط، ممّا لا يفهم معناه. إذ العله الفاعلى للسّماوات هو الله سبحانه، و العله المادى هو الماء أو الدخان أو الزبد أو نور محمد صلى الله عليه و آله على ما مرّ، و لا عليه للملائكة فى شىء منها، و القول بأنّه سبحانه عله العلل و إنّ العله للسّماوات العقول المجرّده، هو مذهب الفلاسفه الباطل عند الاماميه.

و كيف كان فقد وضح و ظهر أنّ الملائكة المشغولين بطاعه الله على أصناف أربعه: منهم سجود، و منهم ركوع، و منهم صفوف لا يتفارقون عن صفّهم و منهم مسبحون لا يملّون من تسبيحهم بل يتقوّون به، كما قال سبحانه:

«فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ».

(لا يغشيه نوم العيون) الظاهر رجوع الضمير إلى الصّنف السّابق، و الظاهر اطراد الأوصاف فى الجميع.

ثم مفاد كلامه عليه السّلام عدم غشيان النّوم للملائكة و عله الشّارح البحرانى (ره) بأنّ غشيان النّوم لهم مستلزم لصحه النّوم عليهم، و اللازم باطل فى حقهم، فالملزوم مثله، أمّا الملازمه فظاهره، و أمّا بطلان اللازم فلأنّ النّوم عباره عن تعطيل الحواسّ الظاهره عن أفعالها، لعدم انصباب الرّوح النّفسانى إليها، أو رجوعها بعد الكلال و الضعف، و الملائكة السّماويه منزّهون عن هذه الأسباب و الآلات، فوجب أن يكون النّوم غير صحيح فى حقهم فوجب أن لا يغشيههم.

و عن القطب الرّاوندى أنّ معنى قولهم لا يغشيه نوم العيون يقتضى أنّ لهم نوما قليلا لا يغفلهم عن ذكر الله، فاما البارى سبحانه فانه لا تأخذه سنه و لا نوم أصلا مع أنّه حى، و هذه هى المدحه العظمى.

و أورد عليه الشّارح المعتزلى بقوله: و لقائل أن يقول: لو ناموا قليلا- لكانوا زمان النّوم و إن قلّ غافلين عن ذكر الله، لأنّ الجمع بين النّوم و بين الذّكر «ج ١»

يستحيل، ثم قال، و الصَّيْحِح أَنَّ الْمَلِكَ لَا- يَجُوزُ عَلَيْهِ النَّوْمُ كَمَا لَا- يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَكْلُ وَ الشَّرْبُ، لِأَنَّ النَّوْمَ مِنْ تَوَابِعِ الْمَزَاجِ وَ الْمَلِكُ لَا مَزَاجَ لَهُ، وَ أَمَّا مَدْحُ الْبَارِي بِأَنَّهُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لَا نَوْمٌ فَخَارِجٌ عَنِ هَذَا الْبَابِ، لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ النَّوْمُ اسْتِحَالَهُ ذَاتِيهِ لَا يَجُوزُ تَبَدُّلُهَا، وَ الْمَلِكُ يَجُوزُ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ كَوْنِهِ مَلِكًا بِأَنْ يَخْلُقَ فِي أَجْزَاءِ جَسْمِيَّتِهِ رَطُوبَةً وَ يَبُوسَةً وَ حَرَارَةً وَ بَرُودَةً يَحْصُلُ مِنْ اجْتِمَاعِهَا مَزَاجٌ وَ يَتَّبِعُ ذَلِكَ الْمَزَاجَ النَّوْمَ، فَاسْتِحَالَهُ النَّوْمُ عَلَيْهِ إِنَّمَا هِيَ مَا دَامَ مَلِكًا، فَهُوَ كَقَوْلِكَ: الْمَاءُ بَارِدٌ، أَيْ مَا دَامَ مَاءً لِأَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَحِيلَ هَوَاءً ثُمَّ نَارًا فَلَا يَكُونُ بَارِدًا لِأَنَّهُ لَيْسَ حِينَئِذٍ مَاءً، وَ الْبَارِي جَلَّتْ عِظَمَتُهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى ذَاتِهِ أَنْ يَتَغَيَّرَ، فَاسْتِحَالُ عَلَيْهِ النَّوْمُ اسْتِحَالَهُ مُطْلَقًا مَعَ أَنَّهُ حَيٌّ، وَ مِنْ هَذَا نَشَأَ التَّمَدُّحُ انْتَهَى.

وَ ظَاهِرُهُ كَمَا تَرَى إِنْكَارَ صِحِّهِ النَّوْمِ عَلَيْهِ مُطْلَقًا وَ اسْتِحَالَتَهُ فِي حَقِّهِ، لِأَنَّ تَجْوِيزَهُ لَهُ مَعَ الْخُرُوجِ عَنْ حَقِيقَتِهِ الْمَلِكِيَّةِ مِمَّا لَا يُقَابَلُ بِالْإِنْكَارِ وَ خَارِجٌ عَنِ مَحَلِّ الْكَلَامِ، وَ أَمَّا الْمُسْتَفَادُ مِنَ الْكَلَامِ الْمَحْكِيِّ عَنِ الرَّائِدِيِّ فَهُوَ أَنَّهُ يُعْرَضُهُمْ حَالَهُ السِّنَّةِ وَ هُوَ أَوَّلُ التَّنَاسُ وَ لَا يُعْرَضُهُمْ النَّوْمُ الْمَوْجِبُ لِلْغَفْلَةِ.

وَ يُمْكِنُ الْاسْتِشْهَادُ عَلَيْهِ بِمَا رَوَاهُ الصَّدُوقُ بِإِسْنَادِهِ عَنِ دَاوُدَ الْعَطَّارِ، قَالَ:

قَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِي: أَخْبِرْنِي عَنِ الْمَلَائِكَةِ أَمْ يَنَامُونَ؟ فَقُلْتُ: لَا أَدْرِي، فَقَالَ:

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ:

«يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ».

ثُمَّ قَالَ: أَلَا اطَّرَقَكَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِ بَشْيٌ؟ قُلْتُ: بَلَى، فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: مَا مِنْ حَيٍّ إِلَّا وَ هُوَ يَنَامُ مَا خَلَا اللَّهُ وَحْدَهُ عَزَّ وَ جَلَّ: فَقُلْتُ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ يَسْبِحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ، فَقَالَ: أَنْفَاسُهُمْ تَسْبِيحٌ هَذَا.

وَ بِهِ ظَهَرَ الْجَوَابُ عَمَّا أوردَهُ الشَّارِحُ الْمُعْتَرِلي بِأَنَّهُمْ لَوْ نَامُوا قَلِيلًا لَكَانُوا زَمَانَ النَّوْمِ غَافِلِينَ، كَمَا ظَهَرَ بِهِ وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا يَغْشِيهِمْ نَوْمُ الْعَيُونَ، وَ بَيْنَ الزَّوَايَةِ الْمَرْوِيَّةِ فِي الْعِلَلِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، قَالَ: سَأَلْتُ

أبو عبد الله عليه السلام عن الملائكة يأكلون و يشربون و ينكحون، فقال: لا، إنهم يعيشون بنسيم العرش، فقيل له: ما العله في نومهم؟ فقال: فرقا بينهم و بين الله عزّ و جلّ، لأنّ الذي لا تأخذه سنه و لا نوم هو الله.

و حاصل الجمع أن يحمل النوم في هذه الزوايه و ما شابهها من الأخبار المثبتة له، على النوم القليل المعبر عنه بالسنة الغير المانع عن الذكر و التسيح.

و في قوله لا يغشيه نوم العيون على النوم الغالب الموجب للغفله، و لا يبعد استفاده هذا المعنى من قوله: لا يغشيه، كما ذكره الزاوندى بأخذه من الغشى الموجب لتعطيل القوى المحركه، إلا أنه خلاف الظاهر، و الظاهر أنه مأخوذ من غشيتة إذا أتيتة، فلا دلالة فيه من حيث الوضع، و إنما الدلالة باقتضاء الجمع الذى ذكرناه، و عليه فالمعنى أنه لا يأتيهم نوم العيون الموجب للغفله، كما يأتي غيرهم.

و هذا نظير ما روى في خواص النبى صلى الله عليه و آله، من أنه كان ينام عينه و لا ينام قلبه انتظار للوحى الالهى، فالنوم و إن اعتراه، لكنه لا يعطله عن مراقبه ربه سبحانه كما يعطل غيره و الله العالم (و لا سهو العقول، و لا فتره الأبدان، و لا غفله النسيان) الفرق بين السهو و النسيان و الغفله: أن السهو هو عزوب الشىء و انمحاؤه عن القوه الذاكره مع ثبوته في الحافظه بحيث يلحظ الذهن عند الالتفات إليه، و النسيان هو ذهابه عنهما معا بحيث يحتاج في تحصيله إلى كسب جديد، و الغفله أعتم منهما، و لما كان هذه الامور الثلاثه من عوارض القوى الانسانيه صحّ سلبها عن الملائكه، لعدم وجود تلك المعروضات فيهم كما في الانسان، و سلب الأعمّ و إن كان مستلزما لسلب الأخص إلا أنه عليه السلام جمع فيهما لزياده التوكيد.

و أمّا سلب فتور الأبدان فلائّن الفتور هو وقوف الأعضاء البدنيه عن العمل بسبب تحلل الأرواح البدنيه و ضعفها و رجوعها للاستراحه، و كلّ ذلك من توابع المزاج الحيوانى، فلا- جرم صحّ سلبه عنهم، وفاقا لقوله سبحانه: يسبحون الليل و النهار لا يفترون.

(و) القسم الثانى (منهم امناء على وحيه) الحافظون له مؤدّين إياه إلى رسله

جمع الأمين و هو الحافظ لما كلف بحفظه على ما هو عليه ليؤديه إلى مستحقه، قال سبحانه:

«ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٍ» روى أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قال لجبرئيل: ما أحسن ما أثنى عليك ربّيك: ذى قوّه عند ذى العرش اه فما كانت قوتك؟ و ما كانت أمانتك؟ فقال: و أمّا قوتى فأنى بعثت إلى مداين لوط و هى أربع مداين فى كلّ مدينه أربعمائنه ألف مقاتل سوى الذرارى، فحملتهم من الأرض السّفلى حتّى سمع أهل السّماوات أصوات الدّجاج و نباح الكلاب، ثم هويت بهنّ. و أمّا أمانتى فأنى لم اومر بشىء فعدلت إلى غيره، و فى روايه اخرى فعدوته إلى غيره.

و أمّا اماناء الوحي فقد اشير إليهم فى جملة من الأخبار.

مثل ما رواه فى الاختصاص باسناده عن ابن عبّاس، قال عبد الله بن سلام للنّبى صَلَّى الله عليه و آله فيما سأله: من أخبرك؟ قال النّبى صَلَّى الله عليه و آله: جبرئيل، قال: عمّن؟ قال:

عن ميكائيل، قال: عمّن؟ قال عن إسرائيل، قال: عمّن؟ قال: عن اللّوح المحفوظ، قال: عمّن؟ قال: عن القلم، قال: عمّن؟ قال: عن ربّ العالمين، قال: صدقت.

و نظيره ما رواه الصّيدوق فى العيون باسناده عن على بن هلال، عن على بن موسى الرّضا، عن موسى بن جعفر، عن جعفر بن محمّد، عن محمّد بن على، عن على بن الحسين، عن الحسين بن على، عن على بن أبى طالب، عن النّبى عليهم السّلام، عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرائيل، عن اللّوح، عن القلم، قال الله عزّ و جلّ: ولايه على بن أبى طالب حصنى، و من دخل حصنى أمن من عذابى.

و فى بعض الأخبار أنّ جبرئيل قال لرسول الله صَلَّى الله عليه و آله فى وصف إسرائيل: هذا حاجب الرّب، و أقرب خلق الله منه، و اللّوح بين عينيه من ياقوته حمراء، فاذا تكلم الرّب بالوحي ضرب اللّوح جبينه، فنظر فيه ثم ألقى إلينا نسعى به فى السّماوات و الأرض.

و لعلّ الاختلاف فيها محمول على اختلاف الكيفيات، أو بحسب اختلاف المقامات، و المستفاد من الروايه الأخيره كظاهر الاولى كون اللوح ورقا، كما أنّ مفاد الثانيه كونه ملكا، و كلاهما ممّا ورد فى الأخبار كالقلم، و قد ظهر من هذه الأخبار كيفيه تلقى الوحي.

و فى روايه اخرى بنحو آخر، و هو ما روى أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال لجبرئيل:

من أين تأخذ الوحي؟ قال: آخذه من اسرافيل، قال: من أين يأخذه إسرافيل؟ قال: يأخذه من ملك فوقه من الرّوحانيين، قال: ممّن يأخذه ذلك الملك؟ قال:

يقذف فى قلبه قذفا هذا.

و قال الشّارح البحرانى: يشبه أن يكون هذا القسم(1) داخلا- فى الأقسام السابقه من الملائكه، و إنّما ذكره ثانيا باعتبار وصف الامانه على الوحي و الرساله ثم أورد على نفسه بقوله فان قلت: كيف يصحّ أن يكون هذا القسم داخلا فى السجود، لأنّ من كان أبدا ساجدا كيف يتصوّر أن يكون مع ذلك مترددا فى الرساله و التّزول و الصّعود، مختلفا بالأوامر و التّواهي إلى الرّسل، و أجاب بقوله قلت: أنا بيّنا أنّه ليس المراد بسجود الملائكه هو وضع الجبهه على الأرض بالكيفيه التى نحن عليها، و إنّما هو عباره عن كمال عبوديتهم لله و خضوعهم تحت قدر قدرته، و الامكان و الحاجه تحت ملك و جوب وجوده، و معلوم أنّه ليس بين السجود بهذا المعنى و بين ترددهم بأوامر الله و اختلافهم بقضائه على وفق مشيئته و أمره منافاه، بل كلّ ذلك من كمال عبوديتهم و خضوعهم لعزّته و اعترافهم بكمال عظمته انتهى.

أقول: و فيه بعد الغض عمّا أوردنا عليه سابقا فى إدخال هذا القسم فى القسم السابق، مضافا إلى ما ذكرناه أيضا من منع كون السجود بمعنى الخضوع المطلق حسبا مرّ تفصيلا بما لا مزيد عليه، أنّه جعل السّاجدين عباره عن المقربين الذين

ص: ٢٠

حكم فيهم بكونهم منزّهين عن الجسميّة و الجهه و سكون السيّماوات و تدبير الأجسام و على ذلك فنقول له: هب أنّ السيّجود بالمعنى الذى ذكرت لا ينافى الرّساله و التردّد صعودا و هبوطا، و الوساطه بين الحقّ و الرّسل و الاختلاف بالقضاء و الامور، إلاّ أنّ تنزّههم عن الأصاف المذكوره ينافى هذه الأمور قطعا كما هو ظاهر لا يخفى.

(و) لما كان الملائكه وسايط بين الحقّ سبحانه و بين رسله فى تأديه خطاباته إليهم مفصحين لهم عن مكنون علمه حسن التعبير عنهم بأنهم (ألسنه إلى رسله) تشبيها لهم باللسان المفصح عمّا فى الضّمير و إنّما احتيج الى الواسطه فى تبليغ الخطابات و تأديتها، لأنّ التّخاطب يقتضى التناسب بين المتخاطبين، فاقتضت الحكمة توسط الملك ليتلقّف الوحي بوجهه الذى فى عالم الملكوت تلقّفا روحانيّا، و يبلغه بوجهه الذى فى عالم الملك و الحكمة إلى النّبي، لأن من خواص الملك أن يتمثل للبشر فيراه جسما، فرّبما ينزل الملك إلى الصوره البشريه، و ربّما يترقى النّبيّ إلى رتبه الملكيه و يتعرّى عن كثره البشريّه فيأخذ عنه الوحي (و مختلفون لقضائه و أمره) من الاختلاف بمعنى التردّد، و فى وصف الأئمه فى بعض الخطب الآتيه و فى الزّياره الجامعه: و مختلف الملائكه، اى محل تردّدهم و يأتى توضيح ذلك فى الفصل الآخر من فصول الخطبه المأه و الثامنه إن شاء الله.

و المراد بالقضاء إمّا الحكم و هو أحد معانيه العشره، فيكون عطف الأمر عليه من قبيل عطف الخاصّ على العامّ و إمّا بمعنى الأمر كما فسّر به قوله:

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» و على ذلك فالعطف للتفسير و التّبيين، و على التّقديرين فالمراد بالأمر الأمر التكليفي هذا.

و لكن الأظهر أنّ المراد بالقضاء هو ما يساوق القدر، و بالأمر الامورات

المقدّره الحادّته فى العالم السّفلّى، فىكون المعنى و مختلفون بمقتضياته و مقدراته، و إنّما جعلنا المصدر بمعنى المفعول، لأنّ القضاء بمعنى المصدرى عبارته عن إبداع الحقّ سبحانه صور الموجودات و جميع الأشياء معقوله مفصّله محفوظه عن التّغير فى اللّوح المحفوظ، و هو امّ الكتاب و يسمّى بالعلم الملزم، و معلوم أنّ هذا المعنى ممّا قد فرغ عنه، و لا يتصوّر تردّد الملائكه و تدبيرهم فيه، و إنّما تدبيرهم فى المقتضيات الموجوده على طبق ما فى اللّوح المحفوظ.

توضيحه أنّ القضاء كما عرفت عبارته عن إبداعه سبحانه لصور الموجودات الكلّيه و الجزئيه التى لا- نهايه لها من حيث هى معقوله فى العالم العقلى و هو امّ الكتاب ثمّ لما كان ايجاد ما يتعلّق منها بموادّ الأجسام فى موادّها و إخراج المادّه من القوه إلى الفعل غير ممكن إلّا- على سبيل التّعاقب و التدرّج، لامتناع قبولها لتلك الكثره دفعه، و كان الجود الالهى مقتضيا لايجادها و لتكميل المادّه بابداعها فيها و إخراج ما فيها من قبول تلك الصّور من القوه إلى الفعل، قدر بلطيف حكمته وجوده زمانا لا ينقطع ليخرج فيه تلك الامور من القوه إلى الفعل واحدا بعد واحد، فيصير فى جميع ذلك موجوده فى موادّها و المادّه كامله بها، فالمقتضيات عبارته عن وجود هذه الأشياء مفصله واحدا بعد واحد فى موادّها السفليه الخارجيه بعد أن كانت ثابتة فى صحايفها العلويه بأيدى (1) المدبّرات، و إلى هذا أشار سبحانه فى قوله:

«وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ» و إلى هذا القسم من الملائكه أشار فى قوله سبحانه:

«فَالْمِدْبَرَاتِ أَمْراً» روى فى مجمع البيان عن عبد الرحمن بن سابط أنّ المراد بالمدبّرات جبرئيل و ميكائيل و ملك الموت و إسرافيل يدبرون أمور الدّنيا فأما جبرئيل فموكل

ص: ٢٢

بالرياح و الجنود و أما ميكائيل فموكل بالقطر و النبات و أما ملك الموت بقبض الأنفس و أما اسرافيل فهو يتنزل بالأمر عليهم، و التدبير ليس منحصر في الأربعة حسبما تعرفه في الأخبار الآتية، و إنما ذكرناه لتوضيح معنى الآية، كما أنّ الامور الواقعه فيها التدبير لا تنحصر فيما ذكر و ستعرفه أيضا و قد ظهر بما ذكرنا معنى القضاء و المقتضيات و الملائكه المختلفون بالقضاء.

و أما القدر فهو دون مرتبه القضاء، إذ هو عباره عن صور جميع الموجودات في لوح المحو و الاثبات على الوجه القابل للتغيير، و إلى ذلك الاشاره في قوله سبحانه:

«يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» قال الصادق عليه السلام بعد ما سئل عنه عن هذه الآية: إن ذلك الكتاب كتاب يمحو الله فيه ما يشاء و يثبت فمن ذلك (١) الذى يردّ الدعاء القضاء، و ذلك الدعاء مكتوب عليه الذى يردّ به القضاء حتّى إذا صار إلى أم الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئا.

و حاصل ما ذكرنا كله يرجع إلى جعل المراد بالقضاء فى كلامه عليه السلام الامور المحتومه، و بالأمر الامور الموقوفه و نظيره ما روى عن الصادق عليه السلام، قال: هما أمران موقوف و محتوم، فما كان من محتوم أمضاه، و ما كان من موقوف فله فيه المشيئه يقضى فيه ما يشاء هذا.

و يحتمل أن يكون المقصود من قوله عليه السلام: بقضائه و أمره، أنّهم مختلفون باظهار قضائه و أمره إلى النبى و الائمه عليهم السلام، و إلى ذلك وقع الاشاره فى وصف الأئمه عليه السلام بأنهم مختلف الملائكه، أى محلّ اختلافهم كما فى الأخبار المتظافره، و قد عقد فى الكافى بابا فى ذلك، و هو باب أن الأئمه معدن العلم و شجره الثبوه و مختلف الملائكه، و إليه الاشاره فى قوله سبحانه:

«تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ»

ص: ٢٣

١- (١) يعنى من قبيل المحو و الاثبات الحديث الذى ورد يرد الدعاء القضاء، فيض.

قال الصادق عليه السلام: إذا كان ليله القدر نزلت الملائكة و الروح و الكتبه إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله في تلك السنه فاذا أراد الله أن يقدم شيئا أو يؤخره أمر الملك أن يمحو ما يشاء، ثم أثبت الذي أراد.

قال القمي تنزل الملائكة و روح القدس على إمام الزمان و يدفعون اليه ما قد كتبوه.

و يشهد به ما رواه في الكافي عن الباقر عليه السلام قال: قال الله عزّ و جلّ في ليله القدر:

«فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» يقول: ينزل فيها كلّ أمر حكيم، و المحكم ليس بشيئين إنّما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّ و جلّ، و من حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت إنّّه لينزل في ليله القدر إلى وليّ الأمر تفسير الامور سنه سنه يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا و كذا، و في أمر الناس بكذا و كذا، و أنّه ليحدث لولي الأمر سوى ذلك كلّ يوم علم الله عز ذكره الخاصّ و المكنون و العجيب المخزون مثل ما ينزل في تلك الليله من الأمر ثم قرء.

«وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» و فيه أيضا عن حمران، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: يقدر في ليله القدر كلّ شيء يكون في تلك السنه إلى مثلها من قابل من خير و شرّ و طاعه و معصيه و مولود و أجل و رزق، فما قدر في تلك السنه و قضى فهو المحتوم، و لله عزّ و جلّ فيه المشيّه.

و المراد حسبما ذكرنا إظهار تلك المقادير للملائكة، و إظهارهم لها إلى

النبي و الأئمة عليهم السلام في تلك الليلة، و إلا فالمقادير كما عرفت من الأزل إلى الأبد ثابتة في أم الكتاب هذا و بقي الكلام في أن المختلفين بالقضاء و الأمرهم بعض الملائكة أو جميعهم، قال النيسابوري: قوله تعالى: تنزل الملائكة، يقتضى نزول كل الملائكة إما إلى السماء الدنيا و إما إلى الأرض، و هو قول الأكثرين، و على التقديرين فإن المكان لا يسعهم إلا على سبيل التفاوت و النزول فوجا فوجا كأهل الحج، فإنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة أفواجا انتهى كلامه على ما حكى عنه.

و لكن الظاهر من كلمه منهم في كلام الامام عليه السلام هو أن المتصنفين بهذا الوصف بعض الملائكة، و هو الظاهر مما روى عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل قال: إذا أتت ليله القدر فيهبط من الملائكة إلى ولي الأمر، و المستفاد من الأخبار الكثيره أن جبرئيل من هذه الجملة، و نص الآيه الشريفه كون روح القدس منها أيضا، و قد يفسر بالروح الأمين و هو جبرئيل، و لكن الظاهر أنه غيره كما يدل عليه ما روى عن الصادق عليه السلام، قال: إن الروح أعظم من جبرئيل إن جبرئيل من الملائكة و الروح هو خلق أعظم من الملائكة، أليس يقول الله تبارك و تعالى: تنزل الملائكة و الروح.

و في شرح الصيحيفه قال: أتى رجل علي بن أبي طالب عليه السلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟ فقال له: جبرئيل من الملائكة و الروح غير جبرئيل، فقال له:

لقد قلت عظيما من القول، ما أحد يزعم أن الروح غير جبرئيل، فقال له على عليه السلام:

إنك ضال تروى عن أهل الضلال، يقول الله تبارك و تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله:

«أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه و تعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح» و الروح غير جبرئيل.

و عنه عليه السلام أيضا أن له سبعين ألف وجه، و لكل وجه سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها، و يخلق الله تعالى من

تسيحه ملكا يطير مع الملائكة، و لم يخلق الله أعظم من الروح غير العرش، و لو شاء أن يبلغ السماوات السبع و الأرضين السبع بلقمه واحده لفعل، فسبحان من هو على كل شيء قدير، و مثلهما في البحار.

(و) القسم الثالث (منهم الحفظه لعباده) ظاهر العبارة أنّ المراد بهم حفظه العباد من المعاطب و المهالك لا- الحفظه عليهم يحفظون على العبد عمله، فهم من اشير اليهم في قوله:

«لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِّنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» روى في المجمع عن على عليه السلام أنّهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير.

و في الصّافي عن عليّ بن إبراهيم، عن الصادق عليه السلام إنّ هذه الآيه قرئت عنده، فقال لقاريها: أستمع عربا؟ فكيف يكون المعقّبات من بين يديه و إنّما المعقّب من خلفه، فقال الرّجل جعلت فداك: كيف هذا؟ فقال: إنّما نزلت له: معقّبات من خلفه، و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله، و من ذا الذي يقدر أن يحفظ لشيء من أمر الله و هم الملائكة الموكلون بالنّاس، و مثله عن العياشي.

و عنه أيضا عن الباقر عليه السلام من أمر الله يقول بأمر الله من أن يقع في ركي (1)، أو يقع عليه حايط، أو يصيبه شيء حتى إذا نزل القدر خلوا بينه و بينه يدفعونه إلى المقادير و هما ملكان يحفظانه بالليل، و ملكان يحفظانه بالنّهار يتعاقبان (و السدنه لأبواب جنانه) أي المتولون لأبواب الجنان بفتحها و إغلاقها و إدخال من اذن لهم بالدخول.

أقول: أمّا الجنان فعلى ما اشير إليه في القرآن ثمان: جنه النّعيم و جنه الفردوس و جنه الخلد و جنه الماوى و جنه عدن و دار السلام و دار القرار و جنه عرضها السماوات و الأرض، و في بعض كتب الأخبار تسميه الأخيره بالوسيله.

ص: ٢٦

و أما أبوابها فثمانية أيضا على ما في بعض كتب الأخبار: الباب الاول اسمه التوبه و الثانى الزكاه و الثالث الصيلاه و الرابع الأمر و النهى و الخامس الحجّ و السادس الورع و السابع الجهاد و الثامن الصبر.

و فى الصيافى عن الخصال، عن الصادق عن أبيه، عن جدّه، عن علىّ عليهم السّلام قال: إنّ للجنّه ثمانية أبواب: باب يدخل منه النّبيون و الصّديقون، و باب يدخل منه الشّهداء و الصّالحون، و خمسّه أبواب يدخل منها شيعتنا و محبّونا، فلا أزال واقفا على الصّيراط أدعو و أقول ربّ سلّم شيعتى و محبّى و أنصارى و أوليائى و من تولّانى فى دار الدّنيا، فاذا النداء من بطنان(١) العرش قد اجبت دعوتك، و شفعت فى شيعتك و يشفع كلّ رجل من شيعتى و من تولّانى و نصرنى و حارب من حاربنى بفعل أو قول فى سبعين ألفا من جيرانه و أقربائه، و باب يدخل منه ساير المسلمين ممّن يشهد أن لا إله إلاّ الله و لم يكن فى قلبه مثقال ذره من بغضنا أهل البيت.

و عن الباقر عليه السّلام أحسنوا الظنّ بالله و اعلموا أنّ للجنّه ثمانية أبواب عرض كلّ باب منها مسيره أربعمائه سنه.

و أما سدنتها و خزّانها فقد اشير إليه فى سورة الزّم، قال سبحانه:

«و سَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ»
و فى الأنوار فى حديث المحشر فاذا أتوا إلى رضوان الله و هو جالس على باب الجنّه و معه سبعون ألف ملك، مع كلّ ملك سبعون ألف ملك فينظر إليهم و هم فى أقبح صوره من سواد البدن و طول الشّعرو كونهم عزلا(٢) بلا ختان، فقال لهم: كيف تدخلون الجنّه و تعانقون

ص: ٢٧

١- (١) اى وسطه منه

٢- (٢) و عزل عزلا من باب تعب اذا لم يختن، مجمع البحرين

الحوار العين على هذه الهيئة؟ فيأمر جماعه من الملائكة الواقفين أمامه فيذهبون بالمؤمنين إلى عين ماء عند جدار الجنة، وهي عين الحياة فإذا اغتسلوا فيها صار وجه كل واحد منهم كالقدر في تمامه و تسقط شعورهم و غلغهم(١) و تبيض قلوبهم من التفاق و الحسد و الكذب و الرذائل و الأوصاف الذميمة حتى لا يتحاسدوا في الجنة بعلو الدرجات و التفاوت في المراتب، فيصير كل واحد منهم بصورة ابن أربعة عشر سنه، و يعطى حسن يوسف، و صوت داود، و صبر أيوب، فإذا أتوا إلى باب الجنة وجدوا على بابها حلقة تطن (٢) عند كل من يدخلها و يقول في طينتها: يا على، لكنها تطن عند كل داخل بطنين خاص ليس كالطين الآخر، فيعرف بذلك الطنين أهل المؤمن في منزله و خدمه و حور العين إن هذا فلان فيأتون لاستقباله هذا.

و قد اشير إلى طايفه من السيدنه و الأبواب في حديث الجنان و النوق من روضه الكافي، و هو ما رواه الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب عن محمد بن اسحاق المدني عن أبي جعفر عليه السلام، قال: إن رسول الله صلى الله عليه و آله سئل عن قول الله:

«يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا» فقال: يا على إن الوفد لا يكونون إلا ركبانا، اولئك رجال اتقوا الله فأحبهم الله عز ذكره و اختصهم و رضى أعمالهم فسماهم المتقين.

ثم قال له: يا على أما و الذى فلق الحبه و برىء النسمه إنهم ليخرجون من قبورهم، و إن الملائكة لتستقبلهم بنوق من نوق العز عليها رحائل الذهب مكلله بالدر

ص: ٢٨

١- (١) و غلف غلغا من باب تعب اذا لم يختن فهو اغلف و الانثى غلغاء و الجمع غلف من باب احمر، مصباح اللغه

٢- (٢) طن الذباب و غيره يطن من باب ضرب طنينا صوت، مصباح.

و الياقوت و جلائلها(١) الاستبرق و السندس و خطمها(٢) جندل الأرجوان، تطير بهم إلى المحشر مع كل رجل منهم ألف ملك من قدامه و عن يمينه و عن شماله يزفونهم(٣) زفا حتى ينتهوا بهم الى باب الجنة الأعظم و على باب الجنة شجره إن الورقه منها ليستظل تحتها ألف رجل من الناس، و عن يمين الشجره عين مطهره مزكيه، قال:

فيستقون منها فيطهر الله بها قلوبهم من الحسد، و يسقط عن أبقارهم الشعر و ذلك قول الله عز و جل:

«و سقاهم ربهم شراباً طهوراً» من تلك العين المطهره.

قال: ثم يصرفون إلى عين أخرى عن يسار الشجره فيغتسلون فيها و هي عين الحياه فلا يموتون أبدا.

قال: ثم يوقف بهم قدام العرش و قد سلموا من الآفات و الأسقام و الحرّ و البرد أبدا، قال: فيقول الجبار جلّ ذكره للملائكه الذين معهم: احشروا أوليائي إلى الجنة و لا توقفوهم مع الخلاق، فقد سبق رضائي عنهم و وجبت رحمتي لهم و كيف اريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات و السيئات.

قال، فتسوقهم الملائكه إلى الجنة، فاذا انتهوا إلى باب الجنة الأعظم ضرب الملائكه ضربه تصرّ صريرا يبلغ صوت صريرها كل حوراء أعدّها الله عزّ و جلّ لأوليائه في الجنان، فيتباشرون بهم إذا سمعوا صرير الحلقة، فيقول بعضهم لبعض:

قد جاءنا أولياء الله، فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنة، و تشرف عليهم أزواجهم من

ص: ٢٩

١- (١) جمع جلال بكسر الجيم و هو جمع جل بالضم منه

٢- (٢) جمع خطام چو بهائي كه در بينی شتران می گذارند بجهت فرمانبرداری ملا خليل.

٣- (٣) الزف بردن جمعی کسی را بسوی کسی از روی مثل بردن عروس سوی داماد ملا خليل.

الحدور العفن و الأءمفن، ففقلن: مرءبا بكم؁ فما كان أشء شوقلنا إلكم و فقول لهن أولفاء الله: مثل ذلك.

فقال على علىه السلام: فا رسول الله أءبرنا عن قول الله عز و ءل:

«عُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مَّيْبُتَةٌ» بماذا بنفء فا رسول الله؟ فقال صلى الله علىه و آله: فا على ءلك ءرف بناها الله عز و ءل لاولفاءه بالءر و الفاقوء و الزبرءء؁ سقوفها الذهب؁ مءبوكه بالفضة؁ لكل ءرفه منها ألف باب من ذهب؁ على كل باب منها ملك موكل به؁ ففها فرش مرفوعه بعضها فوق بعض من الحرفر و الءفبا ءألوان مءءلفه؁ و ءشوها المسك و الكافور و العنبر؁ و ذلك قول الله عز و ءل.

«وَفَرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ» إذا ءءل المؤمن إلى منازله فى الءنه و وضع على رأسه ءا ء الملك و الكرامه البس ءل الذهب و الفضة و الفاقوء و الءر المنظومه فى الالكفل (١) ءء ءا.

قال: و البس سبعفن ءله حررفا بألوان مءءلفه و ضرب مءءلفه منسوجه بالذهب و الفضة و اللؤلؤ و الفاقوء الأحمر؁ فذلك قول الله عز و ءل:

«يُحَلِّوْنَ ففِهَا مِّنْ أَسَاوِرَ مِّنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤًا وَ لِبَاسَهُمْ ففِهَا حَرِيرٌ» فا ءلس المؤمن على سررفه اهءر سررفه فرءا؁ فاذا اسءقر لولى الله عز و ءل منازل له فى الءنان اسءاءن علىه الملك الموكل بءنائه لفهفنه بكرامه الله عز و ءل افاء؁ ففقول له ءءام المؤمن من الوصفاء و الوصائف: مكانك (٢)؁ فان ولى الله ءءا على أرفكءه (٣) و زوجته الءوراء ءهففا له فاصبر لولى الله.

قال: فءءرء علىه زوجته الءوراء من ءفمه لها ءمشى مقبله و ءولها و صاففها و علىها سبعون ءله منسوجه بالفاقوء و اللؤلؤ و الزبرءء هى من مسك و عنبر

ص: ٣٠

١- (١) هو العصابة منه

٢- (٢) اى الزم مكانك

٣- (٣) هو المءكاء منه

و على رأسها تاج الكرامه، و عليها نعلان من ذهب مكللتان بالياقوت و اللؤلؤ، شراكهما ياقوت أحمر، فاذا دنت من وليّ الله فهم أن يقوم إليها شوقاً، فتقول له: يا وليّ الله ليس هذا يوم تعب و لا نصب و أنت لى.

قال: فيعتقان مقدار خمسمائه عام من أعوام الدنيا لا يملها و لا تملّه.

قال: فاذا فتر بعض الفتور من غير ملائله نظر إلى عنقها، فاذا عليها قلائد من قصب من ياقوت أحمر، وسطها لوح صفحته درّه مكتوب بها: أنت يا وليّ الله حبيبي و أنا الحوراء حبيبتك إليك تناهت نفسى و إلى تناهت نفسك، ثم يبعث الله إليه الف ملك يهنّونه بالجّنّه و يزوّجونّه بالحوراء.

قال: فينتهون إلى أوّل باب من جنانه «جناته خ ل»، فيقولون للملك الموكل بأبواب جنانه: استأذن لنا على وليّ الله فان الله بعثنا إليه تهنيه، فيقول لهم الملك:

حتّى أقول للحاجب فيعلمه مكانكم.

قال: فيدخل الملك إلى الحاجب و بينه و بين الحاجب ثلاث جنان حتّى ينتهى إلى أوّل باب، فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصه ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين ليهنّوا وليّ الله، و قد سألوني أن آذن لهم، فيقول الحاجب: إنّه ليعظم علىّ أن أستأذن لأحد على وليّ الله و هو مع زوجته الحوراء.

قال: و بين الحاجب و بين وليّ الله جنتان.

قال: فيدخل الحاجب إلى القيم، فيقول: له إنّ على باب العرصه ألف ملك، أرسلهم ربّ العزّه يهنّون وليّ الله فاستأذن لهم فيقدم القيم إلى الخدّام، فيقول لهم: إنّ رسل الجبار على باب العرصه، و هم ألف ملك، أرسلهم يهنّون وليّ الله فأعلموه بمكانهم، فيعلمونه فيؤذن للملائكه فيدخلون على وليّ الله، و هو فى الغرفه و لها ألف باب، و على كلّ باب من أبوابها ملك موكل به، فاذا أذن للملائكه بالدخول على وليّ الله فتح كلّ ملك بابّه الموكل به.

قال: فيدخل القيم كلّ ملك من باب من أبواب الغرفه، فيبلّغون رساله الجبار

جَلَّ و عَزَّ، و ذلك قول الله عزَّ و جَلَّ:

«و الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ» من أبواب الغرفه، «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» قال: و ذلك قول الله عزَّ و جَلَّ:

«وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا» يعنى بذلك ولى الله و ما هو فيه من الكرامه و النعيم و الملك العظيم الكبير، إنَّ الملائكه من رسل الله عزَّ ذكره يستأذنون عليه فلا يدخلون إلا باذنه فذلك الملك العظيم الكبير الحديث.

(و) القسم الرَّابِع (منهم الثابته فى الأرضين السِّفلى أقدامهم) و عن بعض النَّسخ فى الارض السِّفلى اقدمهم قال فى البحار: و هو أظهر، و الجمع على الأوَّل إمَّا باعتبار القطعات و البقاع، أو لأنَّ كلاً من الأرضين السَّبْع موضع قدم بعضهم و الوصف على الأوَّل بالقياس إلى ساير الطبقات، و على الثَّانى بالقياس إلى السِّماء (و المارقه) أى الخارجه (من السِّماء العليا) و هى السَّابعه (أعناقهم و الخارجه من الأقطار) أى من جوانب الأرض أو جوانب السِّماء (أركانهم) و هذا إشاره إلى ضخامتهم و عرضهم (و المناسبه لقوايم العرش أكتافهم) و المراد بالتناسب إمَّا القرب أو الشَّباهه فى العظم، فان العرش على عظمه حسبما تعرفه فى الأخبار الآتیه و كفى بذلك كونه محيطاً بجميع المخلوقات و كون الأرضين و السَّماوات جميعاً و ما فيها عنده كحلقة فى فلاه، له أربع قوائم.

كما رواه فى البحار، عن المدرَّ المنتور، عن حماد قال: خلق الله العرش من زمرده خضراء، و له أربع قوائم من ياقوته حمراء، و خلق له ألف لسان، و خلق فى الأرض ألف أمه يسبح الله بلسان العرش.

«ج ٢»

ص: ٣٢

و فيه أيضا من روضه الواعظين، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام أنه قال: في العرش تمثال ما خلق الله من البرّ والبحر، وهذا تأويل قوله:

«وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ» و إنّ بين القائمه من قوائم العرش و القائمه الثانيه خفقان الطير المسرع مسير ألف عام، و العرش يكسى كلّ يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، و الأشياء كلّها في العرش كحلقه في فلاة، و إنّ لله تعالى ملكا يقال له: خرقائيل له ثمانيه عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائه عام، فخطر له خاطر هل فوق العرش شيء، فزاده الله تعالى مثلها أجنحه اخرى، فكان له ستّ و ثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائه عام، ثمّ أوحى الله اليه أيها الملك طر، فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأسه قائمه من قوائم العرش، ثم ضاعف الله له في الجناح و القوه و أمره أن يطير، فطار مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضا فاحى الله إليه أيها الملك لو طرت إلى نفخ الصّور مع أجنحتك و قوّتك لم تبلغ إلى ساق عرشى فقال الملك:

سبحان ربّي الأعلى و بحمده، فأنزل الله عزّ و جلّ: «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى» فقال النّبي صلّى الله عليه و آله: اجعلوها في سجودكم.

و من إكمال الدين باسناده عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، قال: قال ابن عباس: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقول: إنّ لله تبارك و تعالى ملكا يقال له: دردائيل، كان له ستّ و عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح هواء، و الهواء كما بين السماء و الأرض، فجعل يوما يقول في نفسه (١): أ فوق ربّنا جلّ جلاله شيء؟ فعلم الله تبارك و تعالى ما قال، فزاده أجنحه مثلها، فصار له اثنان و ثلاثون الف جناح، ثم أوحى الله عزّ و جل

ص: ٣٣

١- (١) لعله كان ذلك محض خطور البال بغير شك لئلا ينافى العصمه، مجلسي طاب ثراه

إليه، فطار مقدار خمسمائه عام فلم ينل رأسه قائمه من قوائم العرش، فلما علم الله عزّ وجلّ اتعابه أوحى إليه أيها الملك عد إلى مكانك، فأنا عظيم فوق كل عظيم، وليس فوقى شىء ولا أوصف بمكان، فسلبه الله عزّ وجلّ أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة، فلما ولد الحسين عليه السّلام هبط جبرئيل في ألف قبيل من الملائكة لتهنئه النبي صلّى الله عليه وآله فمرّ بدرائيل، فقال له: سل النبيّ بحق مولوده أن يشفع لى عند ربّي، فدعا له النبيّ صلّى الله عليه وآله بحق الحسين عليه السّلام فاستجاب الله دعائه و ردّ عليه أجنحته و رده إلى مكانه هذا.

و يحتمل أن يكون المراد بالمناسبه فى كلامه عليه السّلام التّماسّ، فالمراد بهم حملة العرش، بل هذا هو الظاهر بملاحظه أنّ الأوصاف المذكوره فى كلامه عليه السّلام قد اثبتت فى الأخبار الكثيره على هؤلاء الطائفه.

مثل ما روى عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى:

«وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ» قال: يقال: ثمانيه صفوف من الملائكة لا يعلم عدّتهم إلاّ الله، و يقال ثمانيه أملاك رؤسهم تحت العرش فى السّماء السّابعه، و أقدامهم فى الأرض السفلى، و لهم قرون كقرون الوعل، ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه خمسمائه عام.

و عن الخصال باسناده عن حفص بن غياث، قال سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول:

إنّ حملة العرش ثمانيه، لكل واحد منهم ثمانيه أعين، كلّ عين طباق الدّنيا.

و عن تفسير الامام عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله لمّا خلق العرش خلق له ثلاثمأه و ستين ألف ركن، و خلق عند كلّ ركن ثلاثمأه الف و ستين الف ملك لو أذن الله لأصغرهم فالتقم السّماوات السبع و الأرضين السبع ما كان بين لهواته إلاّ كالرمله فى المفازه الفصفاصه (1)، فقال لهم الله: يا عبادى احملاوا عرشى هذا فتعاطوه فلم يطيقوا حملة و لا تحريكه، فخلق الله عزّ و جلّ مع كلّ واحد منهم واحدا فلم يقدرُوا أن يززعوه، فخلق الله مع كلّ واحد منهم عشره فلم يقدرُوا أن يحزّ كوه، فخلق الله بعدد كلّ واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدرُوا أن يحزّ كوه، فقال الله عزّ و جل

ص: ٣٤

لجميعهم: خلوه على امسكه بقدرتي، فخلوه فأمسكه الله عزّ وجلّ بقدرته، ثم قال لثمانية منهم احمّلوه أنتم، فقالوا: يا ربنا لم نطقه نحن و هذا الخلق الكثير و الجَمّ الغفير فكيف نطقه الآن دونهم؟ فقال عزّ وجلّ: لا-ئى أنا الله المقرب للبعيد و المذلّل للبعيد و المخفف للشديد و المسهّل للعسير أفعل ما أشاء و أحكم ما أريد أعلمكم كلمات تقولونها يخف بها عليكم، قالوا و ما هى؟ قال: تقولون:

بسم الله الرحمن الرحيم و لا- حول و لا- قوه إلا بالله العلى العظيم و صلى الله على محمّد و آله الطيبين فقالوها، فحملوه، فخفّ على كواهلهم كشعره نابتة على كاهل رجل جلد قوى فقال الله عزّ وجلّ لسائر تلك الأملاك: خلوا على هؤلاء الثمانية و طوفوا أنتم حوله و سبّحوني و مجدوني و قد سوني، فأنا الله القادر على ما رأيتم و على كلّ شىء قدير و عن وهب قال حمّله العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة آخرين ملك منهم فى صورته إنسان يشفع لبنى آدم فى أرزاقهم و ملك فى صورته نسر يشفع للطير فى أرزاقهم و ملك فى صورته ثور يشفع للبهائم فى أرزاقها(١) و ملك فى صورته الأسد يشفع للسهام فى أرزاقها، فلما حملوا العرش وقعوا على ركبهم(٢) من عظمه الله، فلقنوا لا حول و لا قوه إلا بالله، فاستوا قياما على أرجلهم.

و عن ابن زيد قال لم يسمّ من حمّله العرش إلا إسرائيل.

و عن هارون بن رثاب، قال: حمّله العرش ثمانية يتجاوبون بصوت ضخم، يقول أربعة منهم:

سبحانك و بحمدك على حلمك بعد علمك، و أربعة منهم يقولون:

سبحانك و بحمدك على عفوك بعد قدرتك. هذا و لا- ينافى هذه الأخبار ما وردت فى الأخبار الأخر من أنّ حمّله العرش ثمانية أربعة من الأولين، و هم نوح و إبراهيم و موسى و عيسى عليهم السّلام، و أربعة

ص: ٣٥

١- (١) و فى الخصال عن الصادق عليه السّلام و نكس الثور راسه منذ عبد بنو اسرائيل العجل: منه

٢- (٢) جمع ركبته كغرف و غرفه، منه

من الآخريين، وهم محمّد و عليّ و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم. لأنّ العرش في الأخبار الأوله الجسم المحيط بالمخلوقات، و في هذه الأخبار هو العلم لأنّه أحد معانيه كما عرفته في شرح الفصل الخامس من فصول هذه الخطبه و صرح بما ذكرناه الصّيدوق في اعتقاداته حيث قال: و إنّما صارت هؤلاء حمله العرش الذي هو العلم، لأنّ الانبياء الذين كانوا قبل نبينا محمّد صلّى الله عليه و آله علي شرايع الاربعه من الاولين:

نوح و إبراهيم و موسى و عيسى، و من قبل هؤلاء الأربعه صارت العلوم إليهم، و كذلك صار العلم بعد محمّد و عليّ و الحسن و الحسين إلى من بعد الحسين من الأئمه عليهم السّلام.

(ناكسه دونه) أي دون العرش (أبصارهم) إما لكثرة نور العرش كما يدلّ عليه ما روى عن ميسره، قال: ثمانية أرجلهم في التخوم(1) و رؤوسهم عند العرش لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور، و إما لزياده الخوف كما روى عنه أيضا قال: حمله العرش أرجلهم في الأرض السّفلى و رؤوسهم قد خرقت العرش و هم خشوع لا يرفعون طرفهم و هم أشدّ خوفا من أهل السّماء السّابعه و أهل السّماء السّابعه أشدّ خوفا من السّماء التي تليها و السّماء التي تليها أشدّ خوفا من التي تليها، و في دعاء الصحفيه السّجاديه علي داعيه أفضل السّلام و التحيه في وصف الملائكه:

«الخشع الأبصار فلا يرومون النظر إليك، التواكس الأذقان الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك».

و في التوحيد باسناده عن وهب عن ابن عباس عن النّبى صلّى الله عليه و آله قال: إنّ لله تبارك و تعالی ملائكه ليس شيء من أطباق أجسادهم إلاّ- و هو يسبح الله عزّ و جلّ و يحمده بأصوات مختلفه لا يرفعون رؤوسهم إلى السّماء و لا يخفضونها إلى أقدامهم من البكاء و الخشيه (متلفعون تحته) أي تحت العرش (بأجنحتهم) روى الشّارح البحراني عن وهب قال: إنّ لكلّ ملك من حمله العرش و من

ص: ٣٦

حواله أربعه أجنحه أمّا جناحان فعلى وجهه مخافه أن ينظر الى العرش فيصعق و أمّا جناحان فيلفون (فيهفون خ ل) (1) بهما ليس لهم كلام إلاّ التسبيح و التّحميد.

و فى الأنوار روى أنّ صنفا من الملائكة لهم ستّه أجنحه فجناحان يلقون بهما أجسادهم و جناحان يطرون بهما فى أمر من أمور الله و جناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله و حينئذ فكلّ جناحين لغرض مخصوص، و به يظهر فائده الجناح الثالث المشار اليه فى قوله سبحانه:

«أُولَىٰ أُجْنِحِهِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ».

ثمّ إن هذا فى جانب القلب، و أمّا فى جانب الكثرة فيزيد الله سبحانه فيهم ما يشاء و هو على كلّ شيء قدير (مضروبه بينهم و بين من دونهم) من الملائكة أو البشر أو الجنّ أو الأعمم (حجب العزّه و أستار القدره) المانعه عن إدراك ذواتهم و الاطلاع على شؤوناتهم.

و توضيحه بالتمثيل أنّ ملوك الدّنيا إذا بلغوا فى العزّ و العظمه مرتبه الغايه القصوى لا يصل إلى حضور خواصّه فضلا عن ذاته إلاّ الأوحى من الناس، و لا يراهم إلاّ من كان له معهم علقه شديده و وسيله قويه، و الحاجب عن ذلك ليس الا هيبة السّلطنه و قدره الملك و عظمته و إذا كان هذا حال خواص السّيّلطنه العاريه و الملوك الذين هم فى الحقيقه مملوك، فشان خواص الحضرة الزّبوبيّه و ملك الملوك أعلى و استناد الحايل عن إدراك مقاماتهم و درجاتهم إلى حجب العزّه و أستار القدره أخرى (و لا- يتوهمون ربّهم بالتصوير) لكونهم منزّهين عن الادراكات الوهميه و الخياليه فى حق مبدئهم و خالقهم جلت عظمته، لأنّ عقولهم صافيه غير مشوبه بالتّوهّمات و التّخيّلات (و لا يجرون عليه صفات المصنوعين، و لا يحدّونه بالاماكن، و لا يشيرون اليه بالنظاير) لأنّ إجراء الصّيفات و التّحديد بالاماكن و الاشاره بالتّظاير إنّما هو من مخترعات الواهمه و المتخيّله المختصّتين بذوات الأمزجه العنصريه الغير

ص: ٣٧

الجائزتين في حق الملائكة السماويه و مقربى الحضرة الربوبية، هذا تمام الكلام في شرح حال الملائكة حسبما اقتضاه المقام و يأتي شطر منه عند شرح بعض الخطب الآتية المقتضية لذلك كخطبه الأشباح و غيرها، و الله الموفق و المعين.

الترجمه

پس منشق کرد و گشود خداوند سبحانه و تعالی میان آسمانهائی که بلند هستند، پس پر کرد آن طبقات را با اصناف مختلفه از ملائکه و فرشتگان خود، پس بعضی از ایشان ساجدانند که رکوع نمی کنند، و بعضی را کعاند که راست نمی ایستند، و بعضی دیگر صف زدگانند که از صفوف و مکانهای خود زایل نمی شوند، و طائفه تسبیح کنندگانند که ملال و پریشانی نمی آورند، عارض نمی شود بایشان خواب چشمها و نه سهو عقلها و نه سستی بدنها و نه غفلت فراموشی، و بعضی دیگر امینانند بر وحی او و زبان های صدقند در رسانیدن فرمایشات او به پیغمبران و تردد کنندگانند بقضاء و امر او، و بعضی دیگر از ایشان حافظانند بندگان خدا را از مکاره و مهالک، و طایفه دیگر دربانان و خازنانند از برای درهای بهشت های او، و بعضی دیگر از ایشان آنانند که ثابت است در زمین های زیرین قدم های ایشان و بیرون رفته از آسمان بلند گردنهای ایشان و خارج است از اطراف زمین و آسمان اعضا و جوارح ایشان، و مناسبست با قائمه های عرش دوشهای ایشان و پائین افتاده در زیر عرش چشمان ایشان، پیچیده شده اند در زیر عرش ببالهای خودشان، زده شده میان آنها و میان فروتر از آنها پرده های عزت و سترهای قدرت و عظمت در حالتی که توهم نمی کنند پروردگار خودشان را بصورت در آوردن، و اجراء نمی کنند بر او صفات مخلوقات را و تحدید نمی کنند او را بمکان ها و اشاره نمی کنند بسوی او بنظایر و امثال و نعم ما قیل:

برتر است از مدرکات عقل و وهم لا جرم گم گشت در وی فکر و فهم

چون بکلی روی گفت و گوی نیست هیچکس را جز خموشی روی نیست

إشاره

ثم جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها و عذبها و سبخها، تربه سنّها بالماء حتّى خلصت، و لاطها بالبله حتّى لزبت، فجبل (فجعل خ) منها صوره ذات أحناء و وصول، و أعضاء و فصول، أجمدها حتّى استمسكت، و أصلدها حتّى صلصلت، لوقت معدود، و أجل معلوم، و نفخ فيها من روحه فتمثّلت إنسانا ذا أذهان يجيلها، و فكر يتصرّف بها، و جوارح يستخدمها، و أدوات يقبلها، و معرفه يفرّق بها بين الحقّ و الباطل، و الأذواق و المشام، و الألوان و الأجناس، معجوننا بطينه الألوان المختلفه، و الأشباه المؤتلفه، و الأضداد المتعاديه، و الأخلاط المتباينه، من الحرّ و البرد، و البله و الجمود، و المسائه و الشرور.

اللغه

(الحزن) من الأرض ما غلظ منها و هو على وزن فلس (و السّهل) خلافه (و العذب) من الأرض ما طاب منها و استعد للنبات (و السّبخ) كفلس أيضا المالحه منها يعلوها الملوحة الغير الصّالحه للنبات و لا تكاد تنبت إلاّ بعض الأشجار و مثله السّبخه بفتح الموحد و سكونها أيضا تخفيفا واحده السّبخ مثل كلبه و كلاب بالكسر أيضا يجمع على سبخات مثل كلمه و كلمات (و التّربه) التّراب و الجمع ترب كغرفه و غرف (سنها بالماء) من سننت الماء على الأرض صبيتها (و لاطها) أى مزجها من لاط الشّىء بالشّىء لوطا لصق (و البله) بالكسر الرّطوبه من البلل

(و اللزوب) الاشتداد يقال لزب الشيء لزوبا من باب قعد اشتد، و طين لازب يلزق باليد لاشتداده (فجبل) و فى بعض النسخ (فجعل) و كلاهما بمعنى خلق (و احناء) جمع حنو و هو الجانب و (وصول) جمع الوصل كما أنّ (فصول) جمع الفصل و هما كلّ ملتقى عظيمين فى الجسد يطلق عليه باعتبار اتصال أحد العظمين بالآخر وصولا و أوصالا، و باعتبار انفصال أحدهما عن الآخر فصولا و مفاصل.

و تفسير الشارح البحرانى الوصول بالمفاصل غير مناسب لما عرفت من ترادف المفاصل للفصول و إن كان محل الوصل عين محل الفصل إلا أنّ التّغاير بحسب الاعتبار موجود و ملحوظ نعم مصداقهما متّحد (و أصلدها) من الصّلد و هو الصلب المتين و (صلصل) الشيء صلصله إذا صوّت يقال صلصل الحديد و صلصل الرّعد و الصّلصال الطين اليابس الغير المطبوخ الذى يسمع له عند النقر صوت كما يصوت الفخار و هو المطبوخ من الطين، و قيل: إنّ الصّلصال هو الطين الممتن مأخوذ من صلّ اللحم و أصل إذا صار متنا، و هو ضعيف لما سنذكره (فتمثّلت) أى تصورت و فى بعض النسخ فمثلت من مثل بين يديه مثولا من باب قعد انتصب قائما (و الأذهان) جمع الذّهن و هو الفطنه و فى الاصطلاح القوى الباطنه المدركه (و الاختدام) الاستخدام (و الأدوات) الآلات (و المشام) جمع المشموم لما يشم كالمأكول لما يؤكل (معجوننا) من عجنه عجنا أى خمره و العجين الخمير (و الطينه) الخلقه و الجبله (و الاشباه) جمع الشبه المثل و النظير.

الاعراب

كلمه حتّى فى قوله حتّى خلصت و حتّى لزبت حرف ابتداء يبتداء بها الجمل المستأنفه مثل قوله:

«ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا».

و ذهب ابن مالك إلى أنّها جاره و أنّ بعدها ان مضمرة قال ابن هشام: و لا أعرف له فى ذلك سلفا و فيه تكلف اضماران من غير ضروره، و لفظه ذات منصوبه على

الوصفيه مؤنثه ذو، و جمله أجمدها لا- محلّ لها من الاعراب لأنها مستأنفه بياتيه فكأنه قيل: ثم فعل بها ما ذا؟ فقال: أجمدها و تحتمل الانتصاب على الحالیه، و الضمير فيه و فى أصلدها راجع إلى الصوره، و اللّام فى قوله عليه السّلام لوقت معدود للتعليل أو بمعنى إلى، و الضمير فى قوله عليه السّلام: نفخ فيها راجع إلى الصوره أيضا، و كلمه من فى قوله من روحه زائده أو تبعّضيه أو نشويه بناء على الاختلاف فى معنى الرّوح حسبما تعرفه، و معجونا منتصب على الحالیه من انسانا و يحتمل الوصفیه له، و كلمه من فى قوله: من الحرّ و البرد بيانيه.

المعنى

(منها فى صفة آدم عليه السّلام) يعنى بعض هذه الخطبه فى صفته عليه السّلام فأنه عليه السّلام لمّا فرغ من اظهار قدره الله سبحانه فى عجائب خلقه الملكوت و السماوات و بدايع صنعته فى ايجاد الفضاء و الهواء و المجردات أشار إلى لطائف صنعته فى العنصريات من ايجاد الانسان و اختياره على الأشباه و الأقربان لكونه نسخه جامعه لما فى عالم الملك و الملكوت، و نخبه مصطفىاه من رشحات القدره و الجبروت،

أ تزعم أنك جرم صغير و فيك انطوى العالم الاكبر

فقال عليه السّلام: (ثمّ جمع سبحانه) اسناد الجمع إليه تعالى من التّوسع فى الاسناد من باب بنى الأمير المدينه إذ الجمع حقيقه فعل ملك الموت بأمر الله سبحانه بعد أن اقتضت الحكمة خلقه آدم و جعله خليفه فى الأرض.

قال سيد بن طاوس فى كتاب سعد السّعود على ما حكى عنه فى البحار:

وجدت فى صحف إدريس من نسخه عتيقه أنّ الأرض عرّفها الله جلّ جلاله أنه يخلق منها خلقا فمنهم من يطيعه و منهم من يعصيه، فاقشعرت الأرض و استعفت إليه و سألته أن لا يأخذ منها من يعصيه و يدخله النار و أنّ جبرئيل أتاها ليأخذ عنها طينه آدم عليه السّلام فسألته بعزه الله أن لا- يأخذ منها شيئا حتّى يتضرّع إلى الله و تضرّعت فأمره الله بالانصراف عنها، فأمر الله ميكائيل فاقشعرت و تضرّعت و سألت فأمره الله بالانصراف عنها، فأمر الله تعالى اسرافيل بذلك فاقشعرت و سألت و تضرّعت فأمره

اللّٰه بالانصراف عنها، فأمر عزرائيل فاقشعرت و تضرّعت فقال: قد أمرني ربّي بأمر أنا ماض سرّك ذاك أم سائك فقبض منها كما أمره اللّٰه ثمّ صعد بها إلى موقفه فقال اللّٰه له: كما وليت قبضها من الأرض و هو كاره كذلك تلى قبض أرواح كلّ من عليها و كلّما قضيت عليه الموت من اليوم إلى يوم القيامة و مضمون هذه الرّوايه مطابق لأخبار أهل البيت عليهم السّلام، فإنّ الموجود فيها أيضا أنّ القابض هو عزرائيل و أنّه قبض (من حزن الأرض و سهلها و عذبها و سبخها) أي من غليظها و لينها و طيبها و مالحها، و هذه إشاره إلى أنّ القبضه المأخوذه من غير محلّ واحد من وجه الأرض و يوافقها ساير الأخبار، و لعلّ ذلك هو السّر في تفاوت أنواع الخلق لاستناده إلى اختلاف المواد و في بعض الأخبار أنّها اخذت من أديم الأرض أي من وجهها و منه سمّي آدم و المراد أنّه جمع سبحانه من أجزاء الأرض المختلفه (تربّه سنّها بالماء) أي مزجها به (حتى خلصت) أي صارت خالصه (و لاطها) أي ألصقها (بالبله) أي بالرّطوبه (حتى لزبت) و اشتدت.

قيل: هاتان الفقرتان إشارتان إلى أصل امتزاج العناصر و إنّما خصّ الأرض و الماء لأنهما الأصل في تكون الأعضاء المشاهده التي تدور عليها صوره الانسان المحسوسه (فجبل) (فجعل خ) منها (صوره ذات أحناء و وصول) أي صاحبه جوانب و أوصال (و أعضاء و فصول) أي جوارح و مفاصل.

و هاتان إشارتان إلى خلق صوره الانسانيه و إفاضتها بكمال أعضائها و جوارحها و مفاصلها و ما يقوم به صورتها (أجمدها حتى استمسكت، و أصلدها حتى صلصلت) أي جعلها جامده بعد ما كانت رطبه ليّنه حتّى صار لها استمساك و قوام، و جعلها صلبه متينه حتى صارت صلصالا يابساً يسمع له عند النّقر صوت كصلصله الحديد.

و قال بعضهم: إنّ الصّلصال هو المنتن و كلام الامام عليه السّلام شاهد على فساد

حيث إنه عليه السلام تبّه بحصول الاستمساك بعد الجمود و حصول الصّليّ لمصاليه بعد الصلود و من الواضح أنّ التّن يرتفع مع حصول الجمود و اليوسه فهو على تقدير وجوده أنّما كان قبل تلك الحاله و هي حاله المسنونه المشار اليها في قوله تعالى:

«وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ».

قال الفخر الرّازي كونه حماء مسنونا يدلّ على التّن و التغير و ظاهر الآيه يدلّ على أنّ هذا الصّليّ إنّمّا تولد من الحمأ المسنون فوجب أن يكون كونه صلصالا مغاير الكونه حمأ مسنونا، و لو كان كونه صلصالا عباره عن التّن و التغير لم يبق بين كونه صلصالا و بين كونه حمأ مسنونا تفاوت، انتهى هذا.

و يحتمل أن تكون هاتان الفقرتان إشاره إلى قوام مادّه الانسان، فالاجماد لغايه الاستمساك راجع إلى بعض أجزاء الصّوره المجموعه كاللحم و العروق و الأعصاب و نحوها، و الاصلاد راجع إلى البعض الاخر كالأسنان و العظام و بعد أن أكمل الله سبحانه للصّوره أعضائها و جوارحها و هيئها لقبول الرّوح أبقاها (لوقت معدود و أجل معلوم) أي لأجل وقت أو الى وقت معيّن اقتضت الحكمه و المصلحه نفخ الرّوح فيها، و إلى هذا الوقت اشير في قوله تعالى:

«هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً».

قال في مجمع البيان: و قد كان شيئا إلا انه لم يكن شيئا مذكورا، لأنّه كان ترابا و طينا إلى أن نفخ فيه الرّوح، و قيل إنه أتى على آدم أربعون سنه لم يكن شيئا مذكورا لا في السماء و لا في الأرض، لأنّه كان جسدا ملقى من طين قبل أن ينفخ فيه الرّوح.

و روى عطا عن ابن عبّاس أنّه تمّ خلقه بعد عشرين و مائه سنه انتهى.

و عن بعض الصّحف السّماويّه أنّ طينه آدم عليه السلام عجنت أربعين سنه ثم جعلت لازبا، ثم جعلت حمأ مسنونا أربعين سنه ثم جعلت صلصالا كالفخار أربعين

سنه، ثم جعلت جسدا ملقى على طريق الملائكة أربعين سنه و نفخ فيها من روحه بعد تلك المدّه.

و فى العلل باسناده عن عبد العظيم الحسنى قال: كتبت إلى أبى جعفر عليه السّلام أسأله عن علّه الغائط و ننته، قال: إنّ الله خلق آدم و كان جسده طيبا فبقى أربعين سنه ملقى تمرّ به الملائكة فتقول لأمر ما خلقت، و كان ابليس يدخل فى فيه و يخرج من دبره فلذلك صار ما فى جوف آدم متنا خبيثا غير طيب و فى البحار عن الخصال و تفسير الفرات باسناده عن الحسن عليه السّلام فيما سأله كعب الأحبار أمير المؤمنين عليه السّلام قال: لما أراد الله خلق آدم بعث جبرئيل فأخذ من أديم الأرض قبضه فعجنه بالماء العذب و المالح و ركب فيه الطبايع قبل أن ينفخ فيه الرّوح فخلقه من أديم الأرض فطرحه كالجبل العظيم، و كان إبليس يومئذ خازنا على السّماء الخامسة يدخل فى منخر آدم ثم يخرج من دبره ثم يضرب بيده على بطنه فيقول لأى امر خلقت؟ لئن جعلت فوقى لا- اطعتك، و لئن جعلت أسفل منى لأعينك فمكث فى الجنّه ألف سنه ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الرّوح الحديث.

و وجه الجمع بين هذه الرّوايه و ما سبق من حيث اختلافهما فى مقدار مدّه تأخير النّفخ غير خفى على العارف الفطن.

فان قيل: لما ذا أخر نفخ الرّوح فى تلك المدّه الطويله.

قلنا: لعلّه من باب اللّطف فى حقّ الملائكة لتذهب ظنونهم فى ذلك كلّ مذهب فصار كاتزال المتشابهات الذى تحصل به رياضه الأذهان فى تخريجها و فى ضمن ذلك يكون اللّطف، و يجوز أن يكون فى اخبار ذريّه آدم بذلك لطف لهم و لا- يجوز اخبارهم بذلك إلا إذا كان المخبر عنه حقّا.

أقول: هكذا أجاب الشّارح المعتزلى، و يشير إلى جوابه الأوّل الرّوايه السّابقه فيما حكاه عليه السّلام من قول ابليس لأى أمر خلقت اه.

و الأولى أن يقال: إنّ السرّ فيه لعلّه اعتبار الملائكه، إذ الاعتبار فى التدرّج

أكثر أو ليعلم الناس التّأني في الأمور و عدم الاستعجال، و مثله خلق السّماوات و الأرض في ستّة أيام على ما نطق به القرآن الحكيم مع أنّه سبحانه كان قادرا على خلقها في طرفه عين، قال أمير المؤمنين عليه السّلام: و لو شاء أن يخلقها في أقلّ من لمح البصر لخلق، و لكنّه جعل الانائه و المداراه مثلا لأمنائه و ايجابا للحجّه على خلقه.

(و) كيف كان فلما حلّ الأجل الذي اقتضت الحكمة فيه التّفنخ (نفخ فيها) أي في الصّوره المستعده لقبول التّفنخ (من روحه) الذي اصطفاه على ساير الأرواح و المراد بنفخ الرّوح فيها إفاضته عليها، استعير به عنها لأنّ نفخ الرّيح في الوعاء لما كان عباره عن إدخال الرّيح في جوفه و كان الاحياء عباره عن إفاضه النّفس على الجسد و يستلزم ذلك حلول القوى و الأرواح في الجثّه باطنا و ظاهرا حسن الاستعاره.

قال بعض المتألهين: إنّ التّفنخ لمّا كان عباره عن تحريك هواء يشتعل به الحطب و نحوه كالفحم فالبدن كالفحم و هذا الرّوح كالهواء الذي في منافذ الفحم و أجوافه، و التّفنخ سبب لاشتعال الرّوح البخارى بنار النّفس و تنورها بنور الرّوح الامرى فللنفخ صورته و حقيقه و نتيجه، فصورته إخراج الهواء من آله التّفنخ إلى جوف المنفوخ فيه حتّى تشتعل نارا و هذه الصّوره في حق الله محال، و لكن النتيجه و المسبب غير محال، و قد يكتفى بالسبب عن النتيجه و الأثر المترتب عليه كقوله تعالى:

«غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» «وَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ».

و صورته الغضب عباره عن نوع تغير في نفس الغضبان يتأذى به و نتيجه إهلاك المغضوب عليه أو جرحه و ايلامه فعبر في حقّ الله عن نتيجه الغضب بالغضب و عن نتيجه الانتقام بالانتقام، فكذلك يمكن أن يقال هاهنا: إنه عبّر عمّا ينتج نتيجه التّفنخ بالنفخ و إن لم يكن على صورته التّفنخ و لكن نحن لا نكتفى في الأسماء التي هي مبادئ

أفعال الله بهذا القدر، و هو مجرد ترتب الأثر من غير حقيقته تكون بازاء الصورة، بل نقول: حقيقته النفخ الذى فى عالم الصورة عبارته عن إخراج شىء من جوف النافخ إلى جوف المنفوخ فيه كالزقّ و نحوه هى إفاضه نور سر الرّوح العلوى الالهى على القالب اللطيف المعتدل المستوى أعنى به الرّوح الحيوانى القابل لفيضان النور العقلى و الروح الالهى كقبول البلور لفيضان النور الحسى من الشّمس النافذ فى أجزائه و أقطاره و هكذا يكون أنوار الحسّ و الحياه نافذه فى كل جزء من أجزاء القالب و البدن، فعبر عن إضافه الروح على البدن بالنّفخ فيه انتهى.

بقى الكلام فى إضافه الروح إليه سبحانه، فنقول: إنّ الافاضه من باب الشّريف و الاكرام، روى فى الكافى باسناده عن محمّد بن مسلم، قال سألت أبا عبد الله عليه السّلام عن قول الله عزّ و جلّ و نفخت فيه من روحى كيف هذا النفخ؟ فقال: إنّ الرّوح متحرّك كالريّح و إنّما سمى روحاً لأنّه اشتق اسمه من الرّيح، و إنّما إخراجة على لفظه الرّيح لأنّ الأرواح مجانسه (1) للرّيح، و إنّما أضافه إلى نفسه لأنّه اصطفاه على ساير الأرواح كما قال لبيت من البيوت، بيتى، و لرسول من الرّسل خليلى و أشباه ذلك و كلّ ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوط مدبّر.

و مثل إضافه الروح إليه تعالى إضافه الصّوره إليه سبحانه فى بعض الأخبار كما رواه فى الكافى عن محمّد بن مسلم أيضاً قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عمّا يروون أنّ الله تعالى خلق آدم على صورته فقال: هى صورته محدثه مخلوقه اصطفاه الله تعالى و اختارها على ساير الصّور المختلفه فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبه إلى نفسه و الرّوح إلى نفسه فقال: بيتى و نفخت فيه من روحى هذا.

و لكن الصّدوق روى فى العيون باسناده عن الحسين بن خالد قال: قلت للرّضا عليه السّلام:

يا بن رسول الله إنّ الثّياس يروون أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: إنّ الله خلق آدم على صورته فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله مرّ برجلين يتسابان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله وجهك و وجه من يشبهك، فقال رسول الله:

ص: ٤٦

١- (١) بحسب المعنى و التحرك و التصرف و اصلاح ما يمر عليه، ملا صالح.

يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فان الله عزّ وجلّ خلق آدم على صورته.

فإنّ الاستفادة من هذه الرواية رجوع الضمير في صورته إلى الرجل المسبوب، وإثما لم يتعرّض الباقر عليه السّلام في الرواية الأولى لردّه ولم يشر إلى تحريف الرواية إمّا للتّقيه أو إشاره إلى أنّ الرواية على تقدير صحتّها أيضا لا دلالة فيها على ما هو مطلوب العامه من اعتقاد التّجسيم وإثبات الصّوره له، سبحانه عمّا يقول الظالمون وتعالى علّوا كبيرا.

وربّما يجاب بأنّ المراد أنّه على صورته لأنّه مظهر الصّيفات الكمالية الالهية، أو يقال: إنّ الضمير راجع إلى آدم أي صورته اللّايقه به المناسبه له هذا.

وقد تحقّق بما ذكرناه كلّ معنى نفخ الرّوح ووجه المناسبه في إضافته إلى الضمير الرّاجع إليه تعالى.

وأما نفس الرّوح فاعلم أنّه قد يطلق على النّفس النّاطقه التي تزعم الحكماء أنّها مجردة، وهي محلّ للعلوم والكمالات ومدبّره للبدن، وقد يطلق على الروح الحيوانى وهو البخار اللطيف المنبعث من القلب السّارى في جميع أجزاء البدن، ويمكن إرادته المعنيين كليهما من الرّوح المنفوخ في آدم، وقد استفيد من قول الباقر عليه السّلام في الرواية السّابقه: إنّ الرّوح متحرّك كالريّح كون الرّوح متحرّكا سريعا في جميع أجزاء البدن و أنّه يجرى آثاره في تجاويف أعضائه فيصلح البدن ويحيى ما دام فيه، كما أنّ الرّيح متحرّك سريعا في أقطار العالم و يجرى آثاره فيها فيصلح العالم بجريانه و يفسد بفقدانه.

و في الاحتجاج في جملة مسائل الزّنديق عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: فهل يوصف الرّوح بخفّه و ثقل و وزن؟ قال عليه السّلام: الرّوح بمنزله الرّيح في الرّيق إذا نفخت فيه امتلاء الرّيق منها فلا يزيد في وزن الرّيق و لوجها فيه و لا ينقصها خروجها منه كذلك الرّوح ليس لها ثقل و لا وزن، قال: أخبرني ما جوهر الرّيح قال عليه السّلام:

الرياح هواء إذا تحرك سمي ريحا وإذا سكن سمي هواء و به قوام الدنيا و لو كفت الرياح ثلاثه أيام لفسد كل شيء على وجه الأرض و نتن. و ذلك إنّ الرياح بمنزله مروحه تذب و تدفع الفساد عن كل شيء و تطيبه فهي بمنزله الروح إذا خرج عن البدن نتن البدن و تغير تبارك الله أحسن الخالقين (فتمثلت) الصورة المجبولة بعد نفخ الروح (إنسانا).

روى في العلل مرفوعا عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: سمي الانسان إنسانا لأنه ينسى و قال الله عزّ و جلّ: و لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى.

و عن الدرّ المنثور عن ابن عباس قال: خلق الله آدم من أديم الأرض يوم الجمعة بعد العصر فسماه آدم ثمّ عهد الله فنسى فسماه الانسان، قال ابن عباس: فبالله ما غابت الشمس من ذلك اليوم حتّى اهبط من الجنّه.

و قال الراغب الانسان قيل سمي بذلك لأنه خلق خلقه لا قوام له إلاّ بآنس بعضهم ببعض، و لهذا قيل الانسان مدنيّ بالطبع من حيث إنه لا قوام لبعضهم إلاّ ببعض و لا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه و محاجه.

و قيل سمي بذلك لأنه يأنس بكلّ ما يألفه، و قيل هو افعالان و أصله انسيان سمي بذلك لأنه عهد إليه فنسى.

أقول: الانسان لو كان من الانس فوزنه فعلان و هو مذهب البصريين، و لو كان من النسي فوزنه إفعان أصله إنسيان على وزن إفعالن فحذفت الياء استخفافا لكثرة ما يجري على ألسنتهم و عند التصغير يردّ إلى الأصل يقال انسيان، و هو مذهب الكوفيين و الروايه التي أبه مؤيده لمذهبهم، و قوله عليه السلام (ذا أذهان يجيلها) قال الشارح البحراني: إشاره إلى ما للانسان من القوى الباطنه المدركه و المتصرفه (1).

ص: ٤٨

١- (١) قال المحدث البحراني و اما الباطنه من القوى فهي أيضا خمس و هي اما مدركه فقط اما للصور الجزئيه و هو القوه المسماه حسا مشتركا المرتبه في التجويف الاول من الدماغ عندها تجتمع صور المحسوسات ثم القوه المرسومه خيالا و هي خزانه الحس المشترك مودوعه في آخر «ج ٣» التجويف المقدم من الدماغ يجتمع فيها مثل المحسوسات و تبقى فيها بعد الغيبه عن الحواس و اما مدركه للمعاني الجزئيه و هي اما الوهم و هي قوه مرتبه في التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعاني الجزئيه الغير الموجوده في المحسوسات كادراك الشاه معنى في الذئب يوجب لها الهرب و اما الحافظه و هي قوه مرتبه في التجويف الاخير من الدماغ تحفظ الاحكام الجزئيه المدركه للوهم و هي خزانه له و اما مدركه و متصرفه و هي القوه المسماه متخيله باعتبار استعمال الوهم فيها و مفكره باستعمال العقل لها و محلها مقدم البطن الاوسط من الدماغ من شأنها التركيب و التفصيل لبعض الصور ببعض و عن بعض و كذا المعاني و المعاني بالصوره و هي الحاكيه للمدركات انتهى كلامه رفع مقامه، منه.

و معنى اجالتهها تحريكها و بعثها فى انتزاع الصور الجزئيه كما للحس المشترك، و المعانى الجزئيه كما للوهم (و فكر يتصرف بها) أى صاحب حركات فكرية يتصرف بها فى امور معاشه و معاده، و إلاّ- فالقوه المتفكره فى الانسان واحده و هى القوه المودعه فى مقدم البطن الأوسط من الدماغ من شأنها تركيب الصور بالصور و المعانى بالمعانى و المعانى بالصور و الصور بالمعانى (و جوارح يستخدمها، و أدوات يقلبها).

المراد بالجوارح و الادوات إمّا معنى واحد و هى الأعضاء و الآلات البدنيه جميعا فانها خادمه للنفس الناطقه و واسطه التقلب، و إمّا أن المراد بالاولى الأعمّ و بالتانيه خصوص بعض الأعضاء ممّا يصحّ نسبه التقلب و التقلب اليه كاليد و الرجل و البصر و القلب (و معرفه يفرق بها بين الحقّ و الباطل) و المراد بالمعرفه هى القوه العاقله إذ الحقّ و الباطل من الأمور الكليه و التميز بينها حظّ العقل (و) هى المفزقه أيضا بين (الأذواق و المشام و الألوان و الأجناس).

و المراد بالأذواق المذوقات المدركه بالذوق و هى قوه منبئه فى العصب المفروش على سطح اللسان التى يدرك بها الطعوم من الحلاوه و المراره و الحموضه و الملوحة و غيرها.

و بالمشام المشمومات المدركه بالشمّ و هى قوه مودعه فى زائدتى مقدم الدماغ الشبيهتين بحلمتى الثدى بها تدرك الروايح من الطيبه و المنتنه و غيرهما.

و بالألوان المبصرات المدركه بحس البصر و هى قوه مرتبه فى العصبين المجوفتين اللتين تتلاقيان فتفرقان إلى العينين التى بها يدرك الألوان من السواد و البياض و الحمرة و الصفرة و الأشكال(1) و المقادير و الحركات و نحوها.

ص: ٤٩

١- (١) عطف على الألوان، منه

و بالأجناس الأمور الكليّة المنتزعه من تصفّح الجزئيات و إدراكها و لذلك أخر عليه السّلام ذكر الأجناس عنها إشاره إلى ما ذكر، و ذلك لأنّ النّفس بعد ما أدرك الجزئيات بالمدركات و المشاعر السّالفه تتبّه لمشاركات بينها و مباينات فاصله بينها مميّزه لكلّ واحد منها عن الآخر، فتنزع منها تصوّرات كليّيه بعضها ما به الاشتراك بينها، و بعضها ما به امتياز إحداها عن الاخرى، و لعلّه اريد بالأجناس مطلق الامور الكليّيه لا الجنس المصطلح فى علم المنطق و الكلام.

فان قلت: التفرقه بين الأذواق و المشام و الألوان إنّما هو من فعل الحواسّ الظاهره، إذ هى المدركه لها و المميزه بينها حسبما ذكرت فما معنى نسبته إلى العقل؟ قلت: إدراك هذه و إن كان بالحواس المذكوره إلا أنّها قد يقع فيها الشكّ و المرجع فيها حينئذ إلى العقل لأنّه الرّافع للشكّ عنها.

توضيح ذلك ما ورد فى روايه الكافى باسناده عن يونس بن يعقوب، قال: كان عند أبى عبد الله السّلام جماعه من أصحابه منهم حمران بن أعين و محمّد بن النّعمان و هشام ابن سالم و الطيار و جماعه فيهم هشام بن الحكم و هو شاب، فقال أبو عبد الله عليه السّلام:

يا هشام الا تخبرنى كيف صنعت بعمر و بن عبيد و كيف سألته! فقال هشام: يابن رسول الله إنّى اجلّك و استحبيك و لا يعمل لسانى بين يديك، فقال أبو عبد الله عليه السّلام:

إذا أمرتكم بشىء فافعلوا، قال هشام: بلغنى ما كان فيه عمرو بن عبيد و جلوسه فى مسجد البصره فعظم ذلك علىّ فخرجت إليه و دخلت البصره يوم الجمعة فأتيت مسجد البصره فاذا أنا بحلقه كبيره فيها عمرو بن عبيد و عليه شمله (١) سوداء متزرة (٢) بها من صوف و شمله مرتد (٣) بها و الناس يسألونه فاستفرجت الناس فافرجوا لى ثم قعدت فى آخر القوم على ركبتى، ثم قلت:

أيّها العالم إنّى رجل غريب تأذن لى فى مسأله؟ فقال لى: نعم، فقلت

له: أ لك عين؟ فقال لى يا بنى أى شىء تريد من هذا السؤال و شىء تراه كيف

ص: ٥٠

١- (١) كساء يشتمل به منه

٢- (٢) من الازار منه

٣- (٣) من الرداء منه.

تسأل عنه؟ فقلت: هكذا سألتى فقال: يا بنى سل و إن كانت سألتك حمقاء، قلت: أجبني فيها، قال لى: سل، قلت: أ لك عين؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان و الأشخاص قلت: فلك أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة، قلت: أ لك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال:

أذوق به الطعم، قلت: فلك اذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: أ لك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميز به كلما ورد على هذه الجوارح و الحواس، قلت: أ و ليس فى هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: و كيف ذلك و هى صحيحه سليمه؟ قال: يا بنى إن الجوارح إذا شكّت فى شىء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ردتّه إلى القلب فيستبين اليقين «يستيقن خ» و يبطل الشك، قال هشام: فقلت له: فانما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم قلت: لا بدّ من القلب و إلا لم يستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فإنّ الله تبارك و تعالى لم يترك جوارحك حتّى جعل لها إماما يصحّ لها الصحيح و يتيقن به ما شككت فيه و يترك هذا الخلق كلّهم فى حيرتهم و شكّهم و اختلافهم لا يقيم لهم إماما يردّون إليه شكّهم و حيرتهم و يقيم لك إماما لجوارحك تردّ إليه حيرتك و شكّك؟ قال: فسكت و لم يقل لى شيئا، ثمّ التفت إلى فقال لى: أنت هشام بن الحكم؟ فقلت: لا فقال: أ من جلسائه؟ قلت: لا قال: فمن أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة، قال: فأنت إذا هو، ثمّ ضمّنى إليه و أقعدنى فى مجلسه و زال عن مجلسه و ما نطق حتى قمت، قال: فضحك أبو عبد الله عليه السّلام فقال: يا هشام من علمك هذا؟ قلت: شىء أخذته منك و الفتة، فقال هذا و الله مكتوب فى صحف إبراهيم و موسى.

قال بعض المحققين (1) من شراح الحديث: و معنى شكّ الحواس و غلطها أنّ الحسّ أو الوهم المشوب بالحسّ يشكّ أو يغلط بسبب من الأسباب، ثمّ يعلم النّفس بقوّه العقل ما هو الحقّ المتيقّن كما يرى البصر العظيم صغيرا لبعده و الصغير كبيرا لقربه و الواحد اثنين لحول فى العين و الشّجره التى فى طرف الحوض منكوسه

ص: ٥١

لانعكاس شعاع البصر من الماء إليها، و السَّمْع يسمع الصَّوت الواحد عند الجبل و نحوه ممَّا فيه صلابه أو صقاله صوتين لمثل العله المذكوره من انعكاس الهواء المتموج بكيفيته المسموع إلى الصَّماخ تاره اخرى و يقال للصوت الثَّاني: الصَّداء، و كما تجد الذَّائقه الحلو مرًا لغلبيه المره الصَّفراء على جرم اللسان، و كذا تشمئز الشَّامه من الرِّوائح الطيبه بالزَّكام فهذه و أمثالها أغلاط حسَّيه يعرف القلب حقيقه الأمر فيها انتهى ما أهمنا نقله.

و اتَّضح به كلَّ الوضوح أنّ التَّفريقه بين الحقّ و الباطل و بين المحسوسات عند الشَّكّ و الارتياب إنّما هي وظيفه العقل و القلب و هو اللطيفه الثورانيه المتعلقه أول تعلقها بهذا القلب الصِّنوبري و نسبته إلى أعضاء الحسّ و الحركه كنسبه النَّفس إلى قوى الحسّ و الحركه فى أنّه ينبعث منه الدَّم و الرُّوح البخارى إلى ساير الأعضاء فالنَّفس رئيس القوى و إمامها و القلب و هو مستقرّها و عرش استوائها باذن الله رئيس ساير الأعضاء و إمامها.

(معجوناً) أى مخمراً ذلك الانسان (بطينه الألوان المختلفه) و أصلها و هذه إشاره إلى اختلاف أجزاء الانسان فان بعض أعضائه أبيض كالعظام و الشَّحم، و بعضها أحمر كالدم و اللحم، و بعضها أسود كالشَّعر و حدقه العين و هكذا، و مثل اختلاف أجزاءه اختلاف أفراد نوع الانسان، فمنهم السَّعيد و الشَّقِيّ و الطيب و الخبيث، و كل ذلك مستند إلى اختلاف المواد.

كما يدلّ عليه ما رواه القمّيّ فى تفسيره باسناده عن جابر بن يزيد الجعفى عن أبى جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين عن أبيه عن آباءه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم فى حديث طويل، و فيه قال: فاغترف ربّنا تبارك و تعالى غرفه يمينه من الماء العذب الفرات و كلتا يديه يمين فصلصلها فى كفه فجمدت، فقال لها: منك أخلق النَّبين و المرسلين و عبادى الصِّالحين و الأئمه المهتدين و الدَّعاه إلى الجنّه و أتباعهم إلى يوم القيامه و لا أبالى و لا أسأل عمّا أفعل و هم يسألون، ثمّ اغترف غرفه من الماء المالح الأجاج

فصلصلها في كفه فجمدت، ثم قال: منك أخلق الجبارين و الفراعنه و العتاه و إخوان الشياطين و الدّعاة إلى النار و أشياهم إلى يوم القيامة، و لا- اسأل عمّا أفعل و هم يسألون، قال: و شرط في ذلك البداء فيهم و لم يشترط في أصحاب اليمين، ثم خلط المائين جميعا في كفه فصلصلهما ثم كفاهما(1) قدام عرشه و هما سلاله من طين الحديث، و سيأتي تمامه بعيد ذلك.

(و الأشباه المؤتلفه) كالإيتلاف بين العظام و الأسنان و نحوها فأنها أجسام متشابهة ايتلف بعضها مع بعض و بها قامت الصوره الانسانيه (و الأضداد المتعاديه، و الأخلاط المتباينه، من الحرّ و البرد و البله و الجمود و المسائه و السرور).

و المراد بالبله و الجمود الرطوبه و اليبوسه، و كلمه من تبين للأضداد و الأخلاط جميعا و ليست بيانا للأخلاط فقط بقريته ذكر المسائه و السرور.

قيل: و المراد بالحرّ الصّيفراء و بالبرد البلغم و بالبله الدّم و بالجمود السوداء فكلامه عليه السّلام إشاره إلى الطبايع الأربع التي بها تحصل المزاج و بها قوام البدن الانساني.

و في حديث القمّي السابق بعد قوله عليه السّلام: ثم كفاهما قدام عرشه و هما سلاله من طين، قال: ثم أمر الله الملائكه الأربعة الشّمال و الجنوب و الصّيبا و الدّبور أن يجولوا على هذه السّلاله من طين فأبرءوها و أنشأوها ثمّ جزوها و فصلوها و أجروا فيها الطبايع الأربعة.

قال: الرّيح في الطبايع الأربعة من البدن من ناحيه الشّمال، و البلغم في الطبايع الأربعة من ناحيه الصّيبا، و المره في الطبايع الأربعة من ناحيه الدّبور، و الدّم في الطبايع الأربعة من ناحيه الجنوب.

قال: فاستقلّت النّسمه و كمل البدن، فلزمه من ناحيه الرّيح حبّ النّساء و طول الأمل و الحرص، و لزمه من ناحيه البلغم حبّ الطعام و الشّراب و البرّ و الحلم

ص: ٥٣

١- (١) هكذا في روايه علل الشرائع: ثم القاهما قدام عرشه و هما ثله من طين، منه

و الرِّفْق، و لزمه من ناحیه المرّه الغضب و السّفه و الشّیطنه و التّجیر و التّمرد و العجله، و لزمه من ناحیه الدّم حب الفساد و اللذات و ركوب المحارم و الشهوات قال أبو جعفر: وجدنا هذا فی كتاب أمير المؤمنين صلوات الله عليه هذا.

و أما المسائنه و السّرور فهما من الكيفيات التّفسانیه، و سبب السّرور إدراك الكمال و الاحساس بالمحسوسات الملائمه و التمكن من تحصيل المرادات و القهر و الاستیلاء على الغير و الخروج عن الآلام و تذكر الملدّات، و سبب المسائنه مقابلات هذه.

قال البحرانی: و مقصوده عليه السّلام التّنبیه على أنّ طبیعه الانسان فیها قوه قبول و استعداد لتلك الكيفيات و أمثالها، و تلك القوه هی المراد بطینه المسائنه و السّرور و الله العالم.

الترجمه

پس جمع فرمود حق سبحانه و تعالی از زمین درشت و زمین نرم و زمین شیرین و زمین شور پاره خاک را، آمیخت و ممزوج نمود آن خاک را به آب تا این که خالص و پاکیزه شد، و مخلوط و ملصق نمود آن را برطوبت تا این که چسبان گشت پس ایجاد کرد از آن صورت و شکلی که صاحب طرفها بود و بندها و صاحب جوارح بود و فصلها، خشک ساخت آن صورت را تا این که قوام حاصل شد آنرا، و سخت گردانید آن را تا این که گل خشک آواز کننده گردید پس باقی گذاشت آن را بجهت وقت شمرده شده و اجل دانسته گردیده، پس از آن دمید در آن صورت روح خود را یا از روحی که اختیار کرده بود آن را بسایر ارواح، پس متمثل شد و متصور گردید انسانی که صاحب ذهنهائیست که متحرک می سازد آن را، و صاحب فکرهاييست که تصرف و تفتیش می کند با آن، و صاحب جوارحی که طلب خدمت می کند از آنها، و صاحب آلاتی که برمیگرداند آن ها را در امورات خود، و صاحب معرفت و عقلی که فرق می گذارد با آن میان حق و باطل و میان ذوقها و مشامها و میان رنگها و جنسها در حالتی که آمیخته و خمیر شده بود آن انسان

به اصل رنگهای گوناگون و شبه هائی که با همدیگر الفت دارند، چون استخوان و دندان و ضدهائی که تعاند دارند با همدیگر و خلطهائی که تباین دارند با یکدیگر از حرارت و برودت و رطوبت و ییوست و پریشانی و خوشحالی.

الفصل الحادی عشر

اشاره

و استأدى الله الملائكة وديعته لديهم، و عهد وصيته إليهم، في الإذعان بالسيِّجود له و الخنوع لتكريمته فقال: اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس و قبيله (و جنوده خ)، اعترتهم الحميّه، و غلبت عليهم الشَّقوه، تعزّزوا بخلقه النَّار، و استوهنوا خلق الصَّلصال، فأعطاه الله النَّظره استحقاقا للسخطه، و استتماما للبلية، و إنجازا للعدّه، فقال:

إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم.

اللغه

(استأدى الله الملائكة) أى طلب منهم الأداء (و الخنوع) كالخضوع لفظا و معنى (و التكرمّه) إمّا بمعنى التكريم و هو التّعظيم و الاحترام مصدر ثان من التّفعل كما فى الاوقيانوس، أو اسم من التكريم على ما قاله الفيومى (و ابليس) افعيل من ابلس قال سبحانه:

«فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ» أى آيسون من رحمه الله، و اسمه بالعبرانيه عزازيل بزائين معجمتين و بالعربيّه الحارث و كنيته أبو مرّه (و القبيل) فى الأصل الجماعه تكون من الثلاثه فصاعدا من قوم شتى فان كانوا من أب واحد فقبيله، و قد تسمى قبيلًا و جمعه قبل و جمع القبيله القبائل (و الشَّقوه) بكسر الشين الشقاوه (و التعز) التكبر (و استوهنوا) عدوّه واهنا

ص: ۵۵

ضعيفا (و النظره) بكسر الظاء مثل كلمه اسم من انظرت الدين آخرته قال سبحانه:

«فَنَظَرَهُ إِلَى مَيْسَرِهِ».

أى تأخير (و السّـيـخـطـه) بالضمّ كالسّـيـخـط الغضب و عدم الرّضا (و البليّـه) اسم من الابتلاء و هو الامتحان (و أنجز) وعده وعدته إذا وفى به.

الاعراب

الملائكه منصوب بنزع الخافض أى من الملائكه، و اضافـه العهـد إلى الوصيه قيل من قبيل إضافه الصّيفه إلى الموصوف أى وصيّته المعهوده، و استثناء ابليس اّمّا منقطع على ما هو الأظهر الأشهر بين أصحابنا و كثير من المعتزله، أو متّصل على ما ذهب إليه طائفه من متكلمي العامه و اختاره منا الشيخ (ره) فى التّبيان، و منشأ الخلاف أنّ إبليس هل هو من الجنّ أم من الملائكه، و يأتى تحقيق الكلام فيه، و انتصاب الاستحقاق و الاستتمام و الانجاز على المفعول له.

المعنى

اشاره

(و استادى الله الملائكه) أى طلب منهم أداء (وديعته) المودعه (لديهم و) طلب أداء (عهد وصيّته إليهم) و المراد بتلك الوديعه و الوصيه ما أشار اليه سبحانه فى سورتي الحجر و ص.

قال فى الأولى: «وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ».

قال أمير المؤمنين عليه السلام على ما رواه القمى عنه و كان ذلك من الله تقدمه فى آدم قبل أن يخلقه و احتجاجا منه عليهم.

و فى الثانيه: «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ»

فلقد كان عزّ وجلّ أوصاهم و عهد إليهم أنّه خالق بشرا لا بد لهم من السّجود له بعد استوائه و نفخ الرّوح فيه، و إلى ذلك أشار عليه السّلام بقوله (في الاذعان بالسّجود له و) الانقياد ب (الخنوع) و الخضوع (لتكرّمته) و تعظيمه (فقال) سبحانه للملائكة بعد الاستواء و نفخ الرّوح (اسجدوا لآدم) قال الصّادق عليه السّلام: و كان ذلك الخطاب بعد ظهر الجمعة (فسجدوا) و بقوا على السّجده إلى العصر (إلا- إبليس) قال الرضا عليه السّلام كان اسمه الحارث سمّى إبليس لأنّه ابلس من رحمه الله (و قبيله) قال المحدّث المجلسي قده: و ضمّ القبيل هنا إلى إبليس غريب، فأنّه لم يكن له في هذا الوقت ذريّه و لم يكن أشباهه في السّماء، فيمكن أن يكون المراد به أشباهه من الجنّ في الأرض بأن يكونوا مأمورين بالسّجود أيضا، و عدم ذكرهم في الآيات و ساير الأخبار لعدم الاعتناء بشأنهم، أو المراد به طائفه خلقها الله تعالى في السّماء غير الملائكة، و يمكن أن يكون المراد بالقبيل ذريته و يكون اسناد عدم السّجود إليهم لرضاهم بفعله كما قال عليه السّلام في موضع آخر: إنّما يجمع النّاس الرّضا و السّخط، و إنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعّمهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرّضا، فقال سبحانه:

«فَعَقَرُوهَا فَاصْبِرُوا نَادِمِينَ». انتهى أقول: و الأوجه ما أجاب به أخيرا و يشهد به مضافا إلى ما ذكره ما رواه السيّد (ره) في آخر الكتاب عنه عليه السّلام من أنّ الرّاضى بفعل قوم كالداخل فيه معهم و قال سبحانه:

«قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالذِّكْرِ قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ».

فأنّه روى في الكافي عن الصّادق عليه السّلام قال: كان بين القاتلين و القائلين خمسمائه عام، فالزمهم الله القتل لرضاهم بما فعلوا، و مثله عن العياشى في عدّه روايات

(اعترتهم) و غشيتهم (الحمية) و العصية (و غلبت عليهم الشقوه) و الضلاله (تعزوا) و تكبروا (بخلقه النار و استوهنوا) و استضعفوا (خلق الصلصال) و قالوا:

إن مادتنا و جوهرنا خير من جوهر آدم الطيني فلا نسجد له، لأن السجود إنما هو لمكان شرف الجوهر و جوهر النار أشرف من جوهر التراب، و هذا معنى قوله سبحانه في سورة الأعراف:

«قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» و فى الكافى و الاحتجاج عن الصادق عليه السلام أنه دخل عليه أبو حنيفة فقال له: يا با حنيفة بلغنى أنك تقيس، قال: نعم، أقيس قال: لا تقس فإن أول من قاس ابليس حين قال:

«خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» فقاس ما بين النار و الطين و لو قاس نوريه آدم بنوريه النار عرف فضل ما بين التورين و صفاء أحدهما على الآخر.

قال بعض الأفاضل: إن إبليس قد غلط حيث لاحظ الفضل باعتبار الجوهر و العنصر فلو لاحظه باعتبار الفاعل لعلم فضل آدم عليه نظرا إلى ما أكرمه الله به من إضافه روحه إلى نفسه و نسبه خلقته إلى يديه حيث قال:

«فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» و قال: «لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» مضافا إلى ما فى قياسه فى نفسه أيضا من الفساد من حيث إن الطين أمين يحفظ كل ما اودع عنده و النار خائن يفنى كل ما يلقى فيه. و النار متكبر طالب للعلو، و التراب متواضع طالب السفلى، و التواضع أفضل من التكبر هذا(1)

ص: ٥٨

١- (١) و قال الصدر الشيرازى فى مفاتيح الغيب اما خطأه يعنى ابليس فى الاستدلال فلوجه احدها انا سلمنا ان النار افضل و اشرف من الطين من حيث ظاهر الوجود لكن لا فضيله لها عليه من حيث الحقيقه و الغايه بل الطين افضل و اشرف منها لان من خواص الطين الانبات و النمو و لهذا السرکان تعلق به الروح ليصير قابلا للترقى و النار من خاصيتها الاحراق و الاهلاك و ثانيها ان فى الطين لزوجه و امساكا فاذا استفاد الروح منه بالتريه هذه الخاصيه يصير ممسكا للفيض الالهى اذا لم يكن ممسكا فى عالم الارواح و لهذا السرکان آدم مسجودا للملائكه و فى النار خاصيه الاتلاف و الاسراف و هو ضد الامساك، و ثالثها ان الطين مركب من الماء و التراب و الماء مطيه الحياه لقوله و من الماء كل شىء حى و التراب مطيه النفس النباتيه و اذا امتزجا يتولد منهما النفس الحيوانيه لان مركبها الروح الحيوانى و هى مطيه الروح الانسانى و الجوهر النطقى للمناسبه الروحيه بينهما و فى النار ضد ذلك من الاهلاك و الافساد هذا مع ان شرف مسجوديه آدم للملائكه و فضيلته على ساجديه لم يمكن بمجرد خواص الطينه التى هى جبهه الصلاحيه و القبول و ان تشرفت الطينه بشرف التخميم من غير واسطه كما دل عليه قوله ما منعك ان لا تسجد لما خلقت بيدي و قوله صلى الله عليه و آله خمر طينه آدم بيديه اربعين صباحا و انما كانت فضيلته الاصليه على غيره بنفخ الروح المشرف بالاضافه الى الحضرة الالهيه من غير واسطه كما قال و نفخت فيه من روحى و لاختصاصه بالتجلى فيه عند نفخ الروح كما فى قوله صلى الله عليه و آله و سلم ان الله خلق آدم فتجلى فيه و قد مر انه غلط الملعون بين جبهه الماده

العنصريه و بين جهه الصوره الروحيه الاضافيه و عمى قلبه عن درك صفه الانسانيه و الصوره الذاتيه و لهذا السر لم يكن امر الله الملائكه بسجود آدم بعد تسويته قالب آدم من الطين بل امرهم بعد نفخ صوره الروح فيه كما قال تعالى انى خالق بشرا من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحى فقعدوا له ساجدين و ذلك لان آدم بعد ان نفخ فيه الروح الاضافى صار مستعدا للتجلى الالهى لما حصل فيه من صفات الروح و نورانيته التى تستحق بها للتجلى و امسك الطين الذى يقبل الفيض الالهى مسكه عند التجلى فاستحق سجود الملائكه لانه صار قلبه ككعبه حقيقيه تفهم انشاء الله و تغتمه و تنتفع به انتهى كلامه ره.

وقد ظهر ممّا ذكرناه فساد العمل بالقياس أيضا وقد عنونه أصحابنا في علم الأصول و حكموا بعدم جواز العمل في الأحكام الشرعية بالأقيسه و الاستحسانات العقلية، نظرا إلى ما نشاهده من حكم الشارع في الموارد الكثيره بخلاف ما يقتضيه عقولنا الناقصه.

كجمعه بين المتشاكلات و تفريقه بين المختلفات في منزوحات البئر.

و كجمعه بين النوم و البول و الغائط في الأحداث.

و حكمه بوجوب الاحرام في الحلّ مع أنّ الحرم أفضل.

و حكمه بوجوب مسح ظاهر القدم مع أنّ الباطن أولى.

و حكمه بحرمة صوم يوم العيد و وجوب سابقه و نديبه لاحقه.

ص: ٥٩

و حكمه بوجوب خمسمائه دينار و هو نصف الدية الكاملة فى قطع إحدى اليدين و قطع اليد لربع دينار.

و حكمه لقطع اليد لسرقه ربع دينار و عدم جواز قطعه للغصب و لو كان ألفا إلى غير ذلك من الموارد التى يقف عليها المتبع و مع ذلك كيف يمكن الاستبداد بالعقول التواقصه و الآراء الفاسده فى استخراج مناطات الأحكام الشرعيه، و قد قام الأخبار المتواتره عن أنمّتنا عليهم السلام على النهى عن العمل بالقياس و الاستحسانات العقليه، مثل قولهم: إنّ دين الله لا يصاب بالعقول، و إنّ السنه إذا قيست محق الدين، و أنّه لا شىء أبعد عن عقول الرجال من دين الله.

روى الصّيدوق و الكلينى باسنادهما عن أبان بن تغلب، قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام ما تقول فى رجل قطع أصبعا من أصابع المرأه كم فيها؟ قال: عشره من الابل، قال: قلت: قطع اثنين؟ فقال: عشرون، قلت: قطع ثلاثا؟ قال: ثلاثون، قلت: قطع أربعاً؟ قال: عشرون، قلت: سبحان الله يقطع ثلاثا فيكون عليه ثلاثون فيقطع أربعاً فيكون عليه عشرون، إن هذا كان يبلغنا و نحن بالعراق فنبراً ممّن قاله، و نقول:

إنّ الذى «جاء به خ» قاله شيطان، فقال: مهلاً يا أبان هذا حكم رسول الله إنّ المرأه تعاقل الرجل إلى ثلث الدية فاذا بلغت الثلث رجعت المرأه إلى النصف، يا أبان إنك أخذتني بالقياس، و السنه إذا قيست محق الدين.

و فى الاحتجاج أن الصّيدوق عليه السلام قال لأبى حنيفه لما دخل عليه: من أنت؟ قال: أبو حنيفه، قال: مفتى أهل العراق، قال: نعم، قال: بم تفتيهم؟ قال: كتاب الله، قال: فأنت العالم بكتاب الله؟ ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه، قال: نعم، قال: فأخبرني عن قول الله عزّ و جلّ.

«وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيَّرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّاماً آمِنِينَ» أى موضع هو؟ قال أبو حنيفه: هو ما بين مكّه و المدينه، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى جلسائه و قال: نشدتكم بالله هل تسيرون بين مكّه و المدينه و لا تؤمنون على دمائكم

من القتل و على أموالكم من السرقة؟ فقالوا اللهم نعم، قال: ويحك يا أبا حنيفة إن الله لا يقول إلا حقًا، أخبرني عن قول الله:

«وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» أي موضع هو؟ قال: ذاك بيت الله الحرام، فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إلى جلسائه و قال لهم: نشدتكم بالله هل تعلمون أنّ عبد الله بن زبير و سعيد بن جبیر دخلاه فلم يأمنوا القتل؟ قالوا اللهم نعم، فقال: أبو عبد الله عليه السلام: ويحك يا أبا حنيفة إنّ الله لا يقول إلا حقًا.

فقال أبو حنيفة: ليس لي علم بكتاب الله عزّ و جلّ إنّما أنا صاحب قياس، قال أبو عبد الله عليه السلام: فانظر في قياسك إن كنت مقيسًا أيما أعظم عند الله القتل أو الزنا؟ قال: بل القتل، قال: فكيف رضى الله في القتل بشاهدين و لم يرض في الزنا إلا بأربعة؟ ثم قال له: الصّلاه أفضل أم الصّيام؟ قال: بل الصّلاه أفضل، قال: فيجب على قياس قولك على الحائض قضاء ما فاتها من الصّلاه في حال حيضها دون الصّيام، و قد أوجب الله عليها قضاء الصّوم دون الصّلاه، ثم قال: البول أقدر أم المنى؟ قال:

البول أقدر، قال: يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المنى، و قد أوجب الله الغسل على المنى دون البول.

قال: إنّما أنا صاحب رأى، قال عليه السلام: فما ترى في رجل كان له عبد فتزوج و زوج عبده في ليله واحده فدخلا بامرأتهما في ليله واحده ثم سافرا و جعلا امرأتهما في بيت واحد فولدتا غلامين فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين و بقى الغلامان أيهما في رأيك المالك و أيهما المملوك و أيهما الوارث و أيهما الموروث؟ قال: إنّما أنا صاحب حدود، فقال عليه السلام: فما ترى في رجل أعمى فقضاء عين صحيح، و أقطع قطع يد رجل كيف يقام عليهما الحد؟ قال: إنّما أنا رجل عالم بمباعدت الأنبياء، قال: فأخبرني عن قول الله تعالى لموسى

و هارون حين بعثهما إلى دعوه فرعون:

«لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى» لعل منك شك؟ قال: نعم، قال: ذلك من الله شك إذا قال لعله؟ قال أبو حنيفة: لا أعلم.

قال عليه السلام: إنك تفتى بكتاب الله و لست ممن ورثه، و تزعم أنك صاحب قياس و أول من قاس إبليس و لم بين دين الاسلام على القياس، و تزعم أنك صاحب رأى و كان الرأى من رسول الله صلى الله عليه و آله صوابا و من دونه خطأ، لأن الله قال:

«أَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ» و لم يقل ذلك لغيره، و تزعم أنك صاحب حدود و من انزلت عليه أولى بعلمها منك، و تزعم أنك عالم بمباعد الأنبياء و خاتم الأنبياء أعلم بمباعدتهم منك، لولا أن يقال:

دخل على ابن رسول الله فلم يسأله من شىء ما سألتك عن شىء، فقس إن كنت مقيسا، قال: لا تكلمت بالرأى و القياس فى دين الله بعد هذا المجلس، قال عليه السلام: كلاً إن حبّ الرياسه غير تاركك كما لم يترك من كان قبلك الخبر.

ثم إن إبليس اللعين بعد ما تمرد عن السجود و تكبر عن طاعه المعبود سأل الله النظره و المهله و الابقاء إلى يوم البعث و قال:

«رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ».

فأعطاه الله النظره استحقاقا للسخطه) أى لأجل استحقاقه سخط الله سبحانه و غضبه، فإن فى الامهال، و إطاله العمر ازدياد الاثم الموجب لاستحقاق زياده العقوبه، قال سبحانه:

«وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ» (و استتماما للبيئه) أى لابتلاء بنى آدم و تعريضهم للشواب بمخالفته (و انجازا للعهده)

قيل: المراد به وعد الامهال، و ليس بشيء، لأنه لم يسبق منه سبحانه وعد في إمهاله حتى ينجزه، بل الظاهر أن المراد به أنه تعالى لما كان لا يضيع عمل عامل بمقتضى عدله و قد عبده إبليس في الأرض و في السماء و كان مستحقاً للجزاء الذي وعده سبحانه لكل عامل مكافاه لعمله، فأنجز له الجزاء الموعود في الدنيا مكافاه لعبادته حيث لم يكن له في الآخرة من خلاق.

روى في البحار عن العياشى عن الحسن بن عطيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن إبليس عبد الله في السماء في ركعتين ستّه ألف سنه و كان إنظار الله، إياه إلى يوم الوقت المعلوم بما سبق من تلك العباده.

و فى روايه على بن ابراهيم الآتيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال إبليس: يا ربّ و كيف و أنت العدل الذى لا تجور و لا تظلم فتواب عملى بطل، قال: لا، و لكن سلنى «اسأل خ» من أمر الدنيا ما شئت ثوابا لعملك فاعطيك، فأول ما سأل البقاء إلى يوم الدين فقال الله: قد أعطيتك الخبر.

و فى روايته الآتيه أيضا عن زراره عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك بماذا استوجب إبليس من الله أن أعطاه ما أعطاه؟ قال: بشيء كان منه شكره الله عليه، قلت و ما كان منه جعلت فداك؟ قال: ركعتين ركعهما فى السماء فى أربعه آلاف (1) سنه (فقال: إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم).

قال الرّازى فى تفسيره: اعلم أنّ إبليس استنظر إلى يوم البعث و القيامة و غرضه منه أن لا يموت، لأنّه إذا كان لا يموت قبل يوم القيامة و ظاهر أن بعد قيام القيامة لا يموت فحيثئذ يلزم منه أن لا يموت البتّه، ثم إنّه تعالى منعه عن هذا المطلوب و قال:

«فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ»

ص: ٦٣

١- (١) قوله فى أربعه آلاف سنه و قد مضى فى الروايه السالفه انه فى سته الف سنه و فى روايه اخرى فى الفى سنه قال المجلسى و يمكن دفع التنافى بين ازمنه الصلاه و السجود بوقوع الجميع او لصدور البعض موافقا لاقوال العامه تقيه انتهى منه.

و اختلفوا فى المراد منه على وجوه:

أحدها أن المراد من يوم الوقت وقت النفخه الأولى حين يموت كلّ الخلاق و إنما سمى هذا الوقت بالوقت المعلوم، لأنّ من المعلوم أنه يموت كلّ الخلاق فيه، و قيل إنّما سمّاه الله تعالى بهذا الاسم، لأنّ العالم بذلك هو الله تعالى لا غير كما قال تعالى:

«إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ» و قال: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» و ثانيها أنّ المراد من يوم الوقت المعلوم هو الذى ذكره و هو قوله:

(إلى يوم يبعثون) و انما سمّاه الله تعالى بيوم الوقت المعلوم لان إبليس لما عيّنه و أشار إليه بعينه صار ذلك كالمعلوم، فان قيل: لما أجابه الله تعالى إلى مطلوبه لزم ان لا يموت إلى وقت قيام الساعة و بعد قيام القيامة لا يموت أيضا فيلزم أن يندفع عنه الموت بالكلية، قلنا يحمل قوله: إلى يوم يبعثون الى ما يكون قريبا منه، و الوقت الذى يموت فيها كلّ المكلفين قريب من يوم البعث على هذا الوجه، فيرجع حاصل هذا الكلام الى الوجه الأول.

و ثالثها أنّ المراد بيوم الوقت المعلوم يوم لا يعلمه إلا الله تعالى و ليس المراد منه يوم القيامة انتهى.

أقول: و المستفاد من بعض أخبارنا الوجه الأول، و هو ما روى فى العلل عن الصادق عليه السلام أنه سئل عنه فقال: يوم الوقت يوم ينفخ فى الصور نفخه واحده فيموت إبليس ما بين النفخه الاولى و الثانية.

و من البعض الآخر أنه عند الرجعه، و هو ما رواه القمى باسناده عن أبى «ج ٤»

عبد الله عليه السلام في قوله، قال: يوم الوقت المعلوم يوم يذبحه رسول الله صلى الله عليه وآله على الصخرة في بيت المقدس، وفي روايه اخرى رواها العياشى عنه عليه السلام أيضا انه سئل عنه فقال: أ تحسب أنه يوم يبعث فيه الناس إن الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا، فإذا بعث الله قائمنا كان في مسجد الكوفه و جاء إبليس حتى يجثو بين يديه على ركبتيه فيقول: يا ويله من هذا اليوم فياخذ بناصيته فيضرب عنقه فذلك يوم الوقت المعلوم، و يحتمل الجمع بينها بأن يقتله القائم ثم يحيى و يقتله رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يحيى و يموت عند النّفخه، و الله العالم بحقايق الامور.

و ينبغي التنبيه على امور مهمه مفيده لزياده البصيره في المقام

الاول أنه سبحانه ذكر قصه آدم و كيفيه خلقته و معامله إبليس معه في

مواقع كثيره من القرآن الكريم

و في ذلك أسرار كثيره:

منها الاشاره إلى كمال قدرته و عظمته حيث إنه خلق إنسانا كاملا ذا عقل و حسّ و حياه و صاحب مشاعر ظاهره و باطنه من تراب جامد، ثم جعله طينا لازبا فجعله حمأ مسنونا فجعل الحمأ صلصالا يابسا، ثم نفخ فيه من روحه فاستوى انسانا كاملا فتبارك الله أحسن الخالقين.

و منها تذكير الخلق بما أنعم به على أبيهم آدم حيث فضّله على ملائكه السّماء بما علّمه من الاسماء و جعله مسجودا لهم و ذا مزّيّه عليهم.

و منها تحذير الخلق عن مكائد الشّيطان ليجتنبوا عن مصائده و فخوفه فإنّ عداوته أصليه و منافرته ذاتيه لا يمكن توقع الوصل و العلقه معه ألّبته.

و منها تنبيه الخلق على أنّ آدم مع فعله زلّه واحده كيف أخرج من جوار رحمة الله و اهبط الى دار البليّه، فما حال من تورّط في الذّنوب و اقتحم في المهالك و العيوب مدى عمره و طول زمانه و هو مع ذلك يطمع في دخول دار الخلد و نعم ما قيل:

ص: ٦٥

يا ناظرا نورا بعيني راقدا و مشاهدا للأمر غير مشاهد

تصل الذنوب الى الذنوب و ترتجى درك الجنان و نيل فوز العابد

أنسيت أنّ الله أخرج آدم منها الى الدنيا بذنب واحد

(١)

الثاني

لقائل أن يقول: أمر الملائكة بالسجود لآدم لما ذا و ما السرّ في ذلك؟

قلنا: فيه أسرار كثيرة.

منها إظهار فضيلته على الملائكة.

و منها الابتلاء و الامتحان ليظهر حال ابليس على الملائكة حيث علموا بعد إبائه و امتناعه عن السجده أنه لم يكن منهم و قد زعموا قبل ذلك انه منهم كما يدلّ عليه ما رواه عليّ بن ابراهيم القمي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام (٢) قال سئل عمّا ندب (٣) الله الخلق إليه أدخل فيه الضلال؟ «الضلاله خ» قال: نعم و الكافرون دخلوا فيه، لأن الله تبارك و تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فدخل في امره الملائكة و إبليس، فإنّ إبليس كان مع الملائكة في السماء يعبد الله و كانت الملائكة يظنّ أنّه منهم فلمّا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد، فعلمت الملائكة أنّ إبليس لم يكن منهم، فقبل له عليه السلام:

فكيف وقع الأمر على إبليس و إنّما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟ فقال: كان إبليس منهم بالولاء و لم يكن من جنس الملائكة، و ذلك أنّ الله خلق خلقا قبل آدم، و كان إبليس فيهم حاكما في الأرض فعتوا و أفسدوا و سفكوا الدماء، فبعث

ص: ٦٦

-
- ١- (١) للشيخ البهائي ره: جد تو آدم بهشتش جای بود قدسيان کردند بهر او سجوديك گنه چون کرد گفتندش تمامذنبی مذنب برو بيرون خرامتو طمع داری که با چندین گناهداخل جنت شوی ای رو سیاہ - منه
 - ٢- (٢) في روايه اخرى للقمي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال ان الله تبارك و تعالى اراد ان يخلق خلقا بيده و ذلك بعد ما مضى من الجن و النسناس في الارض سبعة الف سنه و كان من شأنه خلق آدم الحديث.
 - ٣- (٣) اي دعاه اليه، منه

اللّه الملائكة فقتلوهم وأسروا إبليس و رفعوه إلى السماء فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله تبارك و تعالى آدم.

و منها أنّ سجودهم له لما كان في صلبه من أنوار نبينا و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم يدلّ عليه ما رواه في الصّافي و البحار عن تفسير الامام عن عليّ بن الحسين عن أبيه عن رسول الله سلام الله عليهم، قال: يا عباد الله إن آدم لما رأى النور ساطعا من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروه العرش إلى ظهره رأى النور و لم يتبين الأشباح، فقال: يا ربّ ما هذه الأنوار؟ فقال عزّ و جلّ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك و لذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح، فقال آدم: يا ربّ لو بيتتها لي، فقال الله عزّ و جلّ: انظر يا آدم الى ذروه العرش، فنظر آدم و وقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروه العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الانسان في المرآة الصّافية فرأى أشباحنا، فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟ قال الله يا آدم هذه أشباح أفضل خلایقي و برياتي هذا محمّد و أنا الحميد المحمود في فعالي شققت له اسما من اسمي و هذا عليّ و أنا العليّ العظيم شققت له اسما من اسمي، و هذه فاطمه و أنا فاطم السّماوات و الأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي و فاطم أوليائي عمّا يعرهم «يعتريهم خ» و يشينهم فشققت لها اسما من اسمي، و هذا الحسن، و هذا الحسين و أنا المحسن المجمل فشققت اسميهما من اسمي هؤلاء خيار خليقتي و كرام بريّتي بهم آخذوا بهم اعطى و بهم أعاقب و بهم أثيب فتوسّل بهم إليّ يا آدم إذا دهتك داهيه فاجعلهم إليّ شفعاك فأتى آليت على نفسي قسما حقّا أن لا اخيب بهم آملا و لا أردّ بهم سائلا فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا الله عزّ و جلّ بهم فتیب عليه و غفرت له.

الثالث

لقائل أن يقول: ما ذا كان المانع لابليس عن السجود؟

قلت: المستفاد من روايه القمي السالفه أنّه الحسد، و المستفاد من الآيات القرآنيه أنّه الاستكبار، و هو

المستفاد أيضا مما رواه في البحار عن قصص الزاوندى بالاسناد إلى الصدوق باسناده إلى ابن عباس قال: قال إبليس لنوح عليه السلام: لك عندي يد سأعلمك خصالا، قال نوح: وما يدي عندك؟ قال: دعوتك على قومك حتى أهلكهم الله جميعا، فأياك والكبر وإياك والحرص وإياك والحسد، فإن الكبر هو الذي حملني على أن تركت السجود لآدم فأكفرني وجعلني شيطانا رجيمًا، وإياك والحرص فإن آدم أيسح له الجنه ونهى عن شجره واحده فحمله الحرص على أن أكل منها، وإياك والحسد فإن ابن آدم حسد أخاه فقتله، فقال نوح: متى تكون أقدر على ابن آدم؟ فقال: عند الغضب هذا.

و لا منافاه بينها لأنه يجوز أن يكون المانع الحسد و الكبر التاشى من قياسه الفاسد جميعا.

و يدلّ عليه (١) ما رواه عليّ بن إبراهيم باسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم. في حديث طويل و ساق الحديث إلى قوله: فخلق الله آدم فبقى أربعين سنه مصورا و كان يمرّ به إبليس اللعين فيقول: لأمر ما خلقت، فقال العالم عليه السلام:

فقال ابليس: لأن أمرني الله بالسجود لهذا لعصيته، قال: ثم نفخ فيه، فلما بلغت فيه الروح إلى دماغه عطس عطسه فقال: الحمد لله، فقال الله له: يرحمك الله (٢)، ثم قال الله تبارك و تعالى للملائكة: اسجدوا لآدم فسجدوا له، فاخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد فأبى أن يسجد فقال الله عزّ و جلّ.

«ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ».

قال الصّادق عليه السّلام فأول من قاس إبليس و استكبر، و الاستكبار هو أول معصيه عصى الله بها، قال: فقال ابليس: يا ربّ اعفني من السّجود لآدم و أنا أعبدك عباده لم يعبدكها ملك مقرب و لا نبي مرسل، قال الله تعالى: لا حاجه لى إلى عبادتك إنّما أريد

ص: ٦٨

١- (١) اى على وجه الجمع بما ذكر، منه

٢- (٢) قال الصادق فسبقت له من الله المرحمه، تفسير القمى (ره)

أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد، فأبى أن يسجد فقال الله تبارك و تعالی:

«فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ».

فقال ابليس: يا رب كيف و أنت العدل الذى لا- تجور فتواب عملى بطل، قال: لا- و لكن اسأل من أمر الدنیا ما شئت ثوبا لعملك فاعطيك فأول ما سأل البقاء إلى يوم الدين، فقال الله قد أعطيتك.

قال: سلطنى على ولد آدم، قال: سلطتك قال: أجرنى فيهم مجرى الدم فى العروق قال: أجريتك، قال: لا يولد لهم ولد إلا ولد لى اثنان و أراهم و لا- يرونى و أتصور لهم فى كل صورته شئت، فقال: قد أعطيتك، قال: يا رب زدنى، قال: قد جعلت لك و لذريتك صدورهم أوطانا، قال: رب حسبى فقال ابليس عند ذلك:

«فِعِزَّتِكَ لِمَا عُوِيَّتَهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا- عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ...» «ثُمَّ لَمَّا تَيَّنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شِمَائِلِهِمْ وَ لا- تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ» . هذا و روى أيضا باسناده عن زراره عن أبى عبد الله عليه السلام قال: لما اعطى الله تبارك و تعالی لابليس ما أعطاه من القوه قال آدم: يا رب سلطت ابليس على ولدى و أجرته فيهم مجرى الدم فى العروق و أعطيته ما أعطيته فما لى و لولدى! فقال: لك و لولدك السيئه بواحد و الحسنه بعشر أمثالها، قال: يا رب زدنى، قال: التوبه مبسوطه إلى حين يبلغ النفس الحلقوم، فقال: يا رب زدنى قال: أغفر و لا ابالى قال: حسبى.

الرابع

اختلفوا فى أن ابليس اللعين هل هو من الجن أم من الملائكه،

المعزى إلى أكثر المتكلمين من أصحابنا و المعتزله هو الأول، و ذهب كثير من فقهاء العامه على ما حكى عنهم الفخر الرازى و جمهور المفسرين و منهم ابن عباس على ما حكاه عنهم الشارح البحرانى إلى الثانى.

و المختار عندنا هو الأول وفاقا للا-كثر و منهم المفيد و قد نسبه إلى الاماميه كلها، حيث قال فى المحكى عنه فى كتاب المقالات: إن ابليس من الجن خاصه

وإنه ليس من الملائكة ولا كان منها، قال الله تعالى:

«إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ».

وجاءت الأخبار المتواترة عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام بذلك، وهو مذهب الامامية كلها وكثير من المعتزلة وأصحاب الحديث انتهى.

واحتج للمختار بوجه.

الأول: إن إبليس من الجن فوجب أن لا يكون من الملائكة، أما أنه من الجن فلقوله تعالى في سورة الكهف:

«إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ».

وأما أنه إذا كان من الجن فوجب أن لا يكون من الملائكة، فلقوله تعالى:

«وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَئِينَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ» فَإِنَّ آيَةَ صرِيحه في الفرق بين الجن والملائكة.

وما ربما يتوهم من أن معنى قوله سبحانه: كان من الجن، أنه كان خازن الجنة على ما روى عن ابن مسعود، أو أن كان بمعنى صار، أي صار من الجن كما أن قوله: و كان من الكافرين، بمعنى صار من الكافرين، فظاهر الفساد.

أما أولا فلائنه خلاف الظاهر المتبادر من الآية الشريفة، كما أن حمل كان بمعنى صار كذلك.

وأما ثانيا فلائنه سبحانه علل ترك السجود بأنه كان من الجن ولا يمكن تعليل ترك السجود بكونه خازنا للجنة كما لا يخفى.

والعجب من بعضهم حيث قال: إن كونه من الجن لا ينافي كونه من الملائكة لأن الجن من الاجتنان وهو الاستتار، والملائكة مستترون عن العيون فصح جواز إطلاق اللفظ عليهم.

و فيه أنّ الجنّ و إن كان يجوز إطلاقه بحسب اللغه على الملك إلاّ- أنّه صار فى الاصطلاح مختصّاً بالجنس المقابل للملك و الانس، فلا يجوز الاطلاق.

الثانى أنّ إبليس له ذريّه و نسل، قال الله تعالى:

«أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِى».

و الملائكه لا ذريّه لهم إذ ليس فيهم انثى كما يدل عليه قوله سبحانه:

«وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِائًا».

و اورد عليه بمنع دلالة الايه على انتفاء الانثى أولاً، و منع ملازمه انتفاء الانثى على تقديره ثانياً، ألا ترى أنّ الشياطين ليس فيهم انثى و مع ذلك لهم ذريّه، و لذلك قال شيخنا الطوسى (ره) فى محكى كلامه عن التبيان: من قال إنّ إبليس له ذريّه و الملائكه لا ذريّه لهم و لا يتناكحون و لا يتناسلون فقد عوّل على خبر غير معلوم.

الثالث أنّ الملائكه معصومون لأدله العصمه و إبليس ليس بمعصوم فلا- يكون منهم و ربّما يستدلّ بوجه آخر لا- حاجه إلى ذكرها.

و احتجّ للقول الثانى بوجهين.

الاول أنّه سبحانه استثناه فى غير موضع من القرآن من الملائكه، و الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل، و هو يفيد كونه من الملائكه.

و ما أورد عليه أولاً من أنّ الاستثناء المنقطع شايح فى كلام العرب و كثير فى كلام الله سبحانه قال:

«وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنِّى بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِى فَطَرَنِى».

و قال: «لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا تَأْتِيَمًا إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً» و قال: «لَا»

«تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ».

إلى غير ذلك.

و ثانيا من أن الاستثناء على تسليم اتصاله أيضا لا يفيد الدخول كما قال الزمخشري بعد قوله سبحانه إلا إبليس استثناء متصل، لأنه كان جنيا واحدا بين أظهر الالف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فاسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم.

فقد ردّ الأول بأنه خلاف الأصل و لا يصار إليه إلا بدليل و الأدلّه السالفه (1) لا تصلح للدلالة لأنها من قبيل العمومات، و الأمر في المقام دائر بين تخصيصها على جعل إبليس من الملائكة و بين حمل الاستثناء على المنقطع على جعله من الجنّ و كلاهما خلاف الأصل إلا أن الأول أولى لأن تخصيص العام أغلب من انقطاع الاستثناء فلا بدّ من المصير إليه.

و الثاني بأنّ تغليب الكثير على القليل إذا كان ذلك القليل ساقط العبره غير ملتفت إليه في جنب الكثير أمّا إذا كان معظم الحديث لا يكون إلا عن ذلك الواحد لم يجز اجراء حكم غيره عليه و تغليبه عليه و فيه نظر و وجهه سيظهر.

الثاني أنه لو لم يكن إبليس من الملائكة لما كان الأمر بالسجده بقوله اسجدوا شاملا له، فلا يكون تركه للسجود إباء و استكبارا و معصيه، و لما استحقّ الذمّ و العقاب، و حيث حصلت هذه الامور كلّها فعلمنا بتناول الخطاب له، و لا يتناوله إلا مع كونه من الملائكة.

و ردّ أولا- بمنع كونه مخاطبا بذلك الخطاب العام المستلزم للتناول، لم لا يجوز أن يخاطب بأمر آخر مختص به، و ثانيا بمنع استلزام تناول ذلك الخطاب له على تقدير تسليمه كونه من الملائكة لجواز أن يكون طول مخالطته بهم و نشوه معهم مصححا لتعلق الخطاب و تناوله فلا يثبت به الملازمه.

ص: ٧٢

١- (١) على كونه من الجن، منه

و يَضَعُفُ الأَوَّلُ بأنَّ ظاهر قولهِ: و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، أن الأباء و العصيان إنما حصل بمخالفة هذا الأمر لا بمخالفة أمر آخر.

و الثَّانِي بأنَّ طول المخالطة لا- يوجب تناول الحكم و إلا- لتناول خطاب المذكور في الأدلَّة الشَّرعيَّة للأناث و بالعكس و هو خلاف ما صرَّح به علماء الأصول.

أقول: هذا جملة ما استدللَّ به على الطرفين في المقام و التَّعويل عندنا على الأخبار الصَّحيحة عن العترة الطاهرة:

منها رواه عليُّ بن ابراهيم القميِّ السَّالفه في الأمر الثَّاني.

و منها ما عن تفسير الامام عن يوسف بن محمَّد بن زياد و عليِّ بن محمَّد بن سيار عن أبويهما عن العسكري عليه السَّلام في ذيل قصَّه هاروت و ماروت بعد إثباته عليه السَّلام عصمه الملائكة، قالوا: قلنا له: فعلى هذا لم يكن إبليس أيضا ملكا، فقال: لابل كان من الجنِّ، أما تسمعان الله عزَّ و جلَّ يقول:

«وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ.»

فأخبر عزَّ و جلَّ أنَّه كان من الجنِّ، و هو الذي قال الله عزَّ و جلَّ:

«وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ.»

و منها ما رواه العيَّاشي عن جميل بن درَّاج عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: سألته عن إبليس أ كان من الملائكة او هل كان يلي شيئا من أمر السَّماء؟ قال عليه السَّلام: لم يكن من الملائكة و لم يكن يلي شيئا من أمر السَّماء، و كان من الجنِّ، و كان مع الملائكة، و كانت الملائكة ترى أنَّه منها، و كان الله يعلم أنَّه ليس منها، فلما أمر بالسَّجود كان منه الذي كان.

و منها ما رواه عليُّ بن ابراهيم باسناده عن جميل قال: كان الطيار يقول لى ابليس ليس من الملائكة و إنما امرت الملائكة بالسَّجود لآدم، فقال إبليس لا أسجد

فما لابليس يعصى حين لم يسجدو ليس هو من الملائكة، قال فدخلت أنا و هو على أبي عبد الله عليه السلام، قال فأحسن و الله في المسأله فقال جعلت فداك: رأيت ما ندب الله إليه المؤمنين من قوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا».

دخل في ذلك المنافقون معهم؟ قال: نعم، و الضلال و كل من أقر بالدعوة الظاهره، و كان إبليس ممن أقر بالدعوة الظاهره معهم.

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيره التي قد سمعت في صدر المسأله عن المفيد «قده» ادعاءه تواترها و نسبه المذهب المختار إلى الاماميه رضوان الله عليهم الظاهر في كونه مجمعا عليه بينهم، و لا يعبا بخلاف شيخنا الطوسي قدس الله روحه في المسأله و لا يقدح ذلك في الاجماع مع كونه معلوم النسب و ادعاؤه الروايه عن أبي عبد الله عليه السلام بكونه من الملائكه ضعيف، بما قاله العلامة المجلسي من أننا لم نظفر بها و إن ورد في بعض الأخبار فهو نادر مأول.

فان قلت: سلّمنا ذلك كله و لكن كيف يتصور في حق الملائكه عدم علمهم بأن إبليس منهم بعد أن أسروه من الجنّ و رفعوه إلى السماء، و ما المراد بقولهم عليهم السلام في الأخبار السابقه: و كانت الملائكه ترى أنه منها؟ قلنا: يحتمل أن يكون المراد أنّ الملائكه ترى أنه منهم في طاعه الله و عدم العصيان لمواظبته على عبادته سبحانه أزمنه متطاوله، فيكون من قبيل قولهم عليهم السلام: سلمان منا، أو أنهم لمّا رأوا تباين أخلاقه ظاهرا للجنّ و تكريم الله تعالى إياه و جعله من بينهم مرفوعا إلى السماء، و جعله رئيسا على بعضهم كما قيل، ظنّوا أنه كان منهم وقع بين الجنّ.

الخامس

لقائل أن يقول: كيف كان سجود الملائكه لآدم

أهو بنحو السجود المتعارف من وضع الجبهه على المسجد أو بنحو آخر؟ قلت: الموجود في كلمات الأعلام أنه

كان بنحو السجود المتعارف، و هو المروى عن الصادق عليه السلام أيضا، و لا إشكال فيه و إنما الاشكال فى أنّ السجده عباده، و كيف جاز فى حق آدم.

قلت: قد اتفق المسلمون على أنّ ذلك السجود ليس سجود عباده، لأن سجود العباده لغير الله كفر و لا يمكن أن يكون مأمورا به.

ثم اختلفوا بعد ذلك على أقوال:

أحدها أنه على وجه التكرمه لآدم و التعظيم لشأنه و تقديمه عليهم و هو قول قتاده و جماعه من أهل العلم، و هو المروى عن أئمتنا و لهذا جعل أصحابنا ذلك دليلا- على أفضلية الأنبياء من الملائكه من حيث أنه امرهم بالسجود لآدم و ذلك يقتضى تعظيمه و تفضيله عليهم و إذا كان المفضول لا- يجوز تقديمه على الفاضل علمنا أنه أفضل من الملائكه، و قد نسب الصدوق ذلك فى العقائد إلى اعتقاد الاماميه، و هو ظاهر فى قيام اجماعهم على هذا القول.

لا- يقال: سجود التعظيم و التكرمه هو عباره اخرى لسجود العباده فيعود الاشكال لأننا نقول: لا نسلم كونه عباده، و ذلك لأن الفعل قد يصير بالمواضعه مفيدا كالقول يبين ذلك أن قيام أحدنا للغير يفيد من الاعظام ما يفيد القول و ما ذاك إلا للعباده فلا يمتنع أن يكون فى بعض الأوقات سقوط الانسان على الأرض و إصاقه الجبين بها مفيدا ضربا من التعظيم و إن لم يكن ذلك عباده، و إذا كان كذلك لم يمتنع أن يتعبد الله الملائكه بذلك إظهارا لرفعته و كرامته.

الثانى أنّ السجود كان لله و آدم كالقبلة حكاه الطبرى عن الجبائى و أبى القاسم البلخى.

و أورد عليه أولا بأنه لا يقال صلّيت للقبلة بل يقال صلّيت إلى القبلة فلو كان آدم قبله يقول اسجدوا إلى آدم مع أنه قال اسجدوا لآدم، و يظهر منه عدم كونه قبله.

و ثانيا بأن إباء إبليس عن السجود إنما هو لاعتقاده تفضيله به و تكرمته

و حسبانه أنّ كونه مسجودا له يدلّ على أنّه أعظم شأننا من السّاجد كما يشعر به قوله:

«قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ» و قوله: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ».

و من المعلوم أنّ السّجده للقبلة لا يوجب تفضيل القبلة على السّاجد ألا ترى أن النبي صلّى الله عليه و آله كان يصلّى إلى الكعبة و لا يلزم أن يكون الكعبة أفضل منه.

و أجيب عن الأوّل بأنّه كما يجوز ان يقال: صلّيت إلى القبلة كذلك يصحّ أن يقال: صلّيت للقبلة، و كلاهما بمعنى واحد، و يشهد بصحته قول حسان في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام:

ما كنت أعرف «أحسب خ» أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن

أليس أوّل من صلّى لقبلكم و أعرف الناس بالآيات «القرآن خ» و السنن

و عن الثّاني بأنّ إبليس شكى تكريمه و ذلك التّكريم لا نسلم أنّه حصل بمجرد تلك المسجوديه، بل لعلّه حصل بذلك مع امور اخر، هذا، و أنت خير بما فيه.

الثّالث أنّ السّجود في أصل اللغه هو الانقياد و الخضوع و هو المراد هنا.

و ردّه الفخر الرّازي بأنّ السّجود لا شكّ أنّه في عرف الشرع عبارته عن وضع الجبهه على الأرض، فوجب أن يكون في أصل اللغه كذلك، لأصالة عدم التّقل انتهى.

و فيه ما لا يخفى و أنت بعد الخبره بما ذكرناه تعرف أنّ الأقوى هو القول الأوّل.

السادس

إن قيل: أيّ حكمه في خلقه الشّيطان و تسليطه على ابن آدم و إمهاله إلى

يوم الدين؟

قلت: هذه شبهه وقعت في البريه و أصلها نشأت من إبليس من استبداده بالرّأى في مقابله النصّ و اختياره الهوى في معارضه الأمر و استكباره بالنّار التي

خلق منها على الطين و الصِّلصال، و تفصيل هذه الشَّبهه ما حكاه الفخر الرّازى عن محمّد بن عبد الكريم الشَّهرستانى فى أوّل كتابه المسمّى بالملل و النحل حكايه عن مارى شارح الأناجيل الأربعة، قال: و هى مذكوره فى التوراه متفرّقه على شكل مناظره بينه و بين الملائكه بعد الأمر بالسَّجود، قال إبليس للملائكه: إننى اسلم أن لى إلها هو خالقى و موجدى و هو خالق الخلق لكن لى على حكمه الله أسأله سبعة.

الاول ما الحكمه فى الخلق لا سيّما كان عالما بأنّ الكافر لا يستوجب عند خلقه إلا الآلام؟ الثانى ثمّ ما الفائدة فى التّكليف مع أنّه لا يعود منه ضررّ و لا نفع، و كلّ ما يعود إلى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطه التّكليف؟ الثالث هب أنّه كلفنى بمعرفته و طاعته فلما ذا كلفنى بالسَّجود لآدم؟ الرابع ثمّ لَمّا عصيته فى ترك السَّجود لآدم فلم لعننى و أوجب عقابى مع أنّه لا فائده له و لا لغيره فيه ولى فيه أعظم الضّرر؟ الخامس ثمّ لَمّا فعل ذلك فلم مكّننى من الدّخول إلى الجنّه و وسوست لآدم عليه السَّلام؟ السادس ثمّ لَمّا فعلت ذلك فلم سلّطنى على أولاده و مكّننى من إغوائهم و إضلالهم؟ السابع ثمّ لَمّا استمهلت المده الطويله فى ذلك فلم أمهلنى؟ و معلوم أنّ العالم لو كان خاليا عن الشرّ لكان ذلك خيرا.

قال شارح الأناجيل: فأوحى الله تعالى إليه(1) من سرادقات الجلال و الكبرياء يا إبليس أنّك ما عرفتنى و لو عرفتنى لعلمت أنّه لا اعتراض علىّ فى شىء من أفعالى،

ص: ٧٧

١- (١) و فى بعض العبارات فأوحى الله الى الملائكه قولوا له انك فى تسليمك الاول الى الهك و آله الخلق غير صادق و لا مخلص اذ لو صدقت انى اله العالمين ما حكمت على بلم فانا الله لا اله الا انا لا اسأل غما افعل و الخلق مسئولون (منه)

فأنى انا الله لا اله إلا أنا لا أسأل عمّا أفعل.

قال الفخر الرّازى بعد حكاية ذلك: و اعلم أنّه لو اجتمع الأوّلون و الآخرون من الخلاق و حكموا بتحسين العقل و تقييحه لم يجدوا عن هذه الشّبّهات مخلصا و كان الكلّ لازما، أمّا اذا أجبنا بذلك الجواب الذى ذكره الله تعالى زالت الشّبّهات و اندفعت الاعتراضات، و كيف لا، و كما أنّه سبحانه واجب الوجود فى ذاته واجب الوجود فى صفاته فهو مستغن فى فاعليته عن المؤثرات المرجحات إذ لو افتقر لكان فقيرا لا- غتيا فهو سبحانه مقطع الحاجات و منتهى الرّغبات و من عنده نيل الطلبات، و إذا كان كذلك لم تتطرق للميّه إلى أفعاله و لم يتوجه الاعتراض على خالقيته انتهى.

قال الصّدر الشّيرازى فى كتابه المسمّى بمفاتيح الغيب بعد ذكره شبّهات إبليس و جوابه سبحانه و ذكره ما حكيناه عن الرّازى: أقول: إنّ لكلّ من هذه الشّبّهات جوابا برهائيا صحيحا واضحا عند أصحاب القلوب المستقيمه، لابتناؤه على الاصول الحقه العرفانيه فى المقدمات الاضطراريه اليقينيّه لكن الجاحد المعوج لا- ينفعه كثرة البراهين الثّيره، و إنّما يسكته الجواب الجدلى المشهور المبني على المقدمات المقبوله التى يذعن بها الجمهور، و ليس معنى قوله تعالى لا اسأل عمّا أفعل أنّه ليس لما فعله مبدء ذاتى و غايه عقليّه و مصلحه حكميّه، كما هو مذهبهم من إبطال العليّه و المعلوثيه و إنكار العلاقه الدّائيه بين الأسباب و مسبباتها و تجويز ترجيح أحد المتساويين فى النّسبه على الاخر و تمكين المجازات الاختياريه و الارادات التّخييليه بل المراد أحد معنيين.

الأوّل أنّه لا لميّه للفعل الصّادر عن ذاته من غير واسطه سوى ذاته و إنّما ذاته هو منشأ الفعل المطلق و غايته و كما لا سبب لذاته فى وجوده لا سبب لذاته فى ايجاده و إلا لكان ناقصا فى ذاته مستكملا بغيره تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

الثّانى أنّ من ليس له درجه الارتقاء إلى عالم الملكوت و الوصول إلى شهود المعارف الالهيه و إدراك الحضرة الرّبوبيّه فلا يمكنه العلم بكيفيّه الصّنع و الايجاد

على ما هو عليه، و لا سبيل له إلا التسليم و الاعتراف بالقصور و من له مرتبه إدراك الأشياء كما هي بالعلم اللدني فلا حاجة له إلى السؤال، لأنه يلاحظ الامور على ما هي عليه بنور الله و بعين قلبه المنور بنور الايمان و العرفان، لا بأنوار المشاعر كالشيطان، و لهذا منع رسول الله صلى الله عليه و آله الناس عن التكلم و البحث في الأشياء الغامضه كسر القدر و مسأله الروح، لأن البحث عنها لا يزيد إلا حيره و دهشه.

و قال في شرح أصول الكافي ما محصيه: إن غرض الفخر الزاوي إثبات مذهب أصحابه من القول بالفاعل المختار و نفي التخصيص في الأفعال، و ذلك ممّا ينسد به باب إثبات المطالب بالبراهين كاثبات الصانع و صفاته و أفعاله و اثبات البعث و الرساله، إذ مع تمكين هذه الاراده الجزافيه لم يبق اعتماد على شىء من اليقينيّات، فيجوز أن يخلق الفاعل المختار بالاراده التي يعتقدها هؤلاء الجدليون فينا أمرا يرينا الاشياء لا على ما هي عليه.

فاقول: إن لكل شبهه من هذه الشبهات التي أوردتها اللعين جوابا برهانيا حقا من قبل الله تعالى بما يسكته، و هو بيان حاله و ما هو عليه من كفره و ظلمه جوهره عن إدراك الحق كما هو، و ان ليس غرضه في ابداء هذه الشبهات إلا الاعتراض و إغواء من يتبعه من الجهال الناقصين أو الغاوين الذين هم جنود إبليس أجمعون، فقليل له: إنك لست بصادق في دعواك معرفه الله و ربوبيته و لو صدقت فيها لم تكن معترضا على فعله.

و أما الأجوبه الحكيمه عن تلك الشبهات على التفصيل لمن هو أهلها

و مستحقها

فهى هذه.

اما الشبهه الاولى

و هى السؤال عن الحكمه و الغايه فى خلق إبليس،

فالجواب عنها أنه من حيث إنه من جمله الموجودات على الاطلاق فمصدره و غايته ليس إلا ذاته تعالى التي تقتضى وجود كل ما يمكن وجوده و يفيض عنها الوجود على كل قابل و منفعل، و أمّا حيثيه كونه موجودا ظلما نيا و ذاتا شريره و جوهرًا خبيثا فليس ذلك بجعل

جاعل، بل هو من لوازم هويته التنازله في آخر مراتب النفوس و هي المتعلقة بما دون الأجرام السماويه و هو الجسم التبارى الشديده القوه فلا جرم غلبت عليه الانانيه و الاستكبار و الافتخار و الالباء عن الخضوع و الانكسار.

و اما الشبهه الثانيه

و هي السؤال عن حكمه التكليف بالمعرفه و الطاعه

، فالجواب عنها أنّ الغايه في ذلك تخلص النفوس من اسر الشهوات و سجن الظلمات و نقلها من حدود البهيميه و السبعيه إلى حدود الانسانيه و الملكيه و تطهيرها و تهذيبها بنور العلم و قوه العمل من درن الكفر و المعصيه و رجس الجهل و الظلمه، و لا ينافى عموم التكليف عدم تأثيره في النفوس الجاشيه و القلوب القاسيه، كما أنّ الغايه في إنزال الغيث إخراج الحبوب و إنبات الثمار و الأقوات منها(١) و عدم تأثيره في الصّخور القاسيه و الأراضي الخبيثه لا ينافى عموم النزول، و الله أجل من أن تعود إليه فائده في هدايه الخلق كما في إعطائه أصل خلقه بل هو الذي «أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى».

من غير غرض أو عوض في فضله وجوده.

و اما الشبهه الثالثه

و هي السؤال عن فايده تكليفه بالسجود لآدم و الحكمه فيه،

فالجواب عنها أولا- أنّه ينبغي أن يعلم أن لله سبحانه في كلّ ما يفعله أو يأمر به حكمه بل حكما كثيره لأنّه تعالى منزّه عن فعل العيب و الاتفاق و الجراف و إن خفى علينا وجه الحكمه في كثير من الامور على التفصيل بعد أن علمنا القانون الكلى في ذلك على الاجمال، و خفاء الشئ علينا لا يوجب انتفائه، و هذا يصلح للجواب عن هذه الشبهه و نظايرها.

و ثانيا أنّ التكليف بالسجود كان عامّا للملائكه و كان هو معهم في ذلك

ص: ٨٠

١- (١) كقطر الماء في الاصداف درّ و في بطن الافاعي صار سما ج. «٥»

الوقت فعمه الأمر بها تبعا وبالقصد الثاني، لكنه لما تمرد وعصى واستكبر وأبى بعد ما اعتقد بنفسه أنه من المأمورين صار مطرودا ملعونا.

و ثالثاً أنّ الأوامر الإلهية و التكاليف الشرعية ما يمتحن به جواهر النفوس و يعلن ما فى بواطنهم و يبرز ما فى مكان صدورهم من الخير و الشر و الشقاوة فتتم به الحجّة و تظهر المحجّة «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ».

و اما الشبهه الرابعه

و هى السؤال عن لمة تعذيب الكفار و المنافقين و ايلامهم بالعقوبه و إبعادهم

عن دار الرّحمه و الكرامه،

فالجواب عنها أنّ العقوبات الاخرويه من الله تعالى ليس باعثها الغضب و الانتقام و إزاله الغيظ و نحوها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، و إنّما هى لوازم و تبعات ساق إليها أسباب داخلية نفسانية و أحوال باطنية انتهت إلى التعذيب بنتائجها من الهوى إلى الهاويه و السقوط فى أسفل درك الجحيم و مصاحبه الموزيات من العقارب و الحيات و غيرها و مثالها فى هذا العالم الأمراض الوارده على البدن الموجه للأوجاع و الأسقام بواسطه نهمه سابقه، فكما أنّ وجع البدن لازم من لوازم ما ساق إليه الأحوال الماضيه و الأفعال السيّاقه من كثره الأكل أو إفراط الشّهوه و نحوهما من غير أن يكون هاهنا معدّب خارجيّ، فكذلك حال العواقب الاخرويه و ما يوجب العذاب الأليم الدائم لبعض النفوس الجاحده للحقّ المعرضه عن الآيات و هى «نارُ الله الموقّده الّتى تطلّع على الأفئده» و أما الّتى دلّت عليه الأخبار و الآيات الوارده فى الكتب الإلهيه و الشرايع الحقّه من العقوبات الجسمانيه الوارده على بدن المسىء من خارج على ما يوصف فى التّفسير فهى أيضاً منشأها أمور باطنيه و هيئات نفسانيه برزت من

الباطن إلى الظاهر و تصورت بصور النيران و العقارب و الحيات و المقامع من حديد و غيرها، و هكذا حصول الأجسام و الأشكال و الأشخاص في الآخرة كما حَقَّق في مباحث المعاد الجسماني و كيفيته تجسّم الأعمال، و دلّ عليه كثير من الآيات مثل قوله تعالى:

«وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» و قوله: «وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ» و قوله: «كَأَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ» و قوله: «إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ» ثم إذا سلّم معاقب من خارج فان في ذلك أيضا مصلحة عظيمة، لأنّ التخويف و الانذار بالعقوبة نافع في أكثر الأشخاص و الانقياد بذلك التخويف بتعذيب المجرم المسيء تأكيد للتخويف و مقتض لزيادة النفع، ثم هذا التعذيب، و ان كان شرًا بالقياس الى الشخص المعذب لكنّه خير بالقياس الى أكثر أفراد النوع فيكون من جملة الخير الكثير الذي يلزمه الشرّ القليل كما في قطع العضو لا صلاح البدن و ساير الأعضاء.

و أما الشبهه الخامسة

و هي السؤال عن فائده تمكين الشيطان من الدّخول إلى آدم في الجنّه

حتى غرّه بوسوسته فأكل ما نهى عنه فاخرج به من الجنّه، فالجواب عنها أنّ الحكمة في ذلك و المنفعه عظيمة، فأنّه لو بقى في الجنه أبدا لكان بقى هو وحده في منزلته التي كان عليها في أوّل الفطره من غير استكمال و اكتساب فطره اخرى فوق الاولى و إذا هبط إلى الأرض خرج من صلبه أولاد لا تحصى يعبدون الله و يطيعونه إلى يوم القيامة و يرتقى منهم عدد كثير في كل زمان إلى درجات الجنان بقوّة العلم و العباده، و أيّ حكمه و فائده أعظم و أجلّ و أرفع و أعلى من وجود الأنبياء و الأولياء؟ و من جملتهم سيد المرسلين و أولاده المعصومون صلوات الله عليهم و على ساير الأنبياء

و المرسلين، و لو لم يكن في هبوطه إلى الأرض مع إبليس إلا-ابتدائه مدّة الدّنيا و اكتسابه درجة الاصطفاء لكانت الحكمة عظيمه و الخير جليلا.

و أما الشبهه السادسة

و هي السؤال عن وجه الحكمة في تسليطه على ذريه آدم بالاغواء و الوسوسة

بحيث يراهم من حيث لا يرونه، فالجواب عنها أن نفوس أفراد البشر في أوّل الفطره ناقصه بالقوّه، و مع ذلك بعضها خيره نورانيه شريفه بالقوّه مايله إلى الامور القدسيه عظيمه الرغبه إلى الاخره، و بعضها خسيسه الجوهر ظلمانيه شريره مائله إلى الجسمانيات عظيمه في ايثار الشهوه و الغضب، فلو لم يكن الاغواء و لا-طاعه النّفس و الهوى لكان ذلك منافيا للحكمه لبقائهم على طبقه واحده من نفوس سليمه ساذجه فلا تتمشى عماره الدّنيا بعدم النفوس الجاسيه الغلاظ العماله في الأرض لأغراض دنيّه عاجله، ألا ترى إلى ما روى من قوله تعالى في الحديث القدسي: أتى جعلت معصيه آدم سببا لعمارته العالم، و ما روى أيضا في الخبر: لو لا أنّكم تذبون لذهب الله بكم و جاء بقوم يذبون.

و أما الشبهه السابعه

و هي السؤال عن فائده إمهاله إلى يوم الوقت المعلوم

، فالجواب عنها بمثل ما ذكرناه، فان بقائه تابع لبقاء النّوع البشري بتعاقب الأفراد و هي مستمرّه إلى يوم القيامة، فكذلك و جب استمراره لأجل ايرائه الفائده التي ذكرناها في وجوده و وجود وسوسته إلى يوم الدين، انتهى ما أهمنا نقله و بعض أجوبته غير خال عن التأمّل فتأمل

الترجمه

و طلب أدا نمود حق سبحانه و تعالى از فرشتگان امانت خود را که نزد ایشان داشت و وصیت معهوده که بایشان نموده بود در اذعان و انقیاد نمودن ایشان بسجده کردن مر او را و خضوع و فروتنی ایشان از برای تعظیم و تکریم آن، پس فرمود خداوند ربّ العزّه ایشان را که سجده کنید آدم را پس همه سجده کردند و هیچیک تمرد نکرد مگر شیطان ملعون و قبيله و تابعان او، عارض شد ایشان را عصیّت و غالب شد

بر ایشان شقاوت و بدبختی، تکبر نمودند و عزیز شمردند خودشان را بجهه مخلوق شدن ایشان از آتش، و ضعیف و خوار شمردند مخلوق از صلصال و گل خشک را، پس عطا فرمود خداوند او را مهلتی از برای استحقاق او مر سخط و غضب خداوندی را، و از برای تمام ساختن امتحان بنی نوع انسان، و از جهت راست نمودن وعده خود پس فرمود که بدرستی تو از مهلت داده شدگان هستی تا روزی که وقت دانسته شده است.

الفصل الثانی عشر

اشاره

ثمَّ أسکن آدم دارا أرغد فیها عیشتیه، و آمن فیها محلّته، و حدّره إبلیس و عداوته، فاغتّره عدوّه نفاسه علیه بدار المقام و مرافقه الأبرار، فباع الیقین بشکّه و العزیمه بوهنه، و استبدل بالجدل و جلا، و بالاعتزاز ندما.

اللغه

(السیکون) هو الاطمینان و المسکن المنزل و (الرغد) النفع الواسع الكثير الذی لیس فیہ عناء، قال ابن درید: الرغد السعه فی العیش و (العیشة) بكسر العین کالعیش بالفتح مصدر عاش یعیش و هو الحیاه و ما یعاش به من الرزق و الطعام و الخبز و (محلّه) القوم منزلهم (فاغتّره) من الغرّه بالكسر و هو الغفله و (نفس) الشیء بالضم نفاسه کرم و نفست به مثل ضمنت به لنفاسه لفظا و معنی و (المقام) بالفتح اسم مکان من قام بمعنی انتصب و بالضم اسم مکان من أقام و کلاهما صحیحان و عزم (عزیمه) و عزمه اجتهد وجد فی أمره و (الجدل) بفتح الجیم مصدر جدل إذا فرح و (اعتزّ) بفلان عدّ نفسه عزیزه به

الاعراب

کلمه ثمّ فی قوله علیه السلام ثمَّ أسکن حرف عطف مفیده للتّعقیب فتفید أنّ الاسکان

فى الجنة بعد امر الملائكة بالسجود وسجودهم و هو الظاهر من الترتيب الذكرى فى الآيه الشريفه فى سورة البقره حيث قال سبحانه:

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ» ثم قال: «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَالزَّوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا». الآيه إلا أن المستفاد من الأخبار و ظاهر بعض (1) الآيات و التفاسير كون السجود حين السكون فى الجنة و يمكن الجواب بأن المراد بالسكونى فى الآيه الشريفه و فى قول الامام عليه السلام هو المقام مع اللبث و الاستقرار و هو لا ينافى كون آدم عليه السلام فى الجنة قبل ذلك أيضا و كون سجد الملائكه له حين ما كان هو فيه كما هو ظاهر لا يخفى، و نصب إبليس فى قوله و حذره إبليس على نزع الخافض، و نفاسه منصوب على المفعول له، و الباء فى قوله: بدار المقام للسبب، و فى قوله بشكّه باء الأثمان و هى الداخلة على الأعواض مثل بعت الكتاب بدرهم، و قد يطلق عليها باء المقابله، و فى قوله عليه السلام: بالجدل و بالاعتزاز كذلك (2)، و يحتمل كونها هنا بمعنى من بناء على كون الاستبدال بمعنى التبدل يقال تبدل و تبدل منه إذا اتخذ منه بدلا.

المعنى

إشارة

(ثم) إنه سبحانه بعد ما أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس فجعله رجيمًا و أخرجه من جواره و (أسكن آدم) و أقره (دارا) أى فى دار (أرغد فيها عيشته) أى جعله فيها فى عيشه واسع كما قال سبحانه فى سورة البقره:

«وَإِذْ قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا».

(و آمن فيها محلته) نسبه الأيمن إلى المحلّ من قبيل المجاز العقلى أى جعله

ص: ٨٥

١- (١) و هو قوله فاخرج منها فانك رجيم و قوله: قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين

فافهم، منه

٢- (٢) أى للمقابله

فيها في أمن من الآفات و سلامه من المكاره و الصدمات، و هذه من صفات الجنة لأن من دخلها كان آمناً كما قال سبحانه:

«أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ» (١).

و هذا لاغبار عليه و إنما الكلام في أن الجنة التي أسكنه الله فيها هل هي جنة الدنيا.

و تفصيل ذلك ما ذكره الفخر الرازي، قال: اختلفوا في أن الجنة المذكورة في الآية هل كانت في الأرض أو في السماء و بتقدير أنها كانت في السماء فهل هي الجنة التي هي دار الثواب أو جنة الخلد أو جنة أخرى.

فقال أبو القاسم البلخي و أبو مسلم الاصفهاني: هذه الجنة كانت في الأرض و حملاً الاهباط (٢) على الانتقال من بقعه إلى بقعه، كما في قوله تعالى:

«اهْبِطُوا مِصْرًا» و احتجا عليه بوجه.

أحدها أن هذه الجنة لو كانت هي دار الثواب لكانت جنة الخلد، و لو كان آدم في جنة الخلد لما لحقه الغرور من إبليس بقوله:

«هَلْ أَذُكَّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكِي لَا يَبْلَى» و لما صحَّ قوله:

«مَا نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ».

و ثانيها أن من دخل هذه الجنة لا يخرج منها، لقوله تعالى:

«وَ مَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ».

و ثالثها أن إبليس لما امتنع من السجود لعن، فما كان يقدر مع غضب الله

ص: ٨٦

١- (١) و هذه الآية و ان كان نزولها في صفة جنة الآخرة إلا ان جنة الدنيا طبقها في هذه و غالب الصفات فلا ضرر في

الاستشهاد بها مع اختيارنا فيما بعد كون آدم في جنة الدنيا كما هو ظاهر، منه

٢- (٢) اي في قوله تعالى و قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية، منه

على أن يصل إلى جنّ الخلد.

و رابعها أنّ الجنّة التي هي دار الثواب لا يفنى نعيمها، لقوله تعالى:

«أَكُلْهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا» و لقوله تعالى: «وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا» الى أن قال: «عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ».

أى غير مقطوع، فهذه الجنّة لو كانت هي التي دخلها آدم لما فنيت، لكنها تفنى لقوله تعالى:

«كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ».

و لما خرج منها آدم و انقطعت تلك الرّاحات و خامسها أنّه لا يجوز في حكمته تعالى أن يبتدئ الخلق في جنّ يخلدهم فيها و لا تكليف لأنّه لا يعطى جزاء العاملين من ليس بعامل، و لأنّه تعالى لا يهمل عباده بل لا بدّ من ترغيب و ترهيب و وعد و وعيد.

و سادسها لا نزاع في أنّ الله تعالى خلق آدم في الأرض و لم يذكر في هذه القصّة أنّه نقله إلى السّماء. و لو كان تعالى قد نقله إلى السّماء كان ذلك أولى بالذّكر، لأنّ نقله من الأرض إلى السّماء من أعظم النّعم، فدلّ ذلك على أنّه لم يحصل، و ذلك يوجب أنّ المراد من الجنّة التي قال الله له «أُسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ».

جنّ اخرى غير جنّ الخلد.

القول الثّاني و هو قول الجبائي أنّ تلك الجنّة كانت في السّماء السّابعة، و الدليل عليه قوله تعالى: اهبطوا منها، ثم إنّ الالهباط الأوّل كان من السّماء السّابعة إلى السّماء الاولى، و الالهباط الثّاني كان من السّماء إلى الأرض.

القول الثالث و هو قول جمهور أصحابنا إن هذه الجنّة هي دار الثواب و الدليل عليه أنّ الألف و اللّام في لفظ الجنّة لا يفيد العموم، لأنّ سكون جميع الجنان

محال، فلا بدّ من صرفها إلى المعهود السابق، و الجنّة التي هي المعهودة المعلومه بين المسلمين هي دار الثواب فوجب صرف اللفظ إليها.

القول الرابع إن الكلّ ممكن و الأدله التقلية ضعيفه و متعارضه، فوجب التوقف و ترك القطع و الله أعلم انتهى.

أقول: و الأظهر من هذه الأقوال هو القول الأوّل، لقوّه أدلّته و إن كان يمكن تطرّق النّظر إليها.

أمّا الأوّل و الثّاني فلا- مكان أن يقال: إنّ الخلود فيها و عدم الخروج إنّما يكون بعد استقرار أهل الجنّة فيها للثّواب، و هو المستفاد من أدلّه الخلود، و أمّا قبل ذلك فلا دليل عليه.

و أمّا الثّالث فلما قيل: من أنّ إبليس لم يدخل في الجنّة بل وسوس لهما من وراء جدار الجنّة أو من الأرض.

و فيه نظر لأنّ المستفاد من ظاهر الآيات كون مخاطبته معهما مشافهه، كما أنّ الموجود في أخبارنا دخوله إليها بوسيله الحيّه حسبما يأتي الاشارة إليها.

و الأولى أن يقال: هذا الدليل على تقدير تسليمه جار على غير هذا القول أيضا و ذلك، لأنّ غضب الله سبحانه كما هو مانع من دخول جنّه الخلد فكذلك مانع من دخول مطلق الجنّة و إن لم تكن دار خلد، لأنّ الجنّين كليهما مشتركان في كونهما دار رحمة و قرب، فلا يستحقّهما من غضب الله عليه و لعنه و طرده بقوله:

«فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ».

فان قيل: فكيف التّوجيه بين ذلك و بين ما استظهرت من الآيات و دلت عليه الأخبار من دخوله في الجنّة بتوسط الحيّه.

قلت: يمكن التّوجيه بأن يقال: إنّه كان ممنوعا من دخولها بارزا بحيث يعرف، و قد دخلها مخفيا ليدليهما بغرور، و قد ورد ذلك في بعض الأخبار، أو يقال:

إنّ دخوله فيه على وجه التّقرب و التّنعّم مناف لكونه مغضوبا عليه، و أمّا الدّخول

للتدليس و الازلال بعد اقتضاء الحكمه له فلا منافاه له معه كما لا يخفى.

و أما الزابع فلما مر فى الأولين.

و أما الخامس فلجواز أن يكون ذلك تفضلاً منه سبحانه، و ليست فى ذلك منافاه للحكمه كما توهم.

و أمّا السادس فظاهر لأنه استبعاد محض، هذا كله ما يقتضيه التصرفات الفكرية و دقه النظر فى الأدله و القاطع للكلام إنما هو الأخبار المأثوره عن العتره الطاهره.

فقد روى فى الكافى و العلل عن الصادق عليه السلام أنها كانت من جنان الدنيا يطلع فيها الشمس و القمر و لو كان من جنان الخلد ما خرج منها أبدا.

و مثلهما (1) على بن ابراهيم القمى فى تفسيره عن أبيه رفعه إليه عليه السلام و قوله:

(و حذره ابليس و عداوته) إشاره إلى ما حكاه سبحانه فى سوره طه بقوله:

«وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لِرِجْزِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى » فوسوس اليه الشيطان و قال:

«يا آدَمُ هَلْ أَذْلَكَ عَلَى شَجَرِهِ الْخُلْدِ وَ مُلْكِكَ لَا يَبْلَى.»

و (اغتره عدوه نفاسه) و بخلا (عليه بدار المقام و مرافقه الأبرار) من الروحانيين و الملائكه المقربين.

«فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سُوءَاتُهُمَا وَ طَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى.»

ص: ٨٩

١- (١) لكن قول امير المؤمنين عليه السلام فى الفصل الاتى و وعده المرد الى جنته ينافى هاتين الروايتين و مثله ما روى فى حديث الشامى انه سأل امير المؤمنين «عليه السلام» عن اكرم واد على وجه الارض فقال واد يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء فالجزم باحد المذاهب لا يخلو من اشكال منه.

و أما كيفية الاغترار فقد يأتي تفصيلا (فباع اليقين بشكه) قيل: إنَّ بيع اليقين بالشك مثل قديم للعرب لمن عمل عملا لا يفيدُه و ترك ما ينبغي له أن يفعله، تمثل به أمير- المؤمنين عليه السلام هاهنا و لم يرد أن آدم شكَّ في أمر الله.

أقول: و يمكن اجراء الكلام على ظاهره بأن يراد باليقين اليقين بعداوه إبليس و بالشك الشك فيها، و المراد ببيعه به تبديله به و ذلك لأنَّ إبليس لما أبى و استكبر عن السجود و أظهر الفضيله و الاثيه و جعل مطرودا تيئن آدم بعداوته له، و قد أعلمه الله سبحانه به حينئذ أيضا كما قال:

«فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَ لَزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى».

و لما وسوس اليهما الشيطان:

«وَ قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ».

و لم يكن آدم و حوا شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا، و ثقا بقوله و شكّا في عداوته لمكان ذلك، و يمكن استنباط ذلك من روايه العيون و الاحتجاج الاثيه (١) للرضا عليه السلام مع المأمون، و ليس في ذلك منافاه لمرتبته الرساله كما توهم، لأنَّ ذلك ليس بأعظم من أكل الشجره و ستعرف تحقيقه في مقامه إنشاء الله و قوله:

(و العزيمه بوهنه) أى العزيمه التى كانت له فى عدم القرب من الشجره و الأكل منها بالوهن الذى حصل له من التسيان، قال سبحانه:

«وَ لَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَسَيِّى وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا».

قال فى الكشاف: و العزم التصميم و المضى على ترك الأكل و أن يتصلب فى ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له، و قال: فان قلت: ما المراد بالتسيان؟ قلت: لا يجوز أن يراد التسيان الذى هو نقيض الذكر و أنه لم يعن (٢).

ص: ٩٠

١- (١) فى التذييل الثالث، منه

٢- (٢) أى لم يهتم منه،

بالوصية العناية الصادقة و لم يستوثق منها بعقد القلب عليها و ضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان، و أن يراد الترك و انه ترك ما وصى به من الاحتراس عن الشجره و أكل ثمرتها انتهى.

و قال الطبرسى (ره) معناه أمرناه و أوصينا إليه أن لا يقرب الشجره و لا يأكل منها، فترك الأمر عن ابن عباس و لم نجد له عقدا ثابتا، و قيل معناه: فنى من النسيان هو السهو و لم نجد له عزمًا على الذنب، لأنه أخطأ و لم يتعمد عن ابن زيد و جماعه، و قيل: و لم نجد له حفظًا لما امر به عن عطيه، و قيل: صبرا عن قتاده قال الشارح البحرانى: و حاصل هذه الأقوال يعود إلى أنه لم يكن له قوه على حفظه ما أمر الله سبحانه أنهى.

و فى الكافى عن على بن إبراهيم باسناده عن أبى جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك و تعالى عهد إلى آدم أن لا يقرب هذه الشجره، فلما بلغ الوقت الذى كان فى علم الله أن يأكل منها نسي فأكل منها، و هو قول الله تبارك و تعالى:

«وَلَقَدْ عَهِدْنَا» الآية و فيه أيضا عن الصادق عليه السلام، قال فى قوله تعالى:

«وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ».

كلمات فى محمّد و على و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه من ذريتهم عليهم السلام فنى هكذا و الله انزلت على محمّد صلى الله عليه و آله.

أقول: و الظاهر أنّ المراد بتلك الكلمات حسبما يستفاد من الأخبار التى يأتى بعضها(١) هو إقرار آدم بفضيله محمّد و آله المعصومين عليهم السلام و اعتقاده لشرافتهم و عدم تمّيه منزلتهم، فنى تلك الكلمات و تمنى منزلتهم فأخرجه الله سبحانه من الجته (و استبدل بالجدل) و السرور خوفا و (وجلا و بالاعتزاز) أى العزه التى طلبها من أكل الشجره بتدليس ابليس و قوله لهما:

ص: ٩١

١- (١) و هو روايه العيون الآتية، منه

«ما نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ».

(ندما) و خييه، و لذلك:

«قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

تذنيبات

الاول

لقائل أن يقول: كيف تمكّن ابليس من وسوسه آدم مع كونه خارج الجنّة و كون

آدم في الجنّة؟

فنقول: قد اختلفوا فيه على أقوال.

أحدها ما حكى عن القصاص و هو الذى روى عن ابن عباس انه لما اراد إبليس أن يدخل الجنّة منعتة الخزنه فأتى الحيه و هى دابه لها أربع قوائم كأنها البختيه و هى كأحسن الدواب بعد ما عرض نفسه على ساير الحيوانات، فما قبله واحد منها فابتلعتة الحيه و أدخلته الجنّة خفيّه من الخزنه، فلما دخلت الحيه الجنّة خرج إبليس من فمها و اشتغل بالوسوسه فلا جرم لعنت الحيه و سقطت قوائمها و صارت تمشى على بطنها و جعل رزقها فى التراب و عدوا لبنى آدم.

و ثانيها أنه دخل الجنّة فى صوره دابه.

و ثالثها ما قاله بعض الأصوليين: إنّ آدم و حواء لعلهما كانا يخرجان إلى باب الجنّة و إبليس كان يقرب و يوسوس إليهما.

و رابعها أنّ إبليس كان فى الأرض و أوصل الوسوسه إليهما فى الجنّة.

أقول: و الأظهر هو القول الأوّل، لبعء الزابع من حيث إنّ الوسوسه عباره عن الكلام الخفى و الكلام الخفى لا يمكنه ايصاله من بعد، و الثالث و الثانى لم يرد بهما خبر، و الموجود فى أخبارنا أنّ ايقاع الشيطان لهما فيما نهيا عنه قد كان بسبب الحيه، و ذلك على ما حكاه المفسر الفيض فى الصافى و المحدث الجزائرى فى الأنوار

هو أنّ الشيطان لما اخرج من الجنة لم يقدر على الدخول إليها بنفسه فأتى إلى جدار الجنة و رأى الحيّه على أعلى الجدار، فقال لها ادخلينى الجنة و أعلمك الاسم الأعظم، فقالت له: الملائكه تحرس الجنة فيرونك، فقال لها: ادخل فى فمك و ابقى علىّ حتى أدخل، ففعلت، و من ثم صار السمّ فى أنيابها و فى فمها لمكان جلوس ابليس فيه، فلما أدخلته قالت له: أين الاسم الأعظم؟ فقال لها: لو كنت أعلمه لما احتجت إليك فى الدخول، فأتى إلى آدم و بدء به فقال:

«ما نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ».

ان تناولتما منها تعلمان الغيب و تقدران على ما يقدر عليه من خصّه الله بالقدره.

«أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ» لا تموتان أبدا «وَقَاسَمَهُمَا» حلف لهما «إِنِّي لَكُما لِمِنَ النَّاصِحِينَ».

و كان إبليس بين لحيى الحيّه و كان آدم يظنّ أنّ الحيه هى التى تخاطبه و لم يعلم أنّ ابليس قد اختبى بين لحيى الحيّه فردّ آدم على الحيّه أنّ هذا من غرور إبليس كيف يخوننا ربنا أم كيف تعظمن الله بالقسم به و أنت تنسبينه إلى الخيانه و سوء الظنّ و هو أكرم الأكرمين أم كيف أروم التوصل إلى ما منعى منه ربي و أتعاطاه بغير حكمه، فلمّا آيس إبليس من قبول آدم فأتى إلى حواء و خاطبها من حيث يوهمها هى التى تخاطبها(1)، و قال: يا حواء أ رأيت هذه الشجره التى كان الله عزّ و جلّ حرّمها عليكما فقد أحلّها لكما بعد تحريمها، لما عرف من حسن طاعتكما له و توقير كما إياه و ذلك أنّ الملائكه الموكلين بالشجره الذين معهم الحراب يدفعون عنها ساير حيوانات الجنة لا يدفعك عنها إذ رمتها فاعلمى بذلك أنّه قد أحلّ لك و ابشرى بأنك إن تناولتها قبل آدم كنت أنت المسلطه عليه الأمره النّاهيه فوقها، فقالت حواء سوف اجزّب هذا فرامت فأرادت الملائكه أن يدفعوها عنها بحرابها، فأوحى الله

ص: ٩٣

١- (١) يعنى ان المخاطبه لها هى الحيه منه.

إليهم إنما تدفعون بحرابكم من لا- عقل له بزجره، فأما من جعلته ممكنا مميزا فكلوه إلى عقله الذى جعلته حجّه عليه فان أطاع استحقّ ثوابى و جزائى، فتركوها و لم يتعرضوا لها بعد ما همّوا بمنعها بحرابهم، فظنت أنّ الله ما نهيمهم، لأنّه قد أحلّها بعد ما حرّمها، فقالت صدقت الحّيّه و ظنّنت أنّ المخاطب بها الحّيّه، فتناولت منها و لم تنكر من نفسها شيئا، فأتت حواء إلى آدم فصارت عوناً للشيطان عليه، و قالت ألم تعلم أنّ الشجره المحرّمه علينا قد ابيحت لنا تناولتها و لم يمنعنى منه أملاكها و لم انكر شيئا من حالى، و لذلك اغترّ آدم فقام آدم معها إلى الأكل من الشجره فكانت أوّل قدم مشت إلى الخطيئه، فلما مدّ أيديهما إليها تطاير ما عليهما من الحلّى و الحلل و بقيا عريانين فأخذوا من ورق التين فوضعا على عورتيهما، فتطاير الورق فوضع آدم يده على عورته و الأخرى على رأسه كما هو شأن العراه.

و يستفاد من بعض الاخبار أنّ هذا هو العلّه فى وجوب الوضوء، و هو ما رواه الصّيدوق طاب ثراه فى الفقيه قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فسألوه عن مسائل و كان فيما سألوه أخبرنا يا محمّد لأىّ علّه توضع هذه الجوارح الأربع و هى أنظف المواضع فى الجسد؟ قال النبىّ صلّى الله عليه و آله: لمّا أن وسوس الشيطان إلى آدم عليه السّلام دنا من الشجره فنظر إليها فذهب ماء وجهه، ثمّ قام و مشى إليها و هى أوّل قدم مشت إلى الخطيئه، ثمّ تناول بيده منها ما عليها فأكل فطار الحلّى و الحلل عن جسده، فوضع آدم يده على أمّ رأسه و بكى فلمّا تاب الله عزّ و جلّ عليه فرض عليه و على ذريّته تطهير هذه الجوارح الأربع، فأمر الله بغسل الوجه لما نظر إلى الشجره، و أمره بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول بهما، و أمره بمسح الرّأس لما وضع يده على أمّ رأسه و أمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئه و قد ذكر فيه علّه اخرى له رواها عن أبى الحسن علىّ بن موسى الرضا عليهما السّلام و لا ربط لها بالمقام، و لا يذهب عليك أن توارد العلل المتعدده على معلول واحد فى العناوين الشرعيه لا ضير فيه، لأنّها من قبيل المعارف و ليست عللا حقيقيه كما هو ظاهر

قد اختلف الأخبار كالأقوال فى الشجره المنهيه

، ففى روايه أنها شجره الحسد، و فى اخرى أنها شجره الكافور، و فى ثالثه أنها شجره الحنطه و عن تفسير الامام أنها شجره علم محمد و آل محمد عليهم السلام آثرهم الله بها دون ساير خلقه لا يتناول منها بأمر الله إلا هم، و منها ما كان يتناوله النبى و على و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام بعد إطعامهم المسكين و اليتيم و الأسير حتى لم يحسوا بجوع و لا عطش و لا تعب و لا نصب، و هى شجره تميزت من بين ساير الأشجار بأن كلاً منها إنما يحمل نوعاً من الثمار، و كانت هذه الشجره و جنسها تحمل البرّ و العنب و التين و العنّاب و ساير أنواع الثمار و الفواكه و الأطمه فلذلك اختلف الحاكون بذكرها، فقال بعضهم: برّه، و قال آخرون: هى عنبه، و قال آخرون: هى عنابه و هى الشجره التى من تناول منها باذن الله لهم علم الأولين و الآخرين من غير تعلم، و من تناول بغير اذن الله خاب مراده و عصى ربه و عن العيون باسناده إلى عبد السلام بن صالح الهروى قال: قلت للرّضا عليه السلام يا بن رسول الله أخبرنى عن الشجره التى أكل منها آدم و حواء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من يروى أنها الحنطه، و منهم من يروى أنها العنب، و منهم من يروى أنها شجره الحسد، فقال عليه السلام: كل ذلك حق؟ قلت: فما معنى الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصيّلت إنّ شجره الجنّه تحمل أنواعاً، و كانت شجره الحنطه و فيها عنب ليست كشجره الدنيا، و إنّ آدم لما أكرمه الله تعالى ذكره باسجاده ملائكته و بادخاله الجنّه قال فى نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل منى؟ فعلم الله عزّ و جلّ ما وقع فى نفسه فناده ارفع رأسك يا آدم و انظر إلى ساق عرشى، فرفع رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً: لا إله الا الله محمد رسول الله علىّ بن أبى طالب أمير المؤمنين و زوجته فاطمه سيده نساء العالمين و الحسن و الحسين سيّد شباب أهل الجنّه، فقال آدم: يا ربّ، من هؤلاء؟ فقال عزّ و جلّ: هؤلاء من ذريّتك، و هم خير منك و من جميع خلقى و لولا هم ما

خلقتك و لا- خلقت الجنه و النار و لا السماء و لا الأرض فأياك أن تنظر إليهم بعين الحسد فاخرجك عن جوارى فنظر إليهم بعين الحسد و تمنى منزلتهم فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجره التي نهى عنها و تسلط على حواء لنظرها إلى فاطمه بعين الحسد حتى أكلت من الشجره كما أكل آدم، فأخرجهما الله عن جنته و أهبطهما عن جواره إلى الارض هذا.

و قال بعض العارفين (1): كما أنّ لبدن الانسان غذاء من الحبوب و الفواكه، كذلك لروحه غذاء من العلوم و المعارف، و كما أنّ لغذاء بدنه أشجارا تثمرها، فكذلك لروحه أشجار تثمرها و لكلّ صنف منه ما يليق به من الغذاء، فإنّ من الانسان من يغلب فيه حكم البدن على الرّوح، و منهم من هو بالعكس، و لهم في ذلك درجات يتفاضل بها بعضهم على بعض، و لأهل الدرجه العليا كل ما لأهل الدرجه السفلى و زياده، و لكلّ فاكهه في العالم الجسماني مثال في العالم الرّوحاني مناسب لها، و لهذا فسّرت الشجره تاره بشجره الفواكه، و اخرى بشجره العلوم، و كان شجره علم محمّد إشاره إلى المحبوبيّه الكامله المثمره لجميع الكمالات الانسانيه المقتضيه للتوحيد المحمدي الذي هو الفناء في الله و البقاء بالله المشار إليه بقوله صلى الله عليه و آله: لى مع الله وقت لا- يسعنى فيه ملكك مقرب و لا- نبى مرسل، فان فيها من ثمار المعارف كلّها، و شجره الكافور إشاره إلى برد اليقين الموجب للطمأنينه الكامله المستلزمه للخلق العظيم الذى كان لنبينا صلى الله عليه و آله و دونه لأهل بيته، فلا منافاه بين الرّوايات و لا- بينها و بين ما قالها أهل التأويل إنّها شجره الهوى و الطبيعه لأنّ قربها إنّما يكون بالهوى و الشهوه الطبيعيه، و هذا معنى ما ورد أنّها شجره الحسد: فإنّ الحسد إنّما ينشأ منها، انتهى.

و قد تلخّص منه و من الرّوايات السالفه أنّ آدم كما أكل من الشجره المنهيه التي هي شجره الفاكهه في عالم الظاهر، فكذلك أكل في عالم الباطن و الحقيقه من الشجره

ص: ٩٤

المختصه بآل محمّد عليهم السّلام التي غرسها الله لهم بيد قدرته، فطابق ظاهره و باطنه في ارتكاب الخطيئه و كان ذلك سببا لاهباطه إلى دار البليئه.

و في بعض الأخبار أنّ ذلك أيضا سبب لوجوب غسل الجنابه و لزياده حظّ الذّكر من الانثى في الميراث.

و هو ما رواه الصّيدوق في الفقيه قال: جاء نفر من اليهود إلى النّبي صلّى الله عليه و آله فسأله أعلمهم عن مسائل فكان فيما سأله أن قال: لأىّ شيء أمر الله تعالى بالاعتسال من الجنابه و لم يأمر بالغسل من الغائط و البول؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّ آدم لمّا أكل من الشّجره دبّ (١) ذلك في عروقه و شعره و بشره، فاذا جامع الرّجل أهله خرج الماء من كلّ عرق و شعره في جسده، فأوجب الله تعالى على ذرّيته الاعتسال من الجنابه إلى يوم القيامة، و البول يخرج من فضله الشّراب الذي يشربه الانسان، و الغايط يخرج من فضله الطعام الذي يأكله الانسان، فعليه في ذلك الوضوء، قال اليهودى: صدقت يا محمّد.

و في العيون باسناده عن الرّضا عن آبائه عليهم السّلام في حديث الشّامى مع أمير المؤمنين عليه السّلام و سأله لم صارت الميراث للذّكر مثل حظّ الانثيين؟ فقال عليه السّلام:

من قبل السّينبله كانت عليها ثلاث حبّات، فبادرت إليها حواء فأكلت منها حبّه و أطعمت آدم حبّتين، فلذلك ورث الذّكر مثل حظّ الانثيين.

الثالث

اعلم أنّ النّاس اختلفوا في عصمه الأنبياء عليهم السّلام على أقوال شتى

،

و ينبغي أن نشير أولاً إلى معنى العصمه

فنقول: العصمه في اللّغه اسم من عصمه الله من المكروه يعصمه من باب ضرب أى حفظه و وقاه و منعه عنه، و في الاصطلاح هي ملكه اجتناب المعاصى مع التمكن منها.

و قيل هي ملكه تمتنع الفجور و يحصل بها العلم بمعاييب المعاصى و مناقب الطاعات.

ص: ٩٧

١- (١) دب يدب دبا و دبيبا الماشى على الارض، ق.

و قال الرّاعب: هي فيض إلهي يقوى بها الانسان على تحزّي الخير و تجنّب الشرّ حتّى تصير كمانع له و ان لم يكن منعاً محسوساً.

و قال العلامة في الباب الحادى عشر: العصمه لطف خفى يفعل الله تعالى بالمكلف بحيث لا يكون له داع إلى ترك الطاعة و ارتكاب المعصيه مع قدرته على ذلك.

و قال المرتضى في كتاب الدرر و الغرر: العصمه هي اللطف يفعل الله تعالى فيختار العبد عنده الامتناع من فعل القبيح، فيقال على هذا: إنّ الله عصمه بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبيح، و يقال: إنّ العبد معصوم، لأنّه اختار عند هذا الداعى الذى فعل له الامتناع من القبيح، و أصل العصمه فى موضوع اللغه المنع، يقال: عصمت فلانا من السوء إذا منعت من حلوله به، غير أنّ المتكلمين أجروا هذه اللفظه على من امتنع باختياره عند اللطف الذى يفعل الله تعالى به، لأنّه إذا فعل ما يعلم أنّه يمتنع عنده من فعل القبيح فقد منعه من القبيح فأجروا عليه لفظه المانع قهراً و قسراً و أهل اللغه يتعارفون ذلك أيضاً و يستعملونه، لأنهم يقولون فيمن أشار على غيره برأى فقبله منه مختاراً، و احتتمى بذلك من ضرر يلحقه و سوء يناله أنّه حماه (1) من ذلك الضرر و منعه و عصمه منه، و إن كان على سبيل الاختيار انتهى.

و قد ظهر ممّا ذكرنا كلّهُ أنّ العصمه ملكه مانعه عن ارتكاب المعاصى و موجه لاتبان الطاعات على وجه الاختيار، فما ذهب إليه بعضهم من أنّ المعصوم مجبول عليهما و أنّه لا يمكنه الاتيان بالمعاصى باطل جدّاً و إلاّ لما استحقّ مدحا كما هو ظاهر.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ الثّياس اختلفوا فى عصمه الأنبياء على أقوال كثيره قال الفخر الرّازى و ضبط القول فيه أن يقال: الاختلاف فى هذا الباب يرجع إلى أقسام أربعه:

ص: ٩٨

١- (١) أى حفظه.

أحدها ما يقع فى باب الاعتقاد.

و ثانيها ما يقع فى باب التبليغ.

و ثالثها فى باب الأحكام و الفتيا.

و رابعها ما يقع على أفعالهم و سيرتهم.

أما اعتقادهم الكفر و الضلال فان ذلك غير جازع عند أكثر الامه، و قالت الفضليه من الخوارج: إنهم قد وقعت منهم الذنوب و الذنب عندهم كفر و شرك فلا جرم قالوا: بوقوع الكفر منهم، و أجازت الاماميه عليهم إظهار الكفر على سبيل التقية.

أمّا النوع الثانى و هو ما يقع بالتبليغ فقد أجمعت الأمه على كونهم معصومين عن الكذب و التحريف فيما يتعلق بالتبليغ، و إلا لارتفع الوثوق بالأداء، و اتفقوا على أن ذلك كما لا يجوز وقوعه منهم عمدا لا يجوز أيضا سهوا، و من الناس من جوز ذلك سهوا قالوا: لأن الاحتراز عنه غير ممكن.

و أمّا النوع الثالث و هو ما يتعلق بالفتيا فأجمعوا على أنه لا يجوز خطأهم فيه على سبيل التعمد، و أما على سبيل السهو فجوزة بعضهم، و أباه آخرون.

و أما النوع الرابع و هو الذى يقع فى أفعالهم فقد اختلفت الامه فيه على أقوال خمس:

أحدها قول من جوز عليهم الكبائر على جهه العمد و هو قول الحشويه.

و الثانى قول من لا يجوز عليهم الكبائر لكنّه يجوز عليهم الصغائر على جهه العمد إلا ما ينفر كالكذب و التطيف، و هذا قول أكثر المعتزله.

القول الثالث أنه لا يجوز أن يأتوا بصغيره و لا بكبيره على جهه العمد ألته، بل على جهه التأويل و هو قول الجبائى.

القول الرابع أنه لا يقع منهم الذنب إلا على جهه السهو و الخطاء، و لكنهم مأخوذون بما يقع منهم على هذه الجهه و ان كان ذلك موضوعا عن امتهم، و ذلك

لأن معرفتهم أقوى و دلائلهم أكثر، و أنهم يقدرون من التحفظ على ما لا يقدر عليه غيرهم.

القول الخامس أنه لا يقع منهم الذنب لا الكبيره و لا الصغيره لا على سبيل القصد و لا على سبيل السهو و لا على سبيل التأويل و الخطاء و هو مذهب الرافضه.

و اختلف الناس فى وقت العصمه على ثلاثه أقوال:

أحدها قول من ذهب أنهم معصومون من وقت مولدهم، و هو قول الرافضه.

و ثانيها قول من ذهب إلى أن وقت عصمتهم وقت بلوغهم و لم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر و الكبيره قبل النبوه، و هو قول كثير من المعتزله.

و ثالثها قول من ذهب إلى أن ذلك وقت النبوه، أما قبل النبوه فجائز و هو قول أكثر اصحابنا و قول أبى الهذيل و أبى على من المعتزله، انتهى ما اهمنا نقله من كلامه.

و قد ظهر منه أن الشيعه لا يجوزون عليهم المعاصى مطلقا.

و أميا ما ذكره من أن الاماميه أجازت عليهم إظهار الكفر على سبيل التقيه فهو افتراء عليهم، و إنما هو شىء ذكره صاحب المواقف، و كيف يجوزون إظهار الكفر للأنبياء و الأئمه مع تأييدهم بالنفوس القدسيه و القوى الربانيه، و ما هذه النسبه إلا فريه بينه و بهتان عظيم.

و أميا ما ذكره من أن الشيعه لا يجوزون عليهم المعاصى مطلقا فهو حقّ و لهم على ذلك أدله عقليه و نقلية ذكروها فى كتبهم الكلاميه و التفاسير القرآنيه.

منها أن متابعه النبى واجب لقوله: فاتبعونى، فلو كان عاصيا و جب الاقتداء عليه فى معصيته فيفضى إلى الجمع بين الحرمه و الوجوب و هو محال و إذا ثبت ذلك فى حق النبى ثبت فى حق ساير الأنبياء لعدم القول بالفصل.

و منها أنه لو أقدم على المعصيه لوجب زجره عنها من باب النهى عن المنكر مع أن زجرهم و ايدائهم محرّم لقوله:

«إِنَّ الدِّينَ يُؤَدُّونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

و منها أنه لا شيء أقبح عند العقل من نبى رفع الله درجته و ائتمنه على وحيه و جعله خليفه فى بلاده و عباده يسمع نداء ربه أن لا تفعل كذا فيقدم عليه ترجيحاً للذته و غير ملتفت إلى نهى ربه و لا منزجر بوعيده هذا معلوم القبح بالضرورة.

و منها أنه لو لم يكونوا معصومين لانتفت فايده البعثة و اللازم باطل فالملزوم مثله، بيان الملازمه أنه إذا جازت المعصيه عليهم لم يحصل الوثوق بصحة قولهم لجواز الكذب حينئذ عليهم، و إذا لم يحصل الوثوق لم يحصل الانقياد لأمرهم و نهيمهم فينتفى فائده بعثتهم و هو محال هذا.

و قد ذكروا أدله كثيره وراء ما ذكرنا عليك بمطالبتها من مواقعها.

فان قلت: غايه ما يستفاد من تلك الأدله هو كونهم معصومين بعد البعثة على ما ذهب إليه الأشاعره و طائفه من المعتزله. و لا دلاله فيها على وجوب العصمه قبلها أيضا كما هو مذهب الشيعة.

قلنا: إذا تمت دلالتها على ما بعد البعثة فنقول فيما قبل البعثة: إن من الواضح أن القلوب تشمئز و لا يتقاد إلى طاعه من عهد منه فى سالف عمره أنواع المعاصى و الكبائر و ما تنفر النفس عنه، ألا ترى أن عالما لم يكن له مبالاه فى أفعاله و أقواله قبل تحصيله و فى أيام صغره، لا يكون له وقع فى القلوب بعد ما كمل و بلغ من العلم و الكمال غايته.

إذا مهدت هذا فنقول: ما ورد فى الكتاب العزيز و الأخبار مما يوهم صدور الذنب عنهم الذى جعله الخصم دليلا على مذهبه لا بد من حمله على ترك الأولى جمعا بينها و بين أدله العصمه العقلية و الثقليه مع أن جميع الأدله الموهمه لخلاف العصمه قد ذكر له وجوه و محامل فى مواضعه و عليك فى ذلك بمطالعه كتاب تنزيه الأنبياء الذى رتبته علم الهدى المرتضى رضى الله عنه و غيره من الكتب المعده لذلك، و لو لا خوف الاطاله لذكرنا نبذه منه إلا أنه لا بأس بذكر ما يوهم ذلك فى قصه

آدم عليه السلام الذي تمسك به الخصم و هو سبعة أوجه.

الأول أنه كان عاصيا لقوله: و عصى آدم ربّه، و العاصى صاحب الكبره لأنه قد توعّد عليه بالعقاب، قال سبحانه:

«وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ».

الثانى أنه كان غاويا لقوله: فغوى، و الغى ضدّ الرشد يدلّ عليه المقابله فى قوله:

«قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَىِّ».

الثالث أنه تائب لقوله:

«ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ».

و التّوبه إنّما هو عن الذّنب.

الرّابع ارتكابه المنهى عنه كما يشهد به توبيخه بقوله:

«أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ» و يدلّ عليه قوله:

«وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ».

و مرتكب المنهى عنه مذنب.

الخامس أنه ظالم لقوله:

«فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ» و قوله حكايه عنهما «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا».

و الظلم ذنب بالضروره.

السادس اعترافه بأنه لو لا مغفره الله إياه لكان خاسرا فى قوله:

«وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

و الخسران إنّما يكون عن الذّنب:

السابع أنه أخرج من الجنّه بسبب إطااعته للشيطان و قبوله لوسوسته و ازالاه و ذلك يقتضى كونه مذنبا هذا.

و الجواب عن الأوّل أنّ كون آدم عاصيا مسلّم، و أمّا أنّ كلّ عاص صاحب كبيره فممنوع، لأنّ المعصيه عباره عن مخالفه الأمر واجبا كان أو مندوبا، فإنهم يقولون أشرت عليه في أمر ولده في كذا فعصاني، بل يطلق على مخالفه الاوامر الارشاديّه أيضا كما يقولون: أمرته بشرب الدّواء فعصاني، و قال عمر و بن العاص لمعاويه:

أمرتك أمرا جازما فعصيتني و كان من التّوفيق قتل ابن هاشم

و قال ابن المنذر ليزيد بن المهلب أمير خراسان:

أمرتك أمرا جازما فعصيتني فأصبحت مسلوب الاماره نادما

إذا عرفت ذلك فنقول: لا يمتنع اطلاق اسم العصيان على فعل آدم عليه السّلام، لا لكونه تاركا للواجب، بل لكونه تاركا للأولى من باب حسنات الأبرار سيئات المقرّبين و أمّا ما قيل في الاستدلال من أنّ العاصي قد توعد عليه بالعقاب في قوله:

و من يعص الله الاية، فنقول: إنّ الاية و إن كانت مفيدة للعموم بدلاله لفظه من إلّا- أنّها مخصوصه بالعاصي بترك الأوامر الواجبه، لا مطلق الأوامر ضروره أنّ المندوب لا عقاب على تركه.

و يشهد بما ذكرنا من عدم كون الأمر في المقام إلزاميا أنّه على تقدير كونه للالزام لزم استحقاق آدم للعقاب بنصّ الايه الشريفه أعنى قوله: و من يعص الله الايه و كيف لأحد أن يجترى و يجسر على هذه الدّعوى و يجيز العقاب على الأنبياء الذين هم أعلام الهدى و العروه الوثقى إن هذا إلّا بهتان عظيم و افتراء.

و عن الثّاني سلّمنا أنّ الغيّ عباره عن ضدّ الرّشد إلّا أنّ الرّشد هو أن يتوصل بشيء إلى شيء يوصل إلى المقصود، فمن توّصل بشيء إلى شيء فحصل له ضدّ مقصوده كان ذلك غيّا كما قال الشّاعر:

فمن يلق خيرا يحمد النّاس أمره و من يغو لم يعدم على الغيّ لائما

و على ذلك فمعنى قوله سبحانه: فغوى، فخاب ممّا كان يطمع فيه بأكل الشّجره من الخلود في الجنّه و الملك الدّائم.

و عن الثّالث أنّا نمنع من أنّ التّوبه لا يكون إلّا عن ذنب لأنّه عباره عن

النَّدَم على ما مضى فيجوز على ترك المندوب و سيأتي تحقيق له في الفصل الآتي.

و عن الزابغ المنع من كون مرتكب المنهَى عنه مذنباً مطلقاً و إنما هو في ارتكاب المناهى التحريميه، و أما مخالفه النهى التنزيهى فلا يكون ذنباً، و ذلك لأنَّ آدم كان مندوباً؟؟؟ إلى ترك التناول من الشجره و كان بالتناول منها تاركاً نفلًا و فضلاً و لم يكن فاعلاً للقيح، لأنَّ القبيح ما يستحقُّ فاعله للعقاب و قد علمت أنَّ العقاب منفى عن الأنبياء، و من أجاز العقاب عليهم فقد أساء عليهم الثناء و أعظم الفريه على الله تعالى.

فان قيل: ألم يكن إخراج آدم و إهباطه إلى الأرض عقوبه له؟ قلت: إنَّ آدم لم يكن مخلوقاً للجنه و إنما خلقه الله سبحانه ليكون خليفه في الأرض كما يشهد به إخباره سبحانه للملائكه قبل خلق آدم بقوله:

«إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً».

و إنما كان إسكانه في الجنه من باب التفضّل و الاكرام.

و عن الخامس بأنَّ الظالم ربّما يقال على من بخس نفسه الثواب، فنقول:

لا- شكَّ أنّه كان تاركاً للأفضل مع القدره على تحصيل الأفضل فكان ذلك ظلماً على نفسه فالظلم هو النقص و بخس الثواب بترك المندوب.

و عن السادس بأنَّ الخسران عباره عن عدم الرّبح، و من الواضح أنّه لو لم يقدم على أكل الشجره حصل له الثواب الموعود من الله سبحانه من الأكل الرّغيد و العيش السّعيد، و بالاقدام عليه حصل له الخسران و فوّت المنفعه على نفسه و حاصله منع أنّ الخسران لا يكون إلا عن ذنب.

و عن السابع بما ذكرناه سابقاً من أنّ آدم خلق لأن يكون خليفه في الأرض و ليس في إهباطه إلى الأرض دلالة على كونه مذنباً، نعم يمكن أن يقال:

إنَّ تركه للأولى كان سبباً لتعجيل الهبوط، لاحتمال تغير المصلحه في البقاء بحصول الأكل هذا.

و بقى الكلام فى أنّ أكل آدم من الشجره هل كان على سبيل السهو و النسيان أو على سبيل العمد و القصد.

المستفاد من بعض الأخبار هو الأول، و هو رواه على بن ابراهيم عن أبى جعفر عليه السلام التى سبقت عند شرح قوله عليه السلام و العزيمه بوهنه.

و ربّما اورد عليه بأنّه لو كان ناسيا لما عوتب على ذلك الفعل، لعدم القدره على التّرك مع النسيان و تكليف الغافل قبيح عقلا.

و فيه أنّ العتاب يحتمل أن يكون على ترك التحفّظ لأنّ استقلال العقل بقبح المؤاخذه على النسيان مطلقا ممنوع لأنّ النسيان الصّادر عن ترك التحفّظ لا يقبح المؤاخذه عليه، و لذلك صحّ دعاء النّبى صلّى الله عليه و آله و استيهابه لها من ربّه ليله المعراج بقوله:

«رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا» الآية.

و هذه المؤاخذه هى التى منّ برفعها على امّه النّبى صلّى الله عليه و آله و خصّت به من بين الامم كما يدلّ عليه حديث رفع التسعه الذى رواه الصّدوق فى الخصال و التوحيد عن النّبى صلّى الله عليه و آله.

و هو أنّه صلّى الله عليه و آله قال: رفع عن امّتى تسعه أشياء: الخطاء، و النسيان، و ما استكروها عليه، و ما لا يعلمون، و ما لا يطيقون، و ما اضطرّوا إليه، و الحسد، و الطيره، و التفكّر فى الوسوسه فى الخلق ما لم ينطق الانسان بشفه، و بالجمله المؤاخذه على النسيان مع التحفّظ قبيحه عقلا و اجماعا، و أما مع عدمه فليس فيها قبح، و لذلك استوهبها النّبى صلّى الله عليه و آله ليله المعراج و منّ الله على امّته برفعها منها من باب التفضّل و الانعام.

و أما الثّانى أعنى إقدامه على الأكل مع العمد فقد ذهب إليه جمع من المفسّرين من العامه و الخاصّه، ثمّ اختلفوا فيه على أقوال أحدها أنّ ذلك النهى كان نهى تنزيه لا نهى تحريم، و قد علمت أنّه مذهب الاماميه.

الثاني أنه كان عمداً من آدم و كان ذلك كبيره و كان آدم نبياً في ذلك الوقت و هو مذهب الفضليه من الخوارج خذلهم الله.

الثالث ما عزاه الفخر الرازي إلى أكثر المعتزله، و هو أنه أقدم على الأكل بسبب اجتهاد أخطأ فيه، و ذلك لا يقتضى كون الذنب كبيره، بيان الاجتهاد و الخطاء أنه لما قيل له و لا تقربا هذه الشجره فلفظه هذه قد يراد بها الشخص، و قد يشار بها إلى النوع، فلما سمع آدم قوله: و لا- تقربا هذه الشجره، ظنّ آدم أنّ المراد بها الشجره المشخصه المعينه. فترك الأكل منها و تناول من شجره اخرى من نوعها إلا- أنه كان مخطئاً في ذلك الاجتهاد، لأنّ مراده سبحانه من كلمه هذه كان النوع لا الشخص، و الخطاء في الفروع إذا كان خطأ لا يوجب استحقاق العقاب، لاحتمال كونه صغيره مغفوره كما في شرعنا أقول: و مثل هذه المقاله قد ورد في بعض أخبارنا، و هو ما رواه الصدوق في العيون كالطبرسى في الاحتجاج عن عليّ بن محمّد بن الجهم، قال حضرت مجلس المأمون و عنده الرضا عليه السّلام، فقال له المأمون: يا بن رسول الله أليس من قولك إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، فقال: ما معنى قول الله عزّ و جلّ:

«وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى».

فقال عليه السّلام: إنّ الله تبارك و تعالى قال لآدم «أَسِيْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ».

و أشار لهما إلى شجره الحنطه «فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ».

و لم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجره و لا ممّا كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجره و إنّما أكلا من غيرها لما أن و سوس الشيطان إليهما و قال: إنّما نهيكما

رَبِّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَ مَا نَهَيْكُمَا أَنْ تَقْرَبَا غَيْرَهَا وَ لَمْ يَنْهَيْكُمَا عَنِ الْأَكْلِ مِنْهَا:

«إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَ قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ».

و لم يكن آدم و حواء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا «فَدَلَاهُمَا بِعُرْوَةٍ...» «فَأَكَلَا مِنْهَا».

ثقه بيمينه بالله و كان ذلك من آدم قبل النبوه و لم يكن ذلك بذنوب كبير استحق دخول النار به و إنما كان من الصغائر الموهوبه التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي إليهم فلما اجتبيه الله و جعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيره و لا كبيره قال الله:

«وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى» و قال:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ» الحديث أقول: و هذا الحديث كما ترى مطابق لمذهب المعتزله كما حكيناه عنهم، و مخالف لاصول الاماميه لتصريح ذيله بجواز صدور الصغيره على الأنبياء قبل نزول الوحي فلا بد إما من طرحه لضعف سنده من حيث الارسال كما فى الاحتجاج، أو انتهاء سلسله السند إلى تميم بن عبد الله بن تميم القرشى كما فى العيون، فإن السند فيه حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشى، قال حدثنى أبى عن حمدان بن سليمان النيسابورى عن على بن محمّد بن الجهم، و قد ضعفه العلامة فى الخلاصه حيث قال:

تميم بن عبد الله بن تميم القرشى الذى روى عنه أبو جعفر محمّد بن بابويه ضعيف أو حملة على التقيّه و إن بعدت، أو تأويله بما يطابق اصول المذهب، و قد أوله الطبرسى على ما رأيت فى حاشيه بعض نسخ الاحتجاج بقوله: و لعلّ الرضا عليه السلام أراد بالصغائر الموهوبه ترك المندوبه و ارتكاب المكروه من الفعل دون الفعل القبيح

و فيه أنّ ما ذكره وإن كان مقتضى أصول المذهب إلاّ أنّ تأويل الرواية به غير ممكن، لأنّ الصغائر بالمعنى الذى ذكره لا اختصاص لها بما قبل نزول الوحي حسبما ورد فى الرواية، ولا يجب العصمة عنها بعد النبوه أيضا كما يفهمه قوله عليه السّلام:

فلما اجتبيه الله و جعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيره و مثل هذا الاشكال يلوح على روايه اخرى نظير تلك الروايه، و هى ما رواه فى العيون أيضا باسناده عن أبى الصّيمت الهروى قال لَمَّا جمع المأمون لعلّى بن موسى الرضا عليهما السلام أهل المقالات من أهل الاسلام و الدّيانات من اليهود و النصارى و المجوس و الصّابئين و ساير أهل المقالات، فلم يَقم أحد إلا و قد ألزمه حجّته كأنه ألقمه حجرا، قام إليه علّى بن محمّد بن الجهم، فقال له يابن رسول الله: أتقول: بعصمه الأنبياء عليهم السلام؟ قال عليه السّلام: نعم، قال: فما تقول بقول الله:

«وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى».

إلى أن قال: فقال الرضا عليه السّلام: ويحك يا علّى أتق الله و لا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش و لا تتأوّل كتاب الله برأيك فإنّ الله عزّ و جل قد قال:

«وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ».

و أمّا قوله عزّ و جلّ فى آدم: و عصى آدم ربه فغوى فإنّ الله عزّ و جلّ خلق آدم حجّه فى أرضه و خليفه فى بلاده، لم يخلقه للجنّه و كانت المعصيه من آدم فى الجنّه لا فى الأرض و عصمته يحب أن يكون فى الأرض ليتمّ مقادير أمر الله، فلما اهبط إلى الأرض و جعل حجّه و خليفه عصم بقوله عزّ و جلّ:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ».

الحديث، و عسى أن يكون للروايتين تأويل عند غيرى و فوق كلّ ذى علم عليم هذا و يلوح على الروايه الاولى إشكال آخر و هو أنّه عليه السّلام قد ذكر أنّ المشار إليها بقوله و لا تقربا هذه الشجره الحنطه، و لم يقل لهما: لا تأكلا من هذه

الشجرة، و لا ممّا كان من جنسها فلم يقربا هذه و إنّما أكلا من غيرها بتدليس ابليس.

و حاصل الاشكال أن يقال: المشار إليها بهذه إمّا أن تكون شخص الشجرة، و إمّا أن تكون نوعها، فعلى الأوّل لا يكون أكله من غيرها ممّا هي من نوعها تركا للأولى على مذهبنا و ذنبا على مذهب غيرنا، فأى توبيخ كان من الله سبحانه عليه فى فعله ذلك، و على الثّانى كيف يمكن تدليس الشيطان لهما بقوله: أنّما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة و ما نهيكما أن تقربا غيرها حسبما ورد فى الرواية مضافا إلى أنّ اللازم على الله سبحانه نصب القرينه على إرادته النوع، بأن يقول:

و لا تقربا هذه الشجرة و لا غيرها ممّا كان من نوعها، لقبح الاغراء بالجهل و تأخير البيان عن وقت الحاجة.

و يمكن رفع الاشكال بأن يقال: إنّ المنهى عنه إنّما كان نوع الشجرة، و كلمه هذه قد يشار بها إلى الشخص، و قد يشار بها إلى النوع، فقوله: و لا تقربا هذه الشجرة، مع عدم نصب القرينه من قبيل الخطاب بالمجمل لا أنّ الخطاب مجمل بل متعلق الخطاب أعنى المكلف به مردّد بين الكلّى و الفرد، و نفس الخطاب أعنى التكليف بالاجتناب معلوم، فاللازم على آدم عليه السّلام حينئذ هو الاحتياط بالاجتناب عن جميع الأفراد، و قد دلّسه الشيطان و أوقعه فى خلاف الاحتياط المقتضى للاجتناب، و قال له إنّ الله حيث لم ينصب قرينه على إرادته النوع فقد أباح النوع إلاّ الفرد الخاصّ فأكل من غير ذلك الفرد و استحقّ التوبيخ، و هذا ليس من قبيل الاغراء بالجهل، و لا من قبيل تأخير البيان عن وقت الحاجة، إذ نفس التكليف قد كان معلوما بالعلم التفصيلى لا جهاله فيه أصلا، و لا- حاجه له إلى البيان غايه الأمر كون المكلف به مجملا- مردّدا بين أمرين و العقل حاكم فيه بوجوب الاحتياط بترك المحتملات، هذا ما نقده الخاطر القاصر فى المقام، و العلم بحقايق الأمور و الأحكام لله و لاوليائه الكرام عليهم السّلام.

پس از آن ساکن گردانید حق سبحانه و تعالی جناب آدم علی نبینا و آله و علیه السلام را در سرائی که وسیع نمود در آن عیش او را، و ایمن ساخت در آن محل او را از مکاره و آفات، و بترسانید او را از ابلیس لعین و دشمنی او، پس فریفته ساخت او را دشمن او بجهت بخل و حسد او بسکون او در سرای اقامت که بهشتست و به رفیق شدن او با نیکوکاران که ملائکه مقربین اند، پس بفروخت یقین بعبادت ابلیس را بشک در عداوت بجهت قسم خوردن او بخداوند که من از ناصحین هستم، و بفروخت عزیمت و اهمتامی که داشت در نخوردن از شجره بوهن و سستی خود که عارض شد او را بجهت تدلیس ابلیس، و استبدال کرد و بدل نمود فرح و سرور را بخشیت و ترس، و عزت و بزرگی را بندامت و پریشانی.

الفصل الثالث عشر

اشاره

ثم بسط الله له في توبته، و لقيه كلمة رحمة، و وعده المرء إلى جنته.

اللغة

(التوبه) الانابه و أصلها الرجوع عما سلف و الندم على ما فرط و (لقية) ألقاه من باب تعب لقاها استقبله و كل شيء استقبل شيئا أو صادفه فقد لقيه قال الطبرسي (ره) في تفسير: فتلقى آدم من ربه كلمات: التلقى نظير التلقن يقال: تلقيت منه أي أخذت و قبلت، و أصله من لقيت خيرا فيعدى إلى مفعول واحد ثم يعدى إلى مفعولين بتضعيف العين، نحو لقيت زيدا خيرا كقوله تعالى:

«وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا» أقول: و مثله قول الامام عليه السلام: و لقيه كلمة رحمة، و حكى الفخر الرازي عن الففال قال: أصل التلقى التعرض للقادم (1) يوضع في موضع الاستقبال للشئ

ص: ۱۱۰

۱- (۱) قول: و منه تلقى الركبان الوارد في الاخبار و في الكتب الفقهيه منه.

الجائي، ثم يوضع موضع القبول و الأخذ قال الله:

«وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ».

أى تلقنه، و يقال: تلقينا الحاج أى استقبلناه، و يقال: تلقيت هذه الكلمه من فلان أى أخذتها منه، و إذا كان هذا أصل الكلمه و كان من تلقى رجلا فتلاقيا لقي كل واحد صاحبه فاضيف الاجتماع إليهما معا، صلح أن يشتركا فى الوصف بذلك، فيقال: كل ما تلقيته فقد تلقاك، فجاز أن يقال: تلقى آدم كلمات أى أخذها و وعابها و استقبلها بالقبول، و جاز أن يقال تلقى كلمات بالرفع على معنى جائته عن الله كلمات و (المرد) كالرد مصدر من رده إذا صرفه.

الإعراب

مفعول بسط محذوف، و التقدير بسط الله له بساط رحمته و كرامته فى توبته، بأن جعلها مقترنه بالقبول، و على ما فى بعض النسخ من انتفاء كلمه له يجوز جعل بسط بمعنى سر يقال: بسط فلانا، أى سره فالمفعول حينئذ الضمير المحذوف الزاجع إلى آدم عليه السلام.

المعنى

إشارة

(ثم) إن آدم عليه السلام لمّا اغتره عدوه و أكل من الشجره و ارتكب خلاف الأولى و استبدل الاعتزاز بالندم (بسط الله له) بساط رحمته و كرامته (فى توبته) بأن ألهمها إليه و تقبلها بقبول حسن (و لقيه) أى لقنه (كلمه رحمته) التى اشير إليها فى قوله سبحانه:

«فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

(و وعده المرء) و الرجوع (الى جنّته) كما قال سبحانه فى سورة البقره:

«فَأَمَّا يَا تَبِئْتِكُمْ مَنِ هُدَى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» و فى سورة طه «فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى».

أن ظاهر كلام الامام عليه السلام كون توبه آدم قبل الالهباط من الجنه

حيث عطف الالهباط على بسط التوبه، و هو مقتضى الترتيب الذكرى فى الآيه من سوره طه، قال سبحانه:

«وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا». حيث جعل الأمر بالهبوط بعد التوبه قال الشارح المعتزلى و ذلك أحد قولى المفسرين اه، و لكن الأشهر أن التوبه كانت بعد الهبوط كما ورد فى سوره البقره قال سبحانه:

«فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ».

و الأقوى عندى كون التوبه بعد الالهباط على ما ورد فى سوره البقره، فيكون كلام الامام عليه السلام من قبيل التقديم و التأخير، و التقديم فاستبدل بالجدل و جلا- و بالاعتزاز ندما فأهبطه الله إلى دار البليه و تناسل الدرئيه، ثم بسط فى توبته و لقيه كلمه رحمته.

فان قلت: مقتضى النظم حسبما ذكرت فى إحدى الآيتين مخالف للاخرى ظاهرا فما الدليل على ترجيح ما يستفاد من آيه البقره؟ ثم على تقدير وجود الدليل ما السير فى تقديم التوبه على الالهباط فى آيه طه؟ قلت: أما السير فيما ذكر فلعله هو أنه سبحانه لما نسب إلى آدم العصيان و الغى الظاهرين فى صدور الذنب الموهمين للافتضاح و سقوطه عن رتبه النبوه و الاصطفاء كما سبق إلى ذوى الافهام القاصره و العقول الناقصه من العامه العمياء (ج ٧)

فأنهم وإن لم يقرّوا بذلك إلاّ- أنه لازم كلامهم نظرا إلى أنّ المذنب لا- يكون نبيا كما عرفت في الفصل السابق، اقتضى (1) الحال والمقام أن يعقّبه بما يوجب دفع ذلك التّوهم وينبه على أنّ صدور ذلك لم يوجب انحطاط رتبته بحيث يسلبه التّوفيق والألطف الخفيّ بالكليّة، ويكون موجبا للخذلان والحرمان فعقّبه من دون فصل بما أفاد كونه مجتبي ومرضى، وأن صدور ذلك الفعل لم يسقطه عن الاستعداد والقابليّة للعنايه الرّبانيه، كما قدم الاجتباء على التّوبه لذلك السر أيضا وهو زياده إشعاره بدفع ذلك التّوهم فاقضى الحال تقديمه و أمّا سوره البقره فقد جرت الحكايه فيها على ما هو الأصل فيها من المطابقه للمحكى، وهذا السر ممّا لم يسبق إليه أحد غيرى من العلماء والمفسرين والله العالم.

و أمّا الدليل على تقدّم الاهداب على التّوبه فهو الأخبار الكثيره منها ما رواه على بن إبراهيم القمى فى تفسيره عن الصادق عليه السلام قال: فاهبط آدم على الصفا، وإنما سميت الصفا لأنّ صفوه الله نزل عليها ونزلت الحواء على المروه «و انما سميت المروه ظ» لأنّ المرأه نزلت عليها، فبقى آدم أربعين صباحا ساجدا يبكى على الجنّه فنزل عليه جبرئيل فقال يا آدم: ألم يخلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و أسجد لك ملائكته؟ قال: بلى، قال: و أمرك أن لا تأكل من الشجره فلم عصيته؟ قال: يا جبرئيل إنّ إبليس حلف لى بالله انه لى ناصح و ما ظننت أن أحدا من خلقه يحلف بالله عزّ و جل كاذبا، فقال له جبرئيل: يا آدم تب إلى الله.

و منها ما رواه أيضا باسناده عنه عليه السلام، قال: إنّ آدم بقى على الصفا أربعين صباحا ساجدا يبكى على الجنّه، و على خروجه من جوار الله عزّ و جلّ، فنزل جبرئيل فقال:

يا آدم مالك تبكى؟ فقال: يا جبرئيل ما لى لا أبكى و قد أخرجنى الله من جواره و أهبطنى إلى الدنیا، فقال: يا آدم تب إلى الحديث و يأتى بتمامه إنشاء الله فى أواخر الخطبه (2) عند شرح اعلام الحیجّ و منها ما رواه فى البحار عن معانى الأخبار عن العجلى عن ابن زكريّا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن محمّد بن سنان عن المفضّل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام

ص: ۱۱۳

۱- (۱) جواب لما، منه

۲- (۲) فى الفصل الثانى عشر عند شرح قوله: و وقفوا مواقف انبيائه، منه

إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِأَلْفَى عَامٍ، فَجَعَلَ أَعْلَاهَا وَأَشْرَفَهَا أَرْوَاحَ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَعَرَضَهَا عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ، فغَشِيَهَا نُورَهُمْ فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ: هَؤُلَاءِ أَحِبَّائِي وَأَوْلِيَائِي وَحُجَجِي عَلَى خَلْقِي وَأَئِمَّةَ بَرِيَّتِي، مَا خَلَقْتَ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُمْ وَلَهُمْ وَلِمَنْ تَوَلَّاهُمْ خَلَقْتَ جَنَّتِي، وَلِمَنْ خَالَفَهُمْ وَعَادَاهُمْ خَلَقْتَ نَارِي، فَمَنْ ادَّعَى مَنْزِلَتَهُمْ مِنِّي وَمَحَلَّهُمْ مِنْ عِظْمَتِي عَذَّبْتَهُ عَذَابًا لَا أَعَذِبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، وَجَعَلْتَهُ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنْ نَارِي وَمَنْ أَقْرَبَ بَوْلَايَتِهِمْ وَلَمْ يَدْعَ مَنْزِلَتَهُمْ مِنِّي وَمَكَانَهُمْ مِنْ عِظْمَتِي جَعَلْتَهُ مَعَهُمْ (مَعَى خ ل) فِي رَوْضَاتِ جَنَانِي وَكَانَ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ عِنْدِي، وَأَبْحَثَهُمْ كِرَامَتِي وَأَحْلَلْتَهُمْ جِوَارِي وَشَفَعْتَهُمْ فِي الْمَذْنِبِينَ مِنْ عِبَادِي وَإِمَائِي، فَوَلَايَتُهُمْ أَمَانَةٌ عِنْدَ خَلْقِي فَأَيُّكُمْ يَحْمِلُهَا بِأَثْقَالِهَا وَيَدَّعِيهَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَيْرَتِي فَأَبَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْجِبَالُ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْ ادِّعَاءِ مَنْزِلَتِهَا وَتَمَنَّى مَحَلَّهَا مِنْ عِظْمَةِ رَبِّهَا، فَلَمَّا أَسْكَنَ اللَّهُ آدَمَ وَزَوْجَتَهُ الْجَنَّةَ قَالَ لَهُمَا:

«كَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ».

يعني شجره الحنطة «فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ».

فَنظَرَا إِلَى مَنْزِلِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَوَجَدَاهَا أَشْرَفَ مَنَازِلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَالَا: يَا رَبَّنَا لِمَنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ؟ فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: أَرْفَعَا رُؤُوسَكُمَا إِلَى سَاقِ عَرْشِي فَرَفَعَا رُؤُوسَهُمَا فَوَجَدَا اسْمَ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْأَئِمَّةَ مِنْ بَعْدِهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَكْتُوبًا عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ بِنُورٍ مِنَ نُورِ الْجِبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ، فَقَالَا: يَا رَبَّنَا مَا أَكْرَمَ أَهْلَ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ عَلَيْكَ، وَمَا أَحَبَّهُمْ إِلَيْكَ وَمَا أَشْرَفَهُمْ لَدَيْكَ؟ فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: لَوْلَاهُمْ مَا خَلَقْتُكُمْ فَهَؤُلَاءِ خِزْنَةُ عِلْمِي وَأَمْنَائِي عَلَى سِرِّي إِيَّاكُمْ أَنْ تَنْظُرُوا إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الْحَسَدِ وَتَتَمَنَّى مَنْزِلَتَهُمْ

عندى و محلهم من كرامتى فتدخلوا بذلك فى نهى و عصيانى فتكونا من الظالمين، قالا ربنا و من الظالمون؟ قال: المدعون لمنزلتهم بغير حق، قالا- ربنا فأرنا منازل ظالمهم حتى نراها كما رأينا منزلتهم فى جنتك، فأمر الله تبارك و تعالى النار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان النكال و العذاب، و قال الله عز و جل مكان الظالمين لهم المدعين لمنزلتهم فى أسفل درك منها:

«كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا» و كلما نضجت جلودهم بدلوا سواها ليدوقوا العذاب يا آدم و يا حواء لا تنظرا إلى أنوارى (ابرارى خ ل) و حججى بعين الحسد فاهبطكما عن جوارى و احل بكما هوانى ((فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ)). و حملهما على تمنى منزلتهم فنظرا إليهم بعين الحسد فخذلا حتى أكلتا من شجرة الحنطه فعاد مكان ما اكلا- شعيرا فاحمل الحنطه مما لم ياكله و أصل الشعير كله مما عاد مكان ما أكله فلما أكلتا من الشجرة طار الحللى و الحلل عن اجسادهما و بقيا عريانين «و طَفِقَا يَخْصِمَا فَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقٍ الْجَنَّةِ وَ نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَ أَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَ إِن لَّم تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ».

قال اهبطا من جوارى فلا يجاورنى فى جنتى من يعصينى فهبطا موكولين إلى أنفسهما فى طلب المعاش، فلما أراد الله عز و جل أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما:

إنكما ظلمتما أنفسكما بتمنى منزله من فضل عليكما، فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عز وجل إلى أرضه فاسألَا- ربكما بحق الاسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما، فقالا: اللهم إنا نسألك بحق الأكرمين عليك: محمّد وعلّي و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمة إلا تبت علينا و رحمتنا، فتاب الله عليهما إنّه هو التّواب الرّحيم، فلم تنزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانه و يخبرون بها أوصيائهم و المخلصين من أممهم، فيأبون حملها و يشفقون من ادّعائها و حملها الانسان الذي قد عرف فأصل كل ظلم منه إلى يوم القيامة و ذلك قول الله عز وجل:

«إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا».

قال المجلسي (ره) الانسان الذي عرف هو ابو بكر هذا و الأخبار في هذا الباب كثيره، و الاستقصاء فيها موجب للاطاله و فيما ذكرناه كفايه إنشاء الله.

و بقى الكلام فى مده بكاء آدم على الجنّه و المستفاد من روايتى على بن إبراهيم السالفين أنّه بكى أربعين صباحا و فى روايه الصّيدوق فى العيون عن الرضا عن آبائه عليهم السّلام فى أسأله الشّامى عن أمير المؤمنين عليه السّلام بالكوفه، قال: و سأله (1) عن بكاء آدم على الجنّه و كم كانت دموعه التى خرجت من عينيه؟ فقال عليه السّلام: بكى مائه سنه و خرج من عينه اليمنى مثل الدّجله و العين الاخرى مثل الفرات و فى الأنوار للمحدّث الجزائرى أخذنا عن الأخبار، ثمّ إنّ آدم و حواء أنزلا من السّماوات على جبل فى شرقى الهند، يقال له: باسم و فى روايه اخرى يقال له: سرانديب، و هو فى الاقليم الأوّل ممّا يلي معدّل النّهار، و قد كانت حواء ضفرت رأسها فى الجنّه، فقالت: ما أصنع بهذه الضفيره و أنا مغضوب علىّ، ثمّ إنّها حلّت ضفرتها و فى خبر آخر أنّها حلّت عقيصه واحده فأطارت الرّيح

ص: ١١٤

١- (١) اى الشّامى عن على «عليه السّلام» منه

ذلك الطيب في بلاد الهند، فمن ثم كان أكثر الطيب منه.

ثم أتى جبرئيل فأخذ آدم إلى مكة ليعلمه المناسك، فطوى له الأرض قصار موضع قدميه عمران، و ما بينهما خراب فأهبط آدم على الصيفا و به سمى لهبوط صفى الله عليه و حواء على المروه و به سميت لنزول المرأة و هى حواء عليها، فبكى آدم على ما وقع منه و على فراق الجنة ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا و فى (١) أيام الآخرة يوم كآلف سنة ما بين العصر إلى العشاء، و بكى حتى صار على خديه كالتنهين، فخرج من عينه اليمنى دموع مثل دجله، و من عينه اليسرى مثل الفرات، ثم إن آدم رأى حواء يوم الثامن من شهر ذى الحجة فلم يعرفها ذلك اليوم لشعث أحوالهما و طول أحزانهما، فتروى و تفكر ذلك، ثم إنه عرفها يوم التاسع، فمن ثم سمى يوم الثامن يوم الترويه و التاسع يوم عرفه، و لما لم تقبل توبته فى تلك السنين و الأعوام أتى إليه جبرائيل، فقال: يا آدم ادع الله بالأسماء التى رأيتها مكتوبه على ساق العرش بسطور النور و قل: اللهم بحق محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمة الطاهرين أن تقبل توبتى و لعل المحذث المذكور قد أخذ تقدير مدّه البكاء بما ذكره مما رواه الصدوق فى الفقيه فى باب عله و جوب الصلاه الخمس عن النبى صلى الله عليه و آله قال: و أما صلاه العصر فهى الساعه التى أكل آدم فيها من الشجره فأخرجه الله من الجنة فأمر الله ذريته بهذه الصلاه إلى يوم القيامة.

و اختارها لامتى فهى من أحب الصلاه الى الله عزّ و جلّ، و أوصانى أن أحفظها من بين الصلوات، و أما صلاه المغرب فهى الساعه التى تاب الله فيها على آدم، و كان ما بين ما أكل من الشجره و بين ما تاب الله عليه ثلاثمأه سنة من أيام الدنيا، و فى أيام الآخرة يوم كآلف سنة ما بين العصر إلى العشاء، فصلّى آدم ثلاث ركعات ركعه لخطيئته و ركعه لخطيئه حواء و ركعه لتوبته الحديث، و يأتى بتمامه انشاء الله فى شرح الخطبه المأه و التاسعه هذا.

و لا بأس باختلاف هذه الأخبار فى مدّه أيام البكاء زياده (الزائد خ) و نقصانا،

ص: ١١٧

١- (١) أى يوم واحد من أيام الآخرة كآلف سنة من أيام الدنيا و قوله ما بين العصر إلى العشاء يعنى كان ثلاثمائه سنة من أيام الدنيا ما بين العصر إلى العشاء من أيام الآخرة، من حواشى الفقيه.

(الناقص خ) لامكان حمل الأقل على الشديد و الأكثر على الخفيف و المراد بالشديد هو ما يشتمل على النوح، و يقال له: البكاء بالمدّ و الثاني بالقصر،

الثانى

اختلف الأقوال كالأخبار فى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه

الذى أشار إليها الامام عليه السلام بقوله: و لقاها كلمه رحمته.

فقال إنّ المراد بها هى قوله: ربنا ظلمنا أنفسنا الايه.

و قيل هى سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر.

و عن ابن عباس إنّ الله علم آدم و حواء أمر الحجج و الكلمات التى يقال فيه، فحججا، فلما فرغا أوحى الله تعالى إليهما أنى قد قبلت توبتكما.

و فى الكافى عن أحدهما عليه السلام أنّ الكلمات:

لا- إله إلا- أنت سبحانك اللهمّ و بحمدك عملت سوء و ظلمت نفسى فاغفر لى و أنت خير الغافرين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهمّ و بحمدك عملت سوء و ظلمت نفسى فاغفر لى و ارحمنى إنك أنت أرحم الراحمين، لا إله إلا أنت سبحانك اللهمّ و بحمدك عملت سوء و ظلمت نفسى فاغفر لى و تب علىّ إنك أنت التّواب الرحيم.

و فى أكثر أخبارنا أنّ المراد بها الأسماء المباركه لمحمد و آل محمد سلام الله عليهم التى توّسل آدم بها إلى الله سبحانه فى قبول توبته، و لا منافاه بينها لامكان تلقى الجميع و إن كان الأقوى الأخير لقوّه أدلته عددا و سنداً.

فمن تلك الأدله روايه معانى الأخبار السالفه فى التذييل الأوّل.

و منها ما عن تفسير الامام عليه السلام لما زلت من آدم الخطيئه و اعتذر إلى ربه عزّ و جلّ قال يا ربّ: تب علىّ و اقبل معذرتى فلقد تبين نقص الخطيئه

و ذلّها بأعضائي و ساير بدني، قال الله تعالى يا آدم: أما تذكر أمرى إياك بأن تدعوني بمحمد و آله الطيبين عليهم السلام عند شدائدك و دواهيك و فى النوازل تبهظك (١)، قال آدم يا رب بلى، قال الله عزّ و جلّ: فهم محمّد و عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام خصوصا فادعنى أجيبك إلى ملتسك و ازدك فوق مرادك، قال آدم: يا ربّ الهى و قد بلغ عندك من محلّم أنك بالتوسل بهم تقبل توبتى و تغفر خطيئتي و أنا الذى أسجدت له ملائكتك و أبحته جنّتك و زوّجته حواء أمّتك و أخذتمته كرام ملائكتك، قال الله تعالى: يا آدم إنّما امرت الملائكة بتعظيمك بالسّجود لك إذ كنت وعاء لهذه الأنوار و لو كنت سألتنى بهم قبل خطيئتك أن أعصمك و أن افطنك لدواعى عدوك إبليس حتّى تحترز منها لكنت قد جعلت ذلك، و لكن المعلوم فى سابق علمى يجرى موافقا لعلمى فالان فيهم فادعنى لاجيبك، فعند ذلك قال آدم: اللهم بجاه محمّد و عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين و الطيبين من آلهم لّمّا تفضّلت بقبول توبتى و غفران زلتى و إعادتى من كراماتك إلى مرتبتى، قال الله عزّ و جلّ: قد قبلت توبتك و أقبلت برضوانى عليك و صرفت آلائى و نعمائى إليك و أعدتلك إلى مرتبتك من كراماتى و وفرت نصيبك من رحماتى، فذلك قوله عزّ و جلّ «فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» و منها ما فى البحار عن معانى الأخبار باسناده عن المفضّل عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام، قال: سألته عن قول الله عزّ و جلّ:

«وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ».

ما هذه الكلمات؟ قال عليه السّلام: هى الكلمات التى تلقّيا آدم من ربه فتاب عليه و هو أنّه قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد و عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين إلاّ تبت عليّ، فتاب الله عليه إنّهُ هو التّواب الرّحيم، فقلت: يا بن رسول الله فما يعنى عزّ و جلّ بقوله أتمهنّ، قال: يعنى أتمهنّ إلى القائم إثنا عشر إماما، تسعه من ولد الحسين عليه السّلام قال المفضّل: فقلت له: يا بن رسول الله، فأخبرنى عن قول الله عزّ و جلّ:

ص: ١١٩

قال: يعنى بذلك الامامه جعلها الله فى عقب الحسين عليه السلام الى يوم القيامة قال: فقلت له: يا بن رسول الله فكيف صارت الامامه فى ولد الحسين دون الحسن و هما جميعا ولدا رسول الله صلى الله عليه و آله و سبطاه و سيدا شباب أهل الجنة؟ فقال: إن موسى و هارون كانا نبيين و مرسلين أخوين، فجعل الله النبوه فى صلب هارون دون صلب موسى و لم يكن لأحد أن يقول: لم فعل الله ذلك، فإن الامامه خلافه الله عزّ و جلّ ليس لأحد أن يقول: لم جعلها الله فى صلب الحسين دون صلب الحسن عليهما السلام، لأنّ الله هو الحكيم فى أفعاله لا يسأل عمّا يفعل و هم يسألون و منها ما فيه أيضا عن جامع الأخبار و أمالى الصدوق بالاسناد عن معمر بن راشد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أتى يهودى النّبىّ صلى الله عليه و آله، فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال صلى الله عليه و آله: يا يهودى حاجتك؟ قال: أنت أفضل أم موسى بن عمران النّبىّ كَلّمه الله و أنزل عليه التّوراه و العصا و فلق له البحر و أظّله بالغمّام؟ فقال له النّبىّ صلى الله عليه و آله: إنّه يكره للعبد أن يزكى نفسه و لكنتى أقول: إنّ آدم لما أصاب الخطيئه كان توبته أن قال: اللهمّ إننى أسألك بحقّ محمّد و آل محمّد لما (١) غفرت لى فغفرها الله له، و إنّ نوحا لما ركب فى السفينه و خاف الغرق، قال: اللهمّ إننى أسألك بحقّ محمّد و آل محمّد لما أنجيتنى من الغرق فنجاه الله، و إنّ إبراهيم لمالقى فى النار قال: اللهمّ إننى أسألك بحقّ محمّد و آل محمّد لما أنجيتنى منها فجعلها الله عليه بردا و سلاما، و إنّ موسى لما ألقى عصاه و أوجس فى نفسه خيفه قال: اللهمّ إننى أسألك بحقّ محمّد و آل محمّد لما أمنتنى، فقال الله جلّ جلاله: لا تخف إنك أنت الأعلى يا يهودى إنّ موسى لو أدركنى ثمّ لم يؤمن بى و بنوّتى ما نفعه ايمانه شيئا و لا نفعته النبوه، يا يهودى و من ذريّتى المهدي عليه السلام إذا خرج نزل عيسى بن مريم

١- (١) كلمه لما ايجابيه بمعنى الا اى أسألك فى كل حال الا حصول المطلوب و هو الحاح و مبالغه فى السؤال بحار.

لنصرته فقدّمه و صلّى خلفه إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة، تركناها مخافة الاطّباب، و قد عقد المحدث العلامة المجلسي طاب ثراه في البحار بابا في أنّ دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل و الاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين

الثالث

في تحقيق توبه الأنبياء على وجه لا ينافي العصمه

فنعول: قد عرفت في الفصل السابق أنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون من أوّل عمرهم إلى آخره، و أنّه لم يصدر منهم ذنب قطّ لا صغيره و لا كبيره لا في الصغر و لا في الكبر و لا قبل البعثه و لا بعد البعثه لا على سبيل العمد و لا على سبيل السهو و الخطاء، على ما ذهبت اليه أصحابنا رضي الله عنهم، و عند ذلك احتاجوا إلى تأويل ما ورد في الكتاب العزيز من الآيات الدّاله على توبتهم، و كذلك ما ورد في الأخبار فمن توبه النبي صلّى الله عليه و آله مثل ما رواه في الكافي باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله كان يتوب إلى الله عزّ و جلّ كلّ يوم سبعين مرّه و ما رواه الطبرسي في مجمع البيان عن أمّ سلمه قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله باخره لا يقوم و لا يقعد و لا يجيء و لا يذهب إلا قال سبحان الله و بحمده أستغفر الله و أتوب إليه فسألناه عن ذلك، فقال إنّي أمرت بها ثمّ قرء «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ».

إلى آخر السوره و كذلك ما ورد من توبه الأئمه عليهم السلام كما في الأخبار الكثيرة و الأدعيه المأثوره، و كفاك شاهدا أدعيه الصّحيحه السّجديه و لا سيّما دعاء التوبه و دعاء الاستقاله المتضمنه للاعتراف بالذنوب و المعاصي إذا عرفت ذلك فأقول: قد أجاب عنه أكثر الأصحاب بأنّ ترك المندوب و فعل المكروه ربّما يسمّى ذنبا فيجوز التوبه حينئذ قال الطبرسي (ره): و عندنا يصحّ التوبه إذا كانت من ترك المندوب و يكون

ذلك على وجه الرجوع إلى فعله، و على هذا يحمل توبه الأنبياء فى جميع ما نطق به القرآن و قد أجيب عن استغفار النبى و الأئمه عليهم السلام و توبتهم مضافا إلى ما مرّ بوجه خاصه أحدها أنه لتعليم الأئمه و تأديبهم و تنبيههم على كيفيه الاقرار و الاعتراف بالتقصير و الذنوب و الاستغفار و التوبه الثانى أنه من قبيل التواضع و الاعتراف بالعبوديه و أن البشر مظنه التقصير الثالث أن الاعتراف بالذنوب و الاستغفار منها إنما هو على تقدير وقوعها، و المعنى إن صدر منى شىء من هذه الامور فاغفره لى، و قد تقرّر أنه لا يلزم من صدق الشرطيه صدق كل واحد من جزئها الرابع أنهم يتكلمون على لسان أمتهم و رعيتهم، فاعترافهم بالذنوب اعتراف بذنوب أمتهم، لأن كل راع مسئول عن رعيتته و إنما أضافوا الذنوب إلى أنفسهم المقدسه للاتصال و السبب، و لا سبب أوكد مما بين الرسول أو الامام عليه السلام و بين أئمه و رعيتته، ألا ترى أن رئيس القوم إذا وقع من قومه هفوه أو تقصير قام هو فى الاعتذار منهم و نسب ذلك إلى نفسه و إذا اريد عتابهم و توبيخهم وجه الكلام إليه دون غيره منهم، و إن لم يفعل هو ذلك بل و لا شهدة و هذا فى الاستعمال معروف أقول: و يؤيد هذا الوجه ما رواه القمى عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى:

«لِيُعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ» قال عليه السلام: و الله ما كان له ذنب و لا همّ بذنب، و لكن الله حملة ذنوب شيعته ثم غفرها و فى المجمع عنه أنه سئل عنها، فقال عليه السلام: و الله ما كان له ذنب، و لكن الله سبحانه ضمن له أن يغفر ذنوب شيعه على ما تقدم من ذنبهم و ما تأخر، قال بعض أهل المعرفه:

قد ثبت عصمته فلم يبق لاضافه الذنب إليه إلا أن يكون هو المخاطب و المراد أئمه كما قيل: إياك أدعو و اسمعى يا جاره

الخامس ما ذكره الشيخ علي بن عيسى الاربلي (ره) في كشف الغمّه و استحسنة أكثر من تأخر عنه كالمحدث المجلسي (ره) و الشيخ البهائي في شرح الأربعين و الطريحي و شارح الصحيفه السيد صدر الدين علي الحسيني و غيرهم من متصدّي الأخبار قال (ره) فائده سنیه كنت أرى الدعاء الذي كان يقوله أبو الحسن عليه السلام في سجده الشكر و هو (1) «ربّ عصيتك بلساني و لو شئت و عزّتك لأخرستني و عصيتك ببصري و لو شئت و عزّتك لأكمهنتني و عصيتك بسمعي و لو شئت و عزّتك لأصممتني و عصيتك بيدي و لو شئت و عزّتك لكنعتني و عصيتك بفرجي و لو شئت و عزّتك لعقمتني و عصيتك برجلي و لو شئت و عزّتك لجذمتني و عصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها عليّ و لم يكن هذا جزاك مني».

بخط عميد الزّوساء لعقمتني و المعروف عقمت (2) المراه و عقمت و عقمت و أعقمها الله.

فكنت أفكر في معناه و أقول: كيف يتنزّل على ما يعقده الشيعة من القول بالعصمه، و ما أتضح لي ما يدفع التردّد الذي يوجبه، فاجتمعت بالسيد السعيد النقيب رضي الدين ابي الحسن علي بن موسى الطاوس الحسنی رحمه الله و أحقه بسلفه الطاهر،

ص: ۱۲۳

۱- (۱) یعنی بار خدایا عصیان تو کردم بزبان و اگر می خواستی بعزت و بزرگی تو قسم که هر آینه مرا گنگ می کردی و عصیان تو نمودم بچشم خود و اگر مشیت تو بآن تعلق می گرفت بعزت و بزرگی تو قسم که هر آینه کور می کردی مرا و عصیان تو کردم بگوش خود یعنی اموری که نایست شنید شنیدم و اگر می خواستی بعزت و بزرگی تو قسم که هر آینه مرا کر می کردی که هیچ چیز نمی توانستم شنید، شرح اربعین بهائی ره

۲- (۲) عقم فی بعض ما عندنا من كتب اللغة جاء لازما و متعديا قال فی القاموس عقم كفرح و نصر و كرم و عنی و عقمها الله يعقمها و اعقمها، انتهى اختصاص

فذكرت له ذلك فقال: إنَّ الوزير السَّعيد مؤيد الدين القمي رحمه الله سألتني عنه، فقلت: كان يقول هذا ليعلم النَّاس، ثم إنني ذكرت بعد ذلك فقلت: هذا كان يقوله في سجده في الليل وليس عنده من يعلمه، ثم سألتني الوزير مؤيد الدين محمَّد بن العلقمي ره فاخبرته بالسؤال والجواب الأوَّل الذي قلت و الذي أوردته عليه و قلت: ما بقي إلا- أن يكون يقوله على سبيل التواضع، و ما هذا معناه، فلم يقع مني هذه الأقوال بموقع و لا حلت من قلبي في موضع، و مات السيِّد رضى الله عنه الله، فهدانى الله إلى معناه و وقفنى على فحواه، فكان الوقوف عليه و العلم به و كشف حجابيه بعد السنين المتطاولة و الأحوال المجريه و الادوار المكرَّره من كرامات الامام موسى عليه السَّلام و معجزاته و لتصحَّ نسبة العصمه إليه عليه السَّلام و تصدق على آبائه و ابنائه البرره الكرام و تزول الشَّبهه التى عرضت من ظاهر هذا الكلام.

و تقريره (١) أنَّ الأنبياء و الأئمه عليهم السَّلام تكون أوقاتهم مشغوله بالله تعالى و قلوبهم مملوّه و خواطرهم متعلّقه بالملا الأعلى، و هم عليهم السلام أبدا في المراقبه كما قال صلَّى الله عليه و آله: اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فأنت يراك، فهم أبدا متوجّهون إليه و مقبلون بكلهم عليه، فمتى انحطوا عن تلك الرتبه العاليه و المنزل الرفيعه إلى الاشتغال بالمأكل و المشرب و التفرغ إلى النكاح و غيره من المباحات، عدوّه ذنبا و اعتقدوه خطيئه و استغفروا منه.

ألا ترى أنّ بعض عبيد الدنيا لو قعد و أكل و شرب و نكح و هو يعلم أنّه بمرئى من سيِّده و مسمع، لكان ملوما عند النَّاس و مقصرا فيما يجب عليه من خدمه سيِّده و مالكه، فما ظنك بسيِّد السَّادات و ملك الاملاك.

و إلى هذا أشار صلَّى الله عليه و آله: أنّه ليغان (٢) على قلبي و إنى لأستغفر بالنَّهار سبعين مرّه، و لفظه السَّبعين إنّما هي لعد الاستغفار لا إلى الرّين (٣)، و قوله حسنات

ص: ١٢٤

١- (١) ما ذكره ره وجه حسن في تأويل ما نسبوا الى انفسهم المقدسه من الذنب و الخطاء و العصيان، بحار الانوار.

٢- (٢) بدرستی که در پوشید دل من چیزی را که می پوشید او را، شرح اربعین

٣- (٣) الرين الحجاب الكثيف قال تعالى: بل ران على قلوبهم، منه.

و يزيده إيضاحاً من لفظه ليكون أبلغ من التّأويل و يظهر من قوله عقمنى و العقيم الذى لا يولد له و الذى يولد من السيّفاح لا يكون ولداً، فقد بان بهذه أنّه كان يعدّ اشتغاله فى وقت ما بما هو ضروره للأبدان معصيه و يستغفر الله منها.

و على هذا فقس البواقى و كلّما يرد عليك من أمثالها، و هذا معنى شريف يكشف بمدلوله حجاب الشبه و يهدى به الله من حسر عن بصره و بصيرته رين العمى و العمه، و ليت السيّد (ره) كان حياً لأهدى هذه العقيله إليه و أجلو عرايسها عليه، فما أظنّ أنّ هذا المعنى اتّضح من لفظ الدعاء لغيرى، و لا أنّ أحداً سار فى إيضاح مشكله و فتح مقفله مثل سيرى. و قد ينتج الخاطر العقيم فيأتى بالعجائب، و قديماً ما قيل: مع الخواطى سهم صائب انتهى كلامه رفع مقامه.

و قد اقتفى أثره القاضى ناصر الدّين البيضاوى فى شرح المصاييح عند شرح قوله صلّى الله عليه و آله: إنّ ليغان على قلبى و إنّى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرّه، قال: الغين لغه فى الغيم و غان على كذا أى غطى، قال أبو عبيده فى معنى الحديث أى يتغشى قلبى ما يلبسه، و قد بلغنا عن الاصمعى أنّه سئل عن هذا، فقال للسائل: عن قلب من تروى هذا؟ فقال: عن قلب النّبي صلّى الله عليه و آله، فقال: لو كان غير قلب النّبي صلّى الله عليه و آله، لكنت افسره لك، قال القاضى و لله درّ الاصمعى فى انتهاجه منهج الأدب و إجلاله القلب الذى جعله الله موقع وحيه و منزل تنزيله.

ثمّ قال: لمّا كان قلب النّبي صلّى الله عليه و آله أتمّ القلوب صفاء و أكثرها ضياءً و أعرفها عرفانا و كان صلّى الله عليه و آله معنياً (١) مع ذلك بتأسيس الملّه و تشريع السيّنه ميسراً غير معسر، لم يكن له بدّ من التّزول إلى الرّخص و الالتفات إلى حظوظ النّفس مع ما كان ممتحناً به من أحكام البشريه، فكان إذا تعاطى شيئاً من ذلك أسرع كدوره إلى القلب لكمال رفته و فرط نورانيته، فإنّ الشّيء كلّما كان أرقّ و أصفى كان ورود

المكذرات عليه أبين و أهدى، فكان إذا أحسّ بشيء من ذلك عدّه على النفس دنبا فاستغفر منه انتهى ما حكى عنه ملخصاً.

وقال المحدّث العلامة المجلسى طاب ثراه فى المجلد السّابع من البحار: اعلم أنّ الاماميه رضى الله عنهم اتفقوا على عصمه الأئمه عليهم السّلام من الذنوب صغيرها و كبيرها فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا لخطاء فى التّأويل و لا للاسهاء من الله سبحانه، و لم يخالف فيه الا الصدوق محمّد بن بابويه و شيخه ابن الوليد رحمه الله عليهما فإنّهما جوزا الاسهاء من الله تعالى لمصلحه فى غير ما يتعلق بالتبليغ و بيان الأحكام، لا السهو الذى يكون من الشّيطان، و قد مرت الأخبار و الأدله الداله عليها فى المجلد السّادس و الخامس و أكثر أبواب هذا المجلد مشحونه بما يدلّ عليها، فأما ما يوهم خلاف ذلك من الأخبار و الأدعيه فمأوله بوجه.

الأوّل أنّ ترك المستحب و فعل المكروه قد يسمى ذنبا و عصياناً، بل ارتكاب بعض المباحات أيضاً بالنسبه إلى رفعه شأنهم و جلالتهم ربّما عبروا عنه بالذّنب، لانحطاط ذلك عن ساير أحوالهم كما مرت الاشاره إليه فى كلام الاربلى (ره) الثّانى أنّهم بعد انصرافهم عن بعض الطاعات التى أمروا بها من معاشره الخلق و تكميلهم و هدايتهم و رجوعهم عنها إلى مقام القرب و الوصال و مناجاه ذى الجلال، ربّما وجدوا أنفسهم لانحطاط تلك الأحوال عن هذه المرتبه العظمى مقصرين، فيتضرّعون لذلك و إن كان بأمره تعالى، كما أنّ أحداً من ملوك الدّنيا إذا بعث واحداً من مقربى حضرته إلى خدمه من خدماته التى يحرم بها من مجلس الحضور و الوصال، فهو بعد رجوعه يبكى و يتضرّع و ينسب نفسه إلى الجرم و التّقصير، لحرمانه عن هذا المقام الخطير.

الثالث أن كمالتهم و فضائلهم و علومهم لما كانت من فضله تعالى، و لو لا ذلك لأمكن أن يصدر منهم أنواع المعاصى، فإذا نظروا إلى تلك الحال أقروا بفضل ربّهم و عجز أنفسهم بهذه العبارات الموهمه لصدور السيئات، فمفادها إنى أذنبت لو لا توفيقك، و أخطأت لو لا هدايتك.

الرَّابِع أَنَّهُمْ لَمَّا كَانُوا فِي مَقَامِ التَّرْقِي فِي الْكَمَالَاتِ وَالصُّعُودِ عَلَى مَدَارِجِ التَّرْقِيَاتِ فِي كُلِّ آنٍ مِنَ الْآنَاتِ فِي مَعْرِفَةِ الرَّبِّ تَعَالَى وَ مَا يَتَّبِعُهَا مِنَ السَّعَادَاتِ فَإِذَا نَظَرُوا إِلَى مَعْرِفَتِهِمُ السَّابِقَةَ وَ عَمَلِهِمْ مَعَهَا، اعْتَرَفُوا بِالتَّقْصِيرِ وَ تَابُوا مِنْهُ، وَ يُمْكِنُ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: وَ إِنِّي لِأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً.

الخَامِسُ أَنَّهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَمَّا كَانُوا فِي غَايَةِ الْمَعْرِفَةِ لِمَعْبُودِهِمْ فَكَلَّمَا أَتَوَاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ بِغَايَةِ جَهْدِهِمْ ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى قُصُورِهَا عَنْ أَنْ يَلِيقَ بِجَنَابِ رَبِّهِمْ، عَدُوا طَاعَاتِهِمْ مِنَ الْمَعَاصِي، وَ اسْتَغْفَرُوا مِنْهَا كَمَا يَسْتَغْفِرُ الْمَذْنِبُ الْعَاصِي.

وَ مِنْ ذَاقَ مِنْ كَأْسِ الْمُحِبَّةِ جَرَعَهُ شَائِقُهُ لَا يَأْبَى عَنْ قَبُولِ تِلْكَ الْوَجْهِ الرَّائِقَةِ وَ الْعَارِفِ الْمُحِبِّ الْكَامِلِ إِذَا نَظَرَ إِلَى غَيْرِ مُحِبُّوهُ أَوْ تَوَجَّهَ إِلَى غَيْرِ مُطْلُوبِهِ، يَرَى نَفْسَهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخَاطِئِينَ، رَزَقْنَا اللَّهَ الْوَصُولَ إِلَى دَرَجَاتِ الْمُحِبِّينَ.

أَقُولُ: هَذَا مَا ذَكَرَهُ عِلْمَاؤُنَا الْبَارِعُونَ فِي التَّفْصِيحِ عَنِ الْأَشْكَالِ الْمَذْكُورِ، شَكَرَ اللَّهُ سَعِيهِمْ وَ أَجْزَلَ مَسَاعِيهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، إِلَّا أَنَّ لِي فِي الْمَقَامِ وَجْهًا آخَرَ وَ هُوَ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ قَرِيبٌ مِنْ بَعْضِ الْوَجْهِ السَّابِقِ إِلَّا أَنَّ نَسْبَتَهُ إِلَيْهَا كَنَسْبِهِ الثَّرِيَا إِلَى الثَّرَى كَمَا هِيَ غَيْرُ خَفِيَّةٍ عَلَى صَاحِبِ الذَّوْقِ السَّلِيمِ وَ الطَّبْعِ الْمُسْتَقِيمِ وَ هُوَ أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ فِي التَّذْيِيلِ الْأَوَّلِ مِنْ تَذْيِيلَاتِ الْفَصْلِ الثَّامِنِ مِنْ فِصُولِ هَذِهِ الْخُطْبَةِ، أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَنْوَارَ النَّبِيِّ وَ آلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَمَا عَرَفْتَ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ خَلَقَ تِلْكَ الْأَنْوَارَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ الْعَالَمَ بِالْوَفِّ مِنَ السِّنِينَ، وَ مَرَّ هُنَاكَ فِي حَدِيثِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَكْرِيِّ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ خَلَقَهَا قَبْلَ إِيجَادِ الْعَالَمِ بِأَرْبَعَةِ وَ عَشْرِينَ وَ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ عَامٍ إِذَا تَذَكَّرْتَ ذَلِكَ فَنَقُولُ: إِنَّهُمْ قَدْ كَانُوا حِينَئِذٍ أَنْوَارًا بَسِيطَةً وَ جَوَاهِرَ مَجْرَدَةً عَنِ التَّلَوُّقِ بِالْأَجْسَامِ وَ الْجِسْمَانِيَّاتِ، خَالِصَةً عَنِ الْكُدُورَاتِ، فَارْغَهُ عَنِ الْقِيُودَاتِ وَ الْعَلَاقَاتِ، مَسْتَغْرَقَةً فِي تِلْكَ الْمَدَّةِ الْمُتَطَاوِلَةِ فِي شَهُودِ جَمَالِ الْحَقِّ سَبْحَانَهُ وَ تَعَالَى مُشْتَغَلَةً فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْمَدَّةِ بِالتَّسْبِيحِ وَ التَّقْدِيسِ وَ التَّنْزِيهِ، تَارَهُ فِي حِجَابِ الْقَدْرَةِ

و اخرى فى حجاب العظمه، و ثالثه فى حجاب العزّه، و رابعه فى حجاب الهيئه إلى غير هذه من حجب النور المذكوره فى الحديث المذكور، ثم اقتضت الحكمة الربانيه إهباطهم من عالم التجرد إلى عالم التقيد و التعلق، فتصوّروا بالصّور الانسانيه هدايه للخلق و إرشادا للائمّه، و حصلت لهم فى هذا العالم من القيودات و العلاقات ما هو مقتضى البشريّه و الجسمانيه، و لمّا لم يتمكّنوا فى هذا العالم من الاستغراق التام و الفراغ الكامل، مثل تمكّنهم فى ذلك العالم، لوجود التعلّقات المانعّه هنا و عدمها هناك، استغفروا الله سبحانه لذلك، و اعترفوا بالتقصير اعتراف المذنب المقصر، هذا ما خطر بالخاطر القاصر، و الله الهادى إلى المنهج القويم، و الصّراط المستقيم

الترجمه

پس بعد از این که جناب آدم از شجره منهيہ اکل نمود، و بعمل خود نادم و پشیمان گشت و چهل شبانه روز و بروایتی یک صد سال و بروایت دیگر سیصد سال گریه و زاری کرد، بسط فرمود خداوند سبحانه و تعالی بجهت او بساط کرامت و رحمت خودش را در توبه او، باین نحو که الهام توبه فرمود بر او و قبول کرد آنرا از او، و تلقین نمود بر او کلمه رحمت خود را که بنا بر اشهر توّسل باسماء مبارکه محمد و آل محمد سلام الله عليهم است که در ساق عرش دیده بود و وعده فرمود بر او رجوع دادنش را ببهشت عنبر سرشت خود

الفصل الرابع عشر

اشاره

فأهبطه إلى دار البليّه و تناسل الدّريّه، و اصطفى من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، و على تبليغ الرّساله أمانتهم، لمّا بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقّه، و اتّخذوا الأنداد معه، و اجتالتهم

الشَّيَاطِينِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعْتَهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبِعِثَ فِيهِمْ رَسَلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَائَهُ، لِيَسْتَأْذِنَهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيَذَكِّرَهُمْ مَنْسَى نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجِّجُوا عَلَيْهِمُ بِالْتَّبْلِغِ، وَيُشِيرُوا لَهُمْ دِفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدَرَةِ مِنْ سَقْفِ فَوْقِهِمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادِ تَحْتِهِمْ مَوْضُوعٍ، وَمَعَايِشَ تَحْيِيهِمْ، وَاجَالَ تَفْنِيهِمْ، وَأَوْصَابَ تَهْرِمِهِمْ، وَأَحْدَاثَ تَتَابَعِ عَلَيْهِمْ.

اللغة

(هبط) الماء وغيره هبطا من باب ضرب نزل وفي لغة قليلة يهبط هبوطا من باب قعد وهبطته أنزلته يتعدى ولا يتعدى و (البليه) كالبلاء والبلوى اسم من الابتلاء بمعنى الامتحان و (التناسل) التوالد و (الذرية) والنسل والولد نظائر وتكون الذرية واحدا و جمعا وفيها ثلاث لغات أفصحها ضمّ الذال وبها قرء السبعة في الآيات القرآنية، والثانية كسرهما، ويروى عن زيد بن ثابت، و الثالثة فتح الذال مع تخفيف الزاء وزان كريمه وبها قرء أبان بن عثمان و تجمع على ذريات والذري و في أصلها أربعة مذاهب: من الذرء بالهمز من ذرء الله الخلق، و من الدر و الدر و الدرء و الدرء، فعلى الأول وزنها فعيله أبدلت الهمزة ياء كبريئه، و على الثاني وزنها فعليه كقمريه أو فعيله نحو ذريه، فلمّا كثرت الزاآت أبدلت الأخيره ياء و ادغم الياء الاولى فيها، نحو سريه فيمن أخذها من السرّ، و هو النكاح، أو فعوله نحو ذوره فابدلوا الزاء الأخيره لما ذكرناه فصار ذويه ثم ادغمت الواو في الياء فصار ذريه، و على الثالث فوزنها فعوله، و على الرابع فعيله و (الأنداد) جمع الند و هو المثل و (اجتالتهم) من الجولان أى ادارتهم و (الشياطين) جمع الشيطان من الشطن و هو البعد، قال الزمخشري فى محكى كلامه: قد جعل سيويه نون الشيطان فى موضع من كتابه أصليته و فى آخر زائده، و الدليل على أصالتها قولهم:

تشيطن، و اشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده عن الصلاح و الخير، و من شاط إذا بطل

إذا جعلت نونه زائده و (واتر) من المواتره و هي المتابعه، قيل: و لا يكون المواتره بين الأشياء إلا إذا وقعت بينها فتره، و إلا فهي مداركه و مواصله و (أثار) الغبار يثيره هيجه و أثاروا الأرض في الايه الشريفه أى قلبوها للزراعه و (المقدره) بفتح الميم و حركات الدال كالمقدره مصدر من قدر عليه إذا قوى و (المهاد) الفراش و البساط و (الأوصاب) جمع الوصب و هو المرض و الوجع و (أهرمه) إذا أضعفه من هرم هرما من باب تعب كبر و ضعف و رجل هرم ككتف و امراه هرمه و (الاحداث) جمع الحدث بفتحيتين و هو الامور الحادثه، و خصت في العرف بالتوايب المتجدده و المصايب الحادثه

الاعراب

و تناسل الذريه بالجرّ عطف على البليه، و جمله أخذ على الوحي اه في محلّ النصب على الحاليه من فاعل أخذ أو مفعوله، و لما في قوله عليه السلام: لَمَّا بَدَلْ، ظرفيه بمعنى حين أو بمعنى إذ و تختصّ بالماضي و بالاضافه إلى الجملة فتقتضى جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود اوليهما و تقدير الكلام: لَمَّا بَدَلْ أكثر خلقه عهد الله اصطفى من ولده أنبياء، و العامل فيها الجواب المقدم، و آيات المقدره بالاضافه و في بعض النسخ الايات المقدره بالتوصيف، و من سقف بيان للايات

المعنى

ثم انّ آدم لَمَّا أَكَلَ مِنَ الشَّجَرِ أَخْرَجَهُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ (فاهبطه) أى أنزله (إلى دار البليه) و المراد بالاهباط على تقدير كون آدم عليه السلام في جنّه السماء واضح، و أمّا على تقدير كونه في جنّه الدنيا كما هو الأظهر لما قد مرّ، فالمراد بالاهباط هو الانتقال من بقعه إلى بقعه كما في قوله تعالى: اهبطوا مصرا، و المراد بدار البليه هو دار الدنيا، لأنّ الله سبحانه قد جعل فيه البلاء أدبا للظالم و امتحانا للمؤمن و درجه للأنبياء و كرامه للأولياء على ما ورد في الخبر ثمّ إنّ أوّل بقعه هبط إليها آدم هي الصّفا على ما مرّ في الأخبار، و في بعض الأخبار هي جبل سرانديب كما مرّ أيضا و هو جبل بأعلى الصّين في أرض الهند

يراه البحرّيون من مسافه أيام، و فيه على ما نقل أثر قدم آدم مغموسه، و نقل أنّ الياقوت الأحمر موجود في هذا الجبل تحدرها السيول و الأمطار من ذروته الى الحضيض و به يوجد الماس أيضا و يوجد العود.

و قد كان هبوط آدم بعد غروب الشّمس على ما رواه عليّ بن ابراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن أبي جعفر عليه السّلام، قال: كان عمر آدم عليه السّلام من يوم خلقه الله إلى يوم قبضه تسعمائه و ثلاثين سنه، و دفن بمكه و نفخ فيه يوم الجمعة بعد الزّوال، ثم برء زوجه من أسفل أضلاعه(١) و أسكنه جنّته من يومه ذلك، فما استقرّ فيها إلا ست ساعات من يومه ذلك حتى عصى الله و أخرجهما من الجنّته بعد غروب الشّمس و ما بات فيها.

و في الفقيه عن الحسين بن العلاء عن ابي عبد الله عليه السّلام قال: إنّه لما اهبط آدم من الجنّته ظهرت به شامه سوداء(٢) من قرنه إلى قدمه فطال حزنه و بكاءه لما ظهر به فأتاه جبرئيل فقال: له ما يبكيك يا آدم؟ فقال: لهذه الشّامه التي ظهرت بي قال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الاولى، فقام فصلّى فانحطت الشّامه إلى عنقه، فجاءه في الصّلاه الثانيه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الثانيه، فقام فصلّى فانحطت الشّامه إلى سرّته، فجاءه في الصّلاه الثالثه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الثالثه، فقام فصلّى فانحطت الشّامه إلى ركبتيه، فجاءه في الصّلاه الرابعه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الرابعه، فقام فصلّى فانحطت الشّامه إلى قدميه، فجاءه في الصّلاه الخامسه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الخامسه، فقام فصلّى فخرج منها، فحمد الله و أثنى عليه فقال جبرئيل: يا آدم مثل ولدك في هذه الصّلاه كمثلك في هذه الشّامه، من صلّى من ولدك في كلّ يوم و ليله خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشّامه.

و في الوسائل في باب تحريم العصير العنبي باسناده عن أبي عبد الله عليه السّلام قال:

ص: ١٣١

- ١- (١) قال في الفقيه و الخبر الذي روى ان حواء خلقت من ضلع آدم الايسر صحيح و معناه من الطينه التي فضلت من ضلعه الايسر و لذلك صارت اضلاع الرجل انقص من اضلاع النساء بضع انتهى كلامه رحمه الله.
- ٢- (٢) خال سياه.

إِنَّ اللَّهَ لَمَّا أَهْبَطَ آدَمَ أَمْرَهُ بِالْحَرْثِ وَالزَّرْعِ وَطَرَحَ غَرَسًا عَلَيْهِ مِنْ غَرَسِ الْجَنَّةِ فَأَعْطَاهُ النَّخْلَ وَالْعِنْبَ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَانَ فغرسها لعقبه وذرّيته، فأكل هو من ثمارها فقال إبليس: ائذن لي ان آكل منه شيئاً فأبى أن يطعمه فجاء عند آخر عمر آدم، فقال لحوّاء: قد أجهدني الجوع والعطش اريدان تذيقي من هذه الثّمار، فقالت له:

إِنَّ آدَمَ عَهْدَ إِلَيَّ أَنْ لَا- أَطْعَمَكَ شَيْئًا مِنْ هَذَا الْغَرَسِ وَأَنْتَ مِنَ الْجَنَّةِ وَلَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْهُ، فَقَالَ لَهَا: فَأَعَصِرِي مِنْهُ فِي كَفِي شَيْئًا، فَأَبَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَ: ذَرِينِي أَمْصُهُ وَلَا آكُلْهُ، فَأَخَذَتْ عِنقُودًا مِنْ عِنْبٍ فَأَعْطَتْهُ فَمَصَّهُ وَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ لَمَّا كَانَتْ حَوَاءٌ قَدْ أَكَدَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا ذَهَبَ يَعْضُ عَلَيْهِ اجْتَذَبَتْهُ حَوَاءٌ مِنْ فِيهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى آدَمَ إِنَّ الْعِنْبَ قَدْ مَصَّهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّكَ إِبْلِيسُ وَقَدْ حَرَّمْتُ عَلَيْكَ مِنْ عَصِيرِهِ الْخَمْرَ مَا خَالَطَهُ نَفْسَ إِبْلِيسَ فَحَرَّمْتُ الْخَمْرَ، لِأَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ مَكْرَ بِحَوَاءٍ حَتَّى أَمْصَيْتَهُ الْعِنْبَ، وَ لَوْ أَكَلَهَا لَحَرَّمْتُ الْكُرْمَ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا وَ جَمِيعِ ثَمَارِهَا وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّهُ قَالَ لِحَوَاءَ: لَوْ أَمْصَصْتَنِي شَيْئًا مِنَ التَّمْرِ كَمَا أَمْصَصْتَنِي مِنَ الْعِنْبِ، فَأَعْطَتْهُ تَمْرَهُ فَمَصَّهَا إِلَى أَنْ قَالَ (١) ثُمَّ إِنْ إِبْلِيسَ ذَهَبَ بَعْدَ وَفَاةِ آدَمَ فَبَالَ فِي أَصْلِ الْكُرْمِ وَ النَّخْلِ، فَجَرَى الْمَاءُ فِي عَوْدِهِمَا بِيُولِ عَدُوِّ اللَّهِ، فَمَنْ ثُمَّ يَخْتَمِرُ الْعِنْبَ وَ الْكُرْمَ، فَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى ذَرِيَةِ آدَمَ كُلِّ مَسْكِرٍ، لِأَنَّ الْمَاءَ جَرَى بِيُولِ عَدُوِّ اللَّهِ فِي النَّخْلِ وَ الْعِنْبِ وَ صَارَ كُلُّ مَخْتَمِرٍ خَمْرًا لِأَنَّ الْمَاءَ اخْتَمَرَ فِي النَّخْلِ وَ الْكُرْمِ مِنْ رَائِحَةِ بُولِ عَدُوِّ اللَّهِ هَذَا.

و قد استطرفت هذه الأخبار لكونها غير خالية عن المناسبة للمقام مع ما فيها من الاشارة إلى بعض ما ابتلى به آدم عليه السلام بعد إهباطه إلى دار البليه.

و من أعظم ما ابتلى به قتل هابيل و لقد رثى له بما رواه في العيون باسناده عن الرضا عن آبائه عليهم السلام في حديث الشامي مع أمير المؤمنين عليه السلام و سأله عن أول من قال الشعر: فقال عليه السلام: آدم عليه السلام، فقال: و ما كان شعره؟ قال عليه السلام:

ص: ١٣٢

١- (١) و كانت العنب و التمر اشد رائحة من المسك الا ذفر و أحلى من العسل فلما مصهما ابليس لعنه الله ذهب رائحتهما و انتقصت حلاوتهما هكذا في نسخة الوافي، منه

لَمَّا انزل من السَّماء إلى الأرض فرأى تربتها و سعتها و هواها، و قتل قابيل هايبيل قال آدم عليه السَّلام:

تغيّرت البلاد و من عليها فوجه الارض مغبّر قبيح

تغيّر كل ذى لون و طعم و قلّ بشاشه الوجه المليح

و ما لى لا اجود بسكب دمع و هايبيل تضمّنه الضّريح

ارى طول الحياه علىّ غما و هل انا من حياتى مستريح

قتل قابيل هايبيل أخاه فوا حزنا لقد فقد المليح

فأجابه ابليس لعنه الله

تنخّ عن البلاد و ساكنيها فبى فى الخلد ضاق بك الفسيح

و كنت بها و زوجك فى قرار و قلبك من أذى الدّنيا مريح

فلم تنفكّ من كيدى و مكريالى ان فاتك الثّمن الربيح

و بدّل أهلها أثلا و خمطابجّات و أبواب متيح(1)

فلو لا رحمه الجبار أضحيككفك من جان الخلد ريح

هذا و قوله عليه السَّلام (و تناسل الذريّه) أى أهبطه إلى دار توالد الاولاد من البنات و البنين.

و قد اختلف فى ابتداء التّناسل فذهب المجوس المجوّزون لنكاح المحارم إلى أنّ آدم زوّج البنات للبنين فحصل التّناسل و كثر الخلق.

و فى الآثار أنّهم كان لهم ملك فسكر ليله فوقع على اخته و امّه فلما أفاق ندم و شقّ ذلك عليه و أراد رفع التّعير عنه، فقال للنّاس: هذا حلال، فامتنعوا عليه فجعل يقتلهم و حفر لهم الاخدود.

و فى خبر آخر عن امير المؤمنين عليه السَّلام يأتى فى شرح الخطبه الثّانيه و التّسعين أنه احتجّ لهم على جوازه بتزويج اولاد آدم و أنّهم قد كانوا ينكحون أخواتهم فقبله جماعه و بقوا عليه إلى الآن.

ص: ١٣٣

و وافقهم على ذلك الاعتقاد الفاسد جمهور المخالفين، فأنهم قالوا: إن حواء امرأه آدم كانت تلد في كل بطن غلاما و جاريه، فولدت أول بطن قابيل و توأمتة اقليميا، و البطن الثاني هايبيل و توأمتة ليودا، فلما أدركوا جميعا أمر الله تعالى أن ينكح قابيل اخت هايبيل و هايبيل اخت قابيل، فرضى هايبيل و أبى قابيل، لأن اخته كانت حسناء، و قال: ما أمر الله سبحانه بهذا و لكن هذا من رأيك فأمرهما آدم أن يقربا قربانا فرضيا بذلك، فانطلق هايبيل إلى أفضل كبش من غنمه و قربه التماسا لوجه الله تعالى و مرضاه أبيه، و أما قابيل فإنه قرب الزوان الذى يبقى فى البيدر الذى لا يستطيع أن يدسه، فقرب ضغثا منه لا يريد به وجه الله و لا مرضاه أبيه، فقبل الله قربان هايبيل و أتت نار بيضاء من السماء فأخذته، ورد على قابيل قربانه، فقال ابليس لعنه الله لقابيل: إنه يكون لهايبيل عقب يفتخرون على عقبك، بأن قبل قربان أبيهم فاقتله حتى لا يكون له عقب، فقتله، و هذا مقاله المخالفين الموافقه لمذهب المجوس لعنهم الله.

و أما الحق الحقيق الذى ينبغى أن يدان به فهو ما ذهب إليه أصحابنا أخذا عن الأخبار المأثوره عن أهل بيت العصمه و الطهاره سلام الله عليهم.

منها ما رواه الصدوق فى الفقيه عن زراره عن أبى عبد الله عليه السلام إن آدم ولد له شيث و أن اسمه هبه الله، و هو أول وصى الله من الادميين فى الأرض، ثم ولد له بعد شيث يافث، فلما أدركا أراد الله أن يبدء بالنسل ما ترون و أن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرّم الله عزّ و جلّ من الاخوات على الاخوه، أنزل بعد العصر فى يوم الخميس حوراء من الجنّه اسمها نزله، فأمر الله عزّ و جلّ أن يزوجهما من شيث، فزوجها منه، ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنّه اسمها منزله فأمر الله عزّ و جلّ أن يزوجهما من يافث، فزوجها منه، فولد لشيث غلام، و ولد ليافث جاريه، فأمر الله عزّ و جلّ آدم عليه السلام حين أدركا أن يزوج ابنه يافث من ابن شيث، ففعل، فولد الصفوه من التبيين و المرسلين من نسلهما، و معاذ الله أن يكون ذلك على

ما قالوا من أمر الاخوه و الأخوات.

و منها ما فيه عن القاسم بن عروه عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

إنَّ الله تبارك و تعالی انزل على آدم حوراء من الجنّه فزوَّجها أحد ابنيه و زوَّج الآخر ابنه الجان، فما كان فى النَّاس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء، و ما كان فيهم من سوء الخلق فهو من ابنه الجانّ و منها ما رواه ابو بكر الحضرمى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال: لى ما يقول الناس فى تزويج آدم ولده؟ قال: قلت يقولون: إنَّ حواء كانت تلد لآدم فى كل بطن غلاما و جاريه، فتزوَّج الغلام الجاريه التى من البطن الآخر الثّانى و تزوَّج الجاريه الغلام الذى من البطن الآخر الثّانى حتى توالدوا، فقال أبو جعفر عليه السّلام: و ليس هذا كذاك، أيجبكم المجوس، و لكنّه لمّا ولد آدم هبه الله و كبر سأل الله أن يزوّجه، فأنزل الله حوراء من الجنّه فزوَّجها إياه فولدت له أربعة بنين، ثم ولد آدم ابنا آخر فلما كبر أمره فتزوَّج إلى الجان فولد أربع بنات فتزوَّج بنو هذا بنات هذا، فما كان من جمال فمن قبل الحور، و ما كان من حلم فمن قبل آدم، و ما كان من حقد فمن قبل الجان، فلما توالدوا صعد الحوراء إلى السّماء.

و منها ما رواه الصّدوق أيضا باسناده عن مسمع عن زرارہ قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن بدء النّسل من آدم كيف كان هو؟ و عن بدء النّسل من ذريه آدم فإنّ أناسا عندنا يقولون: إنّ الله تبارك و تعالی أوحى إلى آدم أن يزوّج بناته بنيه و أنّ هذا كلّ أصله من الاخوه و الأخوات، فقال ابو عبد الله عليه السّلام: تعالی الله عن ذلك علوا كبيرا، يقول من قال هذا: بأنّ الله عزّ و جلّ خلق صفوه خلقه و أحبيائه و أنبيائه و رسله و المؤمنين و المؤمنات و المسلمين و المسلمات من حرام، و لم يكن له من القدره ما يخلقهم من حلال، و قد أخذ ميثاقهم على الحلال الطهر الطاهر الطيب، فو الله لقد نبئت (بينت خ) أن بعض البهائم تنكرت له اخته، فلما نزا عليها و نزل كشف له عنها، فعلم أنّها اخته أخرج عزموله ثم قبض عليه بأسنانه حتّى قطعه فخر ميتا، و آخر تنكرت له امّه ففعل هذا بعينه، فكيف الانسان فى فضله و علمه، غير أنّ جيلا من

هذا الخلق الذى ترون رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم و أخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه فصاروا إلى ما ترون من الضلال و الجهل إلى أن قال عليه السلام: و حقاً أقول:

ما أراد من يقول هذا و شبهه إلا تقويه حجج المجوس، فما لهم قاتلهم الله.

ثم أنشأ عليه السلام يحدثنا كيف بدء النسل من آدم و كيف كان بدء النسل من ذريته، فقال: إنَّ آدم صلوات الله عليه ولد له سبعون بطناً فى كلِّ بطن غلام و جاريه إلى أن قتل هابيل، فلما قتل هابيل جزع آدم جزعا شديدا قطعته عن إتيان النساء فبقى لا يستطيع أن يغشى حواء خمسمائة عام، ثم تجلى ما به من الجزع عليه فغشى حواء، فوهب الله شيئا وحده ليس معه ثان، و اسم شيث هبه الله، و هو أول ما أوصى إليه من الآدميين فى الأرض، ثم ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثان، فلما أدركا و أراد الله أن يبلغ النسل ما ترون و أن يكون ما جرى به القلم من تحريم ما حرم الله عزَّ و جلَّ من الاخوات على الاخوه، أنزل الله بعد العصر فى يوم الخميس حوراء من الجنه اسمها نزله فأمر الله أن يزوجهما من شيث إلى آخر ما مرَّ فى الحديث الأول.

و يمكن الجمع بين هذه الأخبار المختلفه ظاهرا بأن يكون ليافث زوجتان:

إحداهما حوراء، و الاخرى جتيه، أو يكون الولد المتزوج بالجنه غير شيث و يافث هذا.

و لم يستفد من الروايات أحوال بنات آدم فلا بدَّ إما من بقائهن بلا زوج، و إما من جواز تزويج العمات دون الأخوات، و هو بعيد أيضا و الله العالم (و) كيف كان فإنَّ الله سبحانه لَمَّا أهبط آدم إلى دار الدنيا و بدء بالنسل و الأولاد (اصطفى من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم و على تبليغ الرساله أمانتهم) أى أخذ منهم العهد و الميثاق على أداء الوحي اليهم من الاصول و الفروع، و أخذ الأمانه منهم على تبليغ الرساله و نشر الشرايع و الأحكام و ابلاغها إلى امتهم كما قال سبحانه:

«وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ»

«وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ» - الآية».

و توضیح هذا الأخذ ما رواه في الكافي كالبخار من تفسير العياشي باسنادهما عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال لَمَّا أَكَلَ آدَمُ مِنَ الشَّجَرِ اهبط إلى الأرض فولد له هابيل و اخته توام، ثم إنَّ آدَمَ أمر هابيل و قابيل أن يقربا قربانا، و كان هابيل صاحب غنم و كان قابيل صاحب زرع، فقرب هابيل كبشا من أفاضل غنمه، و قرب قابيل من زرعه ما لم ينق، فتقبل قربان هابيل و لم يتقبل قربان قابيل و هو قول الله عزَّ و جلَّ:

«وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ» - الآية».

و كان القربان تأكله النَّار، فعمد قابيل إلى النَّار فبنى لها بيتا و هو أول من بنى بيوت النَّار، فقال: لأعبدنَّ هذه النَّارَ حتَّى يتقبل منِّي قرباني، ثمَّ إنَّ ابليس لعنه الله أتاه و هو يجرى من ابن آدم مجرى الدم في العروق، فقال له: يا قابيل قد تقبل قربان هابيل و لم يتقبل قربانك، و إنك إن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك و يقولون نحن أبناء الذي تقبل قربانه، و أنتم أبناء الذي ترك قربانه، فاقتله كيلا يكون له عقب يفتخرون على عقبك، فقتله، فلما رجع قابيل إلى آدم عليه السلام قال له:

يا قابيل أين هابيل؟ قال: اطلب (اطلبوه خ ل) حيث قربنا القربان، فانطلق آدم فوجد هابيل مقتولا، فقال آدم: لعنت من أرض [\(1\)](#) كما قبلت دم هابيل و بكى آدم صلى الله عليه على هابيل أربعين ليلة، ثمَّ إنَّ آدم سأل ربّه ولدا فولد له غلام فسماه هبه الله لأنَّ الله عزَّ و جلَّ وهبه له، و اخته [\(2\)](#) توأم فلما انقضت نبوه آدم و استكمل أيامه أوحى الله عزَّ و جلَّ

ص: ١٣٧

١- (١) اقول و من ذلك ان الارض لا تقبل الدم منذ الى الان منه

٢- (٢) قوله و اخته توام لا يخفى ان هذا مناف لما مر في روايه الصدوق عن ابى عبد الله عليه السلام من قوله فوهب الله له شيئا وحده ليس له ثان فلا بد من التأمل في وجه الجمع منه

إليه يا آدم قد قضيت نبوتك و استكملت أيامك فاجعل العلم الذى عندك و الايمان و الاسم الأكبر و ميراث العلم و آثار علم النبوه فى العقب من ذريتك عند هبه الله ابنك، فانى لم أقطع العلم و الايمان و الاسم الأكبر و آثار علم النبوه من العقب من ذريتك إلى يوم القيامة و لن أدع الأرض إلا و فيها عالم يعرف به دينى و يعرف به طاعتي، و يكون نجاه لما يولد فيما بينك و بين نوح.

و بشر آدم بنوح، و قال: إن الله تبارك و تعالى باعث نبيا اسمه نوح و أنه يدعو إلى الله عزّ ذكره، و يكذبه قومه، فيهلكهم الله بالطوفان، و كان بين آدم و بين نوح عشرة آباء أنبياء و أوصياء كلهم، و أوصى آدم إلى هبه الله أن من أدركه منكم فليؤمّن به و ليتبعه و ليصدق به فإنه ينجو من الغرق.

ثمّ إنّ آدم مرض المرضه التى مات فيها فأرسل هبه الله، و قال له إن لقيت جبرئيل أو من لقيت من الملائكه فاقرأه منى السلام و قل له: يا جبرئيل إنّ أبى يستهديك من ثمار الجنّه، فقال له جبرئيل: يا هبه الله إن أباك قد قبض و إنا نزلنا للصلاه عليه «و ما نزلنا الا للصلاه عليه خ»، فارجع، فارجع فوجد آدم قد قبض فأراه جبرئيل كيف يغسله حتّى إذا بلغ للصلاه قال هبه الله: يا جبرئيل تقدّم فصلّ على آدم، فقال له جبرئيل:

إن الله عزّ و جلّ أمرنا أن نسجد لايك آدم و هو فى الجنّه فليس لنا أن نؤمّ شيئا من ولده فتقدم هبه الله و صلى على أبيه و جبرئيل خلفه و جنود الملائكه، و كبر عليه ثلاثين تكبيره، فأمره جبرئيل فرفع من ذلك خمسا و عشرين تكبيره و السنه اليوم فينا خمس تكبيرات، و قد كان يكبر على أهل بدر تسعا و سبعا.

ثمّ إن هبه الله لمّا دفن آدم أتاه قابيل فقال: يا هبه الله إني قد رأيت أبى آدم قد خصّك من العلم بما لم اخصّ به أنا، و هو العلم الذى دعا به أخوك هايبيل فتقبل به قربانه، و إنّما قتلته لكيلا يكون له عقب فيفتخرون على عقبى فيقولون نحن أبناء الذى تقبل منه قربانه و أنتم أبناء الذى ترك قربانه، و إنّك إن أظهرت من العلم الذى اختصّك به أبوك شيئا قتلتك كما قتلت أخاك هايبيل.

فلبث هبه الله و العقب من بعده مستخفين بما عندهم من العلم و الايمان و الاسم الاكبر و ميراث النبوه و آثار علم النبوه حتى بعث الله نوحا، و ظهرت وصيه هبه الله حين نظروا فى وصيه آدم، فوجدوا نوحا نبيا قد بشر به أبوهم آدم، فأمنوا به و أتبعوه و صدقوه، و قد كان آدم أوصى إلى هبه الله أن يتعاهد هذه الوصيه عند رأس كل سنه فيكون يوم عيدهم فيتعاهدون بعث نوح و زمانه الذى يخرج فيه، و كذلك فى وصيه كل نبي حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه و آله، و إنما عرفوا نوحا بالعلم الذى عندهم، و هو قول الله عز و جل:

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ «- الآيه» و كان من بين آدم و نوح من الأنبياء مستخفين، و لذلك خفى ذكرهم فى القرآن فلم يسموا كما سُمى من استعلن من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، و هو قول الله عز و جل:

«وَرُسِيًّا لَّأَقْصَىٰ نَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسِيًّا لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ» يعنى لم اسم المستخفين كما سُميت المستعلنين من الأنبياء عليهم السلام، فمكث نوح صلى الله عليه فى قومه ألف سنه إلا خمسين عاما لم يشاركه فى نبوته أحد، و لكنه قدم على قوم مكذبين للأنبياء عليهم السلام الذين كانوا بينه و بين آدم صلى الله عليه و ذلك قول الله عز و جل:

«كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ» يعنى من كان بينه و بين آدم إلى أن انتهى إلى قوله عز و جل:

«وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ» ثم إن نوحا لما انقضت نبوته و استكمل أيامه، أوحى الله عز و جل إليه أن يا نوح قد قضيت نبوتك و استكملت أيامك فاجعل العلم الذى عندك و الايمان و الاسم الاكبر و ميراث العلم و آثار علم النبوه فى العقب من ذريتك، فأتى لن أقطعها كما

لم أقطعها من بيوتات الأنبياء صلوات الله عليهم التي بينك و بين آدم عليه السّلام و لن أدع الأرض إلّا و فيها عالم يعرف به ديني و يعرف به طاعتي و يكون نجاه لمن يولد فيها بين قبض النّبىّ إلى خروج النّبىّ الآخر.

و بشّر نوح ساما بهود، فكان فيما بين نوح و هود من الأنبياء عليهم السّلام و قال نوح: إنّ الله باعث نبيا يقال له: هود و أنّه يدعو قومه الى الله عزّ و جلّ فيكذبونه و الله عزّ و جلّ مهلكهم بالريح، فمن أدركه منكم فليؤمن به و ليتبعه فان الله عزّ و جلّ ينجيه من عذاب الريح. و أمر نوح عليه السّلام ابنه ساما أن يتعاهد هذه الوصية عند رأس كلّ سنة، فيكون يومئذ عيدا لهم فيتعاهدون و فيه ما عندهم من العلم و الايمان و الاسم الأكبر و مواريث العلم و آثار علم النبوه، فوجدوا هودا نبيا و قد بشّر به أبوهم نوح عليه السّلام فآمنوا به و اتبعوه و صدّقوه فنجوا من عذاب الريح، و هو قول الله عزّ و جلّ.

«وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا» و قوله عزّ و جلّ: «كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ» و قال تبارك و تعالى: «وَ وَصَّيْ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَ يَعْقُوبَ» و قوله: «وَ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا» لنجعلها فى أهل بيته «وَ نُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ» لنجعلها فى أهل بيته.

و أمر العقب من ذريته الأنبياء عليهم السّلام من كان قبل ابراهيم لابراهيم عليه السّلام، فكان بين ابراهيم و هود من الأنبياء صلوات الله عليهم و هو قول الله عزّ و جلّ.

«وَ مَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ» و قوله عز ذكره: «فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَ قَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي» و قوله عزّ و جلّ: «وَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ»

فجرى بين كل نبين عشره أنبياء و تسعه و ثمانيه أنبياء كلهم أنبياء، و جرى لكل نبى كما جرى لنوح عليه السّلام، و كما جرى لآدم و هود و صالح و شعيب و ابراهيم صلوات الله عليهم.

حتى انتهت إلى يوسف بن يعقوب عليه السّلام، ثم صارت من بعد يوسف فى أسباط اخوته.

حتى انتهت إلى موسى عليه السّلام فكان بين يوسف و بين موسى من الأنبياء، فأرسل الله موسى و هارون الى فرعون و هامان و قارون، ثم ارسل الرّسل:

«تترا كُمل ما جاء أمه رسولها كذبوه فأتبعنا بغيرهم بعضاً و جعلناهم أحاديث» و كانت بنو إسرائيل يقتل نبى... اثنان قائمان و يقتلون اثنين و أربعة قيام، حتى أنه كان ربما قتلوا فى اليوم الواحد سبعين نبيا، و يقوم سوق قتلهم آخر النهار، فلما نزلت التوراه على موسى عليه السّلام، بشر بمحمد صلى الله عليه و آله، و كان بين يوسف و موسى من الأنبياء، و كان وصى موسى يوشع بن نون عليهما السّلام، و هو فتاه الذى ذكره الله فى كتابه.

فلم تزل الأنبياء تبشر بمحمد صلى الله عليه و آله، حتى بعث الله تبارك و تعالى المسيح عيسى بن مريم فبشر بمحمد صلى الله عليه و آله، و ذلك قوله تعالى «يجدونّه» يعنى اليهود و النصارى «مكتوبا» يعنى صفه محمد صلى الله عليه و آله «عندهم» يعنى فى التوراه و الإنجيل «يأمرهم بالمعروف و ينهيهم عن المنكر» و هو قول الله عزّ و جلّ يخبر عن عيسى عليه السّلام: «و مبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد» و بشر موسى و عيسى بمحمد صلى الله عليه و آله، كما بشر الأنبياء بعضهم ببعض، حتى بلغت محمداً.

فلما قضى محمّد صلى الله عليه وآله نبوته واستكمل أيامه أوحى الله تبارك وتعالى إليه أن يا محمّد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذى عندك والايمن والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوه فى أهل بيتك، عند على بن أبى طالب عليه السلام فأتى لم أقطع العلم والايمن والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوه من العقب من ذريتك، كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين أبىك آدم، وذلك قول الله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» وَاِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمْ يَجْعَلِ الْعِلْمَ جَهْلًا، وَ لَمْ يَكِلْ أَمْرَهُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، لَا إِلَى مَلِكٍ مَقْرَّبٍ وَلَا إِلَى نَبِيٍّ مَرْسَلٍ، وَ لَكِنَّهُ أَرْسَلَ رَسُولًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ كَذًا وَ كَذًا، فَأَمَرَهُمْ بِمَا يَحِبُّ وَ نَهَيْهِمْ عَمَّا يَكْرَهُ، فَقَصَّ عَلَيْهِمْ أَمْرَ خَلْقِهِ بِعِلْمٍ، فَعَلِمَ ذَلِكَ الْعِلْمَ وَ عِلْمَ أَنْبِيَائِهِ وَ أَصْفِيَائِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْأَخْوَانِ وَ الذَّرِيَةِ الَّتِي بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَ جَلَّ:

«فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» فَأَمَّا الْكِتَابُ فَهُوَ النَّبُوهُ، وَ أَمَّا الْحِكْمَةُ فَهِيَ الْحِكْمَاءُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الصَّفْوَةِ وَ أَمَّا الْمَلِكُ الْعَظِيمُ فَهِيَ الْأَئِمَّةُ مِنَ الصَّفْوَةِ، وَ كُلُّ هَؤُلَاءِ مِنَ الذَّرِيَةِ الَّتِي بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَ الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ جَعَلَ فِيهِمُ الْبَقِيَّةَ وَ فِيهِمُ الْبَاقِيَّةُ وَ حَفِظَ الْمِيثَاقَ حَتَّى تَنْقُضِيَ الدُّنْيَا، وَ الْعُلَمَاءُ وَ لَوْلَا هَؤُلَاءِ الْأَمْرُ اسْتِنْبَاطُ الْعِلْمِ وَ لِلْهَدَاةِ فَهَذَا شَأْنُ الْفَضْلِ مِنَ الصَّفْوَةِ وَ الرِّسْلِ وَ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْحِكْمَاءِ وَ أئِمَّةِ الْهُدَى وَ الْخُلَفَاءِ الَّذِينَ هُمْ وَ لَاهُ أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ، وَ اسْتِنْبَاطُ عِلْمِ اللَّهِ وَ أَهْلُ آثَارِ عِلْمِ اللَّهِ مِنَ الذَّرِيَةِ الَّتِي بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ مِنَ الصَّفْوَةِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْآبَاءِ وَ الْأَخْوَانِ وَ الذَّرِيَةِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ.

فمن اعتصم بالفضل انتهى بعلمهم و نجا بنصرتهم، و من وضع و لاه أمر الله تبارك و تعالى فى غير الصّيفوه من بيوتات الأنبياء صلوات الله عليهم، فقد خالف أمر الله جلّ و عزّ و جعل الجهال و لاه أمر الله و المتكلفين بغير هدى من الله عزّ و جلّ، و زعموا أنّهم أهل استنباط علم الله، فقد كذبوا على الله تبارك و تعالى و رسوله، و رغبوا عن وصيته و طاعته، و لم يضعوا فضل الله حيث وضعه الله تبارك و تعالى، فضلوا و أضلوا أتباعهم و لم يكن لهم حجّه يوم القيامة إنّما الحجّه فى آل إبراهيم عليه السلام، لقول الله عزّ ذكره:

«فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا» فالحجّه الأنبياء صلوات الله عليهم و أهل بيوتات الأنبياء عليهم السلام حتّى يقوم الساعه، لأنّ كتاب الله ينطق بذلك وصيه الله بعضها من بعض الذى وضعها على الناس، فقال جلّ و عزّ:

«فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ» و هى بيوت الأنبياء و الرسل و الحكماء و أئمه الهدى، فهذا بيان عروه الايمان التى نجا بها من نجا قبلكم و بها ينجو من يتبع الأئمه، و قال الله عزّ و جلّ فى كتابه:

«وَ نُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُليْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ كُلًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطًا وَ كَلًّا فَضَلَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»...، «أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ»

«وَالنَّبِيُّ فَإِنْ يَكْفُرَ بِهَا هُوَ لَا يَفْقَهُ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَكْفُرُوا بِهَا بِكَافِرِينَ» فَانَّهُ وَ كَل بِالْفَضْلِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَ الْأَخْوَانَ وَ الدَّرِيَةَ، وَ هُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: إِنْ يَكْفُرْ بِهٖ أَمَّتْكَ فَقَدْ وَ كَلْنَا أَهْلَ بَيْتِكَ بِالْإِيمَانِ الَّذِي أَرْسَلْتَكَ بِهِ، فَلَا يَكْفُرُونَ بِهِ أَبَدًا وَ لَا أُضَيِّعُ الْإِيمَانَ الَّذِي أَرْسَلْتَكَ بِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ مِنْ بَعْدِكَ عِلْمَاءُ أَمَّتْكَ وَ وَاوَاهُ أَمْرِي بَعْدَكَ وَ أَهْلُ اسْتِنَابِ الْعِلْمِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ وَ لَا إِثْمٌ وَ لَا زُورٌ وَ لَا بَطْرٌ وَ لَا رِيَاءٌ، فَهَذَا بَيَانٌ مَا يَنْتَهَى إِلَيْهِ أَمْرُ هَذِهِ الْأَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ طَهَّرَ أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَأَلَهُمْ أَجْرَ الْمَوَدَّةِ وَ أَجْرَى لَهُمُ الْوَلَايَةَ وَ جَعَلَهُمْ أَوْصِيَاءَهُ وَ أَحْبَابَهُ ثَانِيَةً بَعْدَهُ فِي أُمَّتِهِ، فَاعْتَبَرُوا أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا قُلْتُمْ: حَيْثُ وَضَعَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لَوْلَايَتِهِ وَ طَاعَتِهِ وَ مَوَدَّتِهِ وَ اسْتِنَابِ عِلْمِهِ وَ حُجَّتِهِ، فَارِيَاهُ فَتَقَبَّلُوا بِهِ، وَ بِهِ فَاسْتَمْسَكُوا تَنْجُوا بِهِ، وَ يَكُونُ لَهُمُ الْحُجَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ طَرِيقُ رَبِّكُمْ جَلَّ وَ عَزَّ، لَا يَصِلُ وَ لَوْلَايَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ إِلَّا بِهِمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْرِمَهُ وَ لَا يَعْذِبَهُ، وَ مَنْ يَأْتِ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ بِغَيْرِ مَا أَمَرَهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ يَذَلَّهُ وَ أَنْ يَعْذِبَهُ.

أَقُولُ: لَا يَخْفَى عَلَى الْفِطْنِ الْعَارِفِ مَا فِي هَذِهِ الرَّوَايَةِ الشَّرِيفَةِ مِنَ النَّكَاتِ الرَّايِقَةِ وَ الْأَسْرَارِ الْفَائِقَةِ وَ الْمَطَالِبِ الْمُهْمَةِ وَ الْمَسَائِلِ الْمَعْظَمَةِ، وَ بِالْغُورِ فِيهَا يُمْكِنُ اسْتِخْرَاجُ بَعْضِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ كُنُوزِ الْأَسْرَارِ، وَ بِالتَّوَسُّلِ بِهَا يُمْكِنُ الْوَصُولُ إِلَى رَمُوزِ الْمَعَارِفِ وَ حَقَائِقِ الْأَنْوَارِ، وَ إِنَّمَا ذَلِكَ فِي حَقِّ مَنْ أَمَّتْهُ قَلْبُهُ بِنُورِ الْعُرْفَانِ وَ الْإِيمَانِ، وَ صَفَى ذَهَنَهُ مِنْ كَدُورَاتِ الشُّبُهَاتِ وَ ظَلَمَاتِ الْأَوْهَامِ، وَ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرَ خَلْقِهِ عَهْدَ اللَّهِ إِلَيْهِمْ) يَعْنِي إِذْ بَدَّلَ أَكْثَرَ الْخَلْقِ عَهْدَ اللَّهِ وَ مِيثَاقَهُ الْمَاخُوذَ عَلَيْهِمْ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ وَ الْمَعْرِفَةِ وَ النَّبُوَّةِ وَ الْوَلَايَةِ حَسْبَمَا اشِيرَ إِلَيْهِ فِي الْإِيَّاهِ الشَّرِيفَةِ وَ الْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ قَالَ سُبْحَانَهُ:

«وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ».

قَالَ أَكْثَرَ الْمَفْسِّرِينَ وَ أَهْلَ الْأَثَرِ: إِنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ مِنْ صُلْبِهِ كَهَيْئَةِ الدَّرِّ (١) فَعَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ وَ قَالَ: إِنِّي آخِذٌ عَلَى ذُرِّيَّتِكَ مِيثَاقَهُمْ أَنْ يَعْبُدُونِي وَ لَا يَشْرِكُوا بِي شَيْئًا وَ عَلَيَّ أَرْزَاقُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا أَنَّكَ رَبُّنَا، فَقَالَ لِلْمَلَائِكَةِ: اشْهَدُوا، فَقَالُوا: شَهِدْنَا.

وَ قِيلَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُمْ فَهْمَاءَ عَقْلَاءَ يَسْمَعُونَ خُطَابَهُ وَ يَفْهَمُونَهُ، ثُمَّ رَدَّهُمْ إِلَى صُلْبِ آدَمَ وَ النَّاسُ مَحْبُوسُونَ بِأَجْمَعِهِمْ حَتَّى يَخْرُجَ كُلٌّ مِنْ أَخْرَجَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَ كُلٌّ مِنْ ثَبَتَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى، وَ مَنْ كَفَرَ وَ جَحَدَ فَقَدْ تَغَيَّرَ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى.

وَ رَدَّ الْمُحَقِّقُونَ هَذَا التَّفْسِيرَ بِوَجْهِهِ (٢) كَثِيرَةً تَنْبِيْهُ عَلَى عَشْرَةٍ.

وَ مِنْهُمْ الْمُرْتَضَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَ قَدْ شَدَّدَ النُّكَيْرَ عَلَى ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْغُرَرِ وَ الدَّرَرِ، قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ الْآيَةِ: وَ قَدْ ظَنَّ بَعْضُ مَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ وَ لَا فِطْنَةَ عِنْدَهُ أَنَّ تَأْوِيلَ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ اسْتِخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمِيعَ ذُرِّيَّتِهِ وَ هُمْ فِي خَلْقِ الدَّرِّ، فَقَرَّرَهُمْ بِمَعْرِفَتِهِ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَ هَذَا التَّأْوِيلُ مَعَ أَنَّ الْعَقْلَ يَبْطُلُهُ وَ يَحِيلُهُ، مِمَّا يَشْهَدُ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ بِخِلَافِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ:

«وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ».

و لم يقل من آدم، و قال «مِنْ ظُهُورِهِمْ» و لم يقل من ظهره و قال: «ذُرِّيَّتَهُمْ» و لم يقل ذرّيته، ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لثلاً يقولوا يوم القيامة إنهم كانوا

ص: ١٤٤

-
- ١- (١) الذر صغار النمل، مصباح.
- ٢- (٢) بعضها راجع الى عدم مطابقه ذلك التفسير لظاهر الايه، و بعضها راجع الى استحاله اصل القضيه كما ستعرفه فى كلام المرتضى رضى الله عنه و قد ذكر الفخر الرازى فى التفسير الكبير اثنى عشر وجها على ما ببالى، منه.

عن هذا غافلين أو يعتذروا بشرك آبائهم وأنهم نشأوا على دينهم و سنتهم و هذا يقتضى أن الآيه لم تتناول ولد آدم لصلبه و أنها تناولت من كان له آباء مشركون، و هذا يدل على اختصاصها ببعض ذريه آدم، فهذا شهاده الظاهر ببطلان تأويلهم.

فأمّا شهاده العقل فمن حيث لا- تخلو هذه الذريه التى استخرجت من ظهر آدم فخطبت و قرّرت من أن تكون كامله العقل مستوفيه الشروط أو لا تكون كذلك.

فان كانت بالصّيه فه الاولى و جب أن يذكر هؤلاء بعد خلقهم و إنشائهم و إكمال عقولهم ما كانوا عليه فى تلك الحال و ما قرّروا به و استشهدوا عليه لأنّ العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى و إن بعد العهد و طال الزّمان، و لهذا لا يجوز أن يتصرف أحدنا فى بلد من البلدان و هو عاقل كامل، فينسى مع بعد العهد جميع تصرّفه المتقدم و ساير أحواله، و ليس أيضا لتخلّل الموت بين الحالين تأثير لأنّه لو كان تخلّل الموت يزيل الذكر لكان تخلّل النّوم و السكر و الجنون و الاغماء بين أحوال العقلاء يزيل الذكر، لما مضى من أحوالهم، لأن ساير ما عددناه ممّا ينفى العلوم يجرى مجرى الموت فى هذا الباب، و ليس لهم أن يقولوا إذا جاز فى العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه فى حال الطفوليّه جاز ما ذكرناه، و ذلك أنا إنّما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم و هم كاملوا العقل، و لو كانوا بصفه الأطفال فى تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه، على أنّ تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض فى الآيه، و ذلك إنّ الله تعالى أخبر بأنّه إنّما قرّرههم و أشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفله عن ذلك، و سقوط الحجّه عنهم فيه، فاذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجّه عنهم و زوالها.

و إن كانوا على الصّيه فه الثانيه من فقد العلم «العقل خ» و شرايط التّكليف قبح خطابهم و تقريرهم و إشهادهم و صار ذلك عبثا قبيحا تعالى الله عنه.

ثمّ قال: فان قيل: قد أبطلتم تأويل مخالفيكم فما تأويلها الصّحيح عندكم؟

قلنا فى الـايه وجهان أحدهما أن يكون تعالى إنما عنى بها جماعه من ذريّه بنى آدم خلقهم و بلغهم و أكمل عقولهم و قرهم على ألسن رسله بمعرفته و ما يجب من طاعته، فأقرّوا بذلك و أشهدهم على أنفسهم به لثلا يقولوا يوم القيامه إنا كنا عن هذا غافلين، أو يعتذروا بشرك آبائهم إلى أن قال:

و الجواب الثانى و هو أحسن أنه تعالى لما خلقهم و ركبهم تركيبا يدلّ على معرفته و يشهد بقدرته و وجوب عبادته، و أراهم العبر و الايات و الدلائل فى غيرهم و فى أنفسهم، كان بمنزله المستشهد لهم على أنفسهم و كانوا فى مشاهدته ذلك و معرفته و ظهوره على الوجه الذى أراد الله تعالى و تعذّر امتناعهم منه و انفكاكهم من دلالاته بمنزله المقرّ المعترف، و إن لم يكن هناك شهاده و لا اعتراف على الحقيقه إلى آخر ما ذكره، و قد وافقه على الجواب الأخير الزمخشري فى الكشاف و غيره من المفسرين.

و اقول: أمّا ما ذكره الشّيد (ره) من عدم انطباق ظاهر الـايه بما حملوها عليه من وجود عالم أخذ الميثاق و إخراج ذريّه آدم من صلبه كالذرّ فمسلم، لكن يتوجّه عليه أنّ ما ذكره من الوجهين فى تأويل الـايه أيضا كذلك، بل مخالفه الظاهر فيهما أزيد منها فى الوجه الذى ذكره مع عدم شاهد على واحد منهما فى شىء من الأخبار.

و أمّا إنكار أصل هذه القضيّه و الحكم باستحالتها بما ذكره من دليل العقل، فلا وجه له و لا يعبأ بالدليل المذكور قبال الأخبار المتواتره المفيده لوجود ذلك العالم، بل قد وقع فى الأخبار الكثيره تفسير الـايه به أيضا، و الاستقصاء فيها موجب للاطناب الممل إلا أنّا نذكر شطرا منها تبركا و توضيحا و استشهادا.

منها ما رواه على بن إبراهيم القمى فى تفسيره عن ابن مسكان عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله: و إذ أخذ ربّك، إلى قوله: قالوا بلى، قلت: معاينه كان هذا؟ قال: نعم، فثبتت المعرفه و نسوا الموقف و سيدكرونه فلولا ذلك لم يدر أحد من خالقه و رازقه، فمنهم من أقرّ بلسانه فى الذرّ و لم يؤمن بقلبه، فقال الله:

«فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ» و منها ما رواه أيضا عنه عليه السّلام، قال: كان الميثاق مأخوذا عليهم لله بالرّبوبيه و لرسوله بالنّبوه و لامير المؤمنين و الأئمّه عليهم السّلام بالامامه، فقال: أ لست برّبكم، و محمّد نبيّكم، و عليّ امامكم، و الأئمّه الهادون أئمتكم؟ فقالوا: بلى.

و منها ما فى البحار عن أمالى الشّيخ عن المفيد باسناده عن جابر عن أبى جعفر عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام، أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال لعليّ عليه السّلام: أنت الذى احتجّ الله بك فى ابتدائه الخلق حيث أقامهم أشباحا، فقال لهم: أ لست برّبكم؟ قالوا: بلى، قال: و محمّد رسول الله؟ قالوا: بلى، قال: و عليّ أمير المؤمنين؟ فأبى الخلق جميعا استكبارا و عتوّا عن ولايتك إلّا نفر قليل، و هم أقلّ القليل و هم أصحاب اليمين.

و منها ما فيه أيضا من بصائر الدّرجات باسناده عن عبد الرّحمان بن كثير عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله عزّ و جلّ: و إذ اخذ ربك من بنى آدم الايه، قال: أخرج الله من ظهر آدم ذريّته إلى يوم القيامة كالذّر فعرفهم نفسه، و لولا ذلك لم يعرف أحد ربّه و قال: أ لست برّبكم؟ قالوا: بلى و أنّ محمّدا رسول الله و عليا أمير المؤمنين و منها ما فيه أيضا من كشف الغمه من كتاب الامامه عن الحسن بن الحسين الأنصارى عن يحيى بن العلا عن معروف بن خربوز المكى عن أبى جعفر عليه السّلام، قال:

لو يعلم النّاس متى سمّى عليّ أمير المؤمنين لم ينكروا حقّه، فقليل له: متى سمّى؟ فقرأ:

و إذ أخذ ربك إلى قوله أ لست برّبكم قالوا: بلى قال: محمّد رسول الله و عليّ أمير المؤمنين.

و منها ما فيه أيضا من تفسير فرات بن إبراهيم عن ابن القاسم معننا عن أبى عبد الله عليه السّلام فى قوله تعالى: و إذ أخذ ربك من بنى آدم إلى آخر الآيه، قال:

أخرج الله من ظهر آدم ذريّته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذّر و عرفهم نفسه و أراهم نفسه، و لولا ذلك لم يعرف أحد ربّه، قال: أ لست برّبكم؟ قالوا: بلى، قال: فإنّ محمّدا

عبدى ورسولى و أن عليا أمير المؤمنين خليفتى و أمينى، و قال النبى صلى الله عليه و آله: كل مولود يولد على الفمرفه بأن الله تعالى خالفه، و ذلك قوله تعالى:

«وَلِئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» إلى غير هذه من الأخبار الكثره، و قد عقد المجلسى طاب ثراه بابا فيها فى مجلد الامامه من البحار.

و بالجمله فقد تلخص مميا ذكرنا أن المراد من العهد المأخوذ عن الخلق الذى بدّلوه هو الميثاق المأخوذ عليهم لله بالربوبيه و لرسوله صلى الله عليه و آله بالنبوه و للائمه عليهم السلام بالولايه، و كذلك المراد بالحق فى قوله عليه السلام (فجهلوا حقه) هو الحق اللازم على العباد من المرفه و التوحيد كما يشهد به روايه معاذ بن جبل التى مضت فى ثانى التذنيبات من رابع فصول الخطبه، قال كنت رفقت النبى صلى الله عليه و آله، فقال يا معاذ هل تدرى ما حق الله على العباد؟ يقولها ثلاثا، قلت: الله و رسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله حق الله عزّ و جل على العباد أن لا يشركوا به شيئا إلى آخر ما مرّ هناك، و يحتمل أن يكون المراد به (١) الاعمّ مميا ذكرنا و من الفروع، و يشعر به ثالث الجملات المعطوفه (٢) من قوله: (و اتخذوا الانداد) أى الأمثال (معه و اجتالتهم) أى أدارتهم و صرفتهم (الشياطين عن معرفته، و اقتطعتهم عن عبادته) أى أقطعتهم كما فى بعض النسخ كذلك، فهم قطاع طريق العباد عن عباده الله سبحانه و تعالى (ف) لَمَا كان الحال بهذا المنوال (بعث فيهم) أى أرسل إليهم (رسله، و واتر اليهم أنبيائه) أى أرسلهم متواترا و بين كل نبين فتره، قال سبحانه:

«ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا» (٣) «وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ»

ص: ١٤٩

١- (١) أى بالحق منه

٢- (٢) و هو قوله و اقتطعتهم عن عبادته فافهم منه

٣- (٣) أى فى الاهلاك أى اهلكنا بعضهم فى اثر بعض مجمع البيان.

قال الطبرسى فى تفسير الابه أى متواتره تتبع بعضهم بعضا، عن ابن عباس و مجاهد، و قيل متقاربه الأوقات، و أصله الاتصال و منه الوتر لا تصاله بمكانه من القوس و منه الوتر، و هو الفرد عن الجمع المتصل، قال الأصمعى يقال: و اترت الخبر أتبعته بعضه بعضا و بين الخبرين هنيهة انتهى، و قوله:(ليستأدوهم ميثاق فطرته) إلى قوله: و يروهم آيات المقدره إشاره إلى الغايه من بعث الرسل و الثمره المترتبه على ذلك، و هى على ما ذكره عليه السلام خمس، و المراد من ميثاق الفطره هو ميثاق التوحيد و النبوه و الولايه.

كما يشهد به ما رواه الصدوق فى التوحيد باسناده عن عبد الرحمن بن كثير مولى أبى جعفر عليه السلام عن أبى عبد الله عليه السلام فى قول الله عزّ و جلّ:

«فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» قال: التوحيد و محمّد رسول الله و على أمير المؤمنين.

و عن ابن مسكان عن زراره قال: قلت لأبى جعفر عليه السلام أصلحك الله، قول الله عزّ و جلّ فى كتابه:

«فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» قال: فطرهم على التوحيد عند الميثاق على معرفته أنه ربهم، قلت: و خاطبوه؟ قال:

فطأ رأسه ثم قال: لو لا ذلك لم يعلموا من ربهم و لا من رازقهم.

و عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ و جلّ:

فطره الله التى فطر الناس عليها، ما تلك الفطره؟ قال: هى الاسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد فقال: أ لست بربكم و فيهم المؤمن و الكافر، و المراد بالنعمه فى قوله عليه السلام:(و يذكروهم منسى نعمته) إمّا النعمه التى من بها على العباد فى عالم الدرّ و الميثاق حسبما مرّ، أو جميع النعم المغفول عنها، و الأوّل هو الظاهر نظرا إلى ظاهر لفظ النسيان (و يحتجوا عليهم) أى فى يوم القيامة (بالتبليغ) أى تبليغ الأحكام و نشر الشرايع و الأديان:

«لِيَهْدِكَ مَنْ هَلَمَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَيُحْيِي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيْنِهِ»، وَ «لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا»
(و يثيروا) أى يهيجوا (لهم دفائن العقول) من شواهد التوحيد و أدله الربوبيه كما قال سبحانه:

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ الْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» (و يروهم آيات المقدره) أى علامات القدره و شواهدا حتى ينظروا إليها بنظر الدقه و الاعتبار و إلا- فالامارات المذكوره مما هي بمرئى و مسمع من كل أحد لا حاجه فيها إلى الارائه كما هو ظاهر.

ثم أشار عليه السلام إلى ست آيات من تلك الآيات و بينها بقوله: (من سقف فوقهم مرفوع، و مهاد تحتهم موضوع) كما قال سبحانه:

«وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ» وَ قَالَ: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَ الْجِبَالَ أَوْتَادًا» إلى أن قال: «وَ بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا» وَ قد مضى فى التذييل الثانى من تذييلات الفصل الثامن من فصول هذه الخطبه ما يوجب زياده البصيره فى المقام فتذكر (و معايش تحييمهم، و آجال تفنيهم، و أوصاب تهرمهم) نسبه الاحياء إلى المعايش أى المطعومات و المشروبات التى بها قوام الحياه، و الافناء إلى الآجال، و الاهرام إلى الأوصاب و الامراض من قبيل الاسناد إلى السبب مجازا على حد أنبت الربيع البقل (و أحداث) أى نوائب حادثه و مصائب

متجدّده (تتابع عليهم) و فی کلّ واحده من الآیات المذكوره دلاله علی أنّ للعالم صانعا قادرا یفعل فیہ ما یشاء و یحکم ما یرید، لا راّد لقضائه و لا دافع عن بلائه.

الترجمه

پس فرو فرستاد او را بسرای محنت و امتحان و بخانه تناسل نسل و زائیدن اولاد، و برگزید او سبحانه از اولاد او پیغمبران را در حالتی که اخذ فرمود بر ابلاغ وحی عهد و پیمان ایشان را، و بر رساندن رسالت امانت آنها را در حینی که تبدیل کردند بیشتر خلائیق پیمان خدا را که بسوی ایشان است، پس جاهل و نادان شدند حقّ او را و فرا گرفتند شریکان و أمثال مر او را، و برگردانیدند ایشان را شیاطین از شناخت او، و بریدند ایشان را از پرستش او، پس مبعوث و برانگیخته فرمود در میان ایشان فرستادگان خود را، و پی در پی فرستاد بسوی ایشان پیغمبران خود را، تا طلب ادا کنند از ایشان عهد فطرت و پیمان خلقت خود را که مخلوق شده بودند بر آن که عبارتست از توحید و معرفت، و تا این که یاد آوری نمایند ایشان را نعمتهای فراموش شده او را و اتمام حجت بکنند بر ایشان با تبلیغ و رساندن احکام، و برانگیزانند از برای ایشان دینه های عقلها و خزاین فهمها، و بنمایند ایشان را علامات قدرت خداوندی را که آن امارات قدرت عبارتست از آسمانی که در بالای ایشان برافراشته و فراشی است که در زیر آنها نگاهداشته، و معیشتهایی است که زنده می دارد ایشان را، و اجلهائی که فانی می سازد ایشان را، و بیماریهائی که پیر فانی می گرداند ایشان را، و مصیبتهاییکه پی در پی می آید بر ایشان.

ص: ۱۵۲

إشاره

و لم يخل الله سبحانه خلقه من نبى مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّه لازمه، أو محجّه قائمه، رسل لا يقصّر بهم قلّه عددهم، و لا كثره المكذّبين لهم من سابق سمى له من بعده، أو غابر عرفه من قبله.

اللغه

(النّبى) فعيل بمعنى الفاعل و هو مشتقّ من النّبأ و هو الخبر و نبأ و نبأ و أنبأ كلّها بمعنى أخبر، و النّبىّ مخبر عن الله تعالى، و قلبوا فيه الهمزه كما فى الدررّيه حسبما مرّ فى الفصل السّابق.

و عن شارح المقاصد النّبوه هو كون الانسان مبعوثا من الحقّ إلى الخلق، فان كان النّبىّ مأخوذا من النّباه و هو الارتفاع لعلوّ شأنه و ارتفاع مكانه، أو من النّبىّ بمعنى الطريق لكونه وسيله إلى الحقّ، فالنّبوه على الأصل كالابّوه، و إن كان من النّبأ بمعنى الخبر لانبائه عن الله تعالى فعلى قلب الهمزه واوا ثمّ الادغام كالمروّه.

و قال فى المحكّى عنه: النّبىّ هو إنسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى إليه، و كذا الرّسول، و قد يخصّ بمن له شريعته و كتاب فيكون أخصّ من النّبىّ، و اعترض عليه بزياده عدد الرّسل على الكتب، و ربّما يفرق بأنّ الرّسول من له كتاب أو نسخ لبعض أحكام الشّريعه السّابقه، و النّبىّ قد يخلو عن ذلك كيوشع عليه السّلام.

و فى كلام بعض المعتزله أنّ الرّسول صاحب الوحي بواسطه الملك، و النّبىّ هو المخبر عن الله بكتاب أو الهام أو تنبيه فى منام، و التّفصيل فى ذلك المقام موكول إلى الكتب الكلاميّة، و من أراد اقتباس النّور فى هذا الباب من كلام الأئمه فعليه بالرجوع إلى باب الفرق بين الرّسول و النّبىّ و المحدث، و هو ثالث أبواب كتاب الحجّه من الكافى و (الحجّه) بالضمّ ما يحجّ به الانسان غيره أى يغلب به و (المحجّه)

بفتح الميم جاده الطريق و (الغابر) هو الباقي و قد يطلق على الماضي فهو من الأضداد.

الاعراب

الظاهر أنّ كلمه أو فى قوله عليه السّلام أو كتاب أو حجّه أو محجّه لمنع الخلوّ إذ الانفصال الحقيقى كمنع الجمع لا- يمكن إرادته، و سياق الكلام هو منع الخلو كما يدلّ عليه قوله: و لم يخل الله صريحا، و يمكن جعلها بمعنى الواو نظرا إلى دلالة و لم يخل صراحه على منع الخلوّ، فلا حاجه إلى جعلها لذلك فافهم، و (رسل) مرفوع على الخبريّة، يعنى أنّهم رسل، و الجملة هذه لا محلّ لها من الاعراب، لكونها مستأنفه فكأنّه قيل هؤلاء المرسلون الذين لم يخل الخلق منهم هل بلغوا ما أرسلوا به أم قصّروا فيه لوجود التّقيه، فقال عليه السّلام: إنّهم رسل لا يقصّروا، فهى من قبيل الاستيناف البيانى، و متعلق لا يقصّر محذوف، أى لا يقصّر بهم عن أداء الرّسالة و إبلاغ التكليف و كلمه (من) فى قوله عليه السّلام من سابق بيان للرّسل و تفصيل لهم.

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام بعد ما تبه بخلقه آدم عليه السّلام و تفصيل ما جرى عليه من إسجاد الملائكة له و إسكانه فى الجنّه و اجتنائه من الثمره المنهيه و إهباطه إلى الأرض و اصطفاء الأنبياء من ولده لارشاد الخلق و هدايه الأنام، أشار عليه السّلام إلى العناية الكامله لله سبحانه بالخلق من عدم إخلائه أمّه منهم من نبىّ هاد لهم إلى المصالح و رادع لهم عن المفسد، أو كتاب مرشد إلى الخيرات و الحسنات و مانع عن الشّرور و السيّئات، و ذلك كلّه لاكمال اللطف و إتمام العناية فقال عليه السّلام: (و لم يخل الله سبحانه خلقه من نبىّ مرسل أو كتاب منزل) و هذا ممّا لا ريب فيه، و لا بدّ من بيان الحاجه إلى بعث الرّسل و إقامة البرهان على اضطرار النّاس إليه و أنّه لا- بدّ فى كلّ زمان من حجه معصوم عالم بما يحتاج إليه الخلق، و قد دللوا على ذلك فى الكتب الكلاميّة بالبراهين العقليه و النقليه و نحن نذكر منها هنا وجها واحدا

لاقتضاء المقام، و ذلك موقوف على رسم مقدمات.

الاولى ان لنا خالقا صانعا قادرا على كل شىء.

الثانية انه سبحانه منزّه عن التجسّم و التعلّق بالموادّ و الأجسام و عن أن يكون مبصرا أو محسوسا باحدى الحواس.

الثالثة انه تعالى حكيم عالم بوجوده الخير و المنفعه فى النظام و سبيل المصلحه للخلاق فى المعيشه و القوام و البقاء و الدوام الزابعه أن الناس على كثرتهم محتاجون فى معاشهم و معادهم إلى من يدبّر أمورهم و يعلمهم طريق المعيشه فى الدنيا و النجاه من العذاب فى العقبى، و ذلك لأنّ من المعلوم أنّ نوع الانسان مدنى بالطبع، بمعنى أنّه لا بدّ فى بقاء النوع إلى اجتماع كلّ واحد من الأفراد مع الآخر يستغنى به فيما يحتاج إليه من المآكل و المشارب و الملابس و المساكن و نحوها، فيكون هذا يطحن لهذا، و ذلك يبنى لذلك، و ذلك يخيّل لآخر، و هكذا، فمن ذلك احتاجوا إلى بناء البلاد و اجتماع الآحاد، و اضطروا إلى عقد المعاملات.

و بالجملة لا بدّ فى بقاء الانسان من الاجتماع و المعاونه، و التعاون لا يتمّ إلا بالمعامله و لا بدّ فى المعامله من قانون عدل، إذ لو ترك الناس و آراؤهم فى ذلك لاختلفوا فيه، فيرى كلّ أحد منهم ماله عدلا ما عليه ظلما و جورا نظرا إلى أنّ كلّ أحد بالذات و الطبع طالب لجلب المنفعه لنفسه و دفع المضرّه عن نفسه كما هو واضح، فعلم وجه الحاجه فى المعاملات إلى القانون العدل.

و لا بدّ لذلك القانون من مقنّن و معدّل و لا يجوز أن يكون ذلك المعدّل ملكا، بل لا بدّ و أن يكون بشرا، ضروره أنّ الملك لا- يمكن رؤيه اكثر الناس له لأنّ قواهم لا يقوى على رؤيه الملك على صورته الأصليه، و إنّما رأهم الأفراد من الانبياء بقوتهم القدسيّه، و لو فرض أن يتشكّل بحيث يراه جميع الخلق كان ملتبسا عليهم كالبشر كجبرئيل فى صورته دحيه، و لذلك قال سبحانه:

ص: ١٥٥

«وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا- وَ لَلْبَشَرِ مَا عَلَيْهِنَّ مَا يَلْبَسُونَ» و لا- بد أن يكون المعدل له خصوصيته ليست لسائر الناس حتى يستشعر الناس فيه أمرا لا يوجد لهم فيتميز به منهم، فيكون له المعجزات التي أخبرنا بها، والحاجه إلى هذا الانسان في بقاء نوع البشر أشد من كثير من المنافع التي لا ضروره فيها للبقاء، كانبات الشعير على الحاجبين و تقعير الأخمص للقدمين و ما يجرى مجراهما من منافع الأعضاء التي بعضها للزينة و بعضها للسهوله في الأفعال و الحركات، و وجود هذا الانسان الصالح لأن يشرع و يعدل ممكن، و تأييده بالمعجزات الموجبه لاذعان الخلق له أيضا ممكن، فلا يجوز أن تكون العناية الاولى تقتضى تلك المنافع و لا تقتضى هذه التي هي أصلها و عمدتها.

فاذا تمهدت هذه المقدمات فثبت و تبين أنه واجب أن يوجد نبي و أن يكون إنسانا و أن يكون له خصوصيه ليست لسائر الناس، و هي الامور الخارقه للعادات، و يجب أن يسن للناس سننا باذن الله و أمره و وحيه و إنزال الملك اليه، و يكون الأصل الأول فيما يسنه تعريفه إياهم أن لهم صانعا قادرا واحدا لا شريك له، و أن النبي عبده و رسوله، و أنه عالم بالسر و العلانيه، و أنه من حقه أن يطاع أمره، و أنه قد أعد للمطيعين الجنة و للعاصين النار حتى يتلقى الجمهور أحكامه المنزله على لسانه من الله و الملائكة بالسمع و الطاعة.

و الى هذا البرهان أشار الصادق عليه السلام فيما رواه في الكافي باسناده عن هشام بن الحكم عنه عليه السلام أنه قال للزنديق الذي سأله من أين اثبت الأنبياء و الرسل؟ قال:

إننا لما أثبتنا أن لنا خالقا صانعا متعاليا عنا و عن جميع ما خلق، و كان ذلك الصانع حكيمًا متعاليا لم يجز أن يشاهده خلقه و لا يلامسوه فيباشروهم و يباشرونه و يحاجوهم و يحاجونه، ثبت أن له سفراء في خلقه يعبرون عنه إلى خلقه و عبادته، و يدلونهم على مصالحهم و ما به بقاؤهم، و في تركه فناؤهم، فثبت الأمر و الناهون عن الحكيم العليم في خلقه، و المعبرون عنه جل و عزهم الأنبياء و صفوته من

خلقه حكماء مؤيدين بالحكمه مبعوثين بها غير مشاركين للناس على مشاركتهم لهم فى الخلق و التركيب فى شىء (١) من أحوالهم، مؤيدين عند الحكيم العليم بالحكمه، ثم ثبت ذلك فى كل دهر و زمان مما أتت به الرسل و الأنبياء من الدلائل و البراهين لكيلا يخلو أرض الله من حجه يكون معه علم يدل على صدق مقالته و جواز عدالته هذا.

و قال بعض شراح الكافى فى شرح قوله عليه السلام: ثم ثبت ذلك فى كل دهر و زمان مما أتت به الرسل و الأنبياء من الدلائل و البراهين: يعنى أنه ثبت وجود النبى فى كل وقت من جهه ما أتوا به من المعجزات و خوارق العادات، كأن قائل يقول: إن الذى ذكرته من البرهان قد دل على حاجه الناس فى كل زمان بوجود النبى، و أنه يجب من الله بعثه الرسل و الأنبياء و إرسالهم، و لكن من أى سبيل تعلم الناس النبى و يصدق بنبوته و رسالته، فأجيب بأنه ثبت ذلك عليهم بمشاهده ما أتت به الرسل و النبيون من الدلائل و البراهين، يعنى المعجزات الظاهره منهم، و هى المراد هاهنا بالدلائل و البراهين إذ الناس لا يذعنون إلا بما يشاهدونه و قوله عليه السلام: لكيلا يخلو أرض الله من حجه يكون معه علم يدل على صدق مقالته و جواز عدالته تعليل متعلق بقوله: ثم ثبت ذلك فيكل دهر، و وجه التعليل أن ما دامت الأرض باقيه و الناس موجودون فيها فلا بد لهم من حجه لله عليهم يقوم بأمرهم و يهديهم إلى سبيل الرشاد و حسن المعاد، و هو الحجه الظاهره و لا بد أن يكون معه علم بالله و آياته يدل على صدق مقالته و دعوته للناس و على جريان حكمه عليهم و جواز عدالته فيهم، و هو الحجه الباطنه انتهى.

و به ظهر الوجه فى عدم إخلائه سبحانه خلقه من نبى مرسل على ما صرح به الامام عليه السلام، كما ظهر وجه قوله عليه السلام: (أو حجه لازمه) أى لازمه على الخلق (أو محجه قائمه) أى طريقه عدل يقفون عليها و لا يميلون عنها يمينا و يسارا، و المراد بها هنا هى الشريعه كما قال سبحانه:

ص: ١٥٧

«لِكَلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» وقال: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا» ثمَّ إِنَّ الحِجَّةَ قد تطلق و يراد بها الكتاب، و قد تطلق على الامام المعصوم الذي يكون مقتدى للخلائق يأتون به و يتعلمون منه سبيل الهدى و طريق التقوى، نبيًا كان أو وصيًا، و هو المراد منها فيما رواه فى الكافى باسناده عن أبى اسحاق عمَّن يثق به من أصحاب أمير المؤمنين، أن أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ لا تَخْلَى أَرْضَكَ من حِجَّةٍ لك على خَلْقِكَ، يعنى أَنَّكَ بلطفك و جودك على عبادك لا تَخْلَى أَرْضَكَ من حِجَّةٍ لك عليهم ليهتدوا به سبيلك، و يسلكوا به سبيل قربك و رحمتك، و ينجو به عن معصيتك و عقابك.

و قد تطلق و يراد بها العقل، فأنه حجه لله على الناس فى الباطن كما أن النبى و الامام حجه فى الظاهر، و قد وردت به الأخبار المستفيضة عن أئمتنا عليهم السلام.

إذا عرفت ذلك فنقول: الظاهر بل المتعين أن المراد بها هنا هو الامام المعصوم أعنى الوصى بخصوصه، لعدم إمكان إرادة النبى و الكتاب لسبق ذكرهما و عدم إمكان إرادة العقل لأنَّ حِجَّتَهُ منحصره فى المستقلات العقلية لا مجال له فى غيرها، فلا يعرف الحق من الباطل فى الامور التى عجزت عن إدراكها عقول البشر بأفكارها، و إنما يعرفها الامام بنور الالهام فلا يتم اللطف منه تعالى على خلقه بعد النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله إِلاَّ بوجوده عليه السلام فيهم.

و بذلك ظهر فساد ما توهمه الشَّارح المعتزلى من جعله الحجة فى العبارة حجة العقل حيث قال: و منها أن يقال إلى ما ذا يشير عليه السَّلام بقوله أو حِجَّةٍ لازمه، هل هو إشاره إلى ما يقوله الاماميه من أنه لا بدَّ فى كلِّ زمان من وجود إمام معصوم، الجواب أنهم يفسرون هذه اللفظة بذلك، و يمكن أن يكون المراد بها حجة العقل انتهى.

وجه الفساد ما ذكرنا، و نزيد توضيحا و نقول: إِنَّ لَهِ سُبْحَانَهُ حِجَّتَيْنِ:

داخليه و خارجيه، و الناس إما أهل بصيره عقليه أم أهل حجاب، فالحجّه على أهل البصيره إنّما هي عقولهم الكليه العارفين بها بالمصالح و المفسد الكامنه الواقعيه، فلا- حاجه لهم إلى اتباع الحجه الخارجيه، بل حجّه الله عليهم بصيرتهم و نور عقولهم و هداهم، و أما أهل الحجاب و ذو العقول الناقصه فالحجّه عليهم إنّما هي الخارجيه، لعدم إحاطه عقولهم بالجهات المحسّنه و المقبحه، فلا يكمل اللطف في حقهم إلا بقائد خارجي يتبعون به، إذ الأعمى يحتاج في قطع السبيل إلى قائد خارجي يتبعه تقليدا في كل قدم و هو واضح.

فقد تحصّل ممّا ذكرنا أنّ المراد بالحجّه في كلامه عليه السّلام هو الامام المعصوم كما قد ظهر ممّا بيناه هنا و فيما سبق في شرح قوله من نبيّ مرسل: لزوم وجود الحجّه في الخلق، لمكان الحاجه، و ملخّص ما ذكرناه هنا و سابقا أنّ نظام الدّنيا و الدّين لا يحصل إلا بوجود إمام يقتدى به الناس و يأتّمون به و يتعلّمون منه سبيل هداهم و تقواهم، و الحاجه إليه في كلّ عصر و زمان أعظم و أهمّ من الحاجه إلى غذاهم و كساهم و ما يجرى مجراهما من المنافع و الضرورات، فوجب في العنايه الرّبانيه أن لا يترك الأرض و لا يدع الخلق بغير إمام نبيا كان أو وصيا، و إلاّ لزم أحد الامور الثلاثه: إمّا الجهل و عدم العلم بتلك الحاجه، أو النقص و عدم القدره على خلقه، أو البخل و الضّنه بوجوده و الكلّ محال على الله سبحانه هذا، و يطابق كلام الامام عليه السّلام ما رواه في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن محمّد بن عيسى عن محمّد بن الفضيل عن أبي حمزه عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال: و الله ما ترك الله أرضا منذ قبض الله آدم إلا فيها إمام يهتدى به إلى الله، و هو حجّه على عباده و لا تبقى الأرض بغير امام حجّه لله على عباده، و عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: إنّ الله أجّلّ و أعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل.

و أيضا عن أبي بصير عن أحدهما عليه السّلام، قال: قال: إنّ الله لم يدع الأرض بغير عالم، و لو لا ذلك لم يعرف الحقّ من الباطل، يعنى فى الامور التى تعجز عن إدراكها العقول حسبما مرّ سابقا.

و فى الأخبار الكثيره المستفيضه بل القريبه من التواتر المعنوى المرويّه فى الكافى و علل الشرايع و إكمال الدّين و رجال الكشى و غيرها أنّ الأرض لو بقيت بغير إمام لساخت، يقال: ساخت الأرض بهم انخسفت، و المراد به فى الأخبار إمّا غوصها فى الماء حقيقه أو كناية عن هلاك البشر و ذهاب نظامها كما تبّه عليه المحدّث المجلسى طاب ثراه فى مرآه العقول ثمّ إنّّه عليه السّلام وصف المرسلين بأنّهم رسل (لا يقصر (1) بهم قلبه عددهم) أى عن نشر التكليف و حمل إعباء الرّساله (و لا كثره المكذّبين لهم) أى عن تبليغ الأحكام و اداء الامانه، و هذا الكلام صريح فى عدم جواز التقيّه على الأنبياء.

و منه يظهر فساد ما نسبته الفخر الرّازى إلى الاماميه من تجويزهم الكفر على الأنبياء تقيه حسبما مرّ فى تذييلات الفصل الثّانى عشر فى باب عصمه الأنبياء عليهم السّلام، ضروره أنّ اقتداء الاماميه رضوان الله عليهم إنّما هو على إمامهم عليه السّلام، و مع تصريحه عليه السّلام بما ذكر كيف يمكن لهم المصير إلى خلاف قوله عليه السّلام هذا.

مضافا إلى ما أوردناه عليه سابقا بل و مع الغضّ عن تصريحه عليه السّلام، بذلك أيضا نقول: كيف يمكن أن يتفوّه ذو عقل بصدور كلمه الكفر عن نبىّ مع أنّ بعث النبىّ ليس إلّا لحسم ماده الكفر، نعوذ بالله من هذه الفريه البيّنه و ذلك البهتان العظيم، ثمّ إنّّه عليه السّلام بين الرّسل و ميّزهم بقوله: (من سابق سمّى له من بعده أو غابر) أى لاحق (عرفه من قبله) يعنى أنّهم بين سابق سمى (2) لنفسه من بعده، بمعنى أنّه عين من يقوم مقامه من بعده، أو أنّ السّابق (3) سمّى الله له من يأتى

ص: ١٦٠

-
- ١- (١) من القصور او التقصير و الاول اظهر، منه.
 - ٢- (٢) هذا على بناء سمى للفاعل على ما فى بعض النسخ، منه
 - ٣- (٣) هذا على البناء للمفعول، منه ج (١٠)

بعده و اطلعه علیه، و بین لاحق عزّفه من قبله و بشّر به، کتعیف عیسی علیه السّلام و بشارته بالنبیّ صلی الله علیه و آله کما قال سبحانه حکایه عنه:

«و مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ».

و قد مرّ فی حدیث الکافی عند شرح قوله: و اصطفی من ولده أنبیاءه، تفصیل بشاره الأنبیاء السّلف للخلف سلام الله علیهم أجمعین فتذکر.

الترجمه

و خالی نگذاشت حق سبحانه و تعالی مخلوقان خود را از پیغمبر مرسلی یا از کتاب منزلی یا برهانی لازم که عبارتست از امام معصوم یا طریقه مستقیمه که عبارتست از شریعت قویمه آنها، رسولانی هستند که قاصر نمی کند یا مقصر نمی کند آنها را کمی عدد ایشان از تبلیغ رسالت، و نه بسیاری تکذیب کنندگان ایشان از اداء وحی و امانت، طایفه از ایشان سابق بودند که نام می بردند بجهت خود آن کسی را که بعد از اوست، یا این که خداوند عالم نام برد آن کسی را که بعد از او بود، و طایفه دیگر لاحق بودند که تعریف کرده بود او را آن کسی که پیش از او بود

الفصل السادس عشر

اشاره

علی ذلك نسّلت القرون، و مضت الدهور، و سلفت الآباء، و خلفت الأبناء، إلی أن بعث الله محمدا صلی الله علیه و آله لإنجاز عدته، و إتمام نبوته، مأخوذا علی النّبیین میثاقه، مشهوره سماته، کریمه میلاده، و أهل الأرض یومئذ ملل متفرّقه، و أهواء منتشره، و طرائق متشّته، بین مشبه لله بخلقه، أو ملحد فی اسمه، أو مشیر إلی غیره، فهدیهم به من الضّلاله، و أنقذهم بمكانه من الجهاله.

ص: ۱۶۱

(نسل) نسلا من باب ضرب كثر نسله، و يتعدى إلى مفعول يقال: نسلته أى ولدته و نسل الماشى ينسل بالضم و بالكسر نسلا و نسلا و نسلانا أسرع، و نسلت القرون أى ولدت أو أسرع و (سلف) سلوفا من باب قعد مضى و انقضى و (خلفته) جئت بعده، و الخلف بالتحريك الولد الصالح، فاذا كان فاسدا أسكنت اللام و ربما استعمل كل منهما مكان الآخر و (الميثاق) و الموثق كـمجلس العهد و (السيمات) جمع السيمه و هى العلامه و (الميلاد) كالمولد وقت الولادة، و لم يستعمل فى الموضوع كما توهمه الشارح البحرانى بل مختص بالزمان، و المولد يطلق على الوقت و الموضوع كما صرح به الفيومى (و الملل) جمع المله و هى الشريعة و الدين (و الأهواء) جمع هوا بالقصر إرادته النفس (و طرائق متشنته) أى متفرقه و (الملحد) من الالحاد يقال الحد و لحد إذا حاد عن الطريق و عدل عنه و (الانقاذ) كالتفد و الاستقاذ التخليص و (المكان) مصدر بمعنى الكون.

الاعراب

قوله عليه السلام: على ذلك متعلق بالفعل الذى يليه، و اللام فى قوله لانجاز عدته تعليل للبعث متعلق به، و مأخوذا و مشهوره و كريما منصوبات على الحالیه من محمّد صلى الله عليه و آله، كما أنّ محلّ الجملة أعنى قوله عليه السلام: و أهل الارض اه، كذلك، و ملل و أهواء و طرائق مرفوعات على الخبرية من أهل الأرض، و إسنادها إليه من باب التوسّع، و الأصل ذو ملل متفرقه، و قيل: إنّ المبتدأ محذوف أى مللهم ملل متفرقه، و أهواؤهم أهواء منتشرة، و طرائقهم طرائق متشنته، و بين ظرف متعلق بقوله: متشنته، و هو من الظروف المبهمه لا- يتبين معناه إلا بالاضافه إلى اثنين فصاعدا أو ما يقوم مقامه كقوله تعالى: عوان بين ذلك، قال الفيومى فى المصباح: و المشهور فى العطف بعدها أن يكون بالواو، لأنها للجمع المطلق، نحو المال بين زيد و عمرو، و أجاز بعضهم بالفاء مستدلاً بقول امرء القيس: بين الدخول فحومل، و أجيب بأن الدخول اسم لمواضع شتى،

فهو بمنزله قولك المال بين القوم و بها يتم المعنى انتهى.

إذا عرفت ذلك فأقول: الظاهر أنّ كلمه أو فى قوله: أو ملحد، أو مشير، بمعنى الواو إجراء للفظ بين على ما هو الأصل فيه، مضافا إلى عدم معنى الانفصال هاهنا، و قول الشارح البحرانى، إنّ الانفصال هنا لمنع الخلوّ فاسد، ضروره أنّ بعض أهل الأرض عند بعثه النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ حَسْبَمَا تَعْرِفُهُ وَهُوَ لَا يَسُ دَاخِلًا فِي أَحَدِ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ فَافْهَمْ جَيِّدًا، وَ الْبَاءُ فِي مَكَانِهِ سَبَبِيَّةٌ، أَيْ أَنْقَذَهُمْ بِسَبَبِ كَوْنِهِ وَ وُجُودِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ.

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام ساق هذه الخطبه بما اقتضاه التّرتيب الطّبيعى، أى من لدن آدم عليه السّلام إلى بعث محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُدَايَةِ الْخَلْقِ بِهِ وَاقْتِبَاسِهِمْ مِنْ أَنْوَارِ وَجُودِهِ الَّذِى هُوَ الْمَقْصُودُ الْعَمْدَةُ فِي بَابِ الْبَعْثِ، فَقَالَ عَلَيْهِ السّلام (على ذلك) يعنى على هذا الاسلوب الذى ذكرناه من عدم إخلاء الارض و الخلق من الأنبياء و الحجج (نسيّلت القرون) و ولدت أو أسرعت، و هو كناية عن انقضائها (و مضت الدهور، و سلفت الآباء) أى تقدّموا و انقضوا (و خلفت الأبناء) أى جاءوا بعد آبائهم و صاروا خليفه لهم (إلى أن بعث الله) النّبىّ الأمّى العربىّ القرشىّ الهاشمىّ الابطحيّ التّهامىّ المصطفىّ من دوحه الرّساله، و المرتضىّ من شجره الولاية (محمّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَنَّهُ لَانْجَازِ عِدَّتِهِ) التّى وعدّها لخلقه على ألسنه رسله السّابقين بوجوده عليه السّلام (و لا تمام نبوّته) الظاهر رجوع الضمير فيه الى الله سبحانه، و قيل: برجوعه إلى محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ لَا يَخْلُو عَنْ بَعْدِ.

و ينبغى الاشاره إلى الحجج الذين لم يخل الله سبحانه خلقه منهم من لدن آدم عليه السّلام إلى بعث نبينا صلوات الله عليهم أجمعين فنقول:

روى الصّيدوق فى الأمالى عن ابن المتوكل عن الحميرى عن ابن عيسى عن الحسن بن محبوب عن مقاتل بن سليمان عن أبى عبد الله الصّادق عليه السّلام، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أنا سيّد النّبیین، و وصيى سيد الوصيّين، و أوصيائى سادّه الأوصياء، إنّ آدم سأل الله عزّ و جلّ ان يجعل له وصيّا صالحا، فواحى الله عزّ و جلّ إليه إني أكرمت الأنبياء

بالتبوه ثم اخترت خلقا (خلقى خ ل) و جعلت خيارهم الأوصياء، فقال آدم: يا رب اجعل وصيى خير الأوصياء، فأوحى الله عز و جلّ إليه يا آدم اوص إلى شيث و هو هبه الله بن آدم، و أوصى شيث إلى ابنه شبان(١)، و هو ابن نزله الحوراء التى أنزلها الله على آدم من الجنه فزوجها ابنه شيثا، و أوصى شبان إلى محلث،(٢) و أوصى محلث إلى محوق(٣) و أوصى محوق إلى عثميا(٤)، و أوصى عثميا إلى اخنوخ و هو إدريس النبى، و أوصى إدريس إلى ناخور(٥) و دفعها ناخور إلى نوح النبى و أوصى نوح إلى سام، و أوصى سام إلى عثامر(٦) و أوصى عثامر إلى برغيثاشا(٧)، و أوصى برغيثاشا إلى يافث، و أوصى يافث إلى بره، و أوصى بره إلى جفشيه(٨)، و أوصى جفشيه إلى عمران، و دفعها عمران إلى ابراهيم الخليل عليه السلام، و أوصى ابراهيم إلى ابنه اسماعيل، و أوصى اسماعيل إلى إسحاق، و أوصى إسحاق إلى يعقوب، و أوصى يعقوب إلى يوسف، و أوصى يوسف إلى بريثا، و أوصى بريثا إلى شعيب، و دفعها شعيب إلى موسى بن عمران، و أوصى موسى بن عمران إلى يوشع بن نون، و أوصى يوشع بن نون إلى داود، و أوصى داود إلى سليمان، و أوصى سليمان إلى آصف بن برخيا و أوصى آصف بن برخيا إلى زكريا، و أوصى (دفعها خ ل) زكريا إلى عيسى بن مريم و أوصى عيسى بن مريم إلى شمعون بن حمون الصفا، و أوصى شمعون إلى يحيى(٩)

ص: ١٦٤

- ١- (١) بالشين المثلثة و الباء الموحد م
- ٢- (٢) بالحاء المهملة و الثاء المثلثة
- ٣- (٣) بالحاء المهملة و القاف م
- ٤- (٤) بالثاء المثلثة و الميم بعده الياء م
- ٥- (٥) بالنون و الخاء المعجمه و فى بعض النسخ بالحاء المهملة
- ٦- (٦) بالعين المهملة و الثاء المثلثة و الراء اخيرا م
- ٧- (٧) بالغين المعجمه بعدها ياء تحتانيه و بعد الياء ثاء مثلثة و آخر الحروف الف قبلها شين مثلثة، انوار
- ٨- (٨) بالجيم و الفاء و الشين المعجمه بعدها ياء تحتانيه، انوار
- ٩- (٩) الخبر يدل على بقاء يحيى بن زكريا «عليه السلام» خلافا للمشهور و ينافى بعض الاخبار الداله على نبوه يحيى قبل عيسى «عليه السلام» و ربما قيل بتعدد يحيى من زكريا و لا يخفى بعده، بحار الانوار

ابن زكريا، و أوصى يحيى بن زكريا إلى منذر، و أوصى منذر إلى سليمان، و أوصى سليمان إلى برده.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: و دفعها إلى برده، و أنا أدفعها إليك يا علي، و أنت تدفعها إلى وصيِّك، و يدفعها و وصيِّك إلى أوصيائك من ولدك واحدا بعد واحد حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك، و لتكفرن بك الامة، و لتختلفن عليك اختلافا شديدا الثابت عليك كالمقيم، و الشاذ عنك في النار، و النار مثوى للكافرين.

و قد مضى في شرح قوله عليه السلام: و اصطفى من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، ما يوجب ازدياد البصيره في المقام فراجعه و قوله عليه السلام: (مأخوذا على النبيين ميثاقه).

أقول: قد عرفت في الفصل الرابع عشر عند شرح قوله عليه السلام: لما بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم، ما دلّ على أخذ ميثاق جميع الخلق على توحيد الله تعالى و نبوّه محمّد صلى الله عليه وآله و إمامه الأئمة عليهم السلام في عالم الميثاق.

و ينبغي أن نذكر هنا بعض ما يفيد أخذ ميثاق النبيين بخصوصهم سلام الله عليهم، فأقول: قال سبحانه في سورة آل عمران:

«وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَضُكُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَيَّ ذَلِكَمْ إِنْ صَرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ.»

قال الطبرسي عند تفسير الآية: و روى عن أمير المؤمنين عليه السلام و ابن عباس و قتاده أن الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبينا صلى الله عليه وآله أن يخبروا أممهم بمبعثه و رفعتهم، و يبشروهم به و يأمرهم بتصديقه.

و قال أيضا: و قد روى عن علي عليه السلام أنه قال، لم يبعث الله نبيا آدم و من

بعده إلا أخذ عليه العهد لئن بعث الله محمداً و هو حيّ ليؤمننّ به و لينصرنّه، و أمره بأن أخذ العهد بذلك على قوله و فى تفسير على بن ابراهيم القمى قال الصادق عليه السلام فى قوله:

«وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ» - الآيه» كان الميثاق مأخوذاً عليهم بالزبويّه و لرسوله صلى الله عليه و آله بالنبوّه و لأمر المؤمنين و الأئمه عليهم السلام بالامامه فقال «أ لست برّبكم» و محمّد نبىكم و على إمامكم و الأئمه الهادون أئمتكم؟ فقالوا: بلى، فقال الله تعالى.

«أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أى لثلاثه تقولوا يوم القيامه «إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ» فأول ما أخذ الله عزّ و جلّ الميثاق على الأنبياء بالزبويّه و هو قوله: «وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ» فذكر جملة الأنبياء ثم أبرز أفضلهم بالأسماء فقال: «وَ مِنْكَ» يا محمّد فقدّم رسول الله صلى الله عليه و آله لأئمه أفضلهم «وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» فهؤلاء الخمسه أفضل الأنبياء، و رسول الله صلى الله عليه و آله أفضلهم، ثم أخذ بعد ذلك ميثاق رسول الله صلى الله عليه و آله على الأنبياء بالايمن به و على أن ينصروا أمير المؤمنين، فقال:

«وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ» يعنى رسول الله صلى الله عليه و آله «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ» يعنى أمير المؤمنين عليه السلام تخبروا اممكم بخبره و خبر وليه من الأئمه.

و فى البحار عن كشف الغمّه من كتاب بكر بن محمّد الشّامى باسناده عن أبى الصّباح الكنانى عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام و هو فى مسجد الكوفه قد احتبى بسيفه، قال: يا أمير المؤمنين إنّ فى القرآن آيه قد أفسدت قلبى و شككتنى فى دينى، قال عليه السلام له: و ما هى؟ قال: قوله عزّ و جلّ:

«وَسَيَلُّ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا» هل كان في ذلك الزمان نبيا غيره صَلَّى اللهُ عليه وآله يسأله؟ فقال له عليٌّ عليه السلام: اجلس اخبرك إنشاء الله إن الله عز وجل يقول في كتابه:

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا» فكان من آيات الله عز وجل التي أراها محمدا صَلَّى اللهُ عليه وآله أنه أتاه جبرئيل فاحتمله من مكة فوافى به بيت المقدس في ساعه من الليل، ثم أتاه بالبراق فرفعه إلى السماء، ثم إلى البيت المعمور، فتوضأ جبرئيل وتوضأ النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله كوضوئه، وأذن جبرئيل وأقام مثنى مثنى، وقال للنبي: تقدم فصل واجهر بصلاتك فإن خلفك أفقا من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله، وفي الصيف الأول أبوك آدم ونوح وهود وإبراهيم وموسى وكل نبي أرسله الله منذ خلق السماوات والأرض إلى أن بعثتك يا محمدا، فتقدم النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله فصلى بهم غير هائب ولا محتشم ركعتين، فلما انصرف من صلاته أوحى الله إليه أسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا الإيه، فالتفت إليهم النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله، فقال بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنت رسول الله، وأن عليا أمير المؤمنين وصيكتك وكل نبي مات خلف وصيّا من عصبته غير هذا، وأشاروا إلى عيسى بن مريم، فإنه لا عصبه له، وكان وصيه شمعون الصفا ابن حمون بن عمامه، ونشهد أنك رسول الله سيد النبيين، وأن علي بن ابى طالب عليه السلام سيد الوصيين، اخذت على ذلك موثيقنا لكما بالشهادة، فقال الرجل أحييت قلبى وفرجت عنى يا أمير المؤمنين.

و فيه أيضا عن بصائر الدرجات باسناده عن حمران عن أبى جعفر عليه السلام، قال: إن الله تبارك وتعالى أخذ الميثاق على اولى العزم أنى ربكم ومحمد رسولى وعلى أمير المؤمنين وأوصياؤه من بعده ولاه أمرى وخزان علمى، وأن المهدي

أنتصر به لدينى.

إلى غير هذه مما يطلع عليه المتتبع (مشهوره سماته) إى صفاته و علاماته فى الكتب المنزله و الصّحف السّماويه من التّوراه و الزّبور و الانجيل و صحف ابراهيم و دانيال و كتاب زكريا و شعيا و غيرها، قال سبحانه فى سورة البقره:

«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ» يعنى يعرفون محمّدا صلّى الله عليه و آله بنعته و صفته و مبعثه و مهاجره و صفه أصحابه كما يعرفون أبنائهم فى منازلهم، و قال أيضا فى سورة الأعراف:

«الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ» روى العياشى عن الباقر عليه السّلام يعنى اليهود و النّصارى صفه محمّد و اسمه.

و فى الصّيافى عن المجالس عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى حديث قال يهودى لرسول الله صلّى الله عليه و آله إننى قرأت نعتك فى التّوراه محمّد بن عبد الله، مولده بمكه، و مهاجره بطيبه ليس بفظّ و لا غليظ و لا سخاب(١) و لا مترنن(٢) بالفحش و لا قول الخنا، و أنا أشهد أن لا إله إلاّ الله و أنّك رسول الله، هذا مالى فاحكم فيه بما انزل الله.

و فى الكافى عن الباقر عليه السّلام لما انزلت التّوراه على موسى بشّر بمحمد صلّى الله عليه و آله، قال: فلم تزل الأنبياء تبشّر به حتّى بعث الله المسيح عيسى بن مريم عليه السّلام فبشّر بمحمد صلّى الله عليه و آله، و ذلك قوله: يجدونه، يعنى اليهود و النّصارى، مكتوبا، يعنى صفه محمّد عندهم، يعنى فى التّوراه و الانجيل، و هو قول الله عزّ و جلّ يخبر عن عيسى:

«وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» و قد مضى تمامه عند شرح قوله عليه السّلام: و اصطفى من ولده أنبياء، أخذ على الوحى ميثاقهم اه.

ص: ١٦٨

١- (١) السحب محرکه الصخب و الصخب شده الصوت قاموس

٢- (٢) الترّنن هو التصوت لغه

و فى الكافى أيضا مرفوعا أنّ موسى عليه السّلام ناجاه ربّه تبارك و تعالى، فقال فى مناجاته: اوصيك يا موسى وصيه الشّفيق المشفق بابن البتول عيسى بن مريم، و من بعده بصاحب الجمل الأحمر الطيب الطاهر المطهر، فمثله فى كتابك أنّه مهيمن (١) على الكتب كلّها، و أنّه راعى ساجد راغب راهب (٢)، إخوانه المساكين و أنصاره قوم آخرون (كرىما ميلاده) أى وقت ولادته صلّى الله عليه و آله، فقد تولد و كان طالع ولادته على ما حكاه المجلسى قده عن أبى معشر: الدرجه العشرون من جدى، و كان زحل و المشترى فى العقرب، و المريخ فى بيته فى الحمل، و الشمس فى الحمل فى الشّرف، و الزهره فى الحوت فى الشّرف، و العطارد أيضا فى الحوت، و القمر فى أوّل الميزان، و الرّأس فى الجوزاء، و الذّنب فى القوس.

و روى أيضا اتفاق الحكماء على أنّ طالعه صلّى الله عليه و آله المشترى و العطارد و الزّهره و المريخ، و قالوا إنّ نظر المشترى علامه العلم و الحكمة و الفطنه و الكياسه و الرّياسه له صلّى الله عليه و آله، و إنّ نظر العطارد كان آيه لطافته و ظرافته و ملاحظته و فصاحته و حلاوته صلّى الله عليه و آله، و إنّ نظر الزّهره دليل صباحته و سروره و بشاشته و حسنه و طيبه و بهائه و جماله و دلالة صلّى الله عليه و آله، و إنّ نظر المريخ علامه شجاعته و جلادته و محاربتة و قتاله و قهره و غلبته.

و أمّا تاريخ ولادته صلّى الله عليه و آله فقد قال فى الكافى: إنّّه ولد صلّى الله عليه و آله لاثنتى عشره ليله مضت من شهر ربيع الأوّل فى عام الفيل (٣) يوم الجمعه مع الرّوال.

و روى أيضا عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنه، و حملت به أمّه أيام التّشريق عند الجمره الوسطى، و كانت فى منزله عبد الله بن عبد المطلب و ولدته

ص: ١٦٩

١- (١) المهيمن هو المؤتمن و قيل الشاهد و قيل الرقيب منه

٢- (٢) الرهبه هو الخوف

٣- (٣) أى فى عام هجوم اصحاب الفيل على مكه و قيل ان ولادته كانت بعد هلاك اصحاب الفيل بخمسه و خمسين يوما و قيل بخمسه و اربعين و قيل بعده بثلاثين سنه و قيل تولد فى يوم هلاكهم و الله العالم، منه

فى شعب أبى طالب فى دار(١) محمّد بن يوسف فى الزاوية القصوى عن يسارك و انت داخل فى الدار، و قد اخرجت الخيزران ذلك البيت فصيّروه مسجدا يصلّى الناس فيه، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: أما ما ذكره من كون تولّده فى ثانى عشر من شهر ربيع الأول فهو المشهور بين الجمهور و لعله (ره) و افقهم على ذلك تقيّه، و لبعض العامّة قول بكونه فى ثامن ذلك الشهر، و قول آخر بأنّه فى عاشره و قول شاذّ بكونه فى شهر رمضان.

و المشهور فى أخبارنا و بين أصحابنا بل المدعى عليه إجماعنا فى جملة من العباير أنّ تولّده صلّى الله عليه و آله فى السابع عشر.

و أما ما ذكره من أنّ أمّه حملت به فى أيام التشريق عند الجمره الوسطى يستلزم بقائه فى بطن أمّه إمّا ثلاثه أشهر أو سنه و ثلاثه أشهر مع أنّه خلاف ما اتفق عليه أصحابنا من كون أقلّ مدّه الحمل ستّه أشهر و أكثرها تسعه، و لم يقل أحد أيضا بكون ذلك من خصائصه و لا وردت عليه روايه.

و أجاب عنه جمع من الأصحاب كالمجلسى (ره) و المحدث الجزائري (ره) و غيرهما بأنّه مبنى على النسيء المراد بقوله:

«إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ» و ذلك أنّ المشركين كانوا يؤخّرون موسم الحجّ، فمّرّه كانوا يحجّون فى صفر و اخرى فى محرّم و هكذا، تبعا لاعتدال الوقت و الهواء و كان حجّهم فى سنه تولّده فى جمادى الآخره.

قال الجزائرى و يؤيّده ما رواه ابن طاوس فى كتاب الاقبال أنه صلّى الله عليه و آله حملت به امّه فى ثمان عشر مضت من جمادى الآخره، و لمّا فتح النّبى صلّى الله عليه و آله مكّه كان

ص: ١٧٠

١- (١) لا يخفى ان تولده كان فى بيته صلّى الله عليه و آله و اعطى ذلك البيت لعقيل بن ابى طالب و باعه عقيل لمحمد بن يوسف الثقفى اخ الحجاج فادخله فى بيته و قد اخرجت الخيزران ام هارون لعنه الله فى ايام خلافته ذلك البيت من بيت محمد بن يوسف فصيرته مسجدا و الان باق على المسجديه منه،

حَجَّهْم فِي شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ فَقَالَ الْآنَ دَارَ الزَّمَانِ كَمَا كَانَ فَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ تَغْيِيرَهُ وَلَا تَبْدِيلَهُ أَنْتَهَى.

و كيف كان فقد كان مولده على مذهب الشيعة اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأول و بعث للرسالة يوم السابع والعشرين من رجب و له حينئذ أربعون سنة (و) قد كان (أهل الأرض يومئذ) أى يوم بعثه و تصديعه بالرسالة ذى (ملل) و شرايع (متفرقة و أهواء) أى آراء (منتشرة و طرائق) أى مسالك (متشعبة) و متفرقة و مذاهب مختلفة (بين مشبه لله بخلقه، او ملحد فى اسمه، أو مشير إلى غيره).

قال الشارح المعتزلى: إن العلماء يذكرون أن النبي صلى الله عليه و آله بعث و الناس أصناف شتى فى أديانهم، يهود و نصارى و مجوس و صابئون و عبدة أصنام و فلاسفة و زنادقة، فأما الامه التى بعث فيها محمدا صلى الله عليه و آله فهم العرب و كانوا أصنافا شتى، فمنهم معطله، و منهم غير معطله، فأما المعطله منهم فبعضهم أنكر الخالق و البعث و الاعاده و قالوا: ما قال القرآن العزيز منهم:

«مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ» فجعلوا الجامع لهم الطبع و المهلك الدهر، و بعضهم اعترف بالخالق سبحانه و أنكر البعث، و هم الذين أخبر سبحانه عنهم بقوله:

«قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ» و منهم من أقروا بالخالق و نوع من الاعاده، و أنكروا الرسل و عبدوا الأصنام و زعموا أنها شفعاء عند الله فى الآخرة و حجوا لها و نحروا لها الهدى و قربوا لها قربان و حللوا و حرّموا، و هم جمهور العرب، و هم الذين قال الله تعالى عنهم:

«وَ قَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ» و كانوا فى عباده الأصنام مختلفين، فمنهم من يجعلها مشاركة للبارى جل اسمه و يطلق عليها لفظ الشريك، و منهم من لا يطلق عليها لفظ الشريك و يجعلها وسائل

و ذرايع إلى الخالق سبحانه و هم الذين قالوا:

«إِنَّمَا نَعْبُدُهُمْ «لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى» و كان فى العرب مشبهه و مجسّمه، و كان جمهورهم عبده الأصنام فكان ودّ لكلب بدومه (١) الجندل، و سواع (٢) لهذيل و نسر لحمير، و يغوث لهمدان، و اللات لسقيف بالطائف، و العزى لكتانه و قريش و بعض بنى سليم، و مناه لغسان و الأوس و الخزرج، و كان هبل لقريش خاصه على ظهر الكعبه، و اساف (٣) و نائله على الصفا و المروه، و كان فى العرب من يميل إلى اليهوديه، منهم جماعه من التابعه (٤) و بلوك اليمن، و منهم نصارى كبنى تغلب و العباديين رهط عدى بن زيد و نصارى نجران، و منهم من كان يميل إلى الصابئه (٥) و يقول بالنجوم و الانواء (٦)، فاما الذين ليسوا بمعطله من العرب فالقليل منهم و هم المتألهون أصحاب الورع و التّحرج عن القبائح، كعبد الله و عبد المطلب و ابى طالب و زيد بن عمرو بن نفيل و قس بن ساعده الأيادى، و جماعه غير هؤلاء، انتهى باختصار ممّا.

ص: ١٧٢

١- (١) دومه الجندل حصن بين المدينه و الشام و هو اقرب الى الشام من المدينه

٢- (٢) سواع اسم صنم كان يعبد فى زمن نوح ثم صار لهذيل

٣- (٣) اساف ككتاب و سحاب اسم صنم وضعها عمرو بن يحيى على الصفا و نائله على المروه و كان يذبح عليهما تجاه الكعبه و هما اساف بن عمرو و نائله بنت سهل كانا شخصين من جرهم ففجرا فى الكعبه فسحبا حجرتين فعبدتهما قريش و قالوا لولا ان الله رضى ان يعبد هذان معه ما حولهما عن حالهما مجمع البحرين.

٤- (٤) جمع تبع كسكر من بلوك حمير

٥- (٥) الصابئه من صبا فلان خرج من دينه الى دين آخر و صبات النجوم خرجت من مطالعها قيل اصل دينهم دين نوح فمالوا عنه و قيل الصابئون لقب لقب به طائفه من الكفار يقال انها تعبد الكواكب فى الباطن، مجمع البحرين.

٦- (٦) جمع نوء و هو النجم، طريحي

إذا عرفت هذا فأقول: قوله عليه السّلام بين مشبّه لله بخلقه، إشاره إلى بعض هذه الفرق، وهم المشبّه الذين شبّهوا الله تعالى بالمخلوقات و مثلوه بالحادثات و أثبتوا له صفات الجسم.

فمنهم مشبّه الحشويّه، قالوا: هو جسم لا- كأجسام، و مركب من لحم و دم لا كاللّحوم و الدّماء، و له الأعضاء و الجوارح، و يجوز عليه الملامسه و المعانقه و المصافحه للمخلصين.

و منهم الذين قالوا: إنّ الله على العرش من جهه العلوّ مماسّ له من الصّيفحه العليا، و يجوز عليه الحركة و الانتقال، قال اميّه بن ابي الصلت:

من فوق عرش جالس قد حطّ رجله على كرسيّه المنصوب.

و منهم اليهود و النصارى الذين قالوا:

«نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاؤُهُ»، وَ «قَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ وَ قَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ» و قالت اليهود: «يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ».

و قد أثبتوا له سبحانه يدا و ولدا إلى غير هؤلاء من المشبّهه و المجسمه.

و قوله عليه السّلام: أو ملحد في اسمه اشاره إلى فرقه اخرى من هذه، و هم الذين يعدلون بأسماء الله تعالى عمّا هي عنه فيسمّون بها أصنامهم، و يغيّرونها بالزياده و النقصان، فاشتقوا اللات من الله، و العزى من العزيز، و مناه من المنان و هذا المعنى حكاه الطبرسى عن ابن عباس و مجاهد في تفسير قوله تعالى:

«وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ» ثم قال: و قيل: إنّ معنى يلحدون في أسمائه يصفونه بما لا يليق به، و يسمّونه بما لا يجوز تسميته به، و هذا الوجه أعمّ فائده، و يدخل فيه قول الجبائي: أراد تسميتهم المسيح بأنّه ابن الله، ثم قال و في هذا دلالة على أنّه لا يجوز أن يسمّى الله إلّا بما سمّى به نفسه.

و قوله عليه السلام: أو مشير إلى غيره إشاره إلى الدهريه و بعض عبده الأصنام ممن لم يدخل في القسمين السابقين.

و الحاصل أنّ الناس عند بعث النبي صلى الله عليه و آله كانوا على مذاهب مختلفه، و آراء متفرقه من اليهوديه و النصرانيه و المجوسيه و الدهريه و عبده الأصنام و غيرهم (فهداهم الله) سبحانه (به) صلى الله عليه و آله أى بنور وجوده (من الضلاله) و الغوايه (و أنقذهم بمكانه) أى خلصهم و أنجاهم بكونه و وجوده (من) ظلمه (الجهاله) فانجلى به عين قلوب العارفين، و اضمحل باطل الشيطان بما جاء به من الحق اليقين.

الترجمه

پس بر این منوال منقضى می شد قرن‌ها و می گذشت روزگارها، و از پیش رفتند پدران و از پس در آمدند و خلیفه شدند پسران، تا این که برانگیخت خداوند عالم محمد بن عبد الله صلى الله عليه و آله را بجهت روا کردن وعده خود که بانبياء گذشته داده بود، و بجهت تمام فرمودن نبوت خود در حالتی که فرا گرفته بود بر پیغمبران عهد و پیمان او را در حالتی که مشهور و معروف بود علامات و صفات او در کتب سماویه و صحف منزله، و در حالتی که شریف و عزیز بود وقت ولادت او و حال آنکه اهل زمین در روز بعثت او صاحبان ملل و مذاهب متفرقه بودند، و خداوندان هواها و رأیهای پراکنده و صاحبان راههای مختلف در میان، تشبیه کننده حق تعالی بمخلوقات خود و عدول کننده در اسماء حسناى او و اشاره کننده بر غیر او، پس هدایت و راهنمایی فرمود ایشان را بنور وجود او از گمراهی، و خلاص فرمود آنها را بجهت هستی او از جهالت و نادانی.

الفصل السابع عشر

اشاره

ثم اختار سبحانه لمحمد صلى الله عليه و آله لقائه، و رضی له ما عنده فأكرمه عن دار الدنيا، و رغب به عن مقارنه (مقام خ ل) البلوى، فقبضه إليه

ص: ۱۷۴

كريمًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ الْإِنْبِيَاءُ فِي أُمَّمِهَا، إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَ لَا عِلْمَ قَائِمٍ، كِتَابَ رَبِّكُمْ مَبِينًا حَلَالًا وَ حَرَامًا، وَ فَضَائِلَهُ وَ فَرَائِضَهُ، وَ نَاسِخَهُ وَ مَنْسُوخَهُ، وَ رِخْصَهُ وَ عِزَائِمَهُ، وَ خَاصَّةً وَ عَامَّةً، وَ عِبْرَةً وَ أَمْثَالَ، وَ مَرْسَلَةً وَ مَحْدُودَةً، وَ مُحْكَمَةً وَ مُتَشَابِهَةً، مَفْسَّرًا جَمْلَةً، وَ مَبِينًا غَوَامِضَهُ، بَيْنَ مَاخُذِ مِيثَاقِ عِلْمِهِ، وَ مَوْسَعِ عِلْمِهِ، وَ بَيْنَ مَثَبِ لَوْقَتِهِ، وَ مَبَايِنِ بَيْنِ مُحَارَمَتِهِ، مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ، أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غَفْرَانَهُ، وَ بَيْنَ مَقْبُولِ فِي أَدْنَاهُ، وَ مَوْسَعِ فِي أَقْصَاهُ.

اللغة

(رغب) بالكسر من باب تعب إذا تعدى بكلمه في فبمعنى الارادة و الميل، و إذا عدى بعن فبمعنى الاعراض و العدول، يقال: رغب فيه رغبا و رغبة إذا أراد و رغب عنه إذا لم يرد و أعرض عنه و (البلوى) و البلاء بمعنى واحد و (خلفوا) أثقالهم تخليفا خلّوها وراء ظهورهم و (الهمل) محرکه مصدر همل كضرب يقال: تركت الابل و الغنم و نحوهما هملا، أى سدى يرمى بعير راع ليلا- و نهارا، و الهمل أيضا جمع هامل مثل هميل و همال و زان ركع و كتاب، يقال: بغير هامل أى راع و لا راعى له و (العلم) هو العلامه و ما ينصب فى الطريق لاهتداء الناس به من الميل و المنار و (الفضائل) جمع الفضيله و هو الخير، و هو خلاف النقيصه و (الفرائض) جمع الفريضة بمعنى المفروضه، و هى الأحكام الواجبه يقال: فرض الله الأحكام أى أوجبها و (النسخ)

إزاله ما كان ثابتا و (الرخص) جمع الرخصه كغرف و غرفه و هو التسهيل فى الأمر و التيسير يقال: رخص الشرح لنا فى كذا ترخيصا و ارخص إرخاصا إذا يسره و سهله و (العزائم) جمع العزيمه و فسرهما أهل اللغه بالفريضه و الظاهر بقريته المقابله بالرخص إرادته الفرائض المشتمله على الجدد و الضيق و (العبر) جمع عبره و هو الاعتبار و الاتعاظ بما مضى و (المحكم) من اللفظ ما أتضح دلالاته و (المتشابه) خلافه و (غمض) الحق غموضا من باب قعد خفى و نسب غامض لا يعرف و (المباين) بفتح الياء مفعول من باين بمعنى المفاصل و (ارصد له) أى أعدله.

الاعراب

كرىما حال من مفعول قبضه، و كلمهما مفعول لقوله خلف مجازا، و الاصل مثل ما خلفت، و إذ لم يتركوهم لتخليف الأنبياء، و كتاب منصوب على أنه عطف بيان لما، و مبينا حال من فاعل خلف، و هو العامل فيه، و مفسرا حال بعد حال، و الضمير كلها راجعه إلى الكتاب المشتمل على الأحكام المذكوره، و بين مأخوذ متعلق بمقدّر حال من الكتاب، أى حال كون ذلك الكتاب دائرا بين مأخوذ، و مباين بالجرّ عطف على سابقه أى بين مباين بين محارمه.

و ما توهمه الشارح المعتزلى و تبعه غيره من أنّ الواجب كونه بالرفع لا بالجرّ نظرا إلى أنه ليس معطوفا على ما قبله، بدليل أنّ جميع ما قبله يستدعى الشىء و ضده، أو الشىء و نقيضه و قوله و مباين بين محارمه لا نقيض و لا ضد له، لأنه ليس القرآن العزيز على قسمين أحدهما مباين بين محارمه، و الآخر غير مباين، فإنّ ذلك لا يجوز، فوجب رفع مباين و أن يكون خبر مبتدأ محذوف فيه أنه إن أراد أنّ كلمه بين يستدعى الاضافه إلى اثنين فصاعدا نقيضا كان أحدهما للآخر أو ضدا نظرا إلى عدم تماثيه المعنى بدونهما، ففيه منع ذلك، لما قد عرفت فى الفصل السابق من تجويزهم إضافته إلى شىء واحد يقوم مقام شيئين كما فى قوله تعالى: عوان بين ذلك، و قول امرء القيس: بين الدخول فحومل، حيث

ردوا من جَوَز العطف بعدها بالفاء، استدلالا بالبيت المذكور بأنَّ الدَّخول اسم لمواضع شتى.

وإن أراد أنَّ جميع ما ذكره عليه السَّلام قبل قوله و مباين مَّا اقحم فيه كلمه بين قد ذكر عليه السَّلام فيه الشىء و ضدّه أو الشىء و نقيضه، و مباين لو كان مجرورا بالعطف للزم أن يذكر له ضدًا و نقيض و ليس فليس، ففيه أنَّ كون ما قبله على النَّسق المذكور لا يستدعى كون ذلك على ذلك النَّسق أيضا، ألا ترى إلى قوله عليه السَّلام بعد ذلك بين محارمه حيث لم يذكر له ضدّ و لا- نقيض فان قلت: إنَّ المحارم لما لم تكن شيئا واحدا بل بعضها من قبيل الكبائر و بعضها من قبيل الصِّغائر كما بينها بقوله عليه السَّلام: من كبير أوعد عليه نيرانه أو صغيراه لا- جرم حسن الاكتفاء بها فى مقام الاضافه قلت: أوّلا إنَّ هذا هدم لما أسسته، و ثانيا أنَّ المباين ليس أيضا شيئا واحدا شخصيًا، بل هو مثل المحارم، و بعبارة اخرى الحرمة المباينه بين المحارم تابعه للمحارم فى تعدّد الأفراد فافهم جيّدا و أمّا قوله: لأنَّ القرآن العزيز ليس على قسمين، أحدهما مباين، و الآخر غير مباين، ففيه ان ذلك مما تضحك منه الثكلى، ضروره أنَّ الكتاب ليس منحصرًا فى المباين، بل بعضه جدل و بعضه قصص و بعضه مثل و بعضه أحكام و بعضه ترغيب و بعضه تهيب، كما أنَّ بعضه مباين بين محارمه إلى غير ذلك ممّا اشتمل عليه، و بالجمله فقد تلخص ممّا ذكرنا كله أنَّ مباين مجرور معطوف على ما قبله و ليس بمرفوع على أنّه خبر مبتدأ محذوف، مضافا إلى أن جعله مرفوعا خلاف ما يستفاد(1) من سياق كلامه عليه السَّلام سابقا و لاحقا.

ص: ١٧٧

١- (١) يعنى ان توسط قوله و مباين بين قوله عليه السَّلام بين مأخوذ ميثاق علمه الى قوله و زایل فى مستقبله و بين قوله عليه السَّلام و بين مقبول فى ادناه اه يفيد كونه جاريا على ذلك النَّسق بان يكون مجرورا بكلمه بين أيضا جاريا للكلام على نسق واحد، منه

(ثم) إنَّ محمّداً صَلَّى اللهُ عليه وآله لَمَّا بَلَغَ الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَأَكْمَلَ الدِّينَ وَأَتَمَّ النِّعْمَةَ وَهَدَى الْأُمَّةَ مِنَ الضَّلَالَةِ وَأَنْقَذَهَا مِنَ الْجَهَالَةِ (اخْتَارَ) اللهُ (سَبْحَانَهُ) عِنْدَ ذَلِكَ لَهُ أَى (لِمَحْمَدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَائِهِ، وَرَضَى لَهُ مَا عِنْدَهُ) مِمَّا لَا عَيْنَ رَأَتْ وَلَا أُذُنَ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ (فَأَكْرَمَهُ) وَأَعَزَّهُ (عَنِ) اللَّبْثِ وَالْبَقَاءِ فِي (دَارِ الدُّنْيَا، وَرَغِبَ بِهِ) وَصَرَفَهُ (عَنِ) إِقَامِهِ (مَقَامِ) الْمُحَنِّهِ وَالْبَلْوَى فَقَبَضَهُ) أَى قَبَضَ رُوحَهُ الشَّرِيفَ (إِلَيْهِ) أَى إِلَى قُرْبِهِ الرُّوحَانِي حَالِكُونَهُ (كَرِيمًا) شَرِيفًا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) وَكَانَ قَبْضُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً مَضَتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً عَلَى مَا فِي الْكَافِي، وَالْأَشْهُرُ أَنَّهُ لِلْيَلْتَيْنِ بَقِيَّتَا مِنْ صَفَرٍ، وَ لَمْ يَمُضْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى بَيْنَ لِلنَّاسِ مَعَالِمَ دِينِهِمْ، وَأَوْضَحَ لَهُمْ سَبِيلَهُمْ، وَ لَمْ يَتْرُكْهُمْ بَعْدَهُ سَدَى وَهَمَلًا، بَلْ خَلَفَ فِيهِمُ الثَّقَلَيْنِ عَلَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ الْمَتَوَاتِرُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ وَيَأْتِي إِِنْشَاءُ اللهِ فِي شَرْحِ الْمُخْتَارِ السَّادِسِ وَالثَّمَانِينَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَقَامِ اللَّائِقِ وَالْمُنَاسِبِ وَ مِنْ جَمَلِهِ طَرَقَهُ الصَّيْدُوقُ: قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ الْقَطَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّكْرِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَكَرِيَا الْجَوْهَرِيِّ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِمَارَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَلَامَ اللهُ عَلَيْهِمْ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنِّي مَخْلُفٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابُ اللهِ وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَ أَنْهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ كَهَاتَيْنِ، وَ ضَمَّ بَيْنَ سَبَابَتَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ عَتْرَتُكَ؟ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: عَلِيُّ وَ الْحَسَنُ وَ الْحُسَيْنُ وَ الْأُمَّةُ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

و إلى ذلك المعنى أشار عليه السَّلام بقوله: (و خلف فيكم) أى خَلَى وراء ظهره مثل (ما خلفت الأنبياء) السَّابِقَهُ وَ الرِّسَالَةَ السَّالِفَةَ (فِي أُمَّهَاتِهَا) مِنْ آثَارِ النَّبَوَةِ وَ إِعْلَامِ الرِّسَالَةِ (إِذْ لَمْ يَتْرُكْهُمْ هَمَلًا) أَى لَمْ يَتْرُكُوا أَمْمَهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَشَاءُونَ كَالْأَبْلِ الَّتِي رَعَتْ حَيْثُ تَشَاءُ وَ لَا رَاعِيَ لَهَا لَيْلًا وَ نَهَارًا، وَ يَحْتَمِلُ الْجَمْعُ عَلَى مَا مَرَّ أَى لَمْ

يتركوهم هاملين (بغير طريق واضح) يوصل إلى مقام القرب و الزلفى (و لا علم قائم) بينهم ينجى بهم عن ورطه الهلاكه و الردى أقول: قد عرفت فى الفصل السادس عشر أنّ بعث الأنبياء و الحجج عليهم السّلام إنّما هو لأن يدعوا الخلق إلى الحقّ بالحكمه و الموعظه الحسنه، و ليكونوا سببا لانتظام أمر معاشهم و معادهم، لمكان ما جاءوا به من القانون العدل و الشّرع السّواء، و لأجل ذلك مست الحاجه على أن يأتوا من عنده سبحانه بكتاب باق و علم قائم بعد انقراض قرن النّبي المبعوث إلى زمن مجيء بعث النّبيّ الاخر، ليكون تذكره لهم، و كيلا يندرس آثار النّبوه من الأرض و لا تنقطع بفقدانهم، و لا يكون الخلق ينسون ما ذكروا به و غافلين و كالهمل من الحيوان يعملون ما يشتهون، أو كالهملج الرّعاع لكلّ ناعق يصغون، و لما كان شرع نبينا صلّى الله عليه و آله مستمرا إلى يوم القيامة و جب له أن يخلف لمن يليه ما يكون ذكرى و تذكره فى هذه المدّه المتطاوله و قد خلف الثقل الأ-كبر مضافا إلى الثقل الاصغر و هو جبل ممدود من السماء إلى الارض ينجى به من المهالك و من فارقه فهالك و بين فيه الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام و جميع ما يحتاج إليه النّاس كملا، و كما جعله الله سبحانه خاتما للأنبياء فقد جعل كتابه خاتما للكتب، فلا- كتاب بعده أحلّ فيه حلالا- و حرّم حراما، فحلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة فيه شرعكم و خبر من قبلكم و خبر من بعدكم و هو (كتاب ربّكم) و جعله النّبي صلّى الله عليه و آله علما باقيا و طريقا قائما بين أمته حالكونه (مبيّنا حلاله و حرامه) كما قال تعالى:

«أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا» و قد يجعل الحلال أعّم من المباح و المكروه ليكون ذلك مع قوله عليه السّلام: (و فضائله و فرائضه) إشارة إلى الأحكام الخمسه التى عليها مدار الفقه، ليكون الفضائل إشارة إلى المنسوبات، و الفرائض إشارة إلى الواجبات، و ذلك مثل قوله سبحانه:

«فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِكُمْ»

«فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا» فَإِنَّ ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ قِضَاءِ الصَّلَاةِ وَفَعَلَهَا دَاخِلٌ فِي الْمُنْدُوبَاتِ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْاطْمِئِنَانِ مَوْقُوتَةٌ مَفْرُوضَةٌ (وَنَاسِخَةٌ وَنَسْوَخَةٌ) وَالْمُرَادُ بِالْأَوَّلِ الْحُكْمَ الرَّافِعَ لِلْحُكْمِ الثَّابِتِ بِالنَّصِّ الْمَتَقَدِّمِ، وَيُسَمَّى الثَّانِي وَهُوَ الْحُكْمُ الْمَرْفُوعُ مَنْسُوخًا، وَمِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

«وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» (١) فَإِنَّهُ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

«وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ» وَبِقَوْلِهِ: «وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ» كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رَوَاهُ فِي الْكَافِي عَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْجَهْمِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا بَا مُحَمَّدٍ مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ يَتَزَوَّجُ نَصْرَانِيَّةً عَلَى مُسْلِمَةٍ؟ قُلْتُ جَعَلْتَ فِدَاكَ وَ مَا قَوْلِي بَيْنَ يَدَيْكَ، قَالَ: لَتَقُولَنَّ فَإِنَّ ذَلِكَ تَعَلَّمَ بِهِ قَوْلِي، قُلْتُ: لَا يَجُوزُ تَزْوِيجُ نَصْرَانِيَّةٍ عَلَى مُسْلِمَةٍ وَلَا عَلَى غَيْرِ مُسْلِمَةٍ، قَالَ: وَ لِمَ؟ قُلْتُ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَنَّ» قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ» قُلْتُ: فَقَوْلُهُ: وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ نَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةَ فَتَبَسَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ سَكَتَ (وَ رَخِصَهُ وَ عَزَائِمُهُ) الظَّاهِرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْعَزَائِمِ الْأَحْكَامَ الَّتِي لَا يَجُوزُ مَخَالَفَتُهَا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، مِثْلُ وَجُوبِ الْإِعْتِقَادِ وَ الْإِقْرَارِ بِالتَّوْحِيدِ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

ص: ١٨٠

١- (١) أَيِ أَحَلَّ لَكُمْ الْعَقْدَ عَلَى الْمُحْصَنَاتِ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ سَابِقُ الْآيَةِ وَ هُوَ قَوْلُهُ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَ طَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَّ لَكُمْ وَ طَعَامَكُمْ حَلَّ لَهُمْ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْهُ،

«فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» وبالرخص ما يجوز مخالفته و اذن في تركه في بعض الأحيان لقيام الداعي إلى المخالفة كأكل الميتة في حال المخمصة على ما يدل عليه الآيه الشريفه «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ» و قريب منه ما قيل: من ان الرخص ما اذن في فعله مع قيام السبب المحرم لضروره أو غيرها، و العزائم ما كان من الاحكام الشرعيه جاريا على وفق سببه الشرعي أقول: و ذلك مثل صوم شهر رمضان، فإنه رخصه بمعنى أنه يجوز تركه في حق الحامل المقرب و المرضعه القليله اللبن و الشيخ و الشيخه، و يجب تركه في حق المريض و المسافر، فيكون الافطار عزيمه لهما و «الصوم ظ» عزيمه في حق غيرهم من الجامعين لشرائط الوجوب، قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنَّ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» فإن الصيام عزيمه في حق المؤمنين، و رخص في تركه لمن كان مريضا أو على سفر فيجب له الافطار كما رخص جوازا في حق الذين لهم طاقه و ليس لهم وسع من الحامل المقرب و نحوها ممن ذكرناه، و إليه الاشاره بقوله: و على الذين يطيقونه، فانهم مرخصون في الافطار مخيرون بين الصوم و الفديه و ان يصوموا خير لهم إن كانوا يعلمون (و خاصه و عامه) العام هو اللفظ الموضوع للدلاله على استغراق أجزائه أو جزئياته، و الخاص خلافه و الأول مثل قوله تعالى:

«أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ» و قوله: «أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ» و الثَّانِي مثل قوله: «وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ» و يحتمل أن يكون المراد بالعام ما لفظه موضوع للعموم و اريد منه ذلك أيضا:

كقوله تعالى: «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» و بالخاص ما لم يرد به ذلك و إن كان اللفظ موضوعا له، مثل قوله تعالى حكاية عن بلقيس: «وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» فإِنَّ لفظه عامٌ و معناه خاصٌ، لأنها لم تؤت شيئا كثيرا منها الذكر و اللحية و قوله:

«يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ» لأِنَّ معناه خاصٌ، لأنهم إنما فضلوا على أهل زمانهم بأشياء خصَّ بهم بها (و عبره و امثاله) العبر جمع العبره مأخوذه من العبور الذى هو انتقال الجسم من مكان إلى آخر، و معناها انتقال ذهن الانسان من شىء إلى آخر بسبب من الأسباب، كانتقاله من المصائب و الآلام الواقعة على الغير إلى نفسه فيقدرها كأنها نازله به، فيحصل له بذلك رغبه عن الدنيا و ميل إلى العقبى، قال تعالى:

«فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى» (١) و هذا أكثر مواقع استعمالها، و قد يستعمل فى الانتقال من آثار الصنع و القدره إلى وجود الصانع و صفات كماله، قال سبحانه:

«يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولَى الْأَبْصَارِ»

ص: ١٨٢

١- (١) يعنى اخذ فرعون بعقوبه الاخره و الدنيا و فيه عبره لمن فى قلبه خوف و خشيه و لم يتغشاه غطاء و قساوه منه.

وقال أيضا: «وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسِّيَ عَلَيْكُمْ مِنَّمَا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبِنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ» و أمّا الأمثال فكقوله عز من قائل: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» وقوله: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبِتَتْ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُتْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ».

(و مرسله و محدوده) المراد بالمرسل هو المطلق، و هو على ما عرفه أكثر الأصوليين اللفظ الدال على شايع في جنسه، و فرق الشهد في التمهيد بينه و بين العام، بأن المطلق هو الماهية لا بشرط شيء و العام هو الماهية بشرط الكثرة المستغرقة، و التفصيل في ذلك موكول إلى الأصول، و المراد بالمحدود هو المقيد مثال الأول قوله تعالى:

«وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً» و مثال الثاني قوله: «قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا» - الآية (و محكمه و متشابهه) قال تعالى:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» و المحكم مأخوذ من حاكت و أحكت بمعنى رددت و منعت، و الحاكم يمنع

الظالم من الظلم، و بناء محكم أى وثيق يمنع من تعرّض له، و سمّيت الحكمة حكمه لمنعها عمّا لا ينبغي، و التشابه أن يكون أحد الشئين شبيها بالآخر بحيث يعجز الذهن عن التمييز بينهما، قال تعالى:

«إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا» و قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: حلال بَيْن و حرام بَيْن و شبهات بين ذلك، و لما كان من شأن المتشابهين عجز الانسان عن التمييز بينهما سمى كل ما لا يهتدى الانسان إليه بالمتشابه إطلاقاً لاسم السبب على المسبب هذا.

و عرّفهما المحققون من العامه و الخاصه بأن اللفظ الموضوع لمعنى إما أن يحتمل غير ذلك أم لا، الثانى النص، و على الأول فإما أن يكون أحدهما راجحاً و الآخر مرجوحاً أم لا، بل يكون احتمالهما لهما على السواء، فعلى الأول التراجع الظاهر، و المرجوح المأول، و الثانى المشترك أو المجمل، و القدر المشترك بين النص و الظاهر هو المحكم، و بين المجمل و المأول هو المتشابه.

فقد ظهر من ذلك أنّ المحكم ما اتضح دلالتة، و المتشابه خلافه و قد حقّقنا الكلام فيهما بما لا مزيد عليه فى حواشينا على القوانين مثال الأول قوله:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً»، وَ «لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ» و مثال المتشابه قوله: «وَ الْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» و قوله: «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» و التشابه فى الاولى من جهة الاشتراك، و فى الثانية من تعدد الحقيقة و اختفاء قرينه المجاز، و من المتشابه الحروف المقطعه فى أوائل السور مثل الم و حم و طه و نحوها و قوله عليه السلام (مفسراً جملة) المراد بالجملة الألفاظ المجمله المحتملها المحتاجه إلى التفسير و البيان، مثل ثلاثة قروء فى الآية السابقة المراد بين الطهر و الحيض، و منه على مذهب البعض قوله:

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ»، و «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ»، و «أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَهُ الْأَنْعَامُ» و أمثالها ممّا اضيف فيه التحليل و التحريم إلى الأعيان (١) فإن إرادته الحقيقيه فيها غير ممكنه، و المجازات متعدده، و اللفظ مجمل بالنسبه إليها و محتمل لكل منها (و مبينا غوامضه) أى معضلاته و مشكلاته.

ثم أشار عليه السلام إلى تقسيم الكتاب بنحو آخر بقوله: (بين مأخوذ ميثاق علمه) أى على كل أحد لا يقبل العذر فيه، و ذلك مثل معرفه الصانع و توحيده قال تعالى:

«وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ - الْآيَهُ» (و بين (موسى) على العباد فى جهله) كالمتشابهات التى جعل علمها مخصوصا بالتراسخين فى العلم، و غيرهم منها فى سعه كما قال:

«وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرِّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» (و بين مثبت فى الكتاب فرضه، و معلوم فى السنه نسخه) هذا الكلام نصّ و صريح فى وقوع نسخ الكتاب بالسنة المتواتره، فيدلّ على جوازه بطريق أولى، لأنّ الوقوع أخصّ من الامكان، و هو مذهب أصحابنا رضى الله عنهم و المتكلمين من المعتزله و الأشاعره، و إليه ذهب أصحاب أبى حنيفه و مالك، و خالف فيه الشافعى و أكثر الظاهريه على المحكى عنهم فى النهايه و الحنبلى فى إحدى الروايتين عنه، و المسأله معنونه فى الاصول و يشهد بوقوعه قوله:

ص: ١٨٥

١- (١) لا يخفى ان الايه الاولى اعنى قوله ثلثه قروء مثال لما كان الاجمال من جهه الاشتراك و تعدد المعانى الحقيقيه و الايات الاخيره امثله لما كان جهه الاجمال كثره المعانى المجازيه و تردد اللفظ بينها، منه.

«وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» وَالدَّانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَاصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا» فَانَّ مَفَادَ الْآيَةِ الْأُولَى حَبْسَ الْفَوَاحِشِ مِنَ النِّسَاءِ فِي الْبُيُوتِ إِلَى حِينِ الْمَمَاتِ، كَمَا أَنَّ مَفَادَ الثَّانِيَةِ وَجُوبَ إِيْذَاءِ الْآتِيَنِ لِلْفَاحِشَةِ، ثُمَّ نَسَخَ ذَلِكَ أَى الْحَبْسِ وَالْإِيْذَاءِ بِالْجُلْدِ الثَّابِتِ لغيرِ الْمُحْصَنِ وَالْمُحْصَنَةِ بِالْكِتَابِ أَعْنَى قَوْلِهِ:

«الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً» وَبِالرَّجْمِ الثَّابِتِ لهُمَا بِالسَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ وَ أَمَّا مَا قِيلَ: مِنْ أَنَّ الْآيَةَ الْأُولَى مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ الْجُلْدِ وَ الرَّجْمِ الثَّابِتِ بِالسَّنَةِ مَضَافٍ إِلَى الْجُلْدِ زِيَادَةً وَ لَيْسَ نَسْخًا لَهُ، وَ أَنَّ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ بَاقِيَةٌ بِحَالِهَا غَيْرَ مَنْسُوخَةٍ إِذِ الزَّانِي الْمُسْتَحَقُّ لِلْحَدِّ يَذَمُّ أَوْلَا وَ يَعْنَفُ، ثُمَّ يَحْدُ فَلَيسْتَ الْآيَتَانِ مَنْسُوخَتَيْنِ بِالسَّنَةِ فَفِيهِ مَنَعُ إِضَافَةِ الْجُلْدِ إِلَى الرَّجْمِ دَائِمًا كَمَنَعِ إِضَافَةِ الرَّجْمِ إِلَيْهِ كَذَلِكَ، بَلْ بَعْضُ الْفَاحِشَاتِ مُسْتَحَقَّةٌ لِلْجُلْدِ فَقَطْ وَ بَعْضُهَا لِلرَّجْمِ فَقَطْ وَ بَعْضُهَا يَجْمَعُ لَهَا بَيْنَ الْحَدِّينِ عَلَى مَا فَصَّلَ فِي الْكُتُبِ الْفَقْهِيَّةِ وَ أَمَّا مَا قَالَهُ الشَّارِحُ الْبَحْرَانِي فِي تَقْرِيرِ الْإِسْتِشْهَادِ بِهِمَا عَلَى الْمَدْعَى: مِنْ أَنَّهُ كَانَتْ الثَّيْبُ إِذَا زَنَتْ فِي بَدْءِ الْإِسْلَامِ تَمْسُكُ فِي الْبُيُوتِ إِلَى الْمَمَاتِ، وَ الْبُكَرُ تُؤْذَى بِالْكَلامِ وَ نَحْوِهِ بِمَقْتَضَى هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ، ثُمَّ نَسَخَ فِي حَقِّ الثَّيْبِ بِالرَّجْمِ وَ فِي حَقِّ الْبُكَرِ بِالْجُلْدِ وَ التَّعْزِيرِ بِحُكْمِ السَّنَةِ فَفِيهِ أَوْلَا أَنَّ الْآيَةَ الْأُولَى غَيْرُ مُخْتَصَّةٍ بِالثَّيْبِ بَلْ شَامِلَةٌ لَهَا وَ لِلْبُكَرِ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُقَالَ بِاسْتِفَادَةِ الثَّيْبِ مِنْ الْإِضَافَةِ، لِأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَضَافَهُنَّ إِضَافَةَ زَوْجِيَّةٍ إِذْ لَوْ أَرَادَ غَيْرُ الزَّوْجَاتِ لُقِيَ: مِنَ النِّسَاءِ، وَ لَمْ يَقُلْ: مِنْ نِسَائِكُمْ، فَالْبُكَرُ تَكُونُ خَارِجَةً عَنْهَا

و ثانياً أنّ السنّه لم تقم على الرجم فى حقّ الثيب مطلقاً بل فى حقّ المحصنه منها فاللازم تبديل لفظ الثيب فى قوله: ثمّ نسخ، فى حقّ الثيب بالمحصنه و ثالثاً أنّ ثبوت الجلد للبكر إنّما هو بالكتاب لا بحكم السنّه، لا يقال إنّ غايه ما يستفاد من الكتاب هو جلد الزانيه مائه جلده، و كون المراد بها هى البكر الغير المحصنه ممّا استفيد من السنّه، فثبوت الجلد فى حقّها قد كان بحكم السنّه فكان النَّاسخ هو السنّه دون الكتاب، لأننا نقول: إنّ النَّاسخ هو الكتاب، و السنّه بيان لما هو المراد بالنَّاسخ فافهم و رابعاً أنّ المستفاد من كلامه (ره) أنّ الآيه الاولى وارده فى حقّ الثيب و الآيه الثانيه فى حقّ البكر و هو خلاف ما يستفاد من الأخبار، فإنّ المستفاد منها أنّ الأولى وارده فى حقّ النساء، و الثانيه فى حقّ الرجال قال على بن إبراهيم القمى (ره) عند تفسير الآيتين: فإنّ فى الجاهليّه إذا زنى الرّجل يؤذى و المرأه تحبس فى بيت إلى أن تموت، ثمّ نسخ ذلك بقوله: الزانيه و الزانى فاجلدوا كلّ واحد منهما مائه جلده.

و روى فى الوسائل عن رساله المحكم و المتشابه للمرتضى، نقلاً من تفسير التّعمانى بإسناده عن إسماعيل بن جابر عن أبى عبد الله عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام فى حديث النَّاسخ و المنسوخ، قال: كان من شريعتهم فى الجاهليّه أنّ المرأه إذا زنت حبست فى البيت و اقيم بادوها حتّى يأتيها الموت، و إذا زنى الرّجل نفوه عن مجالسهم و شتموه و آذوه و عيروه و لم يكونوا يعرفون غير هذا، قال الله تعالى فى أوّل الاسلام و اللّاتى يأتين الفاحشه إلى آخر الآيتين، فلمّا كثر المسلمون و قوى الاسلام و استوحشوا امور الجاهليّه أنزل الله تعالى: الزانيه و الزانى، الايه، فنسخت هذه آيه الحبس و الأذى أقول: و لعلّ مراده عليه السّلام نسخ هذه الآيه لتلك الآيتين فى حقّ غير المحصن و المحصنه فلا ينافى ما قرّناه فى مقام الاستشهاد كما لا يخفى (و) بين (واجب فى السنّه أخذه، و مرخص فى الكتاب تركه) هذا الكلام كسابقه صريح فى عكس

سابقه، و هو وقوع نسخ السنه بالكتاب، فيدل على الجواز بالأولويه حسبما مرّ و هو مذهب الاماميه و الأشاعره و المعتزله و جميع فقهاء العامه، و المخالف منحصر في الشافعي على ما حكى عنه، و الشاهد على وقوعه أنّ التوجه إلى بيت المقدس كان واجبا في ابتداء الاسلام بالسنه خاصه، لعدم دليل في الكتاب عليه ثم نسخ بقوله تعالى:

«قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» و أنّ مباشره النساء في الليل كانت محرّمه على الصائمين بالسنه أيضا، و قد نسخ بقوله تعالى:

«فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ» و أنّ صوم عاشوراء كان واجبا بالسنه، ثم نسخ بصوم شهر رمضان بقوله:

«فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» كما رواه في الوسائل عن الحارث العطار، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن صوم عاشوراء فقال صوم متروك بنزول شهر رمضان، و المتروك بدعه، و فيه أيضا عن زراره بن أعين و محمد بن مسلم جميعا أنّهما سألا أبا جعفر الباقر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء، فقال:

كان صومه قبل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان ترك (و بين واجب لوقته و زایل في مستقبله) كالنذر و العهد و اليمين الموقت بوقت معين، قال تعالى:

«وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا» و قال أيضا: «وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ اللَّهُ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَ لَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا» و تمثيل الشارح البحراني له بالحجّ الواجب في العمر مرّه لا معنى له، إذ الحجّ و إن كان واجبا في العمر مرّه إلا أنه لا يزول وجوبه في المستقبل، مع عدم الاتيان،

بل يجب في العام القابل و يجب قضاؤه مع عدم الاتيان به دوام العمر فان قيل: لعل مراده عليه السّلام بقوله: و زایل في مستقبله، هو زوال الوجوب بعد الاتيان بالواجب، و على ذلك فيصح التمثيل قلت: لو بنى على ذلك لاستوى فيه جميع الواجبات سواء كان وجوبه في العمر مرّه أو غير مرّه ضروره أنّ كلاً منها مع الاتيان يوجب سقوط التكليف، فلا يبقى بعد الاتيان و الامتثال وجوب كما هو ظاهر لا يقال كيف يمكن إنكار الفرق بين الحجّ و بين صلاة الظهر و أمثالها من الواجبات المكرره، مع أنّ الحجّ إذا اتى به مرّه يزول التكليف به بعده، بخلاف الظهر فان الاتيان به في ذلك اليوم لا يوجب سقوط الوجوب في الغد لأننا نقول: إن أردت من عدم سقوط الوجوب في الغد عدم سقوط وجوب الظهر المأتى به في ذلك اليوم، ففيه أنّه ساقط قطعاً إذ لا معنى للامتثال عقيب الامتثال و إن أردت عدم سقوط وجوب الظهر الواجب عند زوال الغد، ففيه أنّه واجب مستقبل لا منافاه بين وجوبه و سقوط وجوب ظهر اليوم بعد الاتيان به في وقته فافهم جيّداً و من العجب جعله الحجّ من الموقنات مع أنّه لا وقت له فلو بدّله بصلاه الجمعه و مثل بها كما فعله الشّارح المعتزلى لكان له وجه (و) بين حكم (مباين بين محارمه) جمع محرم كمقعد، و المراد بها المحرّمات التي هي محل الحرمة، و المراد بالحكم المباين أى المفاصل هو الحرمة، و المعنى و بين حرمة مفاصله بين محال الحرمة، اى مفرقه بين محرّمات الكتاب بالشّدّه و الضّعف كما بيّنه بقوله: (من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه) فرق بين الكبير و الصغير بأنّ الأوّل ما توعدّ عليه بالنّيران، و الثّانى ما اعدّ له الغفران و بهذا صرح في جمع من الأخبار، مثل ما رواه المفيد عن عباد بن كثير قال سألت أبا جعفر عليه السّلام عن الكبائر، فقال كلّ ما أوعد الله عليه النار و فى الوسائل عن عليّ بن جعفر فى كتابه عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السّلام قال: سألته عن الكبائر التي قال الله عزّ و جلّ:

«إِنَّ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ» قال: التي أوجب الله عليه النار، و بمعناها أخبار آخر و في بعض الأخبار أنها سبع، و هو ما رواه في الكافي عن ابن محبوب، قال كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الكبائر كم هي و ما هي؟ فكتب عليه السلام: الكبائر من اجتنب ما أوعده الله عليه النار كفر عنه سيئاته إذا كان مؤمنا و السبع الموجبات قتل النفس الحرام و عقوق الوالدين و أكل الربوا و التعرب بعد الهجره و قذف المحصنه و أكل مال اليتيم و الفرار من الزحف.

و مثله في تعيين السبع المذكور رواه ثواب الأعمال باسناده عن أحمد بن عمر الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام، و زيد في بعض الأخبار على السبع، و نقص في أخرى و اختلف الحاصر لها في السبع أيضا في تعيينها، و بالجمله الأخبار كالأقوال في المقام مختلفه جدًا و قد جمعوا بينها بحمل الكبيره على ما هو كذلك بالنسبه إلى ما هو أصغر منه و الصغيره على ما هو كذلك بالنسبه إلى ما هو أكبر منه، فالقبله صغيره بالنسبه إلى الزنا، و كبيره بالنسبه إلى النظر و هكذا قال الصدوق: الأخبار في الكبائر ليست مختلفه، لأن كل ذنب بعد الشرك كبير بالنسبه إلى ما هو أصغر منه، و كل كبير صغير بالنسبه إلى الشرك بالله و في مجمع البيان عند تفسير قوله تعالى:

«إِنَّ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» قال: اختلف في معنى الكبيره، فقيل: كل ما أعد الله عليه في الآخره عقابا و أوجب عليه في الدنيا حدًا فهو كبيره، و هو المروي عن سعيد بن جبير و مجاهد، و قيل:

كل ما نهى الله عنه فهو كبيره، عن ابن عباس و إلى هذا ذهب أصحابنا، فإنهم قالوا:

المعاصي كلها كبيره من حيث كانت قبائح لكن بعضها أكبر من بعض، و ليس في الذنوب صغيره و إنما تكون بالاضافه إلى ما هو أكبر منه و يستحق العقاب عليه أكثر هذا و أكثر الأخبار جمعا و احتواء لها، ما رواه الصدوق باسناده، و الطبرسي في

مجمع البيان جميعا عن عبد العظيم بن عبد الله الحسنى، قال حدثنى أبو جعفر الثانى عليه السّلام قال سمعت أبى يقول: سمعت أبى موسى بن جعفر عليه السّلام يقول: دخل عمرو بن عبيد على أبى عبد الله عليه السّلام فلما سلم و جلس تلا هذه الآيه:

«الَّذِينَ يَجْتَبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ» ثمّ امسك، فقال له أبو عبد الله عليه السّلام ما أسكتك؟ قال أحبّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله، فقال عليه السّلام: نعم يا عمرو أكبر الكبائر الاشراك بالله يقول الله:

«مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» و بعده الاياس من روح الله، لأنّ الله عزّ و جلّ يقول:

«لَا يَتَّسِرُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» ثمّ الأمن من مكر الله، لأنّ الله عزّ و جلّ يقول:

«فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ» و منها عقوق الوالدين، لأنّ الله سبحانه جعل العاق جبارا شقيئا، و قتل النفس التى حرّم الله إلاّ بالحقّ لأنّ الله عزّ و جلّ يقول:

«فَجَزَاءُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا» إلى آخر الآيه، و قذف المحصنه لأنّ الله عزّ و جلّ يقول:

«لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» و أكل مال اليتيم، لأنّ الله عزّ و جلّ يقول:

«إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا» و الفرار من الزحف، لأنّ الله عزّ و جلّ يقول:

«وَ مَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مَتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ»

«فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بُئِسَ الْمَصِيرُ» وَ أَكَلَ الرَّبْوَا لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ:

«الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ» وَ السَّحَرُ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ:

«وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» وَ الزَّوْنَا، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ:

«وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يُخَلَّدُ فِيهِ مُهَانًا» وَ اليمين الغموس الفاجره لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ:

«الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ أَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ» وَ الغلول لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ:

«وَ مَنْ يَعْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَ منع الزَّكَاةَ المفروضه، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ:

«فَتَكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ» وَ شهاده الزَّور وَ كتمان الشَّهاده، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ:

«وَ مَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ» وَ شرب الخمر، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ نَهَى عَنْهَا كَمَا نَهَى عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَ تَرَكَ

الصَّلاة متعمداً أو شيئاً ممّا فرض الله عزّ وجلّ، لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: من ترك الصّلاة متعمداً فقد براء من ذمه الله و ذمه رسوله، و نقض العهد و قطيعه الرّحم لأنّ الله عزّ وجلّ يقول:

«لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» قال: فخرج عمرو و له صراخ من بكائه و يقول: هلك من قال برأيه و نازعكم فى الفضل و العلم (و بين مقبول فى أدناه و موسّع فى أفصاه) كالقيام إلى صلاه اللّيل، فإنّ قليله مقبول و الكثير منه موسّع، قال تعالى:

«يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نَّضِيفُهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا» و قال أيضا: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طَائِفَهُ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَ اللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ» أى صلّوا ما تيسّر من الصلاه فى اللّيل، عبّر عن الصّلاه بالقرآن، لأنّها تتضمّنه و كقرائه القرآن، فأنه مرغوب فيها و من القربات المستحبه قليلا مقبول و الناس من الكثير منها فى سعه، و بها فسرت الآيه الأخيره فى أحد التفسيرين، و روى فى مجمع البيان عن الرضا عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام قال: ما تيسّر منه أى من القرآن لكم فيه خشوع القلب و صفاء السّير هذا.

و ينبغي تذييل هذا الفصل بامور مهمه مفيده

لزياده البصيره

الاول

فى الاشاره إلى فائده إنزال القرآن و نعتة بلسان الرّمز و الاشاره

و بيان

ص: ١٩٣

فاقول: اعلم هداك الله إلى الصراط المستقيم، و ثبتك على المنهج القويم، أن القرآن لما كان اصله مكتوبا:

«فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ» بلا صحائف و لا أوراق، لكونه قبل وجود الأنفس و الآفاق، و كنا في ابتداء وجودنا ضعفاء العقول، ضعفاء الأبصار و لم يكن تصل قوه أنظارنا إلى أطراف هذه الأرقام، و أكناف هذه الكلمات العظام، لتعظيم حروفها، و تعالي كلماتها، و تباعد أطرافها و حافاتهما، لا جرم تضرعنا إليه سبحانه بلسان احتياجنا و استعدادنا، و قلنا: إلهنا ارحم على قصورنا، و لا- تؤيسنا عن روحك و رحمتك، و اهدنا سبيلا- إلى مطالعه كلماتك، و وصولا إلى رضوانك و جناتك، فتلطف سبحانه بنا بمقتضى عنايته الشاملة، و حكمته الكاملة و رحمته الواسعة، و قدرته البالغة، فاعطى لنا نسخه مختصره من أسرار كتبه الجامعه، و أنموذجا و جيزا من معاني كلماته التيامه و هو القرآن الكريم و الصراط المستقيم، و التنزيل من العزيز الرحيم، نزله على النبي الأمين، لانجاء العباد من سلاسل تعلقات النفس، و وساوس الشيطان اللعين، فلو كشف نقاب العزّه عن وجهه، و رفع جلباب العظمه و الكبرياء عن سرّه، لشفى كلّ عليل، و روى كلّ غليل، و داوى كلّ مريض القلب بعسل الأخلاق الذميمه، و أسقام الجهالات المهلكه، و أنجى المقيدين بسلاسل التعلقات، و المزينين بحبّ الأهل و الأولاد و الشهوات، و هو مع عظمه قدره و علوّ منزلته و سموّ مكانه، قد تلبس بلباس الحروف و الأصوات، و اكتسى بكسوه الألفاظ و العبارات، رحمه منه سبحانه على العباد، و شفقّه على خلقه و تقريبا إلى أفهامهم و مداراه معهم، و منازلهم إلى ادواقهم، و إلّا- فما للتراب و ربّ الأرباب، ففي كلّ حرف منه ألف رمز و إشارة، و في كلّ لفظ ألف سرّ و كناية.

و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله فيما رواه في الكافي باسناده إلى الصادق عليه السلام عن

آبائه، عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ فِي دَارِ هِدْنَةٍ وَأَنْتُمْ عَلَى ظَهْرِ سَفَرٍ (١) وَالسَّيْرُ بِكُمْ سَرِيعٌ وَقَدْ رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَبْلِيَانِ (٢) كُلٌّ جَدِيدٌ وَيَقْرَبَانِ كُلٌّ بَعِيدٌ وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعِدٍ، فَأَعِدُّوا الْجِهَازَ (٣) لِبَعْدِ الْمَجَازِ قَالَ:

فَقَامَ الْمُقَدَّدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا دَارُ الْهَدْنَةِ؟ قَالَ: دَارُ بِلَاغٍ وَانْقِطَاعٍ فَإِذَا التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمْ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَا حَلَّ (٤) مُصَدِّقٌ مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ وَهُوَ الدَّلِيلُ يَدُلُّ عَلَى خَيْرِ سَبِيلٍ وَهُوَ كِتَابٌ فِيهِ تَفْصِيلٌ وَبَيَانٌ وَتَحْصِيلٌ، وَهُوَ الْفَصْلُ (٥) لَيْسَ (٦) بِالْهَزْلَ، وَ لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حَكْمٌ، وَبَاطِنُهُ عِلْمٌ، ظَاهِرُهُ أُنِيقٌ (٧) وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ لَهُ تَخُومٌ (٨) وَعَلَى تَخُومِهِ تَخُومٌ (٩)، لَا تَحْصِي عَجَائِبَهُ، وَلَا تَبْلِي غَرَائِبَهُ، فِيهِ مَصَابِيحُ الْهُدَى وَمَنَارُ الْحِكْمَةِ، وَدَلِيلٌ عَلَى الْمَعْرِفَةِ لِمَنْ عَرَفَ الصِّفَةَ، فَلْيَجْلِ (١٠) جَالُ بَصْرِهِ، وَ لِيَبْلُغَ الصِّفَةَ نَظَرُهُ، يَنْجُ مَنْ عَطِبَ وَ يَتَخَلَّصُ مِنْ نَشَبٍ (١١) فَإِنَّ التَّفَكْرَ حَيَاةَ قَلْبِ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْمَسْتَنِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ، فَعَلَيْكُمْ بِحَسَنِ التَّخْلِصِ وَقَلْبِ التَّرْبِصِ هَذَا.

و لَغَايَةِ عَظَمَتِهِ وَ مَتْنِي جَلَالَتِهِ سَمِّي بِأَسْمَاءٍ مُخْتَلِفَةٍ وَ لَقَّبَ بِأَلْقَابٍ كَثِيرَةٍ،

ص: ١٩٥

١- (١) التَّنْكِيرُ إِشَارَةٌ إِلَى مَا هُوَ بِهِ وَ عَظَمَتِهِ وَ هَيْبَتِهِ

٢- (٢) أَيِ يَفْنِيَانِ م

٣- (٣) جِهَازُ السَّفَرِ هُوَ السَّفَرُ وَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي قَطْعِ الْمَسَافَةِ م

٤- (٤) قَالَ الطَّرِيحِيُّ فِي الْحَدِيثِ مِنْ مَحَلِّ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَ أَيِ سَعَى بِهِ يَقَالُ مَحَلِّ بِفَلَانٍ إِذَا قَالَ عَلَيْهِ حَوْلًا يَوْقَعُهُ فِي مَكْرُوهٍ انْتَهَى، فَعَلِي هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ وَ مَا حَلَّ إِشَارَةٌ إِلَى سَعَايَةِ الْقُرْآنِ فِي يَوْمِ الْحِسَابِ مِمَّنْ ضَيَعَهُ وَ نَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، مِنْهُ

٥- (٥) أَيِ الْفَاصِلَةِ بَيْنَ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ م

٦- (٦) أَيِ لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْهَزَلَاتِ الشَّعْرِيَّةِ م ل

٧- (٧) أَيِ حَسَنِ مَعْجَبٍ م

٨- (٨) تَخْمُ الْأَرْضِ حُدُودُهَا وَ الْجَمْعُ تَخُومٌ كَفَلْسٌ وَ فُلُوسٌ م

٩- (٩) وَ فِي بَعْضِ النُّسخِ لَهُ نَجُومٌ وَ عَلَى نَجُومِهِ نَجُومٌ وَ قَدْ فَسَّرَهُ الْمَجْلِسِيُّ فِي عَيْنِ الْحَيَوَةِ بِالْأَثْمَةِ «عَلَيْهِمُ السَّلَامُ» م

١٠- (١٠) مِنْ جَالِ يَجُولُ دَارًا، م

١١- (١١) هُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ نَشَبَ فِي الشَّيْءِ إِذَا وَقَعَ فِيهَا لَا مُخْلِصَ مِنْهُ، مَجْمَعٌ

لأنَّ الشَّيءَ كلما ازداد جلاله و رفعة ازداد نعتا و وصفا:

فمنها الكتاب قال تعالى: «ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ» و منها القرآن: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ» و منها الفرقان لكونه فارقا بين الحقّ و الباطل، قال سبحانه:

«وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ» و منها النور، لأنّه نور عقليّ ينكشف به أحوال المبدأ و المعاد و يترا أى منه حقائق الأشياء، و يهتدى به فى ظلمات بَرِّ الاجسام و بحر النفوس و يظهر به للسالكين إلى الدار الاخرى طريق الجنة و طريق النار، قال تعالى:

«قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ».

و منها الحكمه، قال تعالى: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ» و هى عباره عن أفضل علم بأحكم معلوم و لا- يوصف بها إلا المتجرّدون عن جلباب البشريّه، و المنسلخون عن لباس هذا الوجود الكونى و لذلك قال سبحانه بعد قوله:

و يعلمهم الكتاب و الحكمه:

«ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» و منها الرّوح، قال تعالى: «يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ» و منها الحقّ، لأنّه ثابت لا يتغير أبداً من حقّ الأمر إذا ثبت، و لأنّه صادق مطابق للواقع لا يعتريه شكّ و ريب، قال تعالى.

«بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ»

و منها الهدى، لأنه يهدى إلى الصراط المستقيم، قال تعالى:

«هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ»، و «ذَلِكَ هُدًى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ» و منها الذكر، «إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ» سَمِيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَتَذَكَّرُ بِهِ أُمُورَ الْآخِرَةِ وَ أَحْوَالَ الْمَبْدَأِ وَ الْمَعَادِ.

و منها النَّبَأُ الْعَظِيمُ، لِأَنَّهُ يَخْبِرُ عَنِ عَالَمِ الْغَيْبِ وَ الْمَغِيبَاتِ، قَالَ:

«قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ» و منها الشِّفَاءُ، لِأَنَّهُ يَقَعُ بِهِ الشِّفَاءُ عَلَى الْأَمْرَاضِ النَّفْسَانِيَةِ وَ الْأَسْقَامِ الْبَاطِنِيَةِ قَالَ تَعَالَى:

«قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءٌ» و منها الرَّحْمَةُ، قَالَ تَعَالَى: «وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» و منها الْعِلْمُ الْحَكِيمُ، قَالَ تَعَالَى: «وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَمَدِينًا لِّعَلَّيْ حَكِيمٌ» أَمَّا كَوْنُهُ عَلِيًّا فَلِأَنَّ أَصْلَهُ مِنَ الْعَالَمِ الْعُلُوِّ، وَ أَمَّا كَوْنُهُ حَكِيمًا فَوَاضِحٌ.

و منها التَّنْزِيلُ وَ منها الْبَشِيرُ النَّذِيرُ وَ منها الْعَزِيزُ وَ منها الْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ وَ منها الْمَجِيدُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْقَابِ وَ الْأَسْمَاءِ وَ لَا شَكَّ أَنَّ كَثْرَةَ الْأَسْمَاءِ وَ الْأَوْصَافِ تَدُلُّ عَلَى عَظَمِ شَأْنِ الْمَسْمُومِ وَ الْمَوْصُوفِ، وَ اللَّهُ الْعَالِمُ بِجَلَالِهِ شَأْنَ كَلَامِهِ وَ رَفَعَهُ مَرْتَبَهُ كِتَابَهُ وَ مَقَامَهُ.

الثاني

أَنَّهُ لَا يَدَّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَجْمَعِينَ هَلْ هُوَ مَا بَيْنَ الدَّفْتَيْنِ وَ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا وَ تَنَاوَلْتَهُ أَيْدِينَا

أَمْ لَا

، بَلِ الْوَاصِلُ إِلَيْنَا بَعْضُ الْقُرْآنِ وَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْأَصِيلَ الَّذِي نَزَلَ بِهِ جِبْرَائِيلُ

ص: ١٩٧

قد حَرَفَ و بَدَّلَ و زيد عليه و نقص عنه، اختلف فيه الأصحاب.

فالذى ذهب إليه أكثر الأخباريين على ما حكى عنهم السيد الجزائري فى رساله منبع الحياه و كتاب الأنوار هو وقوع التحريف و الزيادة و النقصان.

و إليه ذهب على بن إبراهيم القمى، و تلميذه محمّد بن يعقوب الكلينى، و الشيخ أحمد بن أبى طالب الطبرسى، و المحدث العلامة المجلسى قدس الله روحهم.

و ذهب المرتضى على ما حكى عنه، و الصدوق فى اعتقاداته، و الشيخ فى التبيان و الطبرسى فى مجمع البيان إلى عدمه، و عزی ذلك إلى جمهور المجتهدين بل الظاهر من الصدوق قيام الاجماع عليه حيث قال فى اعتقاداته: إنّ اعتقادنا أنّ القرآن الذى أنزل الله على نبيه محمّد صلّى الله عليه و آله هو ما بين الدفتين، و هو ما فى أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك إلى أن قال و من نسب إلينا أنّا نقول: إنّ أكثر من ذلك فهو كاذب انتهى.

و مثله الشيخ، حيث ادّعى قيامه على عدم الزيادة، قال فى محكى كلامه:

و أمّا الكلام فى زيادته و نقصانه فمما لا يليق به، لأنّ الزيادة فيه مجمع على بطلانه، و أمّا النقصان منه فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، و هو الأليق بالصّحيح من مذهبنا، و هو الذى نصره المرتضى (ره)، و هو الظاهر من الروايات، غير أنّه رويت روايات كثيرة من جهه الخاصّه و العامّه بنقصان كثير من آى القرآن طريقها الأحاد لا توجب علما، فالأولى الاعراض و ترك التشاغل بها، لأنّها يمكن تأويلها انتهى.

و مثله الطبرسى فى مجمع البيان حيث قال: فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه و أمّا النقصان فيه فقد روى جماعه من أصحابنا و جماعه من حشويّه العامه، أنّ فى القرآن تغييرا و نقصانا، و الصّحيح من مذهب أصحابنا خلافه.

قال: و هو الذى نصره المرتضى و استوفى الكلام فيه غايه الاستيفاء فى جواب المسائل الطرابلسيات، و ذكر فى مواضع أنّ العلم بصحّه نقل القرآن كالعلم بالبلدان و الحوادث الكبار و الوقائع العظام و الكتب المشهوره و أشعار العرب

المسطوره، فإنّ العنايه اشتدت و الدّواعى توفّرت على نقله و حراسته، و بلغت إلى حدّ لم تبلغه فيما ذكرناه لأنّ القرآن معجزه النبوه و مأخذ العلوم الشّرعيه، و الأحكام الدّيّنيه، و علماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه و حمايته الغايه، حتّى عزّفوا كلّ شىء اختلفوا فيه من إعرابه و قراءه حروفه و آياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّرا أو منقوصا مع العنايه الصادقه و الضّبط الشّديد.

و قال (١) أيضا قدّس سرّه: و إنّ العلم بتفصيل القرآن و أبعاضه فى صحّحه نقله كالعلم بجملته و جرى ذلك مجرى ما علم ضروره من الكتب المصنّفه، ككتاب سيويوه و المزنى فان أهل العنايه بهذا الشّان يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما حتّى لو أنّ مدخلا أدخل فى كتاب سيويوه بابا فى التّحوّلىس من الكتاب لعرف و ميّز و علم أنّه ملحق، و ليس من أصل الكتاب، و كذلك القول فى كتاب المزنى، و معلوم أنّ العنايه بنقل القرآن و ضبطه أضبط من العنايه بضبط كتاب سيويوه و دواوين الشّعراء.

ثم قال الطبرسى: و ذكر أى المرتضى أنّ من خالف فى ذلك من الاماميه و الحشويه لا يعتدّ بخلافهم، فإنّ الخلاف فى ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفه ظنّوا صحّحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحّته انتهى ما ذكره فى مجمع البيان.

و هذه العبارات منه و ممّن سبق ذكره كما ترى مطبقه فى صحّحه نقل ما بين الدّفتين و عدم وقوع تغيير فيه بوجه من الوجوه، و إنّما اختلفت فى دعوى الاجماع.

فالظاهر من الصّدوق كما عرفت قيامه على عدم التغير بوجه، حيث نسب ذلك إلى اعتقاد الاماميه.

و عباره الشّيخ و الطبرسى حسبما حكيناها صريحه فى قيامه على عدم الزّيادة و تبعهما على ذلك من متأخري المتأخريين السيّد المحقق الكاظمى فى شرح الوافيه

ص: ١٩٩

١- (١) الظاهر ان كلامه هذا اشاره الى نفي الزيادة فى القرآن كما ان ما ذكره قبل ذلك اشاره الى نفي مطلق التغيير، منه

حيث، قال: اتفق الكلّ لا تمانع بينهم على عدم الزيادة، و نطقت به الأخبار، و المرتضى رضى الله عنه و إن لم يدع الاجماع عليه إلا أنه (ره) حسبما عرفت أشد نكيرا منهم لدعواه العلم الضرورى به.

إذا عرفت ذلك فأقول: المختار عندى هو وقوع التقصان فيه دون الزيادة، و لا بأس بذكر أدله الطرفين و ما يمكن الاستدلال به عنهم حتى يتضح الحق من البين، و لنقدم أدله النافين لكون قولهم مطابقا للأصل، ثم نتبعها بأدله المثبتين فنقول:

احتج النافون القائلون بالعدم بوجوه

، بعضها دالّ على عدم التغيير مطلقا و بعضها مختص بنفى الزيادة.

الاول الاجماع

المستفاد من كلام الصدوق السابق و المنقول فى كلام الشيخ و الطبرسى صريحا حسبما تقدم.

و فيه بعد الغض عن حجيه الاجماع المنقول فى نفسه أنّ حجّيته إنّما هو من جهة افادته الظنّ و هو لا يكافؤ القطع الحاصل من الأخبار المتواتره المفيده للنقيصه حسبما تعرفها إنشاء الله، نعم هو حجّه على مدعى الزيادة، لأنّ الظنّ الحاصل من أدلتها لا يقاوم الظنّ الحاصل منه.

الثانى ما ظهر من كلام المرتضى من توفر الدواعى و اشتداد العناية على

حفظه و ضبطه،

لكونه معجزه النبوه و مأخذ العلوم الشرعيّه و مدرّك الأحكام الدينيه.

و فيه منع توفر الدواعى على الحفظ و الضبط لو لم يقدّم على التضييع و التحريف.

و ما استدللّ به عليه أولا من كونه متضمنا للتحدّى و الاعجاز، و ثانيا من كونه مدرّك الأحكام الشرعيّه لا ينهض على الاثبات:

أما الأول فلائّه إنّما يتمّ لو انحصر طريق إثبات النبوه فيه، كانحصار معجزه عيسى عليه السلام فى الطب و إبراء الأكمه و الأبرص، و معجزه موسى عليه السلام فى

العصا و اليد البيضاء، و أمّا مع عدم الانحصار فلا تتوفّر الدّواعى عليه، كأكثر معجزاته لم يتوافر بعد.

فان قلت: سلّمنا عدم انحصار معجزته فيه و لكنّه أظهر المعجزات و أقوىها و أكدّها فتوفّر الدّواعى عليه.

قلت: إنّ الاعجاز كما يحصل بالجميع كذلك يحصل بالبعض، إذ المناط فى الاعجاز هو الفصاحه و البلاغه و غرابه الاسلوب و حسن النّظم، و هى باقيه بحالها لم تتغيّر و لم تبدّل، فلا يخرجها وقوع التّحريف فيه عن كونه دليلا للنّبوه و الرّساله، بل لو فرض و العياذ بالله سقوط جميع آياته عن الاعجاز لكفانا فيه قوله:

«وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
«فأنّها مع اختصارها و جازتها مشتمله على أمرين و نهيين و خبرين و بشارتين.

و حكى أن بعضهم سمع بدويّه تنشّد أبياتا، فقال لها: لله درك ما أفصحك، فقالت:

الفصاحه لله و ذكرت هذه الآيه، و قوله سبحانه:

«وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْمَاءِ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوْتَّ عَلَى الْجُودِيِّ » - الآيه) لأنّها مشتمله على وجوه عديده(1) من الفصاحه يقطع معها بأنّها خارجه عن

ص: ٢٠١

١- (١) منها قوله و قيل فانه يدل على انه سبحانه فى الجلال و العلو و العظمه بحيث لا يتبادر الذهن من القائل الا اليه و لا يتوجه الفكر الا- الى ان ذلك القائل هو هو و منها مخاطبه الارض و السماء بما يخاطب به العاقل فان فيه اشاره الى انهما مع كونهما جمادا فى مقام الخضوع و الانقياد و قبول الامر التكويني مثل العقلاء فى قبول الامر التكليفي و ان حكمه نافذ فيهما و انهما مقهوران مغلوبان تحت قدرته و قهره مع ما هما عليه من الشده و القوه و العظمه، و منها ما فى قوله و قضى الامر من الدلاله على ان كل ما قضى به و قدره سبحانه فى الازل فصار حتما و قدرا لازما لا محاله يكون واقعا و انه لا راد لقضائه و لا مانع من نفاذ حكمه فى ارضه و سمائه، و منها حسن تقابل الالفاظ و ايتلاف المعنى، و منها حسن البيان فى تصوير الحال، و منها الايجاز من غير اخلال الى غير هذه من الوجوه التى لا يخفى على المتدبر منه

وسع البشر.

وقد روى أنّ من تكلم من قريش بكلام فصيح كان يعلقه على الكعبه مباحاه و تفاخرا، فلمّا نزل الآيه هذه ذهبوا فى ظلام الليل و أخذوا ما علّقوه مخافه الفصاحه و الشّناعه.

و فى مجمع البيان يروى أن كفّار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضه القرآن، فعكفوا على لباب البرّ و لحوم الضّأن و سلاف الخمر أربعين يوما لتصفو أذهانهم، فلما أخذوا فيما أرادوا و سمعوا هذه الآيه تركوا ما أخذوا فيه و افترقوا.

و كيف كان فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ وقوع التّحريف لا يخرجّه عن الاعجاز حتّى تبقى التّبوه الخاصّه بلا دليل، لأنّ الفصاحه باقيه على حالها بل سائر وجوه الاعجاز أيضا موجوده فيه كالصّيرفه و اشتماله على القصص و الحكايات، و الاخبار عن المغيبات و عدم الاختلاف فيه مع طوله إلى غير هذه من الجهات.

و أما الثانى فلأنّ المتيقّن الثّبوت من الأخبار الآتيه هو طرؤ التّحريف على الآيات المشتمله على فضائل أهل البيت و فضايح أهل التّفاق، و أمّا طرؤه على آيات الأحكام فهو بعد غير ثابت، فالأدله القطعيه الدّاله على جواز العمل بالظواهر و استنباط الأحكام الشّرعيه منها محكمه، و لم يثبت مانع منها، فلا يرفع اليد عن مقتضاها، و مجرد احتمال وجود المانع لا يكفى فى رفع اليد عن اقتضاء المقتضى.

و بالجمله كون القرآن مدرّك الأحكام الشّرعيه إنّما يدلّ على عدم وقوع التّحريف و النقصان فى آيات الأحكام، و يستلزم توفّر الدّواعى فيها فحسب لا مطلقا.

و هذا كلّه مبنى على التّنزل و المماشاه و إلّا فنقول إنّ كونه مدرّكا للأحكام و إن كان مقتضيا لتوفر الدّواعى إلّا أنّه إنّما يتمّ إذا لم يمنع منه مانع و لم يمنع المكلفون على أنفسهم اللطف إذ قد يتوفر الدّواعى على تضييعه و كتمانها أكثر منها على ضبطه و إعلانها، نظير الامام عليه السّلام، فإنّ وصيه النّبى صلّى الله عليه و آله بحفظه و إعانتة و كونه حجه الله على خلقه و بريته و أصل أحكامه و شريعته، ممّا يوجب توفّر الدّواعى عليه مع

ص: ٢٠٢

أنَّ الدَّواعى قد توفَّرت على حجبه و غيبته، و نعم ما قال فى التَّجريد: وجوده لطف و تصرفه لطف آخر، و عدمه منَّا.

و بالجمله وقوع التَّحريف و التَّقصان فى آيات الأحكام على فرض ثبوته ليس بأبعد من غيبه الامام، فكما أنَّ المكلفين صاروا سببا لاختفائه و غيبته، و مانعا عن تبليغه و الرُّجوع إليه مع كونه أساس الأحكام و عماد الاسلام، فكذلك صاروا مانعا عن استنباط الأحكام من القرآن بسبب ما فعلوه فيه من التَّحريف و أحدثوه فيه من التَّقصان.

الثالث قوله تعالى:

«وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ»

فإنَّ ورود التَّحريف عليه إتيان الباطل من خلفه، و قد أخبر الله سبحانه بعدمه فلا بدَّ أن يكون سالما محفوظا.

و فيه أنَّ المراد بالآيه أنه ليس فى إخباره عمَّا مضى باطل، و لا فى إخباره عمَّا يكون فى المستقبل باطل، بل إخباره كلَّها موافقه لمخبراتها، رواه الطبرسى فى مجمع البيان عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السَّلام، و فى تفسير القمى عن أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السَّلام قال: لا- يأتىه الباطل من قبل التَّوراه و لا من قبل الانجيل و الزُّبور، و لا من خلفه لا يأتىه من بعده كتاب يبطله

الرابع قوله تعالى:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»

فإنَّ الله سبحانه قد أخبر بكونه حافظا للقرآن فلا بدَّ من كونه محفوظا عن تطرق التَّغيير، قال الفخر الرّازى فى الآيه دلالة قويّه على كون التَّسميه آيه من كلِّ سوره، لأنَّ الله قد وعد بحفظ القرآن و الحفظ لا- معنى له إلا- أن يبقى مصونا من الزَّيادة و التَّقصان، فلو لم تكن التَّسميه من القرآن لما كان القرآن مصونا من التَّغيير،

و لما كان محفوظا عن الزيادة.

و فيه أنّ كون أصل القرآن الذي نزل به الروح الأمين على خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ محفوظا عند الأئمة الذين هم خزّان علم الله و كهوف كتبه، يكفي في صدق الآيه و لا دلالة فيها على كون ما بأيدينا محفوظا كما لا يخفى، مضافا إلى احتمال أن يكون المراد أنّه سبحانه يحفظه إلى آخر الدهر بأن بعث جماعه يحفظونه و يدرسونه و يشتهرونه بين الخلق، فتحفظه الاسم و تناولته الأيدي قرنا بعد قرن إلى يوم القيامة لقيام الحجّه به على الخلق و كونه معجزه النبوه.

هذا كله بعد الغصّ عن رجوع الضمير في له إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و إلا كما ذهب إليه الفراء فيسقط الاستدلال رأسا، قال ابن الأنباري لما ذكر الله الانزال و المنزل و المنزل دلّ ذلك على المنزل عليه، فحسنت الكنايه عنه لكونه أمرا معلوما كما في قوله:

«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ» فَإِنَّ عَوْدَ الضَّمِيرِ إِلَى الْقُرْآنِ مَعَ عَدَمِ تَقَدُّمِ ذِكْرِهِ لِكَوْنِهِ مَعْلُومًا مِنَ الْمَقَامِ

الخامس الأخبار الدالة على وجوب التمسك بالقرآن و الأمره بالرجوع

إليه

كحديث الثقلين المتواتر بين الفريقين و نحوه، و الأخبار المفيدة بعرض الأخبار المتعارضة عليه، مثل مقبولة عمر بن حنظله و فيها: فما وافق حكمه الكتاب و السّنة و خالف العامه فيؤخذ به و يترك ما خالف حكمه حكم الكتاب و السنّه و وافق العامه.

و ما رواه السيكوني عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقِّ حَقِّهِ وَ عَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُورًا فَمَا وَافَقَ كِتَابَ اللَّهِ فَخُذُوهُ وَ مَا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ فَدَعُوهُ.

و ما رواه عبد الرحمن بن أبي عبد الله، قال: قال الصادق عليه السّلام: إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله فردّوه إلى غير هذه ممّا هي قريبه من التواتر أو متواتره.

ص: ٢٠٤

تقريب الاستدلال أن المراد بالكتاب الذى امرنا بالتمسك به و الرجوع إليه و عرض الأخبار المتعارضة عليه إن كان هو الكتاب المنزل المحفوظ عن تطرق السوانح و طرو الزيادة و النقصان الذى هو موجود عند الأئمة عليهم السلام على قول المدعين للتحريف، ففيه أن التمسك به و الرجوع إليه مما لا يستطاع.

و ان كان المراد به المحرف المبدل، فلا- وجه له، لأنه لم يبق فيه حجه و ليس به وثوق و اطمينان فلا- بد أن يكون الموجود بأيدينا سالما محفوظا.

قال الشيخ فى محكى كلامه: و رواياتنا متناصره بالحث على قراءته و التمسك بما فيه و رد ما يرد من اختلاف الأخبار فى الفروع إليه و عرضها عليه، فما وافقه عمل عليه و ما خالفه يجنب و لم يلتفت إليه.

و قد ورد عن النبى صلى الله عليه و آله روايه لا- يدفعها أحد أنه قال اتى مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله، و عترتى أهل بيتى، و أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، و هذا مما يدل على أنه موجود فى كل عصر، فإنه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا- نقدر على التمسك به، كما أن أهل البيت و من يجب اتباع قوله حاصل فى كل وقت انتهى كلامه.

و ملخصه أن ظاهر هذه الأخبار أنه لم يتطرق على هذا القرآن الموجود بأيدينا تحريف و تغيير، لأن المستفاد منها وجوب الرجوع إليه إذ الرجوع إلى غيره غير مقدور، فلا بد من كونه محفوظا من الخلل و النقصان، و إلا لم يبق به وثوق و اطمينان، فلا يكون وجه للأمر بالرجوع إليه.

و فيه أولا أن الأخبار المذكوره إما نبويه كخبر الثقلين و بعض أخبار العرض، و إما مرويه عن الأئمة عليهم السلام.

أما الطائفة الأولى فلا دلالة فيها على المدعى أصلا، لأنه صلى الله عليه و آله قد كان امرنا بالاتباع بالكتاب و العرض عليه و لم يتطرق عليه تحريف يومئذ، كما امرنا باتباع أهل بيته و عترته و أخذ الأحكام عنهم و الاقتباس من أنوارهم، و إنما طرئت السوانح

بعد ما اختار الله سبحانه له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لقائه فمنع المكلفون على أنفسهم اللطف بسوء اختيارهم، وغيروا كتاب الله ونبذوه وراء ظهورهم كما تركوا العترة و صاروا سبباً لاعتزالهم و تشريدهم إلى أن انتهى الأمر إلى الغيبة الكبرى، فكما أن غيبة الامام عليه السلام و اعتزال الأئمة و قصور اليد عن التمسك بهم و أخذ الأحكام عنهم الناشئ من سوء فعل المكلفين لا منافاه له مع أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالتمسك، فكذلك قصور اليد عن اتباع القرآن المنزل على ما هو عليه لا ينافي أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ باتباعه و التمسك به، بل نقول: إن أمره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يكن إلاّ لأجل أن لا يفعلوا في كتاب الله ما فعلوه، و أن لا يقصروا في حق الآل على ما قصروا.

و أما الطائفة الثانية فلا دلالة فيها أيضاً، لأننا نقول: إن الأئمة عليهم السلام إنما أمرونا بالرجوع إلى هذا الكتاب الموجود بأيدينا مع ما هو عليه من التحريف و التقصان لأجل التقيه و الخوف على أنفسهم و شيعتهم، فيكون ما استفدناه حكماً ظاهرياً بالنسبة إلينا فافهم(١) و ثانياً أن يجب عنه بما ذكره في الصافي، فإنه بعد نقله كلام الشيخ الذي حكيناه قال: أقول: يكفي في وجوده في كل عصر وجوده جميعاً كما أنزل الله محفوظاً عند الله و وجود ما احتجنا إليه منه عندنا و إن لم نقدر على الباقي، كما أن الامام كذلك فان الثقلين سيان في ذلك انتهى.

و أورد عليه المحقق الكاظمي (ره) بأن التمسك بهم عبارته عن موالاتهم و سلوك طريقتهم، و ذلك ممكن مع الغيبة للعلم بهم، و هذا بخلاف التمسك بالقرآن فإنه إنما يتحقق بالأخذ و الاطلاع عليه، فقد بان الفرق و اتضح الأمر انتهى أقول: و الانصاف أنه إن اريد بلفظ تمسكتم في الرواية، التمسك التفصيلي بأن يتمكن من الرجوع الى التمسك به و يؤخذ عنه الأحكام مهما اريد، فهو غير ممكن في حال الغيبة الكبرى، لظهور انسداد باب العلم فيه، مع أن انفتاحه في

ص: ٢٠٦

١- (١) اشاره الى ان حمل الاخبار على الورد على عنوان التقيه بعيد في الغايه عن سياق اخبار العرض و انما يتمشى في اخبار التمسك و الاتباع فتدبر، منه

حال ظهور الأئمة عليهم السّلام أيضا محلّ كلام حسبما قرّناه في الاصول، و إن اريد به التمسك الاجمالي بأن نرجع إليه بقدر الامكان و مع عدم التمكن و قدره نكون في مقام التسليم و الازعان و العزم على الرجوع مع التمكن و التوفيق، فالحق أنّ الثقلين سيان فيه.

و بالجمله هما في حال الغيبه الكبرى سيان في عدم امكان التمسك بهما تفصيلا و في امكانه إجمالا، بأن يصدقا و يسلمًا و يؤخذ عنهما الأحكام بقدر الوسع و الطاقه، و التفرقه بينهما بحمل التمسك بالثقل الأصغر على التمسك التفصيلي و التمسك بالأكبر على التمسك الاجمالي ممّا لا وجه له.

و ثالثا أننا نقول: إنّ أهل بيت العصمه سلام الله عليهم لعلمهم بعدم طرو التحريف على آيات الأحكام رخصونا في الرجوع و العرض، فبملاحظه ترخيصهم يحصل لنا القطع بكونها محفوظه عن الخلل أو أنهم رخصونا في ذلك، لعلمهم بأنّه ليس في الساقط ما يرجع إليه أو يعرض عليه إلا و في الثابت ما يقوم مقامه.

هذا تمام الكلام في أدله النّافين، و قد عرفت أنّها غير ناهضه على إثبات المدعى كما لا يخفى.

و حجه القائلين بالتحريف أيضا وجوه كثيره

بعضها مثبت لوقوع مطلق التحريف، و بعضها مختص باثبات الزيادة و النقيصه، و بعضها دالّ على النقصان فقط فالأدله في المقام على ثلاثه أقسام.

القسم الاول الأدله الداله على مطلق التحريف و التغير فيه

اولها ما ذكره السيد الجزائري من أنّ القرآن كان ينزل منجما على حسب

المصالح و الوقايح،

و كتاب الوحي كانوا أربعة عشر رجلا من الصّحابه، و كان رئيسهم أمير المؤمنين عليه السّلام، و قد كانوا في الأغلب ما يكتبون إلّا- ما يتعلّق بالاحكام و إلّا ما يوحى إليه صلّى الله عليه و آله في المحافل و المجامع، و أمّا الذي كان يكتب ما ينزل عليه في خلواته و منازله فليس هو إلّا أمير المؤمنين عليه السّلام، لأنّه كان يدور معه

كيفما دار، فكان مصحفه أجمع من غيره من المصاحف، فلما مضى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، إلى لقاء حبيبه و تفرقت الأهواء بعده، جمع أمير المؤمنين عليه السَّلام القرآن كما انزل، و شدّه بردائه و أتى به إلى المسجد، فقال لهم: هذا كتاب ربكم كما انزل، فقال عمر: ليس لنا فيه حجه هذا عندنا مصحف عثمان، فقال عليه السَّلام لن تروه و لن يراه أحد حتّى يظهر القائم عليه السَّلام.

أقول: أما قوله: فكان مصحفه أجمع من غيره من المصاحف فيشهد به:

ما رواه في الكافي باسناده عن جابر عن أبي عبد الله عليه السَّلام، قال: سمعته يقول:

ما ادعى أحد أنه جمع القرآن كلّ كما انزل إلا كذاب، و ما جمعه و حفظه كما أنزله الله إلا عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام و الأئمة من بعده.

و أقرب ما ذكره من اتيان أمير المؤمنين عليه السَّلام بالكتاب إلى المسجد فيدلّ عليه ما رواه الطبرسي في الاحتجاج عن أبي ذر الغفاري أنه لما توفي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله جمع عليّ عليه السَّلام القرآن و جاء به إلى المهاجرين و الأنصار و عرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، فلما فتحه ابو بكر خرج في أوّل صفحه فتحها فضايح القوم، فوثب عمر و قال: يا علي اردده لا حجه لنا فيه، فأخذه عليّ عليه السَّلام و انصرف، ثمّ أحضر زيد بن ثابت و كان قاريا للقرآن، فقال له عمر: إنّ عليا جاءنا بالقرآن و فيه فضايح المهاجرين و الأنصار، و قد أردنا ان تؤلف لنا القرآن و تسقط منه ما كان فيه فضيحه و هتك المهاجرين و الأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك، ثم قال: فان أنا فرغت من القرآن على ما سألتكم و أظهر عليّ عليه السَّلام القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كلّ ما عملتم؟ قال عمر: فما الحيله؟ قال زيد: أنت أعلم بالحيله، فقال عمر: ما الحيله دون أن نقتله و نستريح منه، فدبّر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك، فلما استخلف عمر سأل عليا أن يدفع إليهم فيحرّفوه فيما بينهم، فقال يا أبا الحسن: إن كنت جئت به إلى أبي بكر فأت به إلينا حتّى نجتمع عليه، فقال عليّ عليه السَّلام هيهات (ج ١٣)

ليس إلى ذلك سبيل إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة إننا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا ما جئنا به، إن القرآن الذى عندى لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدى، فقال عمر: فهل وقت لآظهاره معلوم؟ قال: نعم إذا قام القائم من ولدى يظهره ويحمل الناس عليه فتجرى السنه به صلوات الله عليه.

الثانى ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه

فى جواب سؤال الزنديق حيث سأله عن تصريح الله سبحانه بهفوات الأنبياء و زلاتهم مثل قوله:

«وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى» و نحوه، و توريته أسماء من اغترّ و فتن خلقه و ضلّ و أضلّ و تعبیره عنهم بالكنايه مثل قوله:

«يَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ» و نحوه، فقال عليه السلام: إن الكنايه عن أسماء ذو الجرائر العظيمه من المنافقين فى القرآن ليست من فعله تعالى، و إنها من فعل المغيرين و المبدلين الذين جعلوا القرآن عضين(١)، و اعتاضوا الدنيا من الدين، و قد بين الله قصص المغيرين بقوله:

«لَلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» و بقوله: «وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْعُونُ»(٢)
«أَلَسْتَهُمْ بِالْكِتَابِ» و بقوله: «إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ»(٣)

ص: ٢٠٩

١- (١) اى اجزاء متفرقه من العضه، منه.

٢- (٢) اى يحرفون و يعدلون به عن القصد قال الطريحي قيل يكتب بواو واحد و ان كان لفظها بواوين و هى كذلك فى المصاحف القديمه و آخر الايه لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب و يقولون هو من عند الله و ما هو من عند الله و يقولون على الله الكذب و هم يعلمون، منه

٣- (٣) آخر الايه و كان الله بما يعملون محيطا م

بعد فقد الرسول صَلَّى اللهُ عليه وآله، و ما يقيمون(١) به اود باطلهم حسب ما فعلته اليهود و النصارى بعد فقد موسى و عيسى عليه السلام من تغيير التوراه و الانجيل و تحريف الكلم عن مواضعه و بقوله:

«يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ...» «وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ» يعنى أنهم أثبتوا فى الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليقه فأعمى الله قلوبهم حتى تركوا فيه ما دل على ما أحدثوه فيه و حرفوا منه، و بين عن افكهم و تلبسهم و كتمان ما علموه منه، و لذلك قال لهم:

«لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ» و ضرب مثلهم بقوله:

«فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً»(٢) «وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ» فالزبد فى هذا الموضوع كلام الملحدين الذين أثبتوه فى القرآن، فهو يضمحل و يبطل و يتلاشى عند التحصيل، و الذى ينفع الناس منه فالتنزيل الحقيقى الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و القلوب تقبله و الأرض فى هذا الموضوع هى محل العلم و قراره، و ليس يسوغ مع عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين، و لا الزيادة فى آياته على ما أثبتوه من تلقائهم فى الكتاب لما فى ذلك من تقويه حجج أهل التعطيل و الكفر و الملل المنحرفه من قبلتنا و إبطال هذا العلم الظاهرى الذى قد استكان له الموافق و المخالف بوقوع الاصطلاح على الايتمار(٣) لهم و الرضا بهم، و لأن أهل الباطل فى القديم و الحديث أكثر عددا من أهل الحق، و لأن الصبر على و لاه

ص: ٢١٠

١- (١) الظاهر انه عطف على قوله سبحانه ما لا- يرضى فكان كلامه «عليه السلام» متم كلام الله سبحانه فيكون المعنى انهم يدبرون فى الليل بعد فقد الرسول «صلى الله عليه وآله» ما يقيمون و يصلحون به اعوجاج باطلهم و الاود الاعوجاج يقال قام اوده اى اعوجاجه، منه

٢- (٢) بالضم و المد الباطل، لغه

٣- (٣) ايتمر الامر امثله منه،

الأمر مفروض بقول الله تعالى لنبّيه صلّى الله عليه وآله:

«فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» و ايجابه مثل ذلك على أوليائه و اهل طاعته بقوله:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» ثم، قال عليه السّلام فحسبك من الجواب عن هذا الموضوع ما سمعت، فإنّ شريعته التقيه نحظر بأكثر منه.

الثالث ما رواه علي بن إبراهيم القمي عن الصادق عليه السلام

في قوله تعالى:

«لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» أنّه قال: كيف يحفظ الشّيء من أمر الله و كيف يكون العقب من بين يديه؟ ف قيل له كيف ذلك يا بن رسول الله؟ فقال: إنّما انزلت له معقبات من خلفه و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله.

الرابع ما رواه عنه عليه السلام أيضا

في قوله:

«لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ» أنّ الآية هكذا نزلت لقد تاب الله بالنبيّ على المهاجرين.

الخامس ما رواه أيضا

قال: إنّ قرء علي أبي عبد الله عليه السلام:

«الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» فقال أبو عبد الله عليه السّلام: لقد سألوا الله عظيما أن يجعلهم للمتقين اماما، ف قيل يا بن رسول الله كيف ذلك؟ فقال عليه السلام: إنّما نزلت و اجعل لنا من المتقين إماما.

السادس ما رواه أيضا عن ابن أبي عمير عن ابن سنان

قال قرأت علي أبي عبد الله عليه السلام:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» فقال أبو عبد الله عليه السلام خير أمة يقتلون أمير المؤمنين و الحسن و الحسين ابني عليّ عليهم السلام، فقال القارى: جعلت فداك كيف نزلت خير أمة اخرجت للناس، ألا ترى مدح الله لهم فى آخر الآيه:

«تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ»

السابع ما رواه السيد المعتمد السيد هاشم البحرانى عن المفيد فى كتاب

الاختصاص

، قال: و روى عن جابر الجعفى قال: كنت ليله من بعض الليالى عند أبى جعفر عليه السلام فقرأت هذه الآيه:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» فقال: مه يا جابر كيف قرأت، يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله، قال: قال: قلت فكيف أقرأ جعلنى الله فداك؟ قال: هذا تحريف يا جابر، قال: فقال عليه السلام: يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة فامضوا إلى ذكر الله هكذا نزلت يا جابر، لقد كان يكره أن يعدو الرجل إلى الصلاة يا جابر لم سميت الجمعة يوم الجمعة؟ قال: قلت: تخبرنى جعلنى الله فداك، قال: أفلا أخبرك بتأويله الأعظم؟ قال: قلت: بلى جعلنى الله فداك، قال: فقال: يا جابر سمى الله الجمعة جمعه لأن الله عزّ و جلّ جمع فى ذلك الأولين و الآخرين و جميع ما خلق الله من الجنّ و الانس و كلّ شىء خلق ربنا و السماوات و الارضين و البحار و الجنّة و النار و كلّ شىء خلق الله فى الميثاق فأخذ الميثاق منهم له بالربوبية و لمحمد صلى الله عليه و آله بالنبوه و لعلى عليه السلام بالولاية، و فى ذلك اليوم قال الله للسماوات و الأرض:

«إِنِّي بَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ» فسَمى الله ذلك اليوم الجمعة، لجمعه فيه الأولين و الآخرين، ثم قال عزّ و جلّ يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة من يومكم هذا الذى جمعكم فيه

و الصّلاه أمير المؤمنين عليه السّلام، يعنى بالصّلاه الولايه، وهى الولايه الكبرى ففى ذلك اليوم أتت الرّسل و الأنبياء و الملائكه و كلّ شىء خلق الله و الثقلان الجنّ و الانس و السّماوات و الأرضون و المؤمنون بالتّلييه لله عزّ و جلّ، فامضوا إلى ذكر الله و ذكر الله أمير المؤمنين عليه السّلام، و ذروا البيع، يعنى الأوّل، ذلكم، يعنى بيعه أمير المؤمنين و خلافته، خير لكم من بيعه الأوّل و ولايته، ان كنتم تعلمون، فاذا قضيت الصّلاه يعنى بيعه أمير المؤمنين، فانتشروا فى الأرض يعنى بالأرض الأوصياء أمر الله بطاعتهم و ولايتهم، كما أمر بطاعه الرّسول و طاعه أمير المؤمنين كنى الله فى ذلك من أسمائهم فسّمّاهم بالأرض، و ابتغوا من فضل الله، قال جابر: و ابتغوا من فضل الله، قال:

تحريف هكذا نزلت و ابتغوا من فضل الله على الأوصياء و اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، ثمّ خاطب الله عزّ و جلّ فى ذلك الموقف محمّدا صلّى الله عليه و آله، فقال يا محمّد: فاذا رأوا الشّكاك و الجاحدون تجاره، يعنى الأوّل أو لهوا، يعنى الثّانى، انصرفوا إليها، قال:

قلت انفضّوا إليها قال: تحريف هكذا نزلت، و تركوك، مع علىّ قائما، قل يا محمّد ما عند الله، من ولايه علىّ و الأوصياء، خير من اللّهو و التجاره، يعنى بيعه الأوّل و الثّانى للّذين اتقوا، قال: قلت: ليس فيها للّذين اتقوا، قال: فقال: بلى هكذا نزلت الآيه، و أنتم هم الذين اتقوا، و الله خير الرّازقين.

الثامن ما رواه الصدوق فى التوحيد

باسناده عن علىّ بن الحسن بن علىّ بن فضال عن أبيه عن الرضا علىّ بن موسى عليهما السّلام قال سألته عن قول الله عزّ و جلّ: «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ» قال: يقول: هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكه فى ظلل من الغمام، و هكذا نزلت، و العجب من الصدوق مع روايته ذلك كيف أنكر وقوع التّحريف فيه.

القسم الثانى الأدله الداله على وجود الزيادة و النقصان

اولها ما رواه فى الصافى عن العياشى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لو لا أنه زيد فى كتاب الله و نقص ما خفى حقنا على ذى حجبى الثانى ما رواه العياشى عنه عليه السّلام أيضا أن القرآن قد طرحت منه آى كثيره

و لم يزد فيه إلا حروف أخطأت به الكتبه و توهمتها الرجال.

الثالث ما فى تفسير على بن ابراهيم فى قوله:

«وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ » قال: هذه الواو زياده فى قوله و منك، و إنما هو منك و من نوح.

القسم الثالث الأدله الداله على وجود النقصان فقط،

و هى كثيره.

اولها ما رواه فى الكافى عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: إن القرآن الذى جاء به جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه و آله سبعة عشر ألف آيه، و وجه دلالتة أن الموجود بأيدينا من القرآن لا يزيد على سبعة آلاف آيه، و على ما ضبطه الشيخ الطبرسى ستة آلاف و مائة آيه و ستة و ثلاثون آيه.

الثانى ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج عن على عليه السلام فى جواب الزنديق الذى احتج عليه بتناقض ظواهر بعض الآيات أنه عليه السلام قال: و أما ظهورك على تناكر قوله:

«وَ إِذْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكحوا ما طاب لكم من النساء » و ليس يشبه القسط فى اليتامى نكاح النساء و لا كل النساء أيتام، فهو مما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين فى القرآن بين القول فى اليتامى و بين نكاح النساء من الخطاب و القصص أكثر من ثلث القرآن، و هذا و ما أشبهه مما أظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النظر و التأمل و وجد المعطلون و أهل الملل المخالفه للإسلام مساعا إلى القدح فى القرآن، و لو شرحت لك كلما اسقط و حرّف و بدّل مما يجرى هذا المجرى لطال و ظهر ما يحظر التقيّه إظهاره من مناقب الأولياء و مثالب الأعداء.

ص: ٢١٤

الثالث ما رواه فى الكافى عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر، قال دفع إلى أبو الحسن عليه السّلام مصحفاً، فقال: لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه: لم يكن الذين كفروا، فوجدت فيها اسم سبعين من قريش بأسمائهم و أسماء آبائهم، قال فبعث إلى ابعت إلى بالمصحف.

الرابع ما رواه أبو عبيده بسنده عن ابن عمر قال: لا يقولنّ أحدكم قد اخذت القرآن كلّه و ما يدرىه ما كلّه، قد ذهب منه قرآن كثير، و لكن ليقبل قد أخذت منه ما ظهر.

و بسنده عن عايشه، قال: كانت سورة الأحزاب تقرأ فى زمان الرّسول صلّى الله عليه و آله ما أتى آيه، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلّا على ما هو الآن.

و بسنده عن زر بن حبيش، قال: قال لى أبى بن كعب: كم تعدّون سورة الأحزاب؟ قلت: اثنتين و ستين آيه أو ثلاثا و ستين آيه، قال: ان كانت لتعدل سورة البقره.

و فى الكشاف عن زرّ مثله إلّا أنّ فيه قلت ثلاثا و سبعين آيه، قال فو الذى يحلف به أبى ابن كعب ان كانت لتعدل سورة البقره أو أطول و لقد قرأنا منها آيه الرّجم، الشّيح و الشّيخه اذا زنيا فارجموهما البتّه نكالا من الله و الله عزيز حكيم.

الخامس ما رواه فى كتاب تذكره الأئمه عن تفسير الكازر، و المولى فتح الله عن مصحف ابن مسعود، و هو آيات كثيره فى سور متعدّده.

فى المائده: «يا أَيُّهَا الرّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ « فى شَأْنِ عَلِيٍّ « وَ إِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ « و فى الرّعد و هو قوله تعالى: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ « عَلِيٌّ « لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ « و فى الشعراء: «وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا « آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ « أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ «، و رواه القمى أيضا عن أبى عبد الله عليه السّلام.

و في الصّافات قوله: «وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ» في وِلايَةِ عَلِيٍّ «ما لَكُمْ لا تَناصِرُونَ».

و في النّساء قوله تعالى: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ» وَ آلَ مُحَمَّدٍ «الْكِتابَ وَ الْحِكمَةَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكَاً عَظِيماً» و في الزّمر قوله: «فَإِما نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ» بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ و رواه الطّبرسي أيضا عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

و في طه قوله تعالى: «وَ لَقَدْ عَهِدنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ» كَلِماتٍ في مُحَمَّدٍ و عَلِيٍّ و فاطمه و الحسن و الحسين و التّسعَة من ذرّيّه الحسين «فَنَسِيّ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً» و رواه أيضا في الكافي عن الصادق عليه السّلام إلّا أنّ في آخره و الأئمّه من ذرّيّتهم بدل قوله و التّسعَة، ثم قال هكذا و الله نزلت على مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ فِي النّجم قوله تعالى: «فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ» في عَلِيٍّ لَيْلَةَ الْمِعْراج «ما أَوْحى» و في آيه الكرسي: «اللَّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ لَهُ ما في السّماواتِ وَ ما في الْأَرْضِ» وَ ما تَحْتَ الثّرى، عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشّهادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ» و في الأحزاب قوله: «وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ» بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ «وَ كانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيْزاً» و منها سوره الولايه: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يا أَيُّها النَّبِيُّ

آمَنُوا آمَنُوا بِالنَّبِيِّ وَالْوَالِيِّ الَّذِينَ بَعَثْنَاهُمَا يَهْدِيَانِكُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ نَبِيِّ وَوَالِيٍّ بَعْضُهُمَا مِنْ بَعْضٍ، وَأَنَا الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ، إِنَّ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ لَهُمْ جَنَاتُ النَّعِيمِ، فَالَّذِينَ إِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا كَانُوا بِآيَاتِنَا مُكَذِّبِينَ، إِنَّ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ مَقَامًا عَظِيمًا، نُودِيَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ آيِنَ الضُّلُونِ الْمُكَذِّبُونَ لِلْمُرْسَلِينَ، مَا خَلَفَهُمُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُنْظِرَهُمْ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاعْلَمِي مِنَ الشَّاهِدِينَ) ومنها سورة النورين، تركت ذكرها لكونها مع طولها مغلوطة لعدم وجود نسخه مصححه عندي يصح الركون إليها.

السادس ما رواه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره وهو أيضا كثير.

منها قوله تعالى: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» في ولاية علي و الأئمة من بعده «فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا».

و منها قوله تعالى: «لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ» في علي «أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ» و منها قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا» آل محمد حقهم «لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ» و منها «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ يَا عَلِيُّ «فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ» و منها قوله تعالى: «وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ» آل محمد حقهم

«فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ» السابع ما رواه في الصّافي عن العياشي عن الباقر عليه السّلام في قوله:

«وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ» أنّها نزلت و إذ أخذ الله ميثاق أمم النبيين.

الثامن ما فيه عنه في قوله: فبدّل الذين اه أنّها نزلت فبدّل الذين ظلموا آل محمّد حقهم غير الذي قيل لهم، فأزلنا على الذين ظلموا آل محمّد حقهم رجزا من السّماء بما كانوا يفسقون.

التاسع ما رواه في الكافي(1) عن أبي بصير مقطوعا في حديث طويل، ثم أتى الوحي إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال:

«سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ» بولايه على «لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ» قال: قلت: جعلت فداك إنّنا لا نقرئها هكذا، فقال: هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمّد صلّى الله عليه وآله، وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمه عليها السّلام، إلى غير ذلك ممّا يقف عليه المتتبع المجدّد وأكثر التفاسير احتواء لذلك تفسير القميّ، و فيما ذكرناه كفايه لمن طلب الحقّ، لأنّها على اختلاف مؤدّياتها متفق على الدلالة على النقيصه في الكتاب فيحصل منها العلم الصّروري بها.

و المناقشه فيها بأنّ الزّيادة المذكوره فيها إنّما هي من قبيل الأحاديث القدسيه لا القرآن فبعيده جدّا كما أنّ احتمال أن يكون النّاقصات من قبيل التفاسير و بيان المعاني كذلك، لما عرفت من التّصريح في بعضها بأنّها هكذا نزلت، و في بعضها هكذا والله نزلت، و مع ذلك التّصريح كيف يمكن القول بكون المنقوصات من قبيل التفاسير كما توهمه الصّدوق.

ص: ٢١٨

١- (١) و رواه في غايه المرام بسند آخر عن ابي بصير عن أبي عبد الله «عليه السّلام» منه

و الانصاف أنّ القول بعدم النقص فيه ممّا يمكن إنكاره بعد ملاحظه الأدله و الأخبار التي قدّمناها، فإنّها قد بلغت حدّ التواتر، مضافا إلى أخبار ورود الامه على الحوض و قولهم بعد سؤال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْهُمْ كَيْفَ خَلَقْتُمُونِي فِي الثَّقَلَيْنِ: أَمَّا الْأَكْبَرُ فَحَرَقْنَاهُ (فبدلناه خ ل) و أمّا الأصغر فقتلناه، و هذه الأخبار أيضا متواتره، و مع التنزل عن بلوغها حدّ التواتر نقول: إنّه بانضمامها إلى الأخبار الاول لا محاله تكون متواتره مفيده للعلم بثبوت النقصان، إذ لو كان القرآن الموجود بأيدينا اليوم بعينه القرآن المنزل من السماء من دون أن يكون فيه تحريف و نقصان، فأى داع كان لهم على الطبخ و الاحراق الذي صار من أعظم المطاعن عليهم.

فان قلت: إذا ثبت وقوع التغيير في القرآن فكيف يجوز لنا قراءته؟ بل اللازم قراءته على نحو ما انزل فيما اطلعنا عليه.

قلت: إنّ الأئمه عليهم السلام رخصونا على ما هو الموجود الآن و لم يأذنوا بقراءته على نحو ما انزل.

يدلّ على ذلك ما رواه في الكافي مرسلا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها و لا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم؟ فقال عليه السلام: لا، اقرءوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم.

و فيه أيضا باسناده إلى سالم بن سلمه، قال: قرء رجل على أبي عبد الله عليه السلام و أنا أستمع حروفا من القرآن ليس على ما يقرئها الناس، فقال أبو عبد الله عليه السلام:

مه كفّ عن هذه القرائه و اقرء كما يقرأ الناس حتّى يقوم القائم عليه السلام: فاذا قام قرء كتاب الله على حدّه و أخرج المصحف الذي كتبه على عليه السلام.

فان قلت: سلّمنا وجود التحريف فيه فلم يصحّحه أمير المؤمنين عليه السلام حيثما جلس على سرير الخلافه مع أنّه لم يكن منه مانع يومئذ.

قلت: إنّ عليه السلام لم يتمكن منه لوجود التقيه المانعه من حيث كونه مستلزما

للتشنيع على من سبقه كما لم يتمكن من إبطال صلاه الضحى، و من إجراء متعتى الحجّ و النساء، و من عزل شريح عن القضاء، و معاويه عن الاماره، و قد صرح بذلك فى روايه الاحتجاج السابقه فى مكالمته عليه السلام مع الزنديق.

مضافا إلى اشتمال عدم التصحيح على مصلحه لا تخفى، و هو أن يتمّ الحجّه فى يوم القيامه على المحرّفين المغيّرين من هذه الجبهه أيضا بحيث يظهر شناعه فعلهم لجميع أهل المحشر، و ذلك بأن يصدر الخطاب من مصدر الرّبوبيّه إلى امّه محمّد صلّى الله عليه و آله، و يقال لهم: كيف قرأتم كتابى الذى أنزلته إليكم؟ فيصدر عنهم الجواب، بأنّا قرأناه كذا و كذا، فيقال لهم: ما أنزلناه هكذا فلم ضيّعتموه و حرّفتموه و نقصتموه؟ فيجيبوا أن يا ربّنا ما قصّرنا فيه و لا ضيّعناه و لا فرطنا، بل هكذا وصل إلينا.

فيخاطب حملة الوحى و يقال لهم: أنتم قصّرتهم فى تبليغ وحى و أداء أمانتى؟ فيقولوا ربّنا ما فرطنا فى وحيك من شىء و إنّما فرط فيه فلان و فلان بعد مضى نبيّهم، فيظهر شناعه فعلهم و فضاحه عملهم لجميع أهل المحشر و يستحقّوا بذلك الخزى العظيم و العذاب الأليم مضافا إلى استحقاقهم للنكال و العقاب بتفريطهم فى أمر الرّساله و تقصيرهم فى غضب الخلافه.

فان قلت: سلّمنا أنّ عليا عليه السلام لم يتمكن من تصحيحه و أنّ بقائه على التّحريف كان مشتملا على المصلحه التى ذكرتها، و لكن بقى هنا شىء و هو أنّ الأئمّه لم لم يدفعوا ما عندهم من الكتاب المنظم المحفوظ السّالم عن التّحريف إلى الامّه و ما كان المانع لهم من ذلك؟ قلت: السّر فى عدم إظهارهم عليهم السلام له وجوه كثيره:

منها أنّه لو أظهر ذلك الكتاب مع بقاء هذا الكتاب المحرّف لوقع الاختلاف بين النّاس و يكون ذلك سببا لرجوع النّاس إلى كفرهم الأصلى و أعقابهم القهقرى.

و منها أنّ شوكة التّفاق يومئذ كان أكثر فلو أظهره لأحدث المنافقون فيه مثل ما أحدثه رئيسهم قبلهم.

و منها أنه مع إظهاره أيضا لا يكون له رواج، لمكان شهره ذلك المحرّف إلى غير هذه من الأسرار التي تستفاد من الأخبار.

و كيف كان فقد ظهر و تحقّق ممّا ذكرنا كله أنّ حدوث التّحريف و التّقصان في القرآن ممّا لا غبار عليه.

و أمّا الزّيادة ففيها تردّد و الأقوى العدم إذ الدّليل عليها ليس إلّا عدّه روايات و هي لا تقاوم الاجماعات التي ادّعاها الشّيخ و الصّدوق و الطبرسي و المحقّق الكاظمي.

فان قلت: قد ظهر من كلام الصّيّدوق الاجماع على عدم النقيصه أيضا، فان كان الاجماع المنقول حجّه فهو حجّه في المقامين كليهما، و إلّا فلا يعبأ به في شيء منهما و التّفرقه بينهما بالعمل به في أحدهما دون الآخر شطط من الكلام.

قلت: الاجماع المنقول إنّما هو معتبر لأجل إفادته الظن، و هو لا يكافؤ القطع الحاصل من الأخبار المتواتره الدّاله على النقيصه، و لكن لما كان الظنّ الحاصل منه أقوى من الظنّ الحاصل من أدله الزّيادة لا جرم رجحناه عليها.

هذا تمام الكلام في المقام، و قد تكلمنا فيه بمقتضى أفهامنا، و الله العالم بحقايق الامور.

التذييل الثالث

اعلم أنّه قد تواترت الأخبار عن العتره الزّاكيه و أجمعت الأصحاب من الفرقه النّاجيه الاماميّه على أنّ قيم القرآن بعد النّبي صلّى الله عليه و آله أي العالم بتفسير محكماته و تأويل متشابهاته، و الحافظ لأسراره و آياته و أنوار بيّناته، هو عليّ و الطّيّبون من أولاده عليهم السلام، و قد طابق العقل في ذلك الثّقل فكلاهما متطابقان في علمهم بالقرآن.

أمّا العقل فلأنه قد علمت عند شرح قوله عليه السّلام: و لم يخل الله خلقه من نبيّ مرسل أو كتاب منزل أو حجّه لازمه، أنّ الأرض لا تبقى بلا حجّه من بعد النّبيّ صلّى الله عليه و آله، إذ الحاجه من الخلق ماسّه دائما إلى وجود من يقربهم إلى الله و يهديهم

إلى سبيل ربهم بالحكمه و الموعظه الحسنه، فلا بد أن يكون ذلك الحجه عالما بجميع القرآن، إذ القرآن لا يكون بنفسه حجه من دون قيم، ضروره أن القرآن ليس كتابا يقوم بعلمه عامه أهل النظر من الفضلاء، فضلا عن غيرهم كيف؟ و أكثر أرباب النظر عاجزون عن مطالعه كتب الحكماء و فهمها، ككتب أفلاطن و أرسطو فكيف يمكنهم أن يعلموا القرآن و يفهموه، و هو كتاب الهى و كلام ربانى نسبته إلى ساير الكتب كنسبه الرب تعالى إلى مصنفى تلك الكتب، و هو مشتمل على رموز و بطون و أسرار و نكات، فلا يهتدى إلى نوره إلا بتأييد الهى و إلهام ربانى و تعليم نبوى، و لم نجد أحدا يقال: إنه علم القرآن كله، و إنه قيمه إلا عليا و أولاده المعصومين سلام الله عليهم أجمعين فهم قيم القرآن و عارفوه.

و فى روايه الكافى عن منصور بن حازم، قال: قلت: لأبى عبد الله عليه السلام إلى أن قال: و قلت للناس: تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه و آله كان هو الحجه من الله على خلقه، قالوا: بلى، قلت: فحين مضى رسول الله صلى الله عليه و آله من كان الحجه على خلقه؟ فقالوا: القرآن، فنظرت فاذا هو يخاصم فيه المرجئى و القدرى و الزنديق الذى لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجه إلا بقيم، فما قال فيه من شىء كان حقا، فقلت لهم: من قيم القرآن؟ فقالوا: ابن مسعود قد كان يعلم، و عمر يعلم، و حذيفه يعلم، قلت: كله؟ قالوا: لا فلم أجد أحدا يقال: إنه يعرف ذلك كله إلا عليا صلوات الله عليه، و إذا كان الشىء بين القوم، فقال هذا:

لا ادرى، و قال هذا: لا أدرى، و قال هذا: لا أدرى و قال هذا: أنا أدرى فاشهد أن عليا عليه السلام كان قيم القرآن، و كانت طاعته مفروضه، و كان الحجه بعد رسول الله صلى الله عليه و آله، و أن ما قال فى القرآن فهو حق فقال عليه السلام (1) رحمك الله.

و اما الثقل فقد روى عن ابن عباس أنه كان ليله من الليالى عند أمير المؤمنين عليه السلام و هو يفسر فاتحه الكتاب، فرأى نفسه عنده كجره عند بحر عظيم، و هو عليه السلام قال لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحه الكتاب.

ص: ٢٢٢

١- (١) اى قال ابو عبد الله «عليه السلام» لمنصور، منه

و فى غاية المرام عن محمد بن الحسن الصّيفار باسناده عن الأصغى بن نباته، قال قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لو كسرت لى و ساده فقعدت عليها لقضيت بين أهل التوراه بتوراتهم، و أهل الانجيل بإنجيلهم و أهل الفرقان بفرقانهم بقضاء يصعد إلى الله يزهر و الله ما نزلت آيه فى كتاب الله فى ليل أو نهار إلاّ و قد علمت فىمن انزل، و لا أحد مرّ على رأسه موسى إلاّ و قد نزلت فيه آيه من كتاب الله تسوق إلى الجنة أو إلى النار، فقام إليه رجل، فقال يا أمير المؤمنين عليه السّلام: ما الآيه التى نزلت فىك؟ قال عليه السّلام له: أما سمعت الله يقول:

«أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدًا» فرسول الله صلّى الله عليه و آله على بينه من ربّه، و أنا شاهد له فيه و أتلوه معه.

و فى غاية المرام أيضا عن الشّيخ فى أماليه باسناده عن علىّ عليه السّلام، قال: سلونى عن كتاب الله، فو الله ما نزلت آيه من كتاب الله عزّ و جلّ فى ليل أو نهار و لا مسير و لا مقام إلاّ و قد أقرأنيها رسول الله صلّى الله عليه و آله و علّمنى تأويلها، فقام ابن الكوّا، فقال يا أمير المؤمنين: فما كان ينزل عليه و أنت غائب عنه؟ قال: كان يحفظ علىّ رسول الله صلّى الله عليه و آله ما كان ينزل عليه من القرآن و أنا عنه غائب حتّى اقدم عليه فيقرئني و يقول لى يا علىّ أنزل الله علىّ بعدك كذا و كذا، و تأويله كذا و كذا فيعلّمنى تأويله و تنزيله.

و فى البحار عن بصائر الدّرجات باسناده عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبيه عن أبى الحسن الأوّل عليه السّلام، قال: قلت له جعلت فداك: النبى صلّى الله عليه و آله و رث علم التّبيين كلهم؟ قال لى: نعم قلت: من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه، قال: نعم، قلت و رثهم التّبوّه و ما كان فى آبائهم من التّبوّه و العلم، قال: ما بعث الله نبيا إلاّ و قد كان محمد صلّى الله عليه و آله أعلم منه، قال: قلت: إنّ عيسى بن مريم كان يحيى الموتى باذن الله، قال: صدقت، و سليمان بن داود كان يفهم كلام الطير، قال: و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يقدر على هذه المنازل، فقال: إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده و شكّ فى أمره:

«ما لى لا- أرى الهدهد أم كان من الغائبين» و كانت المردة و الریح و النمل و الناس و الجنّ و الشیاطین له طائعين، و غضب علیه، فقال:

«لأعدبته عذاباً شديداً أو لأذبحه أو ليأتيني بسُلطانٍ مُبينٍ» و إنّما غضب علیه لأنه كان يدلّه على الماء فهذا و هو طير قد أعطى ما لم يعط سليمان، و إنّما أراد ليدله على الماء فهذا لم يعط سليمان و كانت المردة له طائعين و لم يكن يعرف الماء تحت الهواء و كانت الطير تعرفه، إنّ الله يقول فى كتابه:

«و لو أنّ قُرْآنًا سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى» (١) فقد ورثنا نحن هذا القرآن فعندنا ما تسير به الجبال و تقطع به البلدان و يحيى به الموتى باذن الله، و نحن نعرف ما تحت الهواء و إنّ كان فى كتاب الله لآيات لا- يراد بها أمر من الامور التى اعطاها الله الماضين النبیین و المرسلين إلاّ و قد جعله الله ذلك كله لنا فى امّ الكتاب، إنّ الله تبارك و تعالى يقول:

«و ما من غائبه فى السماء و الارض إلاّ فى كتابٍ مُبينٍ» ثمّ قال عزّ و جلّ: «ثمّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا» فنحن الذين اصطفانا الله، فقد ورثنا علم هذا القرآن الذى فيه تبيان كلّ شىء.

و فى الكافى باسناده عن عبد الرحمن بن كثير عن أبى عبد الله عليه السلام، قال:

ص: ٢٢٤

١- (١) شرط حذف جوابه و المراد منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة فى عناد الكفره و تصميمهم اى و لو ان قرانا زعزعت به الجبال عن مقارها لكان هذا القرآن لانه الغايه فى الاعجاز و النهايه فى التذكير و الانذار، تفسير بضاوى. «ج ١٤»

«قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ» قال: ففرّج أبو عبد الله عليه السّلام بين أصابعه فوضعها في صدره، ثم قال و عندنا و الله علم الكتاب كله.

و في تفسير عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن اذينة عن أبي عبد الله عليه السّلام أيضا قال: الذي عنده علم الكتاب، هو أمير المؤمنين عليه السّلام و سئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال عليه السّلام ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذ البعوضه بجناحها من ماء البحر.

و في غايه المرام عن محمّد بن الحسن الصّيفي عن عبد الأعلى بن أعين قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: قد ولدني رسول الله صلّى الله عليه وآله و أنا أعلم كتاب الله، و فيه بدؤ الخلق و ما هو كائن إلى يوم القيامة و فيه خبر السّماء و خبر الأرض و خبر الجنّة و خبر النّار و خبر ما كان و خبر ما هو كائن، أعلم ذلك كائنًا أنظر إلى كفى إنّ الله يقول:

«فِيهِ تَبْيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ» و قريب منه ما في الكافي باسناده عن عبد الأعلى مولى آل سام، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: و الله إنّني لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنّه في كفى، فيه خبر السّماء و خبر الأرض و خبر ما كان و خبر ما هو كائن، قال الله عزّ و جل فيه تبيان كلّ شيء.

قال بعض المحقّقين: قوله عليه السّلام: كأنّه في كفى تنبيه على أنّ علمه بما في الكتاب شهودى بسيط واحد بالذّات متعلّق بالجميع، كما أن رؤيه ما في الكفّ رؤيه واحده متعلّقه بجميع أجزائه، و التّعدد إنّما هو بحسب الاعتبار.

وقوله عليه السّلام: فيه خبر السّماء يعني من أحوال الأفلاك و حركاتها و أحوال الملائكة و درجاتها و حركات الكواكب و مداراتها و منافع تلك الحركات و تأثيراتها إلى غير ذلك من الامور الكائنه فى العلويات و المنافع المتعلقة بالفلكيات.

وقوله عليه السّلام: و خبر الأرض يعني من جوهرها و انتهائها و ما فى جوفها و أرجائها و ما فى تحتها و أهوائها و ما فيها من المعدنيات و ما تحت الفلك من البسيط و المركبات التى يتحير فى إدراك نبذ منها عقول البشر، و يتحير دون بلوغ أدنى مراتبها ظاهر الفكر و النّظر.

وقوله عليه السّلام: و خبر ما كان و خبر ما هو كائن أى من أخبار السّابقين و أخبار اللاحقين كلياتها و جزئياتها و أحوال الجنّه و مقاماتها و تفاوت مراتبها و درجاتها و أخبار المشاب فيها بالانقياد و الطاعه و المأجور فيها بالعباده و الرّهاده و أهوال النّار و دركاتها و أحوال مراتب العقوبه و مصيبتها، و تفاوت مراتب البرزخ فى النّور و الظلمه، و تفاوت أحوال الخلق فيه بالرّاحه و الشّده، كلّ ذلك بدليل قوله: فيه تبيان كل شىء، أى كشفه و ايضاحه فلا سبيل إلى إنكاره.

التذيل الرابع

اعلم أنّه قد ورد الأخبار المتظافره فى النّهي عن تفسير القرآن بالرّأى منها ما فى مجمع البيان، قال: اعلم أنّ الخبر قد صحّ عن النّبىّ و الأئمه القائمين مقامه أنّ تفسير القرآن لا يجوز إلاّ بالأثر الصّحيح و النّص الصّريح، قال: و روى العامّه أنّه صلّى الله عليه و آله قال: من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحقّ فقد أخطأ و منها ما عن تفسير العياشى عن أبى عبد الله عليه السّلام، قال من فسّر القرآن إن أصاب لم يوجر، و إن أخطأ سقط أبعد من السماء.

و منها ما عن الرّضا عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام، قال:

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّ «قال ظ» الله عزّ و جلّ فى الحديث القدسى ما آمن بى من فسّر كلامى برأيه، و ما عرفنى من شبّهنى بخلقى، و ما على دينى من استعمل القياس فى دينى.

و منها ما رواه فى الكافى عن زيد الشحام فى حديث قتاده مع أبى جعفر عليه السلام قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: و يحك يا قتاده إن كنت إنما فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت و أهلكت، و إن كنت إنما أخذته من الرجال فقد هلكت و أهلكت إلى أن قال: فقال أبو جعفر عليه السلام و يحك يا قتاده إنما يعرف القرآن من خوطب به.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ طائفه من متأخري أصحابنا و هم الأخباريون قالوا:

بعدم جواز استنباط حكم من الأحكام من القرآن و عدم جواز الاستدلال به على شىء من المسائل إلاّ بعد صدور بيانه من الأئمه عليهم السّلام، متمسكا بالأخبار المذكوره، و بأدله أخرى استدّلوا بها على مذهبهم فى مجالها، و قد خالفوا فى ذلك جميع المجتهدين، لا تفاهمهم على جواز العمل بمحكمات الكتاب نصّا كان أو ظاهرا و استدّلوا عليه بأدله و افيه و براهين شافيه تعرّضوا لها فى علم الاصول، و لا حاجة لنا فى المقام إلى إشباع الكلام فى هذه المسأله، و إنّما مقصودنا تحقيق معنى الأخبار المذكوره ليّضح المراد بها و يظهر أيضا عدم دلالتها على ما رآه الأخباريه فنقول: إنّ التفسير مأخوذ من الفسر و هو كشف السّتر عن المستور، يقال:

فسّر الشّىء فسرا إذا كشف عن غطائه، و قد يقال: إنّ كشف المراد عن اللفظ المشكل، و فى الأوقيانوس أنّه فى عرف المفسرين مرادف للتأويل و فى المصباح فسّرت الشّىء فسرا من باب ضرب بيّنته و اوضحته، و عن الصحاح الفسر البيان، و قد فسرت الشّىء افسره بالكسر فسرا و التفسير مثله.

إذا عرفت هذا فاعلم أنّه إن اريد بالتفسير المذكور فى الأخبار المعنيان الأوّلان، فلا يكون فيها دلالة على المنع عن العمل بالظواهر و بالتّصوص بطريق اولى، لظهور أنّ التفسير على المعنيين المذكورين إنّما يكون فى الألفاظ التى معانيها خفيه مستوره، و الألفاظ التى معانيها مشكله كالمجملات و المتشابهات، و لا ريب أنّ المعانى الظاهره من الألفاظ بنفسها لا ستره عليها حتّى يحتاج إلى الكشف، و لا إشكال فيها حتّى يحتاج إلى الفسر.

و اما على القول بكونه مرادفا للتأويل فكذلك، إذ نحن لا ننكر عدم جواز تأويل ما يحتاج إلى التأويل من تلقاء النفس و نعترف
بانحصار علم المتشابهات المحتاجه إليه في الأئمه عليهم السلام، لقوله تعالى:

«وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» و لكن اين ذلك من أتباع المحكمات من العمل بالظواهر، نعم على القول بأن
معناه البيان و الايضاح كما حكيناه عن المصباح و الصيحاغ يكون للاستدلال بالأخبار المذكوره وجه، لعدم اختصاص التفسير
على ذلك المعنى بالالفاظ المجمله و المتشابهه إلا- أن يقال: إن المراد بالرأى فى الأخبار المذكوره هو الاعتبار العقلى الظنى
الراجع إلى الاستحسان، فالمراد من التفسير بالرأى حمل اللفظ على خلاف ظاهره أو أحد احتماليه، لرجحان ذلك فى نظره
القاصر، فلا يشمل حمل ظواهر الكتاب على معانيها اللغويه و العرفيه الظاهره، فالمقصود بهذه الزوايات ذم المخالفين و طردهم
من حيث استغنائهم بأرائهم الفاسده عن مراجعه أهل البيت عليهم السلام، و يشعر بذلك ما قاله سبحانه. فى الحديث القدسى
الشالف: و ما على دينى من استعمل القياس فى دينى، و يرشد إليه ما روى عن الصادق عليه السلام، قال فى حديث طويل:

هلك الناس فى المتشابه، لأنهم لم يقفوا على معناه و لم يعرفوا حقيقته فوضعوا له تأويلا من عند أنفسهم بأرائهم فاستغنوا بذلك
عن مسأله الأوصياء، و يمكن أن يراد بالرأى الهوى و ميل الطبع.

توضيحه ما ذكره الغزالي فى إحياء العلوم و هو أن يكون له فى الشىء رأى و إليه ميل من طبعه و هواه فيتأول القرآن على وفق
رايه و هواه ليحتج على تصحيح غرضه، و لو لم يكن له ذلك الرأى و الهوى فكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى، و هذا
تاره يكون مع العلم، كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته و هو يعلم أنه ليس المراد بالايه ذلك، و لكن يلبس
به على خصمه و تاره يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن و يستدل عليه بما يعلم أنه ما اريد به كالذى يدعو

إلى مجاهده القلب القاسى فيقول قال الله عزّ وجلّ:

«اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى» ويشير إلى قلبه و يؤمى إلى أنّه المراد بفرعون، وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصّحيحة، تحسينا للكلام و ترغيبا للمستمع، و قد تستعمله الباطنيه فى المقاصد الفاسده لتغيير النَّاس و دعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرآن على وفق رأيهم و مذهبهم على امور يعلمون قطعاً أنّها غير مراده به انتهى ملخصاً.

و قد ظهر و اتّضح ممّا ذكرنا كله أنّ الأخبار المأثوره لا تنهض دليلاً على المنع من استنباط الأحكام من الظواهر و محكمات الكتاب، و لا- على المنع من العمل بها إلّا- بعد السّماع و النّقل كيف و قد مدح الله سبحانه المستنبطين بقوله: لعلمه الذين يستنبطونه، و ورد الأخبار المتواتره بعرض الأخبار المتعارضه على كتاب الله و أخذ الموافق له و طرح المخالف، فتدل على أنّ الكتاب حجه و معروض عليه، و لو لم يصحّ فهم معناه إلّا- بالنّص كيف يمكن العرض عليه و هو غير مفهوم المعنى، و تمام الكلام فى ذلك موكول إلى حواشينا على قوانين الاصول هذا.

و قد بقى فى المقام بعض أبحاث قرآنيه من تواتره و تواتر قراءات السّبع و فضائله و فضائل قراءته و سماعه و النّظر فيه و غير ذلك من المباحث الشّريفه التّفيسه، إلّا- أنّا طوينا عنها كشحا لخوف الاطاله و الاطناب، و لعلنا نشير إلى بعضها فى المقام المناسب، و الله الموقّق و المعين.

الترجمه

پس اختیار کرد و برگزید خداوند سبحانه و تعالی بجهه محمّد خاتم الأنبياء صلوات الله عليه و آله ملاقات روحانی او را و پسندید از برای او آن چیزی را که نزد اوست، پس اکرام فرمود و عزیز شمرد او را از ماندن دار دنیای فانی و صرف فرمود و بگردانید میل او را از اقامت مقام بلاد محنت، پس قبض فرمود روح شریف او را بسوی خود در حالتی که عزیز و شریف بود و خلیفه گذاشت آن حضرت بعد از خود

در میان شما مثل آن چیزی که خلیفه گذاشتند پیغمبران در میان امتان خود، زیرا که ترک نکردند ایشان امتان را سر خود و واگذاشته بی راه روشن و بدون علامت و نشانه ثابت که عبارتست آن خلیفه گذاشته شده از کتاب پروردگار شما در حالتی که بیان کننده بود آن حضرت حلال آنرا و حرام آن را و فضیلت‌های آن را که مندوبات است و فریضه‌های آن را که واجباتست و نسخ کننده آنرا و نسخ کرده شده آن را و رخصت‌های آن را که در حال ضرورت اذن داده شده و عزیزت‌های آن را که در هیچ حال اذن مخالفت آنها داده نشده، و خاص‌های آنرا و عام‌های آن را و عبرت‌های آنرا و مثل‌های آنرا و مطلقات آنرا و مقیدات آن را و محک‌های آنرا که واضح الدلاله هستند و متشابهات آنرا که غیر واضح الدلاله می‌باشند در حالتی که آن حضرت تفسیر کننده بود مجمل‌های آن را، و بیان کننده بود مشکل‌های آنرا، در حالتی که آن کتاب میان چیزی است که اخذ کرده شده است پیمان دانستن آن، و میان چیز است که وسعت داده شده بر بندگان در جهالت آن، و دیگر میان آن چیز است که ثبت شده است در کتاب فرض و وجوب آن، و دانسته شده است در سنت نبوی نسخ آن، و دیگر میان آن چیز است که واجبست در سنت اخذ و فرا گرفتن آن و اذن و رخصت داده شده است در آن کتاب ترک نمودن آن، و دیگر مسائل آن چیز است که واجبست در وقت خود و زایل است در زمان استقبال خود، و دیگر میان حکمی است که جدا شده است میان محرمان خود با شدت و ضعف، که آن محرمان عبارتست از کبیری که وعده داده است بر آن آتش سوزان خود را، و از صغیری که آماده و مهیا فرموده است بجهه آن رحمت و غفران خود را، و دیگر میان چیز است که مقبول است در مرتبه ادنای خود و موسع است یعنی وسعت داده شده در مرتبه اعلائی خود

الفصل الثامن عشر

اشاره

و منها و فرض علیکم حجّ بیته الحرام الذی جعله قبله للأنام، یردونه ورود الأنعام، و یألّهون إلیه ولوه الحمام، جعله سبحانه علامه

لتواضعهم لعظمته، و إذعانهم لعزته، و اختار من خلقه سمّاعا أجاوبا له دعوته و صدّقوا له كلمته، و وقفوا مواقف أنبيائه، و تشبّهوا ملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح في متجر عبادته، و يتبادرون عنده موعد مغفرتة، جعله سبحانه للإسلام علما، و للعائدين حرما، فرض حجّه، و أوجب حقّه، و كتب عليكم وفادته، فقال سبحانه:

«وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ».

اللغة

(الحجّ) بالفتح و الكسر هو القصد و فى لسان الشرع أو المتشرعه قصد بيت الله الحرام تقربا إليه سبحانه بأفعال مخصوصه فى زمان مخصوص فى مواطن مخصوصه، و فى المصباح حجّ حجا من باب قتل قصد و الاسم الحجّ بالكسر و (الورود) هو الدخول فى الماء للشرب منه (يألهون) إليه من وله (١). يوله من باب ضرب و منع و حسب اذا ذهب عقله من فرح أو حزن، و معنى يألهون إليه يشتد شوقهم إليه حتى يكاد يذهب عقولهم من شدّه الاشتياق و (اللوله) بالضم مصدر وله يوله من الباب الرابع مثل الولوغ من ولغ يولغ، أو مصدر وله يوله من الباب السادس مثل الولوغ أيضا من ولغ يولغ أو مصدر و له يوله من الباب الثانى مثل الرجوع من رجع يرجع أو بالفتح مصدر وله يوله (٢) من الباب الرابع أيضا مثل الولوع من ولع يولع، و على جميع الاحتمالات فالهمزه فى يألهون مقلوبه من الواو.

ص: ٢٣١

- ١- (١) الوله محرکه الحزن او ذهاب العقل حزنا و الحيره و الخوف و له كورث و وجل و وعد، قاموس.
- ٢- (٢) وله يوله ولها من باب تعب و فى لغه قليله و له يله من باب وعد فالذكر و الانثى واله و يجوز فى الانثى واله اذا ذهب عقله من فرح و حزن، مصباح

و بما ذكرنا ظهر فساد ما توهمه الشارح المعتزلى حيث إنه بعد ضبطه فى المتن يولهون إليه و له الحمام اه قال: الوله شدّه الوجد حتى يكاد العقل يذهب، و له الرّجل يوله ولها، و من روى يألّهون إليه ولوه الحمام فسره بشىء آخر، و هو يعكفون عليه عكوف الحمام، و أصل أله عبد، و منه الاله أى المعبود، و لما كان العكوف على الشىء كالعباده الملازمه له و الانقطاع إليه، يقال: أله فلان إلى كذا أى عكف عليه كأنه يعبده.

ثم قال: و لا يجوز أن يقال: يألّهون إليه فى هذا الموضع بمعنى يولهون، و أن أصل الهمزه الواو كما فسّره الراوندى لأنّ فعولا لا يجوز أن يكون مصدرا من فعلت بالكسر و لو كان يألّهون هو يولهون كان أصله أله بالكسر فلم يجز أن يقول:

ولوه الحمام، و أمّا على ما فسّرناه نحن فلا يمتنع أن يكون الولوه مصدرا، لأنّ الأله مفتوح، فصار كقولك: دخل دخولا، انتهى.

وجه ظهور الفساد أولا أنّ المضبوط من كلامه عليه السّلام فى النسخ المتعدّده يألّهون إليه ولوه الحمام و لم نعثر بعد على ما ضبطه الشارح أعنى يولهون إليه وله الحمام فى شىء من النسخ، و لعله غير كلامه لما زعم من عدم مطابقتها للقواعد الصّيرفيّه مع أنّ ذلك الزّعم فاسد حسبما تعرفه بعيد هذا.

و ثانيا أنّ ما ذكره من عدم مجىء فعول مصدرا من فعل بالكسر لا يعرف وجه له بل اللغه يشهد بخلافه على ما يظهر من الكتب المدوّنه فيها، حيث إنّ المتحصّل منها أنّ فعولا- بضمّ الفاء قد يجىء مصدرا من فعل مفتوح العين، سواء كان مضارعه يفعل بالفتح أيضا كالزّكوع و الزّنوع(1) و الولوغ(2) و الهبوغ(3) بالغين المعجمه فى الأخيرين، أو يفعل بالضمّ كالسّجود و البلوغ و القعود و الدّخول، أو يفعل بالكسر

ص: ٢٣٢

١- (١) رنع لونه كمنع تغير و زبل و ضمير و الدابه طردت الذباب براسها و فلان لعت قاموس اللغه
٢- (٢) ولغ الكلب فى الاناء و فى الشراب و منه و به يلغ كيهب و يالغ و ولغ كورث و وجل و لغا و يضم و ولوغا يشرب ما فيه
باطراف لسانه، ق.

٣- (٣) هبغ كمنع هبوغا نام، ق

كالرجوع، وقد يكون مصدرا من فعل مكسور العين سواء كان مضارعه يفعل بالكسر كالولوع أيضا أو بالفتح كالولوغ أيضا، و قد ذكروا أنّ الفعول أيضا بفتح الفاء قد يكون مصدرا من فعل بكسر العين كالولوع (١) بالعين المهملة.

و ثالثا أن ما ذكره أخيرا من قوله: و أمّا على ما فسّرناه نحن فلا يمتنع أن يكون الولوه مصدرا لأنّ أله مفتوح فصار كقولك دخل دخولا.

فيه أولا أنّه لم يسبق منه تفسير في ذلك، و إنّما روى تفسيرا من غيره بقوله و من روى يألهون اه فسّره هكذا، فقوله: و أمّا على ما فسّرناه نحن غير خال عن السّماجه.

و ثانيا بعد الاغماض و الحمل على التّسامح اللفظي أنّ التّفسير المذكور لا يصحّح ما ذكره، إذ الهمزة في أله بمعنى عبد أصلية و ليست مقلوبة من الواو، فكيف يكون الولوه مصدرا له، و إنّما مصدره إلهه (٢) و الوهه حسبما مرّ في تفسير لفظ الجلاله في صدر الخطبه.

و ثالثا أنّ ظاهر تمثيله بقوله: دخل دخولا، يشعر بكون أله من هذا الباب أيضا أى من باب فعل يفعل بفتح عين الماضى حسبما صرّح به نفسه أيضا و ضمّ عين المضارع مع أنّ اللّغويين صرّحوا بأنّ أله بمعنى عبد من باب فعل يفعل كفرح يفرح و (السّماع) لم أجده في كتب اللّغه و لعله بضمّ السين و تشديد الميم جمع سامع كسّمار (٣) جمع سامر و هكذا ضبطه الشّارح البحراني و (يحرزون الأرباح) من

ص: ٢٣٣

١- (١) ولع به كوجل ولعا محرکه و ولوعا بالفتح استخف و كذب و بحقه وهب و الوالع الكذاب، قاموس.

٢- (٢) إله الإله و الوهه و الوهيه عبد عباده و منه لفظ الجلاله و أله كفرح تحير، قاموس اللغه مكرر - إله ياله من باب تعب الإله بمعنى عبد عباده و أله ياله من باب تعب اذا تحير و اصله وله يوله، مصباح اللغه.

٣- (٣) يقال سمر فلان سمرا و سمورا من الباب الاول اذا لم ينم و تحدث ليلا و هم السمار بضم السين و تشديد الميم يقال باتوا سمرا، اقيانوس.

قولهم أحرزت الشيء إحرازاً ضممته، و منه قولهم: أحرز قصب السبق إذا سبق إليها فضمها دون غيره و (التبادر) هو التسارع، و يتعدى بإلى كما أن التسارع كذلك يقال: سارعوا إليه و تسارعوا و (العائدين) جمع عائذ بالياء المثناه و الدال المعجمه و هو المستجير المعتصم الملتجى، و فى بعض النسخ: العابدين بالياء الموحده و الدال المهمله و الأوّل أقرب و (الوفاده) كالإفاده بقلب الواو همزه و الوفد و الوفود مصدر وفد كضرب يقال: وفد إلى الأمير و عليه وفدا و وفودا و وفاده و إفاده إذا قدم و ورد، و فى الحديث حقّ الصلاه أن تعلم أنها وفاده إلى الله، أى قدوم إليه طلباً لفضله.

الاعراب

جملة يردونه فى محلّ النصب على الحائيه، والورود والولوهممتصبان على المصدريه مجازاً، اى ورودا مثل ورود الأنعام، و لوها مثل ورود «لوه ظ» الحمام، و مواقف مفعول فيه، و موعد منصوب بنزع الخافض أى إلى موعد مغفرته و يحتمل الانتصاب على المفعول فىكون المعنى أنهم يتسارعون عند الحجّ لوعده المغفره، و من استطاع فى محلّ الجرّ بدل من الناس بدل بعض من الكلّ و الربط فى الجملة الخبريه أعنى قوله:

فإنّ الله غنى عن العالمين، العموم فيها الشامل للمبتدأ إذا العالمين شامل لمن كفر و غيره و مثله قوله:

«وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ»

المعنى

إشاره

قال الرضى (ره) (و منها ذكر الحجّ) اعلم أنّ فاتحه كلامه عليه السّلام فى هذا الفصل كخاتمته مشتمله على ذكر وجوب الحجّ و فرضه، و تالى الفاتحه و متلّو الخاتمته متطابقان فى وصف البيت الحرام و الواسطه بينهما وارده فى أوصاف الحاج الكرام و مدايحهم و الثناء لهم، فهو من أبلغ الكلام على أحسن نظام.

قال عليه السّلام: (و فرض عليكم حجّ بيته الحرام) أمّا فرض الحجّ و وجوبه فقد

ثبت بالكتاب و السنّه و إجماع المسلمين بل الضروره من دين الاسلام حسبما يأتي في آخر الفصل إنشاء الله.

و أما البيت الحرام فهو أول بيت وضع للناس مباركاً و هدى للعالمين، و موضعه أول بقعه خلقت من الأرض خلقها الله سبحانه من زبد الماء و دحى الأرض من تحتها و اختارها على أجزائها و جعلها مطاف الملائكة المقربين و الأنبياء المرسلين و العباد الصالحين، كيف لا و قد بناه الخليل بأمر الجليل و المهندس جبرائيل و التلميذ اسماعيل كما قال:

«وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ» و ينبغي التعرض في المقام لأصل بناء البيت و مبناه و لبعض المشاعر و المناسك و الاشارة إلى جهة توصيف البيت بالحرام فالبحث في مقاصد ثلاثه.

المقصد الاول

اعلم أنّ موضع البيت حسبما اشير إليه هو أول جزء من أجزاء الأرض في عالم الخلق كما روى في الفقيه عن أبي جعفر عليه السلام لما أراد الله أن يخلق الأرض أمر الرياح الأربع فضربن بهن الماء حتى صار موجاً، ثمّ أزيد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحى الأرض (1) من تحته، و هو قول الله:

«إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً» فأول بقعه خلقت من الأرض الكعبة ثمّ بدت الأرض منها.

ص: ٢٣٥

١- (١) و في حديث أبي عبد الله «عليه السلام» المروى في الفقيه خلقه الله قبل دحو الارض بالفى عام اقول: دحو الارض عباره عن بسطها و فرشها و قد كان في الليله الخامسه و العشرين من ذى قعدہ و لذلك استحب الصوم في يومها قال الرضا عليه السلام فيما رواه في الفقيه فمن صام ذلك اليوم كان كمن صام ستين شهراً، منه

و أما البناء الأصلي ففي روايه الفقيه عن عليّ بن موسى بن جعفر عليهم السلام أنّه قال في خمسه و عشرين من ذى القعدة أنزل الله عزّ و جلّ الكعبه البيت الحرام، فمن صام ذلك اليوم كان كفّاره سبعين سنه، و هو أوّل يوم انزل فيه الرّحمه من السّماء على آدم عليه السّلام.

و في روايه اخرى فيه أيضا عن أبي خديجه، عن أبي عبد الله عليه السّلام أنّ الله عزّ و جلّ أنزله لآدم من الجنّه و كان درّه بيضاء فرفعه الله عزّ و جلّ إلى السّماء و بقى اسه (1) و هو بحيال هذا البيت يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك و لا يرجعون إليه أبدا، فأمر الله عزّ و جلّ إبراهيم و اسماعيل عليهما السّلام ببيان البيت على القواعد.

و في تفسير عليّ بن إبراهيم عن الصادق عليه السّلام في روايه طويله، قال عليه السّلام:

فلما بلغ يعنى اسماعيل مبلغ الرّجال أمر الله تعالى إبراهيم عليه السّلام أن يبنى البيت، فقال: يا ربّ في أى بقعه؟ فقال: في البقعه التى انزلت على آدم القبه، فأضاء لها الحرم، فلم تزل القبه التى أنزلها الله على آدم قائمه حتّى كان أيام الطوفان أيام نوح عليه السّلام فلما غرقت الدّنيا رفع الله تلك القبه و غرقت الدّنيا إلا موضع البيت فسّميت البيت العتيق لأنّه اعتق من الغرق، فلما أمر الله إبراهيم أن يبنى البيت لم يدر في أى مكان يبنيه، بعث الله جبرئيل فخطّ له موضع البيت فأنزل الله عليها القواعد من الجنّه، و لما كان الحجر الذى أنزله الله على آدم أشدّ بياضا من الثلج، فلما مسّته أيدى الكفّار اسودّ فبنى إبراهيم البيت و نقل إسماعيل الحجر من ذى طوى فرفعه الى السّماء تسعه أذرع ثمّ دلّه على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم و وضعه في موضعه الحديث.

اقول: المستفاد من هاتين الرّوايتين و من بعض الرّوايات (2) الآتية في المقصد الثّانى أنّ أصل البناء كان في زمن آدم، و يطابقهما بعض الرّوايات الدّاله على أنّ أوّل البناء كان من آدم، ثمّ انطمس في زمان نوح فبناه إبراهيم، ثمّ بناه العمالقه،

ص: ٢٣٦

١- (١) من الاساس

٢- (٢) كروايه العلل و غيرها منه

ثم قريش، ثم الحجاج اللعين.

و في روايه ابي بصير المرويه في الفقيه عن ابي عبد الله عليه السلام قال: إن آدم هو الذي بنى البنيه و وضع أساسه و أول من كساه الشعر و أول من حج إليه الحديث.

إلا أن المستفاد من بعض الروايات الأخر أنه كان قبل آدم هناك بيت يسمى بيت الضراح كان يطوف به الملائكه، فلما هبط آدم إلى الأرض أمر بطوافه.

و يؤيده ما رواه الصيّدوق عن بكير بن أعين عن أخيه زراره، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلني الله فداك أسألك في الحج منذ أربعين عاما فتفتيني فقال: يا زراره بيت يحج قبل آدم بألفى عام تريد أن يفتي مسائله في أربعين عاما، و سيأتي إنشاء الله عند شرح قوله: و وقفوا مواقف أنبيائه في حديث حج آدم (1) ما يفيد ذلك أيضا.

و وجه الجمع بين هذه الروايات و الروايات الاوله غير خفي على أهل المعرفه.

المقصد الثاني

في الاشاره إلى بعض المشاعر العظام كالحجر و المقام، و هما من الآيات التي اشير إليها في قوله تعالى: فيه آيات بينات.

اما الحجر فقد أودع الله فيه موثيق الخلق، قال الصيّدوق في الفقيه: و إنما يقبل الحجر و يستلم ليؤدى إلى الله العهد الذي أخذ عليهم في الميثاق، و إنما وضع الحجر في الركن الذي هو فيه و لم يضعه في غيره، لأنه تعالى حين أخذ الميثاق أخذه في ذلك المكان، و جرت السينه بالتكبير و استقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا، لأنه لما نظر آدم و قد وضع الحجر في الركن كبر الله و هلله و مجده، و إنما جعل الميثاق في الحجر لأن الله لما أخذ الميثاق له بالربوبيه و لمحمد صلى الله عليه و آله بالنبوه و لعلي عليه السلام بالوصيه، اصطكت فرايص الملائكه، و أول من أسرع إلى

ص: ٢٣٧

١- (١) و هو آخر الحديث المذكور حيث قال فلما قضى آدم حجه لفته الملائكه بالابطح فقالوا يا آدم بر حجك اما انا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفى عام، منه

الاقرار بذلك الحجر، فلذلك اختار الله و ألقمه الميثاق و هو يجيء يوم القيامة و له لسان ناطق و عين ناظره يشهد لكل من وافاه إلى ذلك المكان و حفظ الميثاق، و إنما اخرج الحجر من الجنة ليذكر آدم ما نسي من العهد و الميثاق انتهى.

و تفصيل ما ذكره هنا و سنده ما رواه في علل الشرايع باسناده عن بكير بن أعين، قال: قال لى أبو عبد الله عليه السلام: هل تدرى ما كان الحجر؟ قال: قلت: لا قال: كان ملكا عظيما من عظماء الملائكة عند الله عزّ و جلّ، فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق، كان أول من آمن به و أقّرّ لذلك ذلك الملك فاتخذته الله أمينا على جميع خلقه فألقمه الميثاق و أودعه عنده و استعبد الخلق أن يجددوا عنده فى كلّ سنة الاقرار بالميثاق و العهد الذى أخذه الله عليهم، ثم جعله الله مع آدم فى الجنة يذكّر الميثاق و يجدد عند الاقرار فى كلّ سنة.

فلما عصى آدم فاخرج من الجنة أنساه الله العهد و الميثاق الذى أخذ الله عليه و على ولده لمحمّد و وصيه صلوات الله و سلامه عليهما و جعله باهتا حيرانا، فلما تاب على آدم حوّل ذلك الملك فى صورته ذرّه بيضاء، فرماه من الجنة إلى آدم و هو بأرض الهند، فلتما رآه أنس إليه و هو لا يعرفه بأكثر من أنه جوهره، فأنطقه الله عزّ و جلّ، فقال: يا آدم أ تعرفنى؟ قال: لا قال: أجل استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك، و تحوّل إلى الصوره التى كان بها فى الجنة مع آدم.

فقال لآدم: أين العهد و الميثاق؟ فوثب إليه آدم و بكى ذكر الميثاق و بكى و خضع له و قبله و جدّد الاقرار بالعهد و الميثاق، ثم حوّل الله عزّ و جلّ جوهر الحجر ذرّه بيضاء يضىء، فحمله آدم على عاتقه إجلالا له و تعظيما، فكان إذا اعميا حمله جبرئيل عليه السلام حتى وافى به مكّه، فما زال يأنس به بمكه و يجدد الاقرار له كلّ يوم و ليله، ثم إنّ الله عزّ و جلّ لما أهبط جبرئيل إلى أرضه و بنى الكعبه هبط إلى ذلك المكان بين الركن و المقام و الباب، و فى ذلك المكان ترى لآدم حين أخذ الميثاق، و فى ذلك الموضع القم الملك الميثاق، فبتلك العله وضع فى ذلك الركن و نحى آدم من مكان البيت إلى الصفا و حوّا إلى المروه، و جعل الحجر فى الركن

فكبر الله و هله و مّجده، فلذلك جرت السنه بالتكبير فى استقبال الركن الذى فيه الحجر من الصفا.

و أنّ الله عزّ و جلّ أودعه العهد و الميثاق و ألقمه إِيّاه دون غيره من الملائكه لأنّ الله عزّ و جلّ لمّا أخذ الميثاق له بالرّبوبيه و لمحمّد صلّى الله عليه و آله بالنبوه و لعلّى عليه السّلام بالوصيه اصطكت فرايص الملائكه، و أول من أسرع إلى الاقرار بذلك ذلك الملك، و لم يكن فيهم أشدّ حُبًا لمحمّد و آل محمّد عليهم السّلام منه، فلذلك اختاره الله عزّ و جلّ من بينهم و ألقمه الميثاق فهو يجىء يوم القيامة و له لسان ناطق و عين ناظره يشهد لكل من وافاه الى ذلك المكان و حفظ الميثاق.

أقول: من كان علمه مقتبسا من نور النبوه و الوحي الالهى يعلم سرّ استلام الحجر و تقصيله و أنّ أداء الامانه عنده من جهه اختصاصه بالتقدم إلى الولايه من بين الملائكه، و يعرف أنّه يؤدّى الموافاه يوم القيامة و أمّا من أضلّ الله و أعمى قلبه فلا يظنه إلاّ حجرا لا يضرّ و لا ينفع.

كما روى الفخر الرّازى عن عمر بن الخطاب أنّه انتهى إلى الحجر الأسود فقال إنّى لأقبلك و إنّى لأعلم أنّك حجر لا تضرّ و لا تنفع و أنّ الله ربّى و لولا أنّى رأيت رسول الله صلّى الله عليه و آله يقبلك ما قبلتك.

و زاد الغزالى قال: ثمّ بكى حتّى على نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه و رضى عنه، فقال: يا أبا الحسن هاهنا تسكب العبرات و تستجاب المدّعات، فقال على: بل هو يضرّ و ينفع، قال: و كيف؟ قال إنّ الله تعالى لمّا أخذ الميثاق على الدّرّيه كتب عليهم كتابا ثمّ ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفا و يشهد على الكافر بالجحود انتهى.

أقول: كما يمكن أن يكون قوله: إنّك حجر لا- تضرّ و لا- تنفع، من باب الجهاله و لا غرو فيها، لما ستطلع عليه إنشاء الله فى تضاعيف ذلك الكتاب بجهالاته التى أعظم من هذه، كذلك يمكن أن يكون من باب التّجاهل باقتضاء خبثه الباطنى و نفاقه

الغريزي هذا.

و في بعض الأخبار أنّ الحجر لا يستقر مكانه إلا أن يضعه نبيّ أو إمام كما مرّ أنّ أوّل وضعه في موضعه كان من آدم، ثمّ من إبراهيم، حيث إنّّه لما بنى البيت و انتهى إلى موضع الحجر ناداه أبو قبيس يا إبراهيم إنّ لك عندي وديعه، فأعطاه الحجر فوضعه موضعه، رواه في الفقيه.

و عند ما هدمت قريش الكعبه من جهه السيل الذي كان يأتيهم من أعلى مكة فيدخلها و انصدعت، وضعه النبيّ صلّى الله عليه و آله موضعه.

و عند ما هدمها الحجاج على ابن الزبير ثمّ بناها و فرغ من بناها سأل عليّ ابن الحسين عليهما السّلام أن يضعها في موضعه فأخذه و وضعه موضعه.

و في زمن القرامطة الاسماعيليه خذ لهم الله و لعنهم حيثما نقلوا الحجر الى مسجد الكوفه ثمّ ردّ إلى مكة فوضعه الامام صاحب العصر عجل الله فرجه موضعه، و كان ذلك في الغيبه الكبرى، كلّ ذلك روينا عن الأخبار الصحيحه.

و في الفقيه و كان أشدّ بياضا من اللّبن فاسود من خطا يا بنى آدم، و لولا ما مسّه من أرجاس الجاهليّه ما مسّه ذو عاهه إلا براء، و في روايه عليّ بن إبراهيم القميّ و كان الحجر الذي أنزله الله على آدم أشدّ بياضا من الثلج فلما مسّه أيدي الكفّار اسود.

و أما المقام فهو من أعظم الأعلام، قال في الفقيه: قال زراره بن أعين لأبي جعفر عليه السّلام: قد أدركت الحسين عليه السّلام قال: نعم، أذكر و أنا معه في المسجد الحرام و قد دخل فيه السّيل و الناس يقومون على المقام يخرج الخارج و يقول: قد ذهب به السّيل و يدخل الدّاخل و يقول: مكانه، قال: فقال يا فلان ما يصنع هؤلاء؟ فقلت أصلحك الله يخافون أن يكون قد ذهب بالمقام، قال: إنّ الله عزّ و جلّ جعله علما لم يكن ليذهب به فاستقرّوا و كان موضع المقام (1) الذي وضعه إبراهيم عند جدار البيت، فلم يزل

ص: ٢٤٠

١- (١) و رواه في الكافي ايضا عن الباقر عليه السّلام منه،

هناك حتى حوِّله أهل الجاهلية إلى المكان الذي هو فيه اليوم، فلما فتح النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَكَّةَ رَدَّه إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ إِلَى أَنْ وُلِيَ عَمْرٌ، قَالَ لِلنَّاسِ: مَنْ فِيكُمْ يَعْرِفُ الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ فِيهِ الْمَقَامُ؟ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَنَا كُنْتُ قَدْ أَخَذْتُ مَقْدَارَهُ بِنَسْعٍ (١) فَهُوَ عِنْدِي قَالَ: ابْتِنِي بِهِ، فَأَتَاهُ فَقَاسَهُ ثُمَّ رَدَّه إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ هَذَا.

و لكون المقام من المشاعر العظام و أعظم البيئات و الأعلام خصَّ بالذكر في القرآن و طوى ذكر غيره، قال تعالى:

«فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ» و فيه أثر قدم إبراهيم، و سبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة، فغاصت فيه قدماه.

و قيل: إنه لما جاء زائرا من الشام إلى مكة و كان قد عهد لامرأته أن لا ينزل بمكة حتى يرجع، فلما وصل إلى مكة قالت له أم إسماعيل أو امرأه إسماعيل:

انزل حتى نغسل رأسك، فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعت على الجانب الأيمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت أحد جانبي رأسه، ثم حوّلت إلى الجانب الأيسر حتى غسلت الجانب الآخر.

و غير خفي أن تأثر الصخره الصّماء و غوص قدمه فيها إلى الكعبين و بقائها في الوف من السنين مع كثره الأعداء من اليهود و النصارى و الملحدين، من أعظم آيات التوحيد و أظهر براهين التّفريد.

المقصد الثالث

في علّه وصف البيت بالحرام و الاشاره إلى بعض أسمائه:

أمّا الأوّل فلما قال في الفقيه من أنه حرم على المشركين ان يدخلوه، و يحتمل أن يكون ذلك من جهه أنه حرام فيه ما هو حلال في غيره من البيوت كالجماع و الملابسه لشيء من الأقدار، أو أنه حرام دخوله من غير احرام قال في

ص: ٢٤١

١- (١) النسع بالبكسر سير ينسج عريضا يشد به الرحال، مجمع البحرين

الفقيه: و حرم المسجد لعلّه الكعبه، و حرم الحرام لعلّه المسجد، و وجب الاحرام لعلّه الحرم، و قال رسول الله صلى الله عليه و آله يوم فتح مكّه: إنّ الله حرم مكّه يوم خلق السّماوات و الأرض فهي حرام إلى أن تقوم السّاعه لم تحلّ لأحد قبلى و لا تحلّ لأحد من بعدى و لم تحلّ لى إلاّ ساعه من النّهار.

و أمّا وصفه بالعتيق فى قوله:

«وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» فإمّا من جهه أنّه عتيق من النّاس لم يملكه أحد غيره تعالى، و إمّا أنّه عتيق و قديم و قد بيّنا فى المقصد الأوّل أنّه كان قبل آدم، و إمّا أنّه عتيق من الغرق و الطوفان حيث رفع إلى السّماء فى طوفان نوح، و إمّا أنّه من عتق الطائر إذا قوى فى و كره فلما بلغ فى القوّه الى حيث ان قصد قاصد تخريبه أهلكه الله سمى عتيقا.

و أمّا الثّانى ففى الصّافى عن الخصال عن الصادق عليه السّلام أسماء مكّه خمس:

أمّ القرى، و مكّه، و بكة، و البساسه(1) إذا ظلموا بها بستهم اى أخرجتهم و اهلكتهم و أمّ رحم كانوا إذا الزموا رحموا.

ثمّ إنّ عليه السّلام بعد وصفه البيت بالحرام وصفه بأنّه (الذى جعله قبله للأنام) و هذه العبارة صريحه فى أنّ القبلة هى نفس البيت لجميع الخلق، و لما لم يتمكن الثّانى من تحصيل التّوجه إلى العين اكتفى فى حقّه بمراعاة الجهه، و هو مذهب المتأخّرين من أصحابنا، خلافا للمتقدّمين حيث ذهبوا إلى أنّ البيت قبله للمسجد و المسجد لأهل الحرم و الحرم لمن فى الدنيا، و التّفصيل فى الفقه و كونه قبله للأنام صريح الكتاب مضافا إلى السنه و الاجماع، قال تعالى:

«قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»

ص: ٢٤٢

١- (١) البس بالموحده الحطم و بالنون الطرد و يروى بهما، م

قال الصّدوق في الفقيه: و صلّى رسول الله صلّى الله عليه و آله إلى بيت المقدّس بعد النّبوه ثلاث عشره سنه، و تسعه عشر شهرا بالمدينه ثمّ عبرته اليهود، فقالوا له: إنك تابع لقبلتنا، فاعتّم لذلك عمّا شديدا فلما كان في بعض الليل خرج صلّى الله عليه و آله يقلّب وجهه في آفاق السّماء فلما أصبح صلّى الغداه، فلما صلى من الظهر ركعتين جاءه جبرئيل فقال له: قد نرى تقلّب وجهك في السّماء الآيه، ثمّ أخذ بيد النبي صلّى الله عليه و آله فحوّل وجهه إلى الكعبه و حوّل من خلفه وجوههم حتّى قام الرّجال مقام النساء و النّساء مقام الرّجال، فكان أوّل صلاته إلى بيت المقدّس و آخرها إلى الكعبه و بلغ الخبر مسجدا بالمدينه و قد صلّى أهله من العصر ركعتين، فحوّلوا نحو الكعبه فكان أول صلاتهم إلى بيت المقدّس و آخرها إلى الكعبه، فسّمى ذلك المسجد مسجد القبلتين، فقال المسلمون صلاتنا إلى بيت المقدّس أتضيع يا رسول الله؟ فأنزل الله تعالى:

«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ» أي صلاتكم إلى بيت المقدّس، قال الصّدوق و قد اخرجت الخبر في ذلك على وجهه في كتاب النّبوه.

و في الاحتجاج للطبرسي قال أبو محمّد الحسن العسكري صلوات الله عليه: لما كان رسول الله صلّى الله عليه و آله بمكّه أمره الله عزّ و جلّ أن يتوجّه نحو البيت المقدّس في صلاته و يجعل الكعبه بينه و بينها إذا أمكن و إذا لم يمكن استقبال بيت المقدّس كيف كان، و كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاث عشره سنه، فلما كان بالمدينه و كان متعبدا باستقبال بيت المقدّس استقبله و انحرف عن الكعبه سبعة عشر شهرا^(١) او ستة عشر شهرا و جعل قوم من مرده اليهود يقولون: و الله ما يدري كيف محمّد يصلي حتّى صار يتوجه إلى قبلتنا و يأخذ في صلاته بهدينا^(٢)، فاشتدّ ذلك على رسول الله صلّى الله عليه و آله لما اتّصل به عنهم و كره قبلتهم و أحبّ الكعبه، فجاءه جبرئيل فقال له رسول الله: يا

ص: ٢٤٣

١- (١) الظاهر ان الترديد من الراوى و عن تفسير الامام الاول مروى، منه

٢- (٢) الهدى السيره و الهيئه و الطريقه، منه

جبرئيل لوددت لو صرفنى الله عن بيت المقدس إلى الكعبه، فقد تأذيت بما اتصل إلى من قبل اليهود من قبلتهم فقال جبرئيل: فاسأل ربك أن يحولك إليها فإنه لا يرّذك عن طلبتك ولا يخيبك عن بغيتك (١)، فلما استتم (٢) دعائه صعد جبرئيل ثم عاد من ساعته فقال اقرأ يا محمد:

«قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَهُ تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ» الآية، فقال اليهود عند ذلك: «ما ولأهم عن قبلتهم التي كانوا عليها» (٣) فأجابهم الله بأحسن جواب، فقال يا محمد: «قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ» وهو يملكها وتكليفه التحول إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر:

«يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» وهو أعلم بمصلحتهم وتؤديهم طاعتهم إلى جنات النعيم «و هو مصلحهم ومؤديهم الى جنات النعيم، هكذا فى تفسير الامام عليه السلام» وقال أبو محمد عليه السلام: و جاء قوم من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا يا محمد، هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها أربع عشره سنه ثم تركته الآن أمحقا كان ما كنت عليه؟ فقد تركته إلى باطل، فان ما يخالف الحق باطل، أو كان باطلا فقد كنت عليه طول هذه المدّه فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بل ذلك كان حقًا وهذا حق يقول الله عزّ وجلّ:

«قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد فى استقبال المشرق أمركم به، و إذا عرف صلاحكم

ص: ٢٤٤

١- (١) البغيه ما ابتغى، ق

٢- (٢) استتمه و تم به و عليه جعله تاما، قاموس.

٣- (٣) اى عن بيت المقدس، منه

فى استقبال المغرب أمركم به، و إذا عرف صلاحكم فى غيرهما أمركم به، فلا- تنكروا تدبير الله فى عباده و قصده إلى مصالحهم.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله: لقد تركتم العمل يوم السبت ثم عملتم بعده سائر الأيام ثم تركتموه فى السبت ثم عملتم بعده أفرقتم الحق إلى الباطل أو الباطل إلى الحق أو الباطل إلى الباطل أو الحق إلى الحق؟ قولوا كيف شئتم فهو قول محمّد و جوابه لكم، قالوا بل ترك العمل يوم السبت حقّ و العمل بعده حقّ، قال رسول الله صلى الله عليه و آله: فكذلك قبله بيت المقدس فى وقته حقّ ثم قبله الكعبة فى وقته حقّ، فقالوا له يا محمّد: أفبدا لرّبك فيما أمرك به بزعمك من الصّلاه إلى بيت المقدس حتى نقلك إلى الكعبة؟ قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ما بدا له عن ذلك، فإنّ العالم بالعواقب و القادر على المصالح، لا- يستدرك على نفسه غلطا و لا- يستحدث رأيا يخالف المقدم جلّ عن ذلك، و لا يقع عليه أيضا مانع يمنعه من مراده و ليس يبدو «إلاخ» لمن كان هذا وصفه، و هو جلّ و عزّ متعال عن هذه الصّفات علوا كبيرا ثم قال رسول الله صلى الله عليه و آله: أيها اليهود أخبروني عن الله عزّ و جلّ أليس يمرض (1) ثم يصحّ و يصحّ ثم يمرض أبدا له فى ذلك شىء؟ ليس يحيى و يميت أبدا له فيكل واحد من ذلك؟ قالوا: لا، قال: كذلك عزّ و جلّ تعبّد نبيه محمّدا بالصّلاه إلى الكعبة بعد أن كان تعبّده بالصّلاه إلى بيت المقدس، و ما بدا له «لله خ» فى الأوّل.

ثم قال: أليس الله عزّ و جلّ تأتى بالشتاء فى أثر الصّيف و الصّيف فى أثر الشتاء أبدا له فى كلّ واحد من ذلك؟ قالوا: لا، قال: فكذلك لم يبدو له فى القبله.

قال: ثم قال صلى الله عليه و آله: أليس قد ألزمتكم فى الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة و ألزمتكم فى الصّيف أن تحترزوا من الحرّ فبدا له فى الصّيف حين أمركم بخلاف ما كان أمركم به فى الشتاء؟ قالوا: لا، قال رسول الله صلى الله عليه و آله: فكذلكم الله تعبّدكم فى وقت لصلاح يعلمه شىء ثم بعده فى وقت آخر لصلاح يعلمه شىء آخر،

ص: ٢٤٥

فاذا أطعتم الله عزّ وجلّ في الحاليتين استحققتن ثوابه، فأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى:

«وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» يعنى إذا توجهتم بأمره فثَمَّ الوجه الذى تقصدون منه الله و تأملون ثوابه.

ثمّ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا عباد الله أنتم كالمرضى و الله عزّ وجلّ كالطبيب فصلاح المرضى فيما يعلمه «يعمله خ» الطبيب و يدبّره به، لا- فيما يشتهيهِ المريض و يقترحه الا- فسَلِّمُوا لِلَّهِ أمره تكونوا من الفائزين، فقل يا رسول الله: فلم أمر بالقبلة الأولى؟ قال: لما قال الله عزّ وجلّ:

«وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا» و هى بيت المقدس «إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ» الأ لنعلم ذلك وجودا بعد أن علمناه سيوجد و ذلك أنّ هوى أهل مكّة كان فى الكعبة فأراد الله أن يبين متبع محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِمَّنْ خالف «متبعي محمد من مخالفه خ» باتباع القبلة التى كرهها، و محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يأمر بها، و لما كان هوى أهل المدينة فى بيت المقدس أمرهم بمخالفتها و التوجه إلى الكعبة ليبيّن من يوافق محمدا فيما يكرهه فهو مصدّقه و موافقه ثم قال:

«وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» و إن كان التوجه إلى بيت المقدس فى ذلك الوقت كبيره إلا على من يهدى الله، فعرف أنّ لله عزّ وجلّ أن يتعد بخلاف ما يريد المرء لبيتلى طاعته فى مخالفه هواه.

قوله عليه السّلام (يردونه وروود الأنعام) شبّه عليه السّلام وروود الحاج على البيت الحرام بورود الأنعام على الماء للشرب و وجه الشّبه الاجتماع و التراحم، و من ذلك سمى بيكه لأنّه من البكّ الذى هو عباره عن دفع البعض بعضا، يقال: بكه بيكه بكا إذا دفعه و زاحمه.

كما قال الصادق عليه السلام في روايه العلل: إنّما سميت بكه بكه، لأنّ الناس يباكون فيها أى يزدحمون.

و روى عطا قال: صلّى رجل في المسجد الحرام فمّرت به امرأه بين يديه فزجرها و كان الباقر عليه السلام حاضرا، فمنع الرّجل و قال: لا تزجرها هذه بكه بيكّ بعضه بعضا أى يدقّ.

و في الفقيه روى أنّ الكعبه شكت إلى الله عزّ و جلّ في الفتره بين عيسى و محمّد عليهما السلام فقالت يا ربّ مالى قلّ زوّارى مالى قلّ عوّادى، فأوحى الله إليها أنّى منزل نورا جديدا على قوم يحنّون إليك كما تحنّ الأنعام إلى أولادها، و يزفون إليك كما تزفّ النسوان إلى أزواجهما، يعنى أمّه محمّد صلّى الله عليه و آله، أى يشتاقون إليك كما تشتااق الأنعام، و يسرعون إليك كما تسرع النسوان و هو معنى قوله عليه السّلام (يألّهون) أى يسرعون (إليه ولوه الحمام) و كلّ ذلك كناية عن شدّه اشتياق الحجاج و فرط ميلهم إلى البيت الحرام (جعلله سبحانه) أى الحجّ (علامه لتواضعهم لعظمته و) اماره (إذعانهم لعزته) إذ به يعرف المتواضع من المتكبر و يتميز المدعن من المتجبر، لما فيه من التواضع و الخضوع ما ليس فى ساير العبادات، و من هجر البلدان و قطع العلاقات، و تعب الأبدان و ترك الشّهوات، و تحمل الأخطار بقطع الأسفار و ركوب الصّوامر فى الجبال و القفار، و كشف الرأس و نزع اللباس و عدم التمكن من البلوغ إلاّ بشقّ الأنفس، و غير ذلك من التّسكّ العظيم التى حارت الأفهام عن إدراك أسرارها، و قصرت الأوهام عن اقتباس أنوارها، إلاّ من أتى الله بقلب سليم، فهدها إلى صراط مستقيم، و أمّا من لم يجعل الله له نورا فماله من نور، و من لم يعط هدى و دليلا فأولئك هم كالأنعام بل أضلّ سبيلا.

كما روى فى الفقيه أنّ ابن أبى العوجاء دخل تمرّدا و انكارا على من يحجّ و كان يكره العلماء مسألته إيّاهم و مجالسته لهم، لخبث لسانه و فساد ضميره، فأتى جعفر بن محمّد الصّيادق عليهما السلام، فجلس إليه فى جماعه من نظرائه، ثمّ قال له: إنّ المجالس أمانات و لا بدّ لمن به سؤال أن يسأل أفتأذن لى فى الكلام؟ فقال

تكلّم، فقال: الى كم تدوسون(١) هذا البيدر، و تلوذون بهذا الحجر، و تعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب و المدر، و تهزلون حوله هزوله البعير إذا نفر، من فكر هذا أو قدر علم أنّ هذا فعل أسّسه غير حكيم و لا- ذى نظر، فقل فانك رأس هذا الأمر و سنامه، و أسّه و نظامه.

فقال أبو عبد الله عليه السّلام: إنّ من أضلّه الله و أعمى قلبه استوخم(٢) الحقّ فلم يستعذبه(٣) و صار الشيطان وليه يورده مناهل الهلكه ثم لا يصدره، و هذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم فى إتيانه، فحثّهم على تعظيمه و زيارته، و جعله محل أنبياءه و قبله للمصلين له، فهو شعبه من رضوانه، و طريق يؤدّى إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، و مجتمع العظمه و الجلال، خلقه الله تعالى قبل دحو الأرض بألفى عام، و أحق(٤) من اطيع فيما امر و انتهى عمّا نهى عنه و زجر الله المنشىء للأرواح و الصّور الحديث.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى وصف الحجاج بقوله: (و اختار من خلقه سمّاعا) أى السّامعين الذين (أجابوا لله دعوته) لهم إلى الحجّ (و صدّقوا كلمته) الجاربه عن لسان ابراهيم عليه السّلام و هو الأذان به و الأمر باتيانه، و المراد بتصديقهم كلمته إتيانهم ما امروا به و قد اشير إلى ذلك فى قوله سبحانه مخاطبا لابراهيم عليه السّلام:

«وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا - وَ عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ» قال: علىّ بن إبراهيم: و لما فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله أن يؤذّن

ص: ٢٤٨

١- (١) شبه طوافهم بدواس الدواب بيدر الطعام ليتميز الحب من البين، منه

٢- (٢) استوخم الحق أى استثقله و لا يجده موافقا لطبعه يقال طعام و خم أى ثقيل غير موافق للطبع منه.

٣- (٣) استعذب استقى عذبا، ق

٤- (٤) مبتداء خبره قوله الله م

فى الناس بالحجّ، فقال: يا ربّ و ما يبلغ صوتى، فقال: أذن عليك الأذان و علىّ البلاغ، و ارتفع على المقام و هو يومئذ ملصق بالبيت، فارتفع به المقام حتىّ كان أطول من الجبال، فنادى و أدخل اصبعيه فى اذنيه و أقبل بوجهه شرقا و غربا يقول:

أيّها الناس كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فأجيبوا ربّكم، فأجابه من تحت البحور السبعة و من بين المشرق و المغرب إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلها من أصلاب الرّجال و من أرحام النساء بالتّلبية: لبيك اللهمّ لبيك، أ و لا ترونهم يأتون يلبّون، فمن حجّ يومئذ إلى يوم القيامة فهم ممّن استجاب الله و ذلك قوله:

«فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ» يعنى بذلك نداء إبراهيم على المقام بالحجّ.

و عن الكافى و العلل عن الصادق عليه السّلام قال: لما امر إبراهيم و إسماعيل ببناء البيت و تمّ بناؤه قعد إبراهيم على كلّ ركن ثمّ نادى هلّمّ الحجّ، فلو (1) نادى هلّمّوا إلى الحجّ لم يحجّ إلّا من كان يومئذ إنسيا مخلوقا، و لكن نادى هلّمّ الحجّ الحجّ، فللبى الناس فى أصلاب الرّجال، لبيك داعى الله، لبيك داعى الله، فمن لبى عشرا حجّ عشرا، و من لبى خمسا حجّ خمسا، و من لبى أكثر فعدد ذلك، و من لبى واحده حجّ واحده، و من لم يلبّ لم يحجّ، و نحو ذلك فى الفقيه (و وقفوا مواقف أنبيائه)

ص: ٢٤٩

١- (١) قوله فلو نادى هلّموا إلى الحجّ لم يحجّ قال السيد الجزائري ره فى زهرا الربيع قال استنادنا المحقق القاسانى قدس سره ان حقيقه الانسان موجوده بوجود فرد ما و يشتمل جميع الافراد وجدت او لم توجد و اما الفرد الخاص منه فلا يصير فردا خاصا جزئيا منه ما لم يوجد و هذا من لطايف المعانى نطق به الامام «عليه السلام» لمن وفق بفهمه انتهى و وجه آخر و هو ان المقام ظاهرا يقتضى صيغه الجمع فالعدول عنه إلى الافراد لا بدله من نكته و علّه يناسبه و ليس هى الا اراده استغراق جميع الافراد من شهد و من غاب على ان اهل البلاغه ذكروا ان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع و نص عليه العلامة الزمخشري فى مواضع من الكشاف اه انتهى كلامه «ره» أقول اما ما نقله عن المحقق القاسانى فلا باس به و اما الوجه الذى قاله فيه ان اشمليه استغراق المفرد عند اهل البلاغه انما هو فى النفى دون الاثبات و دلالة المفرد على الاستغراق فى الاثبات اول الكلام فافهم جيدا منه.

هذه الفقرة كالتاليه لها تحريص و ترغيب للحجاج على إتيان المناسك و تحملهم الأذى عند ذلك، لأنهم لو تفكروا و تدبروا فيما هم عليه من متابعه الأنبياء و تشبههم بملائكه السماء، لاستسهلوا احتمال الأذى في تحمل الضيم القماء (1)، بل يجدون الأذى لذّه و الذلّ عزّه.

و أما الأنبياء الواقفون في تلك المواقف.

فأولهم آدم عليه السلام، و يدل عليه ما رواه عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ آدم بقى على الصّيف أربعين صباحا ساجدا يبكي على الجنّه و على خروجه منها من جوار الله عزّ و جلّ، فنزل جبرئيل فقال يا آدم مالك تبكي؟ فقال: يا جبرئيل مالي لا أبكي و قد أخرجني الله من جواره و أهبطني إلى الدّنيا، فقال يا آدم: تب إليه؟ قال: كيف أتوب؟ فأنزل الله تعالى عليه قبه من نور فيه موضع البيت فسطع نورها في حيال مكة فهو الحرم، فأمر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام، قال: ثمّ يا آدم، فخرج به يوم التّرويه و أمره أن يغتسل و يحرم و اخرج من الجنّه أول يوم من ذى القعدة فلما كان يوم الثّامن من ذى الحجّه أخرج جبرئيل إلى منى فبات بها فلما أصبح أخرجته إلى عرفات، و قد كان علّمه حين أخرجته من مكة: الا-حرام، و علّمه التّلييه، فلما زالت الشّمس يوم عرفه فقطع التّلييه و أمره أن يغتسل، فلما صلّى العصر أوقفه بعرفات و علّمه الكلمات التي تلقى بها ربّه و هي:

«سبحانك اللهمّ و بحمدك لا-إله إلاّ- أنت عملت سوء و ظلمت نفسي و اعترفت بذنبي فاغفر لي إنّك أنت خير الغافرين، سبحانك اللهمّ و بحمدك لا-إله إلاّ- أنت عملت سوء و ظلمت نفسي و اعترفت بذنبي فاغفر لي إنّك أنت التّوّاب الرّحيم»

ص: ٢٥٠

فبقى إلى أن غابت الشمس، رده إلى المشعر فبات بها، فلما أصبح قام على المشعر الحرام فدعا الله بكلمات و تاب إليه ثم أفاض إلى منى و أمره جبرئيل أن يحلق الشعر الذى عليه، فحلقه (١) ثم رده إلى مكة فأتى به إلى عند الجمره الاولى فعرض إبليس عندها فقال يا آدم أين تريد؟ فأمره جبرئيل أن يرميه بسبع حصيات و أن يكبر مع كل حصاه تكبيره، ففعل، ثم ذهب فعرض له إبليس عند الجمره الثانيه فأمره أن يرميه بسبع حصيات، فرمى و كبر مع كل حصاه تكبيره ثم مضى به، فعرض له إبليس عند الجمره الثالثه، فأمره أن يرميه بسبع حصيات فرمى و كبر مع كل حصاه تكبيره، ثم مضى به فذهب إبليس لعنه الله فقال له جبرئيل: أنك لن تراه بعد هذا اليوم أبدا، فانطلق به إلى البيت الحرام و أمره أن يطوف به سبع مرّات، ففعل فقال له: إن الله قد قبل توبتك و حلل لك زوجتك، قال: فلما قضى آدم عليه السلام حجته لفته الملائكه بالأبطح، فقالوا: يا آدم برّ حجك، أما أنا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفى عام.

و فى الفقيه قال أبو جعفر عليه السلام أتى آدم هذا البيت ألف آتية (٢) على قدميه منها سبعمائه حجّه و ثلاثمأه عمره و كان يأتيه من ناحيه الشام، و كان يحجّ على ثور (٣) و المكان الذى بنيت فيه الحطيم و هو ما بين باب البيت و الحجر الأسود و طاف آدم قبل أن ينظر إلى حواء مائة عام، و قال له جبرئيل حياك الله و بياك (٤) يعنى أصلحك الله.

و فيه أيضا باسناده عن أبى عبد الله عليه السلام قال: موضع الكعبه ربوه (٥).

ص: ٢٥١

١- (١) فى الفقيه و نزل جبرئيل بمهاه «المهاه بالفتح البلوره، ق» من الجنه و روى بياقوته حمراء فادارها على رأس آدم و حلقة بها منه.

٢- (٢) آتية آتيا و آتينا جئته لغه

٣- (٣) يحتمل ان يكون مروره كان على جبل ثور و يحتمل انه كان يحج على ثور أيضا سوى الالف محمد تقى المجلسى.

٤- (٤) بياك معناه بوأك الله منزلا الا انها لما جاءت مع حياك تركت همزتها و حولت واوها ياء قال سلمه ابن عاصم حكيت للفراء قول خلف فقال ما احسن ما قال و فى الحديث ان آدم لما قتل ابنه مكث مائة سنه لا يضحك ثم قيل له حياك الله و بياك فقال و ما بياك قال اضحكك منه

٥- (٥) ربوه ما ارتفع من الارض.

الأرض بيضاء تضيء كضوء الشمس والقمر حتى قتل ابنا آدم أحدهما صاحبه فاسودت فلما نزل آدم رفع الله تعالى له الأرض كلها حتى رآها، ثم قال هذه لك كلها، قال يا رب ما هذه الأرض البيضاء المنيره؟ قال: هي حرمي في أرضي وقد جعلت عليك أن تطوف بها كل يوم سبعمائه طواف.

و منهم نوح النبي عليه السلام قال الصدوق في الفقيه: و روى أنه كان طول سفينه نوح ألفا و مأتى ذراع، و عرضها مائة ذراع، و طولها في السماء ثمانين ذراعا، فركب فيها فطافت بالبيت سبعة أشواط، وسعت بين الصفا و المروه سبعا ثم استوت على الجودي و منهم إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام و اختصاص البيت بهما كاختصاصهما به من جهة تجديد البناء و وقوفهما فيها غنى عن البيان.

و منهم موسى عليه السلام قال الصدوق و روى أن موسى عليه السلام أحرم من زمه (١) و انه مرّ في سبعين نبيا على صفائح (٢) الزوحاء عليهم العباء القطوانيه (٣)، يقول لبيك عبدك و ابن عبدك لبيك و روى في خبر آخر أن موسى عليه السلام مرّ بصفائح الزوحاء على جمل أحمر خطامه من ليف عليه عبائتان قطوانيتان، و هو يقول: لبيك يا كريم لبيك.

و قال الصادق عليه السلام: لما حج موسى عليه السلام نزل جبرئيل عليه السلام فقال له موسى: يا جبرئيل ما لمن حج هذا البيت بلائيه صادق و لا نفقه طيبه؟ قال لا أدري حتى أرجع إلى ربي، فلما رجع قال الله يا جبرئيل ما قال لك موسى؟ و هو أعلم بما قال قال يا رب قال لي ما لمن حج هذا البيت بلائيه صادق و نفقه طيبه؟ قال الله: ارجع إليه و قل عليه أهب له حقي و أرضي عنه خلقي، قال فقال يا جبرئيل: ما لمن حج هذا البيت بئيه صادق و نفقه طيبه؟

ص: ٢٥٢

١- (١) الزمله بالضم الرفقه و الجماعه و بالكسر ما التف من الخمار و الصور من الودي قاموس منه.

٢- (٢) الصفيحه اللوح و كل شيء عريض و الروحاء موضع بين الحرمين على ثلاثين او اربعين ميلا من المدينه، لغه

٣- (٣) قطوان محرکه موضع بالكوفه و منه الاكسيه القطوانيه ق

قال: فرجع إلى الله فأوحى الله إليه، قل له اجعله في الرفيق (١) الأعلى مع النبيين والصّديقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقا.

و منهم يونس بن متى كما في الفقيه فقد مرّ بصفايح الرّوحاء و هو يقول: لبيك كشاف الكرب العظام لبيك.

و منهم عيسى بن مريم فقد مرّ بصفايح الرّوحاء و هو يقول: لبيك ابن امتك لبيك كما رواه الصدوق أيضا.

و منهم سليمان بن داود، فقد روى الصدوق أيضا عن زراره عن أبي جعفر عليه السّلام قال: إنّ سليمان بن داود عليهما السّلام قد حجّ البيت في الجنّ والانس والطيور والرياح، وكسا البيت القباطى (٢) و روى عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السّلام، قال: إنّ آدم هو الذي بنى البنيه ووضع أساسه وأول من كساه الشّعر وأول من حجّ إليه، ثمّ كساه تبع بعد آدم الانطاع (٣)، ثمّ كساه إبراهيم الخصف، وأول من كساه الثياب سليمان كساه القباطى.

و منهم النّبي صلّى الله عليه وآله، فقد حجّ عشرين حجّه، وكذلك أولاده المعصومون سلام الله عليهم أجمعين فهنيئا للحجاج الواقفين مواقف الأنبياء والمرسلين، والسّالكين مسالك الأولياء المرضيين، وطوبى لهم وحسن مأب و أنا أسأل الله سبحانه أن يوفقتى ثانيا للعكوف عليه بعد ما منحنى في غابر الزمان الوقوف عليه بحقّ محمّد نبي الرحمة وآله أهل الصّلاه والطهاره.

(و تشبّهوا ملائكته المطيفين بعرشه) قد عرفت في الفصل التّاسع عند شرح قوله عليه السّلام: و منهم الثّابته في الأرضين السفلى أقدامهم اه، عدد الملائكة المطيفين بالعرش، و أما صفوفهم فقد قال الشّارح البحرانى: جاء في الخبر أن حول العرش سبعين ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عوانقهم رافعين أصواتهم بالتّهليل والتكبير،

ص: ٢٥٣

١- (١) في الحديث الحقنى بالرفيق الاعلى الرفيق جماعه الانبياء الذين يسكنون اعلى عليين و منه قوله و حسن اولئك رفيقا و

قيل هو الله تعالى لان الله رفيق لعباده من الرفق والرافه، نهايه

٢- (٢) القبطيه ثوب ينسب الى مصر و الجمع القباطى، ق

٣- (٣) النطع بالكسر وبالفتح وبالتحريك و كعب بساط من الاديم و الجمع انطاع و نطوع الخصفه بالتحريك الحله من

الخوس يعمل للتمر و الثوب الغليظ جدا و الجمع خصف و خصاف ق

و من ورائهم مائه ألف صفّ قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلا وهو يستبح.

و فى روايه طويله لعلّى بن إبراهيم باسناده عن جابر بن يزيد الجعفى عن أبى عبد الله عن آباءه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام المسوقه لابتداء خلق آدم عليه السّلام بعد ما ذكر عليه السّلام قوله سبحانه للملائكه: إئتى جاعل فى الأرض خليفه، و قولهم له أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدّماء، و قوله لهم: إئتى أعلم ما لا تعلمون قال عليه السّلام فقالت يا ربّنا افعل ما شئت لا علم لنا إلا ما علّمتنا إتك أنت العليم الحكيم، قال عليه السّلام: فباعدهم الله من العرش مسيره خمسمائه عام، قال عليه السّلام:

فلا- ذوا بالعرش و أشاروا بالأصابع، فنظر الرّبّ جلّ جلاله إليهم و نزلت الرحمه، فوضع لهم بيت المعمور، فقال طوفوا به و دعوا العرش، فإنّه لى رضىّ فطافوا به و هو البيت الذى يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، فوضع الله البيت المعمور توبه لأهل السّماء و وضع الكعبه توبه لأهل الأرض الحديث.

قال الغزالي فى إحياء العلوم: و أما الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاه فاحضر فى قلبك فيه من التعظيم و الخوف و الرّجاء و المحبه و اعلم أنّك بالطواف متشبّه بالملائكه المقرّبين الحافين حول العرش الطائفين حوله، و لا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف قلبك ربّ البيت حتّى لا تتبدء بالذكر إلاّ منه، و لا تختم إلاّ به كما تبدء بالبيت و تختم به.

قال: و اعلم أنّ الطواف الشّريف هو طواف القلب بحضره الرّبوبيّه، و أنّ البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضره التى لا تشاهد بالبصر و هى عالم الملكوت كما أنّ البدن مثال ظاهر فى عالم الشّهاده للقلب الذى لا يشاهد بالبصر و هو فى عالم الغيب و أن عالم الملك و الشّهاده مدرجه إلى عالم الغيب و الملكوت لمن فتح الله له الباب، و إلى هذه الموازنه وقعت الاشاره بأن البيت المعمور فى السّماوات بازاء الكعبه، فإنّ طواف الملائكه به كطواف الانس بهذا البيت، و لما قصرت رتبه اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امرؤا بالتشبه بهم بحسب الامكان، و وعدوا بأنّ من تشبهه يقوم

فهو منهم، و الذى يقدر على مثل ذلك الطواف يقال: إنَّ الكعبه تزوره و تطوف به انتهى.

أقول: هذا الطواف الحقيقى مختصّ بأولياء الله سلام الله عليهم، و فى عالم المعنى الكعبه طائفه بهم و كاسبه من فيوضاتهم، و إلى هذا المعنى أشار الفرزدق فى قصيدته الميميه التى قالها فى مدح عليّ بن الحسين عليهما السّلام على رغم هشام بن عبد الملك ابن مروان عليهم اللعنه و النيران، بقوله:

هذا الذى يعرف البطحاء وطأته و البيت يعرفه و الحّلّ و الحرم

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه لخرّ يلثم منه ما وطى القدم

ثمّ لما كان طباع الخلق مايله إلى حبّ الأرباح و طلب المنافع فى المكاسب شوّقهم بقوله عليه السّلام: (يحرزون الأرباح فى متجر عبادته) تنبيها على أنّ قيامهم بالعباده فى هذه المواقف الشّريفه تجاره للآخره و لا محاله مشتمله على الرّبح و المنفعه، فلا ينبغى للعاقل أن يفوتها على نفسه.

قال أبو جعفر الباقر عليه السّلام فى مروىّ الفقيه: الحجّ و العمره سوقان من أسواق الآخره اللّازم لهما من أضياف الله إن أبقاه ابقاه و لا- ذنب له و إن اماته ادخله الجنّه، و لا يخفى ما فى هذه العبارة من حسن الاستعاره، حيث شبّه الحجاج بالتّجار و شبّه عبادتهم ببضاعه التّجاره، و ذكر المتجر استعاره تخيليه، و ذكر الأرباح ترشيح، و المراد بالأرباح هو الثواب الجميل و الأجر الجزيل المبذول للحجاج و المعتمرين و الوفاد و الطائفين.

قال الصّيدق عليه السّلام إنّ لله تعالى حول الكعبه عشرين و مائة رحمه منها ستون للطائفين و أربعون للمصلين و عشرون للنّاظرين.

و قال عليه السّلام أيضا من نظر إلى الكعبه و عرف من حقّنا و حرمتنا مثل الذى عرف من حقّها و حرمتها غفر الله له ذنوبه كلها و كفاه همّ الدّنيا و الآخره.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما من مهل يهمل في التلبيه إلا أهل من عن يمينه من شيء إلى مقطع التراب و من عن يساره إلى مقطع التراب و قال له الملكان: ابشر يا عبد الله و ما يبشّر الله عبدا إلا بالجنّه، و من لبي في إحرامه سبعين مرّه إيماناً و احتساباً اشهد الله له الف ملائكه ببراءه من النار و براءه من النفاق، و من انتهى إلى الحرم فنزل و اغتسل و اخذ نعليه بيده ثم دخل الحرم حافياً تواضعا لله محا الله عنه مائة الف سيئه و كتب الله له مائة الف حسنه و بنى له مائة الف درجه و قضى له مائة الف حاجه، و من دخل مكة بسكينة غفر الله له ذنبه، و هو ان يدخلها غير متكبر و لا متجبر، و من دخل المسجد حافياً بسكينة و وقار و خشوع غفر الله له، و من نظر الكعبه عارفا بحقها غفر الله له ذنوبه و كفى ما أهمّه.

و روى الحسن بن محبوب عن عليّ بن رثاب عن محمّد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدث الناس بمكة، قال عليه السلام: صلى رسول الله صلى الله عليه و آله بأصحابه الفجر، ثم جلس معهم يحدثهم حتى طلعت الشمس فجعل يقوم الرجل بعد الرجل حتى لم يبق معه إلا رجلاّن: أنصاريّ و ثقيفي، فقال لهما رسول الله صلى الله عليه و آله: قد علمت أنّ لكما حاجه تريدان أن تسألاني عنها، فان شئتما أخبرتكما بحاجتكما قبل أن تسألاني، و إن شئتما فاسألاني، فقالا، بل تخبرنا أنت يا رسول الله فإنّ ذلك أجلى للعمى و أبعد من الارتباب و أثبت للإيمان فقال النبي صلى الله عليه و آله:

أما أنت يا أخا الانصار فانك من قوم يؤثرون على انفسهم و انت قرويّ و هذا الثقيفي بدويّ أفتؤثره بالمسأله؟ قال: نعم قال صلى الله عليه و آله:

أما أنت يا أخا ثقيف جئتني تسألني عن وضوئك و صلاتك و مالك فيهما، فاعلم انك إذا ضربت يدك في الماء و قلت: بسم الله الرحمن الرحيم، تناثرت الذنوب التي اكتسبتها يداك.

فاذا غسلت وجهك تناثرت الذنوب التي اكتسبتها عيناك بنظرهما و فوك بلفظه فاذا غسلت ذراعيك تناثرت الذنوب عن يمينك و شمالك

فاذا مسحت رأسك و قدميك تناثرت الذنوب التي مشيت إليها على قدميك، فهذا لك في وضوئك.

فاذا قمت إلى الصلاه و توجهت و قرأت أم الكتاب و ما تيسر لك من السور ثم ركعت فأتممت ركوعها و سجودها و تشهدت و سلمت غفر لك كل ذنب فيما بينك و بين الصلاه قدّمها إلى الصلاه المؤخره، فهذا لك في صلاتك و وضوئك.

و أمّا أنت يا أخوا الأنصار فإنك جئت تسألني عن حجّك و عمرتك و مالك فيهما من الثواب، فاعلم أنّك إذا توجهت إلى سبيل الحجّ ثم ركبت راحلتك لم تضع راحلتك خفًا و لم ترفع خفًا إلا كتب الله لك حسنه و محا عنك سيئه.

فاذا أحرمت و لبّيت كتب الله لك بكلّ تلبّيه عشر حسنات و محا عنك عشر سيئات.

فاذا طفت بالبيت اسبوعا كان لك بذلك عند الله عهد و ذكر يستحيى منك ربك أن يعذبك بعده.

فاذا صلّيت عند المقام ركعتين كتب الله لك بهما ألفى ركعه مقبوله.

و إذا سعيت بين الصيفا و المروه سبعة أشواط كان لك بذلك عند الله مثل أجر من حجّ ماشيا من بلاده و مثل أجر من اعتق سبعين نسمة (رقبه خ).

و اذا وقفت بعرفات إلى غروب الشمس فلو كان عليك من الذنوب مثل رمل عالج و زبد البحر ليغفر الله لك.

فاذا رميت الجمار كتب الله لك لكلّ حصاه عشر حسنات فيما تستقبل من عمرك.

فاذا حلقت رأسك كان لك بكلّ شعره حسنه يكتب لك فيما يستقبل من عمرك.

فاذا طفت بالبيت اسبوعا للزياره و صلّيت عند المقام ركعتين ضرب ملك كريم على كتفيك، فقال أمّا ما مضى فقد غفر لك فاستأنف العمل فيما بينك و بين عشرين

و مائة يوم (١) هذا.

و الأخبار فى فضائل الحجّ كثيره و قد جمع الصّيدوق فيها بابا فى الفقيه و أخرجت هذه الأخبار منه و فيها كفايه للمهتدى إنشاء الله.

(و يتبادرون عنده موعد مغفرته) أى يتسارعون و يستبق كل منهم الآخر عند الحجّ إلى وعده المغفره من الله سبحانه لهم، و يحتمل أن يكون اسم مكان (جعله سبحانه للاسلام علما) أى جعل البيت علامه للدين و الاسلام الذين هما طريقان إلى الرضوان، كما أنّ السالكين و المسافرين يهتدون إلى مطالبهم و مآربهم بالأعلام المنصوبه و المناور (٢) المرفوعه (و للعائدين حرما) يعنى جعله حرما للمعتصمين به و الملتجئين إليه لا يجوز ايذاؤهم فيه و إخراجهم منه.

قال فى الفقيه: و روى أنّ من جنى جنايه ثمّ لجأ إلى الحرم لم يقم عليه الحدّ و لا يطعم و لا يسقى و لا يؤذى حتّى يخرج من الحرم فيقام عليه الحدّ، فان أتى ما يوجب الحدّ فى الحرم أخذ به فى الحرم لأنّه لم ير للحرم حرمة.

و فيه أيضا و سأل عبد الله بن سنان أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله:

«وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا» قال من دخل الحرم مستجيرا به فهو آمن من سخط الله و ما دخل من الوحش و الطير كان آمنا من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم الحديث.

و مثله فى الكافى عن العياشى عنه عليه السلام و عنه عليه السلام أيضا قال: إذا أحدث العبد فى غير الحرم جنايه ثمّ فرّ إلى الحرم لم يسع لأحد أن يأخذه فى الحرم و لكن يمنع من السّوق و لا يبايع و لا يطعم و لا

ص: ٢٥٨

١- (١) قال فى الفقيه و انما صار الحاج لا- يكتب عليه ذنب أربعة اشهر من حين يحلق راسه لان الله اباح للمشركين الاشهر الحرم أربعة اشهر و يقول فسيحوا فى الارض أربعة اشهر فمن ثم يهب لمن يحج من المؤمنين البيت مسك الذنوب أربعة اشهر انتهى، منه

٢- (٢) جمع مناره، منه

يسقى ولا يكلم فإنه إذا فعل ذلك يوشك أن يخرج فيؤخذ، وإذا جنى في الحرم جنايه اقيم عليه الحد في الحرم، و زاد في الكافي أنه لم يدع للحرم حرمه.

و في الكافي عنه عليه السلام أيضا وقد سأله سماعه عن رجل لى عليه مال فغاب عني بزمان فرأيتَه يطوف حول الكعبة أ فأتقاضاه مالى؟ قال: لا تسلم عليه، و لا تردعه حتى يخرج من الحرم هذا.

و من أجل كونه حرم الله سبحانه لم يقصده جبار بسوء إلا ابتلاه الله بشاغل أو رماه بقاتل.

و قد قصده أصحاب الفيل فأرسل سبحانه إليهم طيرا أباييل ترميهم بحجاره من سجيل فجعلهم كعصف مأكول على ما نطق به التنزيل.

و قصده تبع الملك (1) و أراد قتل مقاتلته و سبى ذراريهم و هدمه بعد ذلك فسالت عيناه حتى وقعتا على خديه فسأل عن ذلك، فقالوا: ما نرى الذى أصابك إلا بما نويت فى هذا البيت، لأن البلد حرم الله و البيت بيت الله و سكان مكة ذريه إبراهيم خليل الرحمن، فقال: صدقتم فما مخرجى مما وقعت فيه؟ قالوا: تحدث نفسك بغير ذلك، فحدث نفسه بخير فرجعت حدقاته حتى ثبتتا فى مكانهما، فدعا القوم الذين أشاروا اليه بهدمها، فقتلهم ثم أتى البيت فكساه الأنطاع و أطعم الطعام ثلاثين يوما كل يوم مائة جزور، حتى حملت الجفان إلى السباع فى رؤس الجبال، و نثرت الأعلاف للوحش، ثم انصرف من مكة إلى المدينة فأنزل بها قوما من أهل اليمن من غسان و هم الأنصار.

فان قيل: كيف لم يجر على الحجاج اللعين ما جرى على تبع و أصحاب الفيل مع هدمه البيت؟ قلنا: إن الحجاج لم يكن قصده إلى هدم البيت و إنما كان قصده إلى ابن الزبير و كان ضدا للحق، فلما استجار بالكعبة أراد الله أن يبين للناس أنه لم يجره، فأهل من هدمها عليه و بذلك صرح فى الفقيه.

ثم أكد عليه السلام وجوب الحج بقوله (فرض حجه و أوجب) معرفه (حقه)

ص: ٢٥٩

و ملاحظه حرمته (و كتب عليكم) أى أُلزم عليكم (وفادته) و القدوم إليه لكسب الفيوضات و تحصيل الكمالات.

روى الصدوق بإسناده عن أبى عبد الله عليه السلام، قال: الحجاج و المعتمر وفد الله إن سألوه أعطاهم، و إن دعوه أجابهم و إن شفّعوا شفّعهم، و إن سكتوا ابتدئهم و يعوذون «يعوضون ظ» بالدرهم ألف درهم (فقال «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»).

قال الطبرسى معناه و لله على من استطاع إلى حج البيت سبيلا من الناس حج البيت، أى من وجد إليه طريقا بنفسه و ماله.

و اختلف فى الاستطاعه، قيل: هى الزاد و الزاحله عن ابن عباس و ابن عمر، و قيل: ما يمكنه معه بلوغ مكه بأى وجه يمكن عن الحسن و معناه القدره على الوصول إليه، و المروى عن أئمتنا عليهم السلام أنه وجود الزاد و الزاحله و نفقه من يلزمه نفقته و الرجوع إلى كفايه إما من مال أو ضياع أو حرفه مع الصّحه فى النّفس و تخليه السّرب من الموانع و إمكان السّير.

أقول: أما اشتراط الزاد و الزاحله فى تحقّق الاستطاعه للبعيد فمما أجمع عليه الأصحاب.

و أما القريب الغير المحتاج إلى قطع المسافه كأهل مكه و ما قاربها ممّن يمكنه السّعى من غير راحله بحيث لا يشقّ عليه عادة فإنّ الزاحله حينئذ غير شرط.

و أما البعيد المتمكن من المشى فهل هى شرط للوجوب فى حقّه أم لا الظاهر من المنتهى الأول حيث قال: اتفق علمائنا على أنّ الزاد و الزاحله شرطان فى الوجوب فمن فقدهما أو أحدهما مع بعد مسافته لم يجب عليه الحجّ و إن تمكن من المشى و استشكل فيه بعض متأخري المتأخرين كصاحب المدارك و نحوه من أجل قيام بعض الأخبار على الثّانى.

وَأَمَّا الرَّجُوعُ إِلَى الْكُفَايَةِ فَقَدْ اشْتَرَطَهُ الشَّيْخَانُ وَ أَبُو الصَّيْلَانِ وَ ابْنُ الْبَرَّاجِ وَ ابْنُ حَمَزَةَ، وَ رَوَاهُ الصَّدُوقُ فِي الْفَقِيهِ عَنِ أَبِي الزُّبَيْرِ الشَّامِيِّ قَالَ سَأَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعَةِ إِلَيْهِ سَبِيلًا، فَقَالَ:

مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيهَا؟ فَقِيلَ لَهُ: الزَّادُ وَ الرَّاحِلَةُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَدْ سَأَلَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ هَذَا فَقَالَ: هَلَكَ النَّاسُ إِذَا لُتِنَ كَانُوا مِنْ كَانٍ لَهُ زَادٌ وَ رَاحِلَةٌ مَا يَقُوتُ عِيَالَهُ وَ اسْتَغْنَى بِهِ عَنِ النَّاسِ يَنْطَلِقُ إِلَيْهِ فَيَسْلُبُهُمْ إِيَّاهُ لَقَدْ هَلَكُوا إِذَا، فَقِيلَ لَهُ: فَمَا السَّبِيلُ؟ فَقَالَ:

السَّبِيلُ فِي الْمَالِ إِذَا كَانَ يَحْتَجُّ بِبَعْضٍ وَ يَبْقَى لِقُوتِ عِيَالِهِ، أَلَيْسَ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ الزَّكَاةَ فَلَمْ يَجْعَلْهَا إِلَّا عَلَى مَنْ يَمْلِكُ مِائَتِي دِرْهَمٍ.

وَ ذَهَبَ الْأَكْثَرُ وَ مِنْهُمْ الْمُرْتَضَى وَ ابْنُ إِدْرِيسَ وَ ابْنُ أَبِي عَقِيلٍ وَ ابْنُ الْجَنَيْدِ إِلَى عَدَمِ الْإِشْتِرَاطِ، اسْتِدْلَالًا بِعَمُومِ الْآيَةِ وَ الْأَخْبَارِ الصَّيْحِيحَةِ، وَ اسْتِضْعَافًا لِسُنَنِ رَوَايَةِ أَبِي الزُّبَيْرِ، وَ طَعْنَا فِيهِ بِجَهَالَةِ الزَّوَاوِيِّ وَ بِأَنَّ مِنْ جَمَلِهِ رَجَالَهُ خَالِدُ بْنُ جَرِيرٍ وَ لَمْ يَرِدْ فِيهِ تَوْثِيقٌ بَلْ وَ لَا مَدْحٌ يَعْتَدُّ بِهِ هَذَا.

وَ أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: وَ مَنْ كَفَرَ، فَقَدْ قَالَ الطَّبْرَسِيُّ: مَعْنَاهُ، وَ مَنْ جَحَدَ فَرَضَ الْحَجَّ وَ لَمْ يَرَهُ وَاجِبًا، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ الْحَسَنِ:

«فَإِنَّ اللَّهَ غَيَّبَ عَنِ الْعَالَمِينَ» لَمْ يَتَعَبَّدْهُمْ بِالْعِبَادَةِ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهَا وَ إِنَّمَا تَعَبَّدَهُمْ بِهَا لَمَّا عَلِمَ فِيهَا مِنْ مَصَالِحِهِمْ.

وَ قِيلَ: إِنَّ الْمَعْنَى بِهِ الْيَهُودُ فَإِنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ:

«وَ مَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ» قَالُوا نَحْنُ مُسْلِمُونَ، فَامْرُوا بِالْحَجِّ فَلَمْ يَحْجُوا، وَ عَلَى هَذَا يَكُونُ مَعْنَى مَنْ كَفَرَ مَنْ تَرَكَ الْحَجَّ مِنْ هَؤُلَاءِ فَهُوَ كَافِرٌ أَنْتَهَى.

أَقُولُ: إِطْلَاقُ الْكَافِرِ عَلَى تَارِكِ الْحَجِّ كَمَا فِي الْآيَةِ قَدْ وَقَعَ فِي الْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ وَ تَفْسِيرُهُ بِالْجَاهِدِ بِوَجُوبِهِ حَسْبَمَا فَعَلَهُ الطَّبْرَسِيُّ وَ تَبِعَهُ غَيْرُهُ لَا دَاعِيَ إِلَيْهِ، وَ إِنَّمَا

هو ناش عن حساب أن الكفر له معنى واحد و هو المعنى المعروف بين الفقهاء و هو ما يوجب نجاسه المتّصف به و خلوده في النَّار، و ليس كذلك بل له معان متعدده.

بيان ذلك أنّ الكفر في اللّغه هو السّتر، و منه سمّي الليل كافراً لأنّه يستر ما أظهره نور النّهار، و اطلاقه على الكافر من جهة ستره ما أنعم الله به عليه من المعارف الحقهّ و الأنوار الالهيه و النعم الجليّيه و الخفيّه، و في لسان الفقهاء يطلق الكافر على جاحد الرّب و منكره، و على منكر ما علم ثبوته ضروره من دين الاسلام.

و أمّا في القرآن و الأخبار، فربّما اطلق على تارك بعض الواجبات و لو لم يكن عن جحود كما يطلق على فاعل بعض المحرمات، و يدلّ على عدم انحصار معناه في المعروف ما رواه الكليني عن عليّ بن ابراهيم عن أبيه عن بكر بن صالح عن القاسم ابن يزيد عن أبي عمر و الزّبيرى عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: الكفر في كتاب الله عزّ و جلّ على خمس أوجه: فمنها كفر الجحود و الجحود على وجهين و الكفر بترك ما أمر الله و كفر البراءه و كفر النعم:

فأمّا كفر الجحود فهو الجحود بالرّبوبيّه، و هو قول من يقول: لا- ربّ و لا- جنه و لا نار، و هو قول صنفين من الزنادقه لعنهم الله يقال لهم: الدّهريّه و هم الذين يقولون:

و ما يهلكنا إلا الدّهريّ الى أن قال و أمّا الوجه الآخر من الجحود على معرفته فهو أن يجحد الجاحد و هو يعلم أنّه حقّ قد استيقن عنده، و قد قال الله عزّ و جلّ.

«وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا» و قال الله تعالى:

«وَكَانُوا مِن قَبْلِ يَسِيْرَتَفْتَحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» فهذا تفسير وجهي الجحود، و الوجه الثّالث من الكفر كفر النعم، و ذلك قوله تعالى يحكى قول سليمان:

«هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا»

«يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ» وقال: «لَيْسَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْسَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» وقال: «فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ» والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله به وهو قول الله تعالى:

«وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَضْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعَيْدِ وَإِنَّ يَأْتِيَكُمْ أَسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ» فكفرهم بترك ما أمر الله به ونسبهم إلى الايمان ولم يقبله منهم ولم ينفعهم عنده فقال:

«فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَسَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ» والوجه الخامس من الكفر كفر البراءة، وذلك قوله تعالى يحكى قول ابراهيم:

«كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعِدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحِيدَهُ» يعنى تبرأنا منكم الحديث، فقد ظهر منه أن إطلاق الكفر على ترك بعض الفرائض وإتيان بعض المناهى ليس من أجل اشتماله على الجحود والانكار، حيث إنه عليه السلام جعل الكفر الجحودى قسيما للكفر بترك ما أمر الله به.

إذا عرفت ذلك فنقول: إن تارك الحج مع وجود الاستطاعة كافر حقيقه و إن لم يحكم بنجاسته، لأن الحكم بالنجاسه من خواص الكفر على وجه الجحود، و يدل على ذلك مضافا إلى ظهور الآيه الشريفه، ما رواه الصّيدوق في آخر الفقيه في باب التّوادر في وصيّته رسول الله صلّى الله عليه و آله لعلى عليه السّلام يا على، تارك الحجّ و هو مستطيع كافر قال الله تبارك و تعالى:

«وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ۖ الْاَيّه.

يا على من سوف الحج حتى يموت بعثه الله يوم القيامة يهوديا أو نصرانيا، و في ذلك الباب أيضا يا على كفر بالله العظيم من هذه الامه عشره: القتا و السّاحر و الديوث و ناكح المرأه حراما في دبرها و ناكح البهيمة و من نكح ذات محرم و السّاعى في الفتنة و بايع السّلاح من أهل الحرب و مانع الزّكاه و من وجد سعه فمات و لم يحج هذا.

و الأخبار في عقوبه تارك الحجّ و مسوّفه و كونه كبيره موبقه كثيره، و من الآيات الدّاله على ذلك مضافه إلى الآيه السّابقه قوله تعالى:

«وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ اَعْمٰى فَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ اَعْمٰى وَ اَضَلُّ سَبِيْلًا ۙ» قال الصدوق روى محمّد بن الفضيل، قال سألت أبا الحسن عليه السلام عن هذه الآيه فقال:

نزلت فيمن سوف الحجّ حجه الاسلام و عنده ما يحجّ به فقال: العام أحجّ العام حتى يموت قبل أن يحجّ و روى عن معاويه بن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل لم يحجّ قط و له مال فقال هو ممّن قال الله عزّ و جلّ:

«وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اَعْمٰى ۙ» فقلت سبحان الله أعمى، فقال: أعماه الله عن طريق الخير.

تكميل

قد عرفت فضل البيت الحرام و فضائل المشاعر العظام و كونه حرم الله و أمنه و اختياره سبحانه على جميع أقطار أرضه من سهله و حزنه إلا أنّه قد وردت

أخبار مستفيضه داله على تفضيل أرض كربلا عليه و كونه حرم الله سبحانه من قبله.

مثل ما رواه جعفر بن محمد بن قولويه فى المزار باسناده عن ابن أبى يعفور عن أبى عبد الله عليه السلام فى حديث ثواب زياره الحسين عليه السلام قال: و الله لو انى حدثتكم فى فضل زيارته لتركتم الحج رأسا و ما حج أحد و يحكك أما علمت أن الله اتخذ كربلا- حرما آمنا مباركا قبل أن يتخذ مكة حرما قال ابن أبى يعفور: قد فرض الله على الناس حج البيت و لم يذكر زياره قبر الحسين عليه السلام، قال: و إن كان كذلك فإن هذا شىء جعله الله هكذا أما سمعت قول أمير المؤمنين عليه السلام إن باطن القدم أحق بالمسح من ظاهر القدم و لكن الله فرض هذا على العباد، أما علمت أن الاحرام لو كان فى الحرم كان أفضل لأجل الحرم و لكن الله صنع ذلك فى غير الحرم.

و روى أيضا باسناده عن عمر بن يزيد عن أبى عبد الله عليه السلام أن أرض الكعبة قالت من مثلى و قد بنى بيت الله على ظهري يأتينى الناس من كل فج عميق، و جعلت حرم الله و أمنه، فأوحى الله إليها كفى و قرى ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلا إلا بمنزله الأبره غمست فى البحر فحملت من ماء البحر و لو لا تربه كربلا ما فضلتك و لولا من ضمنه كربلا لما خلقتك و لا خلقت الذى افتخرت به، فقزى و استقرى و كونى ذنبا(١) متواضعا ذليلا مهينا غير مستكف و لا مستكبر لأرض كربلا و إلا مسختك و هويت بك فى نار جهنم.

و باسناده عن أبى الجارود عن على بن الحسين عليهما السلام قال: اتخذ الله أرض كربلا حرما قبل أن يتخذ مكة حرما بأربعة و عشرين ألف عام.

و باسناده عن صفوان الجمال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله فضل الأرضين و المياه بعضها على بعض، فمنها ما تفاخرت و منها ما بغت، فما من أرض و لا ماء إلا عوقبت لترك التواضع لله حتى سلط الله على الكعبة المشركين و أرسل إلى زمزم ماء مالحا فأفسد طعمه، و ان كربلا و ماء الفرات أول أرض و أول ماء

ص: ٢٤٥

١- (١) أى تاليا يقال ذنبه يذنبه أى تلاه، منه

قدس الله و بارک علیه، فقال لها تكلمی ما فضلک الله، فقالت: أنا أرض الله المقدسه المبارکة، الشفاء فی تربتی و مائی و لا فخر بل خاضعه ذلیله لمن فعل بی ذلک و لا فخر علی من دونی بل شکر الله، فأکرّمها و زادها بتواضعها و شکرها لله بالحسین علیه السلام و أصحابه، ثم قال أبو عبد الله علیه السلام: من تواضع لله رفعه الله و من تکبر وضعه الله.

و الحمد لله علی حسن توفیقه لشرح الخطبه الاولى و منه أسأل التوفیق لشرح الخطبه الآتیة بحقّ محمّد و عترته الطاهره.

الترجمه

و واجب گردانید حق تعالی بر شما حج خانه خود را که حرام است بر مشرکین داخل شدن او، چنان خانه که گردانیده است آنرا قبله خلقان در حالتی که وارد میشوند بر آن با ازدحام مثل وارد شدن حیوانات بر آب در وقت تشنگی، و شایق میشوند بسوی آن مثل اشتیاق کبوتران حرم بآشیان خودشان، گردانید خداوند آن خانه را علامت و نشانه بجهت فروتنی و تواضع آنها مر بزرگواری و عظمت خود را، و بجهت اعتقاد و یقین آنها مر عزّت و سلطنت او را، و پسندید از خلق خود شنوندگان که اجابت کردند بجهت او دعوت او را، و تصدیق نمودند از برای او کلمه تامه او را، و بایستادند ایشان در جای ایستادن انبیاء مرسلین، و متشبه شدند بملائکه مقربین که طواف کنندگانند بر عرش رب العالمین در حالتی که جمع آوری میکنند ایشان سودها و منفعتها در تجارتگاه پرستش او، و می شتابند و سرعت میکنند بر وعدگاه آمرزش او گردانید آن خانه را خداوند نشانه و علامت از برای دین اسلام، و حرم و مأمّن بجهت پناه برندگان، واجب نمود حج آنرا و لازم گردانید حق آن را و متحتم فرمود آمدن آن را بجهت کسب فیض و سعادت پس فرمود، مر خدای راست بر بندگان حج بیت الحرام هر کسی که تمکن داشته باشد بسوی او از حیثیت راه، و هر کس کافر باشد یعنی ترک حج نماید پس به تحقیق خداوند ملک مَنان غنی و بی نیاز است از همه عالمیان یعنی امر فرمودن خداوند ایشان را بعبادت نیست بجهت افتقار و حاجت بلکه بجهت وجود مصلحتست

و من خطبه له عليه السلام

اشاره

و هي الثانيه من المختار في باب الخطب خطب بها بعد

انصرافه من صفين

و نشرحها في ضمن فصول

الفصل الاول

اشاره

أحمده استتماما لنعمته، و استسلاما لعزته، و استعصاما من معصيته، و أستعينه فاقه إلى كفايته، إنه لا يضلّ من هداه، و لا يثل من عاداه، و لا يفتقر من كفاه، فإنه أرجح ما وزن، و أفضل ما خزن.

اللغه

(صفين) بكسر الصاد و تشديد الفاء كسجّين اسم موضع قرب الرّقه بشاطئ الفرات من الجانب الغربي كانت به الوقعه العظمى بين عليّ عليه السّلام و معاويه لعنه الله و وزنه إمّا فعيل كظلم و ضليل فالتّون أصله و يدلّ عليه ضبط الجوهري و الفيروز آبادي له في باب التّون، و هو الأشهر، و إمّا فعلين بزيادة الياء و التّون كغسلين و يدلّ عليه ضبط الفيومي كبعض اللّغويين له في باب الصّاد مع الفاء، قال في المصباح و هو فعلين من الصّف، أو فعيل من الصّفون، فالتّون أصله على الثّاني.

أقول: على تقدير كونه مأخوذا من الصّف بكسر الصاد فاصله الصّف بفتحها و زياده الياء و التّون للمبالغه، كما أنّ غسلين من الغسل و هو ما يغتسل به كالماء و الصّابون و الخطمي، فزيدت الياء و التّون مبالغه و استعمل فيما يسيل من جلود أهل النّار قال سبحانه:

«وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ» و تسميته على هذا التّقدير يحتمل أن يكون لكثرة الصّفوف في الوقعه الواقعه فيه،

و على تقدير كونه مأخوذاً من الصّفون فهو من صفن الفرس صفونا قام على ثلاث قوائم و طرف حافر الرّابعه، و صفن الرّجل إذا صفّ قدميه، و صفن به الأرض ضربه و على كلّ التّقدير فاللّازم أن يكون التّسميه به متأخره عن وقوع الوقعه نظير ما قالوه فى إطلاق المسلخ على الميقات المعروف الذى هو أوّل وادى العقيق من أنه لاجل سلخ الثياب و نزع اللباس فيه فيكون التّسميه متأخره عن كونه ميقاتاً و (الاستسلام) الانقياد و الخضوع و (العزّه) من عزّه يعزّه عزّاً من باب ضرب إذا غلبه و الاسم العزه و هى القوّه و الغلبه، و العزيز من أسمائه سبحانه هو الغالب الذى لا- يغلب و (الفاقه) الفقر و الحاجه و (الكفايه) مصدر يقال: كفى الشىء يكفى كفايه إذا حصل به الاستغناء عن غيره قال تعالى:

«كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ» اى أغناهم عنه و وئلا (يئل) من باب ضرب وئلا و وؤولا إذا طلب النّجاه فنجى، و الموثل الملجاء و المنجى.

الاعراب

قال الشّارح المعتزلى: صفّين اسم غير منصرف للتّأنيث و التّعريف و استدل بقول الشّاعر:

أتى ادين بما دان الوصىّ به يوم الخريبه(١) من قتل المحلينا

و بالذى دان يوم النّهر دنت به و شاركت كفه كفى بصقينا

تلك الدماء معا يا ربّ فى عنقى ثم اسقنى مثلها أمين آمينا

أقول: أمّا التّعريف فيه فمسلم، و أمّا التّأنيث فغير لازم إذ كما يجوز تفسيره بالأرض و البقعه كذلك يجوز تفسيره بالمكان و الموضع و الشّعرا لا دلالة فيه على ما رامه، لأنّ دلالة إنّما يتمّ لو كان أصلية التّون فيه مسلمه لظهور كون محلّ الاعراب فيه حيثنذ هو آخر الكلمه، و أمّا على تقدير كونها زايده كما اختاره

ص: ٢٤٨

١- (١) خريبه كجهينه موضع بالبصره يسمى البصره الصغرى، قاموس

الفيومي في المصباح حسبما اشير إليه فالنّون مفتوحه دائما، و يظهر أثر الاعراب حينئذ فيما قبل النّون، فيقال: صَفِين و صفون نظير عالين و أرضين، و قد صرّح بما ذكرناه أخيرا في الاوقيانوس أيضا فافهم جيّدا.

و استتماما و استسلاما و استعصاما منصوبات على أنّها مفاعيل لفاعل الفعل المعلل بها و هو أحمد و انتصاب فاقه على ذلك أيضا و الضمير في قوله عليه السّلام: فأنّه أرجح ما وزن إمّا راجع الى الحمد المستفاد من قوله: أحمد، أو راجع إلى الله سبحانه و ستعرف تحقيقه.

المعنى

إشارة

(أحمد استتماما لنعمته) أى طلبا لتمام النّعمه و فى أفرادها إشارة إلى أنّ نعمه سبحانه غير متناهيه و فيوضاته تعالى غير منتهيه من الكمّ و الكيفيّة، فهى أعظم من أن تتمّ فى حقّ عبد فيكون طلب تمامها حينئذ عبثا و إنّما يتفضل منها على العباد بحسب استعدادهم و قابليّتهم (و استسلاما لعزّته) أى انقيادا لقهره و غلبته و خضوعا لجلاله و عظمته (و استعصاما من معصيته) أى طلبا للعصمه من معصيته الحاصله بكفران النّعمه.

و لا يخفى ما فى كلامه من النكته اللطيفه حيث إنّهُ علّل الحمد أولا بطلب تمام نعمه الله سبحانه إشارة إلى أنّ العله الدّاعيه إلى الحمد هو طلب تمام النّعمه من حيث إنّ الحمد يوجب تمامها و كمالها بمقتضى الوعد الذى ورد فى كلامه تعالى(1) من قوله:

ص: ٢٦٩

١- (١) لا يخفى ان ما ذكرناه من جعل قوله استتماما لنعمته ناظرا الى قوله لئن شكرتم لازيدنكم و قوله و استعصاما من معصيته ناظرا الى قوله و لئن كفرتم ان عذابي لشديد انسب و اقرب مما صنعه البحرانى من جعل قوله استسلاما لعزته ناظرا الى الايه الاخيريه و أيضا ما ذكرناه من كون المراد بالمعصيه فى قوله و استعصاما من معصيته هو المعصيه الحاصله بكفران النعمه اظهر من جعل المراد بها جميع المعاصى، اما اولا فلان المصدر المضاف لا يفيد العموم، و اما ثانيا لظهور ان الحمد لا يوجب العصمه من جميع المعاصى و انما يوجب العصمه من المعصيه الحاصله التى ذكرناه و هى العصيان بالكفران و بالجمله كلام البحرانى فى شرح هذا المقام غير خال عن السماجه فانظر ما ذا ترى، منه

«لَيْنٌ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» ثمَّ علَّله بعَلَّه ثانيه منشعبه من العَلَّه الاولى من حيث إنّ طلب تمام نعمته موقوف على معرفته سبحانه من حيث إنّهُ منعم و معرفه النعمه من حيث إنّها نعمه و لا تتمّ تلك المعرفه إلاّ بأن تعرف أنّ النعم كلها جليها و خفيها منه سبحانه و أنّه المنعم الحقيقي، و الأوساط كلها منقاده لحكمه و مسخره لأمره، و ثمره تلك المعرفه هي الخضوع و الاستسلام و التذلل لعزّته و قدرته.

و أما العَلَّه الثالثه ففيها إشاره إلى أنّ بالحمد يحصل العصمه من المعصيه إذ في تركه كفران النعمه و قد أوعده عليه سبحانه:

«وَلَيْنٌ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» هذا و غير خفي على الفطن الدقيق أنّ ما ذكرناه في شرح كلامه عليه السّلام أولى ممّا صنعه الشّارح البحراني من جعل الاستتمام و الاستسلام و الاستعصام غايات للحمد(1) مترتبه عليه، لظهور أنّ طلب التّمام ليس من غايات الحمد، بل هو علّه باعته له و إنّما غايته و فايدته المترتبه عليه هو التّمام و الزّيادة، و هكذا الكلام في الاستسلام و الاستعصام، و بالجملة المفاعيل الثلاثه في كلامه عليه السّلام على حدّ قولهم، قعدت عن الحرب جبنا، لا على نحو قولهم: جتتك زياره لك، فافهم جيّدا.

ثمّ إنّ الظاهر أنّ المراد في كلامه عليه السّلام هو الشكر، و في قوله:

استتماما لنعمته لتلويح لذلك، لأنّ الثناء على المنعم من حيث النعمه و من حيث تمامها و زيادتها هو الشكر، و في قوله سبحانه: لئن شكرتم اه إشاره إلى ذلك.

قال المحقّق النّصير الطوسي (ره) في محكي كلامه: اعلم أنّ الشكر مقابله النعمه بالقول و الفعل و التّيه و له أركان ثلاثه.

الأوّل معرفه المنعم و صفاته اللّايقه به و معرفه النعمه، من حيث إنّها نعمه و لا- تتمّ تلك المعرفه إلاّ- بأن تعرف أنّ النعم كلها جليها و خفيها من الله سبحانه، و أنّه المنعم الحقيقي

ص: ٢٧٠

١- (١) و مثله الشهيد الثاني (ره) في شرح ديباجه اللمعه الدمشقيه منه

و أنّ الأوساط كلها منقادة لحكمه مسخره لأمره.

الثانى الحاله التى هى ثمره تلك المعرفه وهى الخضوع والتواضع والسرور بالنعم لا من حيث إنّها موافقه لغرض النفس، فإنّ فى ذلك متابعه لهواها وقصر الهمه على رضاها، بل من حيث إنّها هديه داله على عنايه المنعم بك، و علامه ذلك أن لا تفرح من نعم الدنيا إلا بما يوجب القرب منه.

الثالث العمل الذى هو ثمره تلك الحال، فان تلك الحال إذا حصلت فى القلب حصل فيه نشاط للعمل الموجب للقرب منه تعالى، وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح.

أمّا القلب فالقصد إلى تعظيم المنعم وتمجيده و تحميده و التفكير فى صنایعه و أفعاله و آثار لطفه و العزم على ایصال الخير و الاحسان إلى عامه الخلق.

و أمّا عمل اللسان فإظهار ما قصدته و نويته من التمجيد و التعظيم بتهليله و تحميده و تسيحه و الثناء عليه و إرشاد الخلق بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر إلى غير ذلك.

و أمّا عمل الجوارح فاستعمال نعمه الظاهره و الباطنه فى طاعته و عبادته و عدم استعمالها فى معصيته و مخالفه أمره كأعمال العين فى النظر إلى عجيب مصنوعات و آياته، و النظر فى كتابه، و استعمال السمع فى استماع دلائله و براهينه و الانصات لقرائه كتابه، و قس على ذلك ساير الجوارح، و من هنا ظهر أنّ الشكر أشرف معارج السالكين و أعلى مدارج العارفين، و لا يبلغ حقيقته إلاّ من ترك الدنيا وراء ظهره، و هم قليلون و لذلك قال عزّ من قائل: و قليل من عبادى الشكور. انتهى كلامه قده (و أستعينه فاقه إلى كفايته) الكلام فى هذه الفقره كالكلام فى سابقها إذ الفاقه إلى كفايته سبحانه عله داعيه إلى الاستعانه، و معناها طلب الاعانه منه تعالى للحاجه إلى غناه و استغناء به عن غيره سبحانه كما قال تعالى:

«أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ».

و ذلك من جهه أن أزمه الأمور كلها بيده جلّ شأنه، فلا يقع شيء منها إلا بإيجاده و إذنه و كلّ من سواه مفتقر إليه، و من ذلك صح الاستغناء به عن غيره في جميع الامور و كلّ الأحوال، و استحال الاستغناء عنه في شيء منها قال تعالى:

«يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» و المراد بغناه هو الغنى المطلق الذي هو سلب مطلق الحاجه، لا الغنى بالمعنى المعروف كما أنّ المراد بالفقر مطلق الحاجه إذ حقيقه الغنى هو استقلال الشيء بذاته في كلّ ما له من غير تعلق له بالغير أصلا، و هو بهذا المعنى لا يكون إلا لله، و حقيقه الفاقه و الفقر عدم استقلال الشيء بذاته و تعلقه بالغير و لو في شيء ماء و هو بهذا المعنى صفة لكلّ ممكن، فثبت أنّه تعالى غنى عن خلقه من كلّ الوجوه و تحقّق فقرهم إليه من كلّ وجه، لما تقرّر من أنّ فقيرا بالذات من وجه ما فهو فقير بالذات من جميع الوجوه (إنّه لا- يضلّ من هداه و لا يئث من عاداه) تعليل لطلبه المعونه على تحصيل الكفايه فكأنّه قال: و استعينه على أن يرزقني الكفايه المستلزمه للهدايه التي هي الغنى الحقيقي و الملك الأبدى، فأنّه لا يضلّ من هداه و لا يطلب النجاه من عذابه من عاداه، لعدم وجود منجى و موئل غيره حتّى يلتجأ منه إليه، إذ كلّ من سواه مقهور تحت قدرته و مضمحل في جنب ذاته، لا راّد لحكمه و لا دافع لقضائه، فكيف يمكن الفرار من حكومته أو يلتجأ إلى من سواه، و المراد بمعاداته سبحانه للعبد إعراضه عنه و إضلاله له فيكون كلامه عليه السلام في قوّه أن يقال: إنّه لا يضلّ من هداه و لا يهتدى من أضله، تصديقا لقوله سبحانه:

«وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ» و لقوله: «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا»

(و لا يفتقر من كفاه) إذ بيده سبحانه خزائن الأرض و السّماوات و عنده نيل الطلبات و له القدره التّامه التي لا يعجزها شيء و الجود الذي لا يعتره بخل و الغنى الذي ليس معه فقر، فاذا كان كافيا لعبده حصل له الاستغناء عمّن سواه و انقطعت حاجته عمّن عداه (فأنه أرجح ما وزن و أفضل ما خزن) الضّمير يحتمل رجوعه إلى الحمد المدلول عليه بقوله أحمده من قبيل:

«إِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى».

فيكون المراد به أنه أرجح ما وزن بميزان الأعمال، و أفضل ما خزن و ادّخر ليوم الجزاء، و ذلك لعظم فوائده و كثره ثمراته حسبما ستعرفه بعيد ذلك، و يحتمل أن يرجع إلى الله سبحانه فيكون المعنى أنه أرجح ما وزن بميزان العقول و أفضل ما خزن في خزانه القلوب، و هذا أقرب لفظا جريا على سياق الضّمائر السّابقه، و الأوّل أقرب معنى للحاجه إلى التّأويل على الثّاني إذ الوزن و الخزن من صفات الأجسام، و ذاته تعالى مقدسه عن ذلك، فلا بدّ أن يجعل المراد رجحان عرفانه في ميزان العقل إذ لا يوازن عرفانه عرفان ما عداه، بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتّى يصدق هناك موازنته يقال فيها أرجح و قد مرّ تحقيقه في الفصل الرابع من فصول الخطبه الاولى عند شرح قوله عليه السّلام: و كمال الاخلاص له نفى الصّفات عنه، فتذكر.

تنبيه و تحقيق

اعلم أنه قد تطابق النّقل و العقل على وجوب شكر المنعم و حسنه و قبح كفران نعمه سبحانه.

أمّا النّقل فمن الكتاب قوله تعالى في سورة ابراهيم عليه السّلام:

«وَ إِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» و في سورة النمل «وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ».

الى غير هذه من الآيات الكثيره.

و من السّينه أخبار كثيره، مثل ما رواه عبد الله بن اسحاق الجعفرى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال مكتوب فى التّوراه اشكر من أنعم عليك و انعم من شكرك فانه لا زوال للنعماء إذا شكرت، و لا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زياده فى النعم و أمان من الغير.

و ما رواه معاويه بن وهب عنه عليه السّلام قال: من اعطى الشكر اعطى الزّيادة يقول الله عزّ و جلّ: لئن شكرتم لازيدنكم و روى عبد الله بن الوليد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: ثلاث لا يضرّ معهنّ شىء: الدّعاء عند الكرب و الاستغفار عند الدّنب و الشكر عند النعمه.

و روى معمر بن خلّاد عن أبى الحسن صلوات الله عليه قال: سمعته يقول: من حمد الله على النعمه فقد شكره و كان الحمد أفضل من تلك النعمه.

و روى سفيان بن عيينه عن عمّار الدّهني قال: سمعت علىّ بن الحسين عليهما السلام يقول: إنّ الله يحب كلّ قلب حزين و يحب كلّ عبد شكور، و يقول الله تعالى لعبد من عبده يوم القيامة: أ شكرت فلانا؟ فيقول: بل شكرتك يا ربّ فيقول: لم تشكرنى إذ لم تشكره، ثمّ قال: أشكركم لله أشكركم للناس إلى غير هذه من الأخبار المتظافره المستفيضه و قد عقد فى الكافى بابا فى الشكر و أخرج هذه الأخبار منه من أراد زياده البصيره فليرجع إليه.

و أمّا العقل فهو مستقلّ فى وجوب الشكر و حاكم بحسنه، و اتّفق على ذلك الاماميّه و المعتزله، و خالف فيه الأشاعره بعد تنزّلهم عن أصلهم الذى أسّسوه فى مسأله الحسن و القبح، و ذهبوا إلى عدم حكم للعقل بوجوب شكر المنعم على تقدير تسليم حكمه مطلقا و إدراكه الحسن و القبح فى الجملة و المسأله معنونه فى الأصول، و أدله الطرفين مفصّله فيها.

و عمدته ما تمسّك به المخالف دليان، أحدهما نقلّى و الآخر عقلّى أمّا التّقليّ فهو قوله تعالى:

«و ما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا».

وجه الاستدلال أنّ وجوب شيء عبارة عن ترتب العقاب على مخالفته، و حيث انتفى العقاب قبل الشّرع بحكم الآيه انتفى الوجوب.

و أوجب عنه أولاً- بالتخصيص بالمستقلات العقلية فيختص حكم الآيه بغير المستقلات و يكون المراد، و ما كُنّا معذّبين في الأعمال التي لا سبيل إلى معرفتها إلاّ بالشّرع إلاّ بعد مجيء الشّرع، و التّخصيص و إن كان خلاف الظاهر إلاّ أنّه يجب ارتكابه عند قيام الدليل عليه، و قد قام الدليل على حكم العقل في الجملة حسبما تعرفه (1).

و ثانيا بجعل الرّسول أعمّ من الظاهر و الباطن، أمّا الظاهر فهو الأنبياء، و أمّا الباطن فهو العقل بل هو الرّسول الذي لولاه لما تقرّر رساله أحد من الأنبياء و لزم إفحامهم، و ذلك لأنّه إذا جاء المشّرع و ادّعى كونه نبيا من عند الله تعالى و أظهر المعجزه على طبق دعواه، فأمّا أن يجب على المستمع استماع قوله و النّظر إلى معجزته أولاً، و على الثّاني فقد بطل القول بالنبوه و لزم الافحام، و على الأوّل فأمّا أن يكون وجوبه بالعقل أو بالشّرع، فان وجب بالعقل فقد ثبت المدّعى و هو كون العقل حاكما، و إن وجب بالشّرع فهو باطل لأنّ الشّرع إمّا أن يكون هو ذلك المدّعى أو غيره، و الأوّل باطل، لأنّه يرجع حاصل الكلام إلى أن ذلك المدّعى يقول: الدليل على وجوب قبول قولى هو قولى إنّه يجب قبول قولى و هذا إثبات للشّيء بنفسه و بعبارة اخرى وجوب النّظر إلى معجزته و استماع قوله يتوقف على حجيه قوله مع أنّ حجّيته موقوفه على النّظر، و الثّانى أيضا باطل، لأنّ الكلام فيه كالكلام فى الأوّل، و لزم إمّا الدّورا و التسلسل، و هما محالان.

و ثالثا أنّ نفى التعذيب لا يلزم عدم الوجوب إذ الواجب ما يستحقّ فاعله العقاب لا ما يترتب عليه العقاب فعلا، لجواز سقوطه بعفو أو شفاعه، و ربّما اورد عليه بأنّ العفو عن ترك جميع الواجبات و فعل المحرّمات إلى زمان البعث و كون الآيه إخبارا عن ذلك مستلزم لالغاء الايجاب و التّحريم، إذ المقصود منهما فعل الواجب و ترك

ص: ٢٧٥

الحرام و هما لا يتحصلان فى حق عموم المكلفين إلا المخلصين إلا بالخوف عن العقاب، فاذا انتفى الخوف بسبب الاخبار عن العفو و حصل الاطمينان للنفس بعدم التعذيب، لا يتحصّل الغرض من التكليف فيكون التكليف لغوا و عبثا.

و رابعا بمنع عدم تحقّق الوجوب بدون العقاب، فأنه يكفى فيه استحقاق المدح بفعله و الذم بتركه، و نلتزم فى حسن العقاب على الواجبات بوجوب اللطف و تأكيد العقل بالنقل فمع عدم وجود النقل لا يجوز العقاب و إن حسن الذمّ، و هو يكفى فى تحقّق الوجوب و كيف كان فقد تحصّل ممّا ذكرناه عدم نهوض الآيه للدلاله على نفي حكمه العقل مطلقا و فى وجوب شكر المنعم بخصوصه كما ظهر ثبوت حكومته أيضا فى الجملة ممّا ذكرناه فى الجواب الثانى.

و أمّا العقلى فتقريره ما ذكره الحاجبى فى المختصر، قال: شكر المنعم ليس بواجب عقلا، لأنّه لو وجب لوجب لفائده و إلا لكان عبثا و هو قبيح لا فايده لله تعالى:

لتعالیه عنها، و لا للعبد فى الدنيا لأنّه مشقه و لا حظّ للنفس فيه، و لا فى الآخرة إذ لا محلّ للعقل فى ذلك.

و توضيحه ما ذكره العضدى فى شرحه حيث قال: لنا لو وجب لوجب لفائده و اللازم باطل، أمّا الاولى فلأنّه لو لا الفايده لكان عبثا و هو قبيح فلا- يجب عقلا- إذ كان ايجابه عبثا و هو قبيح فلا يجوز على الله، و أمّا الثانيه فلأنّ الفايده إمّا لله و إمّا للعبد و الثانى، إمّا فى الدنيا و إمّا فى الآخرة، و الثلاث منتفيه، أمّا لله فتعالیه عن الفايده، و أمّا للعبد فى الدنيا فلأنّ منه (1) فعل الواجبات و ترك المحرّمات العقلية و أنّه مشقه و تعب ناجز و لا حظّ للنفس فيه، و هو كذلك لا يكون له فايده دنيويه، و أمّا للعبد فى الآخرة فلأنّ أمور الآخرة من الغيب الذى لا مجال للعقل فيه.

و الجواب أولا بمنع كون وجوبه لفائده، لجواز كون وجوبه لنفسه لا لشيء

ص: ٢٧٦

١- (١) اى من حكم العقل، منه

آخر، فإنه لا يلزم ثبوت الغايات لكل شىء و إلا لزم التسلسل، بل لا بدّ و أن ينتهى إلى ما يكون واجبا لذاته و لا غاية له سوى ذاته كما أنّ دفع الضرر واجب لذاته لا لغايه أخرى، و لهذا يعلّل العقلا، وجوبه بكونه شكر اللّعمه لا لشىء آخر، و إن لم يعلموا شيئا آخر من جهات الوجوب.

و ثانيا سلّمنا أنّ الوجوب لا يكون إلا لفائده، إلا أنّا نمنع انتفاء الفائده الدنيويه للعبد لأنّ أداء الشكر و إن كان فيه ضرر عاجل و تعب ناجز إلا- أنّ دفع الخوف من النّفس الحاصل فى العاجل بسبب تجويز الضرر الآجل بتركه أمر مطلوب و هو راجح على ضرر الشكر العاجل و هو كاف فى الوجوب.

و ثالثا سلّمنا انتفاء الفائده الدنيويه إلا أنّا نمنع انتفاء الفائده الاخرويه و هو النّجاه من العقاب المترتب على عدم الشكر.

لا- يقال إن أردت بالعقاب المترتب على عدم الشكر العقاب القطعى فممنوع، لأنّ القطع بثبوتة عند عدمه إنّما يحصل لو كان الشكر يسرّ المشكور و الكفر يسوئه، أمّا المنزّه عن ذلك فلا، و إن أردت العقاب المحتمل فلا ينفع لأنّ احتمال العقاب كما هو موجود عند الكفر كذلك موجود عند الشكر أيضا أمّا أولا فلاّنه تصرّف فى ملك الغير بدون إذن المالك، فإنّ ما يتصرّف فيه العبد من نفسه و غيرها ملك لله تعالى، و أمّا ثانيا فلاّنه كالاستهزاء.

بيان ذلك أنّا لو فرضنا سلطانا عظيما و ملكا كريما بسط لأهل مملكته من الخاص و العام بساط مائده عظيمه لا مقطوعه و لا ممنوعه على توالى الأيام و تواتر السنين و الأعوام، مشتمله على أنواع المأكولات و المطاعم و أقسام المشروبات و الفواكه، يجلس عليها الدانى و القاصى و يأكل منها المطيع و العاصى، و فرضنا أنّه حضر فيها فقير لم يحضرها قبل الآن، و دفع إليه الملك من تلك المائده لقمه خبز لا غير، فتناولها الفقير، ثمّ شرع فى الثناء و المدح على ذلك الملك الكبير، و جعل يمدحه بجليل الانعام و الاحسان، و يحمده على جزيل البرّ و الامتتان، و لم يزل يصف تلك اللّقمه و يذكرها و يعظم شأنها و يشكرها، فتاره يحرك أنّملته شاكرا، و أخرى

يهن رأسه ذاكر(١) لانتظم شكره ذلك عند العقلاء فى سلك التهكم والاستهزاء، ولا ريب أن نعم الله سبحانه علينا بالنسبه الى عظيم سلطانه و عميم إحسانه أحقر من تلك اللقمه بالنسبه إلى ذلك بمراتب لا تحصى و درجات لا يحوم حولها الاستقصاء.

لأننا نقول: أولاً- إن العقاب المترتب على الكفران قطعى، وقوله إن القطع بثبوتة إنما يتصور فى حق من يسره الشكر و يسوئه الكفر ممنوع، لأن ترك الواجب عله فى استحقاق العقاب بتركه، و ثانيا سلمنا و لكن نمنع احتمال العقاب على الشكر، و ما علله به أولاً- من أنه تصرف فى ملك الغير من دون إذنه فضعيف بأنا نعلم قطعاً أن الاشتغال بوظائف الخدمه و القيام بالشكر و المواظبه عليه أسلم من تركه و الاعراض عن الخدمه و التغافل عن الشكر كضعف ما علله به ثانيا من كونه كالاستهزاء.

و تمثيل النعمه باللقمه باطل، فإن نعم الله على العبد بالايجاد و الاحياء و الاقدار و ما منحه من العقل و السّلامه و الملاذ و النعم أعظم من الدنيا بأجمعها.

و المثال المطابق للممثل أنه إذا كان مسكين مغفول، و فقير فى زاويه الخمول أخرج اللسان، مؤف الأركان، أشل اليدين، أخرج الرّجلين، أعمى العينين، أصم الاذنين، عاجزا عن الحركات، مبتلى بالبلبيات، فأخرجه الملك من تلك الزاويه، و هذه الهاويه، و أكرمه بمعالجه أسقامه و مداواه أمراضه، فانطلق لسانه و سلم أركانه، و قدر على الحركات و السّكنات، و برء من الأسقام و الآفات، و اعطى السّمع و البصر، و ميّز بين النّفع و الضّرر، و قويت يده و استقامت رجلاه، ثم أكرمه الملك بعد تمام العلاج و كمال المزاج، بمزيد الاحسان و الاكرام، و بذل له غايه المعروف و الانعام، فأعطاه المساكن و الملابس، و منحه المطاعم و المشارب، و أتم له العيش الرغيد و العمر السّعيد، فلو فرض أن هذا الشّخص بعد حصول هذا المنن الجسام، و تلك النعم العظام فى حقّه، أعرض عن شكر الملك و رغب عن ثنائه، و لم يظهر منه ما يدلّ على الاعتناء بنعمائه، و الالتفات بآلائه، بل كان حاله بعد حصولها كحاله قبل وصولها، لذمه العقلاء و طعنه الألباء، كما يشهد به العقول

ص: ٢٧٨

السَّليمة، و الطباع المستقیمه، و هذا المثال هو الأوفق بالتمثيل، و الله الهادی إلى قصد السبیل و الحمد لله علی ما عرفنا من حمده، و ألهما من شکره

الترجمه

حمد سپاس می کنم پروردگار را بجهت طلب تمامی نعمت او، و بجهت انقیاد و فرمانبرداری عزت آن، و بجهت طلب عصمت و محفوظی از معصیت آن، و طلب یاری می کنم از او بجهت فقر و حجابت بر غنا و کفایت آن بدرستی که گمراه نمی شود هر کسی که خداوند هدایت فرمود آن را، و نجات نمی یابد هر کسی که عداوت فرمود با آن، و محتاج نمی گردد هر کسی که کفایت فرمود آن را، پس بدرستی که خداوند راجح ترین چیز است که سنجیده می شود با میزان عقول کامله، و فاضل ترین چیزی است که مخزون گردد در خزانه قلوب صافیه، یا این که حمد خداوند ارجح چیزی است که موزون می شود در میزان اعمال، و أفضل چیز است که مذخور و مخزون می باشد بجهت لقاء حضرت متعال.

الفصل الثانی

اشاره

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة ممتحننا إخلاصها، معتقدا مصاصها، نتمسك بها أبدا ما أبقانا، و ندخرها لأهويل ما يلقانا، فإنها عزيزة الإيمان، و فاتحة الإحسان، و مرضات الرحمن، و مدحرة الشيطان، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله أرسله بالدين المشهور، و العلم المأثور، و الكتاب المسطور، و النور الساطع، و الضياء اللامع، و الأمر الصادع، إزاحه للشبهات، و احتجاجا بالبينات، و تحذيرا بالآيات، و تخويفا للمثلات.

ص: ۲۷۹

(المصاص) بضم الميم و الصّادين المهملتين الخالص من كلّ شيء و فى الحديث ليس لمصاص شيعتنا فى دوله الباطل إلاّ القوت و (الادّخار) افتعال من الدّخر و هو إعداد الشّء و اختياره لوقت الحاجة، و ادّخر يدّخر أصله اذ تخر قلبت التاء دالا مهمله و ادغمت، و قد يعكس فتصير ذالا معجمه، و هو الاقل و هذه قاعده كليه فى كلما اجتمع التاء و الذّال فى كلمه واحده كادّكر و نحوه و (أهاويل) جمع أهوال و هو جمع هول كأقاويل و أقوال و قول، يقال: هالنى الشّء يهول هولاً- من باب قال أفزعنى و (العزيمه) العقيده يقال: عزم على الشّء و عزمه عزما و عزما بالضم و عزيمة إذا عقد ضميره على فعله، و يحتمل أن يكون من العزم الذى هو الجدّ فى الأمر يقال: عزم عزيمة و عزمه اجتهد و جدّ فى أمره و منه قوله تعالى:

«إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ» أى معزومات الامور التى يجب أن يجدّ فيها، و أولوا العزم أولو الجدّ و الثبات و (المرضات) كالرضاء و الرّضوان مصدر من رضى عنه ضدّ سخط قال تعالى:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ».

(و المدحره) اسم فاعل من ادحره أى أبعده و منه أدحر عنى الشّيطان أى أبعده عنى و (العلم) ما يهتدى به و (المأثور) المنقول يقال، آثرت الحديث أثرا نقلته و الأثر بفتحيتين اسم منه، و حديث مأثور ينقله خلف عن سلف و (السّاطع) و (اللامع) بمعنى واحد و (الصّادع) الظاهر أو الفاصل أو الحاكم بالحقّ قال الفيروز آبادى:

قوله تعالى:

«فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ» أى شقّ جماعتهم بالتّوحيد أو اجهر بالقرآن أو اظهر أو احكم بالحقّ و افصل بالأمر أو اقصد بما تؤمر أو افرق به بين الحقّ و الباطل و (الازاحه) الازاله يقال:

أزاح الشيء عن موضعه أزاله ونَحَّاه و (المثلاث) بفتح الميم و ضمّ الثاء كالمثولات جمع المثلة بفتح الميم و ضمّ الثاء هي العقوبة التي يعتبر بها، من مثل بفلان مثلاً نكل، و مثل تمثيلاً بالتشديد للمبالغه، و من قال في الواحد مثله بضمّ و سكون الثاء قال في الجمع مثلات نحو غرفه و غرفات، و قيل: في جمعها مثلات كركبات بفتح الكاف قال في الكشاف في تفسير قوله تعالى:

«وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَاتُ».

أى عقوبات أمثالهم من المكذّبين فمالهم لم يعتبروا بها، و المثلة العقوبة بوزن السمره و المثلة لما بين العقاب و المعاقب عليه من المماثله:

«وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا».

يقال أمثلت الرجل من صاحبه أقطعته عنه، و المثل القصاص، و قرء المثلات بضمّتين و المثلات جمع مثله كركبه و ركبات انتهى.

الاعراب

كلمه لا- في قوله: أشهد أن لا- إله اه نافية للجنس، و يسمّى تبريه، و إله اسمها مبنى على الفتح، و اختلف في خبرها، فقيل: إنّه محذوف جرياً على ما هو الغالب من حذف خبرها إذا كان معلوماً، نحو لا فوت و لا ضير أى لا فوت لهم، و لا ضير علينا، و يلزمه أى حذف الخبر المعلوم التميميون و الطائيون.

و اختلف هؤلاء في المحذوف، فقيل إنّه موجود و يضعف بأنّه لا ينفي امكان إله معبود بالحقّ غيره تعالى، لأنّ الامكان أعمّ من الوجود، و قيل: ممكن و فيه أنّه لا يقتضى وجوده بالفعل، و قيل مستحقّ للعباده، و فيه أنّه لا يدلّ على نفى التعدّد مطلقاً و قال أبو حيان لنا أو في الوجود أو نحو ذلك، و يتوجّه عليه ما يتوجّه على ما تقدّمه، و قال الزّمخشري في جزء لطيف له على كلمه الشّهاده: هكذا قالوا:

و الصّواب أنّه كلام تامّ و لا حذف و أنّ الأصل الله إله مبتدأ و خبر كما يقول:

زيد منطلق، ثمّ جىء بأداه الحصر، و قدّم الخبر على الاسم و ركب مع لا كما ركب المبتدأ

معها في لا رجل في الدار، و يكون الله مبتدأ مؤخرا و إله خبرا مقدما، و على هذا يخرج نظائره نحو لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا علي انتهى، و نسبه الشهيد في الرّوضه إلى المحققين، و قال الموضح بعد نقله ذلك، قلت: و قد يرجح قوله بأنّ فيه سلامه من دعوى الحذف، و دعوى إبدال ما لا- يحلّ محلّ المبدل منه، و ذلك على قول الجمهور و من الاخبار عن النكره بالمعرفه، و عن العام بالخاص و ذلك على قول من يجعل المرفوع خبرا انتهى.

أقول: إنّ العقول بعد ما غرقت في تيار بحار معرفته سبحانه، و الافهام عجزت عن إدراك هويه حقيقته، و كذلك بعد ما تقاصرت الألباء و تحيرت الأدباء في تحقيق لفظه الجلاله الموضوعه لذاته المقدسه الجامعه لصفاته الكماله و نعوته الجماليه، فلا غرو أن يختلفوا بهذا الاختلاف في هذه الكلمه الطيبه المباركه، و يعجزوا عن ادراك معناها و نيل مغزاها، كيف و المقصود بها توحيد من لا يناله غوص الفطن و لا يدركه بعد الهمم.

و الذي يخطر بالخطر القاصر في هذا المقام أن يقال: إنّه لاخفاء في إفادتها التّوحيد و التّفريد.

أمّا عند العوام الذين أذهانهم خالصه عن الكدر، و غرايزهم صافيه عن مزاج الشّبه، فلظهور أنّ هذه الكلمه لو عرضت عليهم لما فهموا منها و لا- يتبادر إلى أذهانهم إلاّ أنّه ليس إله سوى الله سبحانه من دون أن يخطر ببالهم أن يكون هناك إله ممكن غير موجود أو إله غير مستحق للعبوديه، نظير أنّه لو قيل لهم: لا سيف إلاّ ذو الفقار لا يفهمون منه إلاّ انحصار السيف فيه من دون أن يحتملوا أن يكون هناك سيف ممكن في دائره العدم يصدق عليه أنّه سيف أيضا، و سرّ ذلك ما أشرنا إليه من صفاء خواطرهم عن التّشكيكات و الاحتمالات.

و أمّا عند من كان خاطره غير نقى عن الخطرات و البدوات و مألوف بالبراهين الحكيمه و الشكوكات العقليه البدويه، فلاّن له أن يقدر الخبر ممكن، و يجيب عن الاشكال الذي اورد عليه من أنّه لا يقتضى وجوده سبحانه بالفعل بأنّ هذه الكلمه

كلمه توحيد، و المقصود بها ليس إثبات الوجود بل إثبات التوحيد و نفى الشريك، و ذلك إنما هو بعد الفراغ عن ثبوت وجود وجوده بدليل آخر وراء هذه مسبوقة به، و يشهد به كلامه عليه السلام في الخطبه الأولى: أول الدين معرفته و كمال معرفته التصديق به، و كمال التصديق به توحيده، حيث جعل التوحيد تاليا للتصديق، و لازمه أن يكون التوحيد بعد الفراغ عن التصديق، و قد بينا هناك أن المراد بالتصديق هو الاذعان بوجوب الوجود، بل أقول: إن لفظه الجلاله على ما اتفق الكل عليه من وضعها للذات المستجمعه لجميع الصفات الكماليه يكون مؤداها على ذلك الذات بوصف الاستجماع، فيكون المعنى لا إله ممكن موجودا كان أو معدوما إلا الذات المستجمعه، و من الواضح أن الاستجماع لصفات الكمال فرع وجود المتصف بها بنفسه إذ لا يعقل أن يكون المعدوم متصفا بأمر موجود فضلا عن كونه جامعا لجميع الصفات الوجوديه، نعم يبقى هنا شيء، و هو أن الاستثناء على هذا التوجيه يشبه أن يكون منقطعاً، إذا المستثنى منه هو الاله الممكن، و المستثنى هو الله الواجب و الانقطاع في الاستثناء و إن كان خلاف الأصل إلا أنه لا ضير في المصير إليه بعد اقتضاء الداعي له هذا.

و يمكن أن يقدر الخبر موجود، و يجاب عن الاشكال السابق من أنه لا ينفي إمكان إله غيره تعالى، بأن نفى الوجود يستلزم نفى الامكان إذ لو اتصف فرد آخر بوجوب الوجود لوجد ضروره، فاذا لم يوجد علم عدم اتصافه به و ما لم يتصف بوجوب الوجود لم يمكن أن يتصف به لاستحاله الانقلاب بالضروره.

و هذا الجواب ذكره جمال الدين الخوانساري في حواشي الزوضه و ظاهره كما ترى يفيد أن المراد بالموجود الذي جعل خبراً هو الموجود بوجوب الوجود فيتوجه عليه حينئذ أنه لا ينفي الاله الموجود بالوجود الامكاني و إن أراد الأعم من الموجود بالوجوب و الموجود بالامكان فيعود الاشكال بأنه لا ينفي إمكان إله غيره و لا يتمشى الجواب بأن نفى الوجود يستلزم نفى الامكان إذ لا انقلاب على هذا التقدير حتى يستحيل كما هو واضح، فتأمل في هذا المقام جيداً فإنه من مزال الأقدام.

و وحده منصوب على الحاليه و لا يضرّ كونه معرفه لتأويله بالنكره أى متوحدا فالصّوره و إن كانت معرفه فهى فى التّقدير نكره على نحو و أرسلها العراڪ، أى معترکه، و قال: بعض النّحويين إنّه منصوب على المفعوليه و الفعل محذوف و الجمله حال، أى ينفرد وحده، و كيف كان فهى حال مؤكده لمضمون الجمله على حدّ زيد أبوك عطوفا، و يحتمل التّأسيس بأن يكون المراد بالجمله التّوحيد فى الذات، و بالحال التّوحيد فى الصّيفات، و جمله لا شريك له حال بعد حال، و هى تأكيد بعد تأكيد، و يحتمل التّأسيس: بأن يراد بها التّوحيد فى الافعال، و ممتحنا و معتقدا صفتان جاريتان لغير من هماله، و جمله نتمسك صفة أيضا، و جمله أرسله تحتمل الحاليه و الوصفيه، و إزاحه، و احتجاجا، و تحذيرا، و تخويفا منصوبات على المفعول لأجله.

المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام قرن حمد الله سبحانه بالشّهاده بتوحيده، فقال (و أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له) و هذه الكلمه أشرف كلمه نطق بها فى التّوحيد، و لذلك قال صلّى الله عليه و آله و سلّم فى مروى أبى سعيد الخدرى: ما قلت و لا قال القائلون قبلى مثل لا إله إلاّ الله.

و قد ورد لهذه الكلمه الطيبه فضائل كثيره فى أخبار أهل العصمه عليهم السّلام فقد روى الصّدوق فى كتاب التّوحيد باسناده عن أبى حمزه قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: ما من شىء أعظم ثوابا من شهادته أن لا إله إلاّ الله، لأنّ الله عزّ و جل لا يعدله شىء و لا يشركه فى الأمر احد، و فى الكافى، و ثواب الأعمال مثله.

و عن السّكونى عن أبى عبد الله جعفر بن محمّد عن أبيه عن آباءه عليهم السّلام، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله خير العباده قول لا إله إلاّ الله.

و عن أبى الطفيل عن على عليه السّلام قال: ما من عبد مسلم يقول: لا إله إلاّ الله، إلاّ صعدت تخرق كلّ سقف و لا تمرّ بشىء من سيّئاته إلاّ طلستها(1) حتّى ينتهى إلى

ص: ٢٨٤

مثلها من الحسنات فيقف، و عن الشيباني عن الرضا عن أبيه عن آباءه عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنّ لله عزّ و جلّ عموداً من ياقوته حمراء رأسه تحت العرش و أسفله على ظهر الحوت في الأرض السابعة السّفلَى فإذا قال العبد: لا إله إلاّ الله اهتزّ العرش و تحرك العمود و تحرك الحوت، فيقول الله تبارك و تعالى: اسكن يا عرشي فيقول: لا أسكن و أنت لم تغفر لقاتلها، فيقول الله تبارك و تعالى: اشهد و اسكن سمواتي اني قد غفرت لقاتلها.

و عن عبد السلام بن صالح أبي الصّلت الهروي قال: كنت مع عليّ بن موسى الرضا عليه السلام حين رحل من نيشابور و هو راكب بغله شهباء (١) و إذا محمّد بن رافع و أحمد بن حرب و يحيى بن يحيى و اسحاق بن راهويه و عدّه من أهل العلم قد تعلقوا بلجام بغلته في المربعه فقالوا: بحق آبائك الطاهرين حدّثنا بحديث قد سمعته من أبيك، فأخرج رأسه من العماريه و عليه مطرف خزّ ذو وجهين، و قال: حدّثني أبي عبد الصّالح موسى بن جعفر قال: حدّثني أبي الصّادق جعفر بن محمّد، قال: حدّثني أبي أبو جعفر محمّد بن عليّ باقر علم الأنبياء، قال: حدّثني أبي عليّ بن الحسين سيد العابدين، قال:

حدّثني أبي سيد شباب أهل الجنّه الحسين، قال: حدّثني أبي عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: قال «سمعت خ» النبيّ صلى الله عليه و آله يقول قال الله جلّ جلاله: إني أنا الله لا إله إلاّ أنا فاعبدوني، من جاء منكم بشهاده أن لا إله إلاّ الله بالاخلاص دخل حصني و من دخل حصني أمن من عذابي، و في روايه اخرى نحوه و في آخرها فلما مرّت الرّاحله نادانا بشروطها و أنا من شروطها.

قال الصّدوق (ره) من شروطها الاقرار للرّضا عليه السلام بأنّه إمام من قبل الله عزّ و جلّ على العباد مفترض الطاعه عليهم.

و في ثواب الأعمال عن أبي سعيد الخدرى عن النبيّ صلى الله عليه و آله قال: قال الله جلّ

ص: ٢٨٥

جلاله لموسى بن عمران عليه السلام: يا موسى لو أن السماوات و عامريهنّ عندى و الأرضين السّبع فى كفه و لا إله إلاّ الله فى كفه مالت بهن لا إله إلاّ الله، و مثله فى التّوحيد.

و عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: لقنوا موتاكم لا إله إلاّ الله فإنّها تهدم الذّنوب، فقالوا يا رسول الله: فمن قال فى صحّته، فقال صلّى الله عليه و آله ذلك أهدم و أهدم، إنّ لا إله إلاّ الله أنس للمؤمن فى حياته و عند موته و حين يبعث، و قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: قال جبرئيل: يا محمّد لو تراهم حين يبعثون هذا مبيض وجهه ينادى لا إله إلاّ الله و الله أكبر و هذا مسودّ وجهه ينادى يا ويلاه يا ثوراه.

و عن عبد الله بن الوليد رفعه قال: قال النّبى صلّى الله عليه و آله: من قال لا- إله إلاّ الله غرست له شجره فى الجنّه من ياقوته حمراء، منبتها فى مسك أبيض أحلى من العسل و أشدّ بياضا من الثلج و أطيب ريحا، فيها أمثال أئداء الأبقار تفلق (1) عن سبعين حلّه و فى الكافى مثله.

و الأخبار فى هذا الباب كثيره، و فى الاستقصاء إطاله، و فيما رويها كفايه إنشاء الله (شهاده ممتحنا إخلاصها) أى مختبرا كونها مخلصا، يعنى أنّه عليه السّلام اختبر قلبه فى إخلاص هذه الشّهاده فوجده عريا عن شبهه الباطل و خالصا عن شوائب الشّرك (معتقدا مخلصها) أى خالصها، يعنى أنّ هذه الشّهاده صادرة عن صميم القلب، و القلب مطابق فيها للسان و مدعن بخلصها، و بالجمله فى توصيف الشّهاده بهذين الوصفين إشارة إلى كونها فى مرتبه الكمال و أنّها خالصه مخلصه، و هذه المرتبه هى المطلوبه فى باب التّوحيد، و إلاّ فالشّهاده الصّادره عن محض اللسان إنّما تطهر جلد الانسان و لا يترتب عليها ثمره فى الآخره و أمّا الصّادره بالإخلاص فهى الشّهاده فى الحقيقه.

و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله فيما رواه فى التّوحيد عنه صلّى الله عليه و آله: رأيت أشهد أن لا إله إلاّ الله كلمه عظيمه كريمه على الله عزّ و جلّ، من قالها مخلصا استوجب

ص: ٢٨٦

الجَنَّةِ و من قالها كاذباً عصمت ماله و دمه و كان مصيره إلى النار.

و فيه أيضا عن زيد بن أرقم عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة و إخلاصه بها أن حجزه لا إله إلا الله عمّا حرّم الله، و رواه في ثواب الأعمال أيضا مثله.

و فيهما عن جابر عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله. أتاني جبرئيل بين الصّيف و المروه فقال يا محمّد: طوبى لمن قال من أمّتك لا إله إلا الله وحده مخلصا.

و في الكافي عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث، من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا وجبت له الجنّة، قال: قلت له:

إنّه يأتيني من كلّ صنف من الأصناف أفأ روى هذا الحديث؟ قال: نعم يا أبان إنه إذا كان يوم القيامة و جمع الله الأولين و الآخريين فتسلب لا- إله إلا- الله منهم إلا- من كان على هذا الأمر و المراد بسلبها منهم عدم نفعها لهم، لكون الولاية شرطا في التّوحيد كما مرّ في روايه الرّضا عليه السّلام من قوله: بشروطها و أنا من شروطها (نتمسك بها أبدا ما أبقانا و ندّخرها لأهويل ما يلقانا) لأنّها انس للمؤمن في حياته و في مماته و حين يبعث كما مرّ في روايه ثواب الأعمال، فهي أعظم ذخيره لأهوال الآخرة و شدايدها.

و قد مرّ في روايه ثواب الأعمال و التّوحيد: قوله تعالى لموسى بن عمران:

لو أن السّماوات و عامريهنّ عندى و الأرضين السّبع فى كفّ و لا إله إلا الله فى كفّ مالت بهنّ لا إله إلا الله، فأىّ ذخيره تكون أعظم منها ثمّ علّل عليه السّلام التّمسك و الادّخار بامور أربعه أولها ما أشار إليه بقوله عليه السّلام: (فأنّها عزيمة الايمان) أى عقيدتها و ممّا يجب للمؤمن أن يعقد قلبه عليها، أو أنّها معزومه الايمان بمعنى أنّها ممّا ينبغى أن يجدّ فيها و يجتهد حسبما اشير إليه فى بيان لغتها.

الثانى قوله عليه السّلام: (و فاتحه الاحسان) أى ابتداء الاحسان و أوله، و إضافته إليه من قبيل اضافه الجزئى إلى الكلّ، مثل فاتحه الكتاب، فيكون مصدرا بمعنى الفتح كالكاذبه بمعنى الكذب، و على هذا فالمراد بالاحسان هو التّوحيد و اصول الشريعة و يدلّ على صحّحه إطلاقه بذلك ما رواه فى التّوحيد عن موسى بن اسماعيل بن موسى ابن جعفر قال: حدّثنى أبى عن جدّه جعفر بن محمّد عن أبيه عن آباءه عن عليّ عليهم السّلام فى قول الله عزّ و جلّ:

«هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ» قال: عليّ عليه السّلام: ما جزاء من أنعمت عليه بالتّوحيد إلا الجنّه هذا، و يحتمل أن يكون الفاتحه وصفا من الفتح ضدّ الغلق فالإضافه لأمّيه، و هذا هو الأظهر و المعنى أنّ الشّهاده باعثه لفتح أبواب الاحسان و الانعام و أنّها مفتاح لها، إذ بها يستحقّ العبد للفيوضات الأبدية و النعم السرمدية.

و يدلّ عليه مضافا إلى الأخبار السالفه ما رواه فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السّلام من قال لا إله إلا الله مخلصا طمست ذنوبه كما يطمس الحرف الأسود من الرّيق الأبيض، فاذا قال ثانيا لا إله إلا الله مخلصا خرق أبواب السّماء و صفوف الملائكه حتى يقول الملائكه بعضها لبعض اخشعوا لعظمه أمر الله، فاذا قال ثالثه مخلصا لا إله إلا الله لم تنته دون العرش فيقول الجليل: اسكتى فوعزّتى و جلالى لأغفرنّ لقائلك بما كان فيه، ثمّ تلا هذه الآية:

«إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ».

يعنى إذا كان عمله خالصا ارتفع قوله و كلامه هذا، و ظهر لى معنى ثالث و هو أن يكون المصدر بمعنى الفاعل و يكون المراد أنّها ابتداء كون الرّجل محسنا مقابل كونه مسيئا.

الثالث قوله عليه السّلام: (و مرضات الرّحمن) و ذلك واضح لأنّها محصّله لمرضاته «ج ١٨»

تعالى و رضائه و رضوانه و معدّه للخلد فى جنانه.

الزّابع قوله عليه السّلام: (و مدحره الشّيطان) و ذلك أيضا واضح لأنّ مقصود اللّعين هو الاضلال و الاغواء و الكفر، و الشّهاده بالاخلاص زاجره له و كاسره «قاصمه خ ل» لظهره و رافعه لكيده و مكره، و لذلك أنّ اللّعين بعد ما قال:

«فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ».

عقبه بالاستثناء بقوله:

«إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ».

و فى عدّه الدّاعى لأحمد بن فهد الحلّى قال: و قد روى عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله على كلّ قلب جاثم (١) من الشّيطان، فإذا ذكر اسم الله خنس (٢) الشّيطان و ذاب و إذا ترك الذاكر التّقمه فجذبه و أغواه و أستزّله و أطغاه.

و فى حديث آخر أنه قال الشّيطان على قلب ابن آدم له خرطوم مثل خرطوم الخنزير يوسوس لابن آدم ان أقبل على الدّنيا و ما لا يحلّ الله فإذا ذكر الله خنس: اى ذهب و استتر (و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله) عقب عليه السّلام الشّهاده بالتّوحيد بالشّهاده بالرّساله أمّا أولا فلأنّ مرتبه الرّساله تاليه لمرتبه التّوحيد كما أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله ثانى الموجودات فى الموجوديه و إن كان الأوّل تعالى لا ثانى له فى الوجود فينبغى أن يكون الشّهاده برسالته عقب الشّهاده بالتّوحيد طباقا لما هو الواقع.

و أمّا ثانيا فلأنّ المقصود من الخلق هو العرفان و إخلاص التّوحيد و السّلموك إلى الله و لا بدّ للسالك من دليل يدلّ عليه و هاد يستهدى به و مبلغ يصدّق بقوله و يقرّ برسالته، فلا بدّ من اقتران التّصديق بالرّساله بالتّصديق بالوحدانيه كى يتوصل به إليه و يسلك به مسالكه، إذ النّبىّ صلّى الله عليه و آله موصل إليه و باب له و فاتح لمغلقات مراتب

ص: ٢٨٩

١- (١) جثم يجثم لزم مكانه فلم يبرح و فى المصباح جثم الطائر و الارنب يجثم جثوما و هو كالبروك من البعير مجمع البحرين
٢- (٢) اى تراجع و تاخر، اللغه

التوحيد، ووجوده صَلَّى اللهُ عليه وآله يحصل المعرفة التامة و يكمل الاخلاص التام.

و أما ثالثاً فلائته سبحانه قد قارن بين كلمتي التوحيد و الرساله و كتب لا إله إلا الله و محمد رسول الله بخطوط النور على ساق العرش و طبقات السماء و أقطار الأرضين و صفحتي الشمس و القمر، كما يستفاد من الأخبار، فينبغي المقارنه في شهادتهما اقتفاء لما قد جرى عليه القلم الزباني و سطور النور، و أما فضل الجمع بينهما فقد روى في الكافي عن أبي عبيده الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام، قال: من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله كتب الله له ألف حسنه.

و في ثواب الأعمال عن بشر الأوزاعي عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: من شهد أن لا إله إلا الله و لم يشهد أن محمدا رسول الله كتبت له عشر حسنات، فان شهد أن محمدا رسول الله كتبت له ألفي حسنه.

و عن سهل بن سعد الأنصاري قال سألت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله عن قول الله عزّ و جلّ:

«وَمَا كُنْتُمْ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا».

قال كتب الله عزّ و جلّ قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس أنبته ثم وضعها على العرش، ثم نادى يا أمه محمّد إنّ رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني و غفرت لكم قبل أن تستغفروني فمن يلقي «لقيني خ ل» منكم يشهد أن لا إله إلا أنا و أنّ محمدا عبدي و رسولي أدخلته الجنة برحمتي.

و في عدّه الداعي لأحمد بن فهد الحلّي عن الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله من سرّه أن يلقي الله يوم القيامة و في صحيفته شهاده ان لا- إله إلا-الله و أنّ محمدا رسول الله و يفتح له ثمانية أبواب الجنة فيقال له يا وليّ الله ادخل الجنة من أيها شئت فليقل إذا أصبح و إذا أمسى:

«اكتبنا بسم الله الرحمن الرحيم أشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، و أشهد أن الساعه اتيه لا ريب فيها، و أن الله يعث من فى القبور على ذلك أحيى و على ذلك أموت و على ذلك أبعث حيا إنشاء الله، اقرء محمدا منى السلام، الحمد لله الذى أذهب الليل مظلما بقدرته، و جاء بالنهار مبصرا برحمته، خلقا جديدا مرحبا بالحافظين» و يلتفت عن يمينه «و حيا كما الله من كاتبين» و يلتفت عن شماله هذا.

و أما تسميه النبى صلى الله عليه و آله بمحمد فأول من سماه بذلك الاسم هو الله سبحانه كما يدل عليه حديث عرض الاشباح لآدم عليه السلام حيث قال سبحانه له: هذا محمد و أنا الحميد المحمود فى فعالى شققت له اسما من اسمى، و قد مرّ بتمامه فى ثانى تنبيهات الفصل الحاد يعشر من فصول الخطبه الاولى، ثم سماه عبد المطلب بذلك يوم سابع ولادته إلهاما منه سبحانه و تفعالا- بكثره حمد الخلق له، لكثرة خصاله الحميده، و قد قيل لم سميت ابنك محمدا و ليس من أسماء آبائك و لا قومك؟ فقال: رجوت أن يحمد فى السماء و الأرض، و قد حقق الله رجائه، و فى الوسائل عن كشف الغمه عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام عن ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامة نادى مناد ألا ليقم كل من كان اسمه محمدا فليدخل الجنة بكرامه سميته محمد صلى الله عليه و آله.

و فى الكافى عن أبى عبد الله عليه السلام قال: لا يولد لنا ولد إلا سميناه محمدا، فاذا مضى سبعة أيام فان شئنا غيرنا و إلا تركنا هذا.

و قد ورد الأخبار المتظافره بل المستفيضه فى استحباب التسميه بذلك الاسم المبارك، و روى له خواص كثيره من أراد الاطلاع عليها فليراجع إلى أبواب أحكام الأولاد فى كتب الأخبار.

و أما تقديم وصف العبوديه على الوصف بالرساله فى كلمه الشَّهاده، فلأن مقام العبوديَّه متقدِّم على مرتبه الرِّساله كما يشهد به ما رواه فى الكافى عن زيد الشحام، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السَّلام يقول: إن الله تبارك و تعالى اتخذ إبراهيم عبدا قبل أن يتَّخذه نبيا و إن الله اتخذهُ نبيا قبل أن يتَّخذه رسولا، و إنَّ الله اتَّخذه رسولا قبل أن يتَّخذه خليلا، و إنَّ الله اتَّخذه خليلا قبل أن يجعله إماما فلما جمع له الأشياء «قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً» قال فمن عظمها فى عين ابراهيم:

«قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» قال لا يكون السِّفيه إمام التَّقى، و مثله أخبار اخر و يأتى تحقيق الكلام فيها عند الكلام على مسأله الامامه فى مواضعها اللايقه إنشاء الله.

ثم أشار عليه السَّلام إلى تعظيم الرِّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بما جاء به فقال (أرسله بالدين المشهور) أى بين الامم الماضيه و القرون الخاليه (و العلم المأثور) توكيد لفقره الاولى و أشار به إلى كون ذلك الدين علما يهتدى إلى حظيره القدس التى يطلب السِّلوك إليها، و كونه مأثورا إشاره إلى كون ذلك الدين مختارا على ساير الأديان، أو أنه مأثور منقول من قرن الى قرن و يهتدى به قوم بعد قوم (و الكتاب المسطور) بقلم النُّور على اللُّوح المحفوظ قبل وجود الأنفس و الآفاق، و المكتوب على الأوراق و الصِّفحات بعد تلبسه بلباس الحروف و جلباب الأصوات (و النُّور الساطع و الضياء اللامع) يحتمل أن يكون المراد بهما الكتاب فيكون العطف للتوكيد قال تعالى:

«قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» فهو نور عقلى ينكشف به أحوال المبدأ و المعاد و يتراءى منه حقايق الأشياء و ضياء يهتدى به فى ظلمات برِّ الأجسام و بحر النَّفوس، و يظهر به للسالكين إلى الدَّار

الأخرى طريق الجنه و النور، و يحتمل أن يكون المراد علم النبوه فأنه نور مقتبس من الوحي الالهى يتنور به فى ظلمات الجهاله، و ضياء يستضاء به فى مفاوز الضلاله (و الأمر الصادع) أى الظاهر أو الفارق بين الحق و الباطل أو الحاكم بالحق و فيه تلميح إلى قوله تعالى:

«فَأَصْدَعُ بِمَا تُؤْمَرُ» ثم أشار عليه السلام إلى دواعى البعته و ما هو المقصود بالرّساله فقال عليه السلام:(ازاحه للشبهات) أى أرسله صلى الله عليه و آله إزاله للشبهات الباطله و الشكوكات الفاسده (و احتجاجا بالبينات) أى بالمعجزات القاهره و البراهين الساطعه (و تحذيرا بالآيات) أى إنذارا بالآيات القرآنيه و الخطابات الشرعيه و يحتمل أن يكون المراد بالآيات العقوبات التنازله بالعصاه التى هى علامه القهر و القدره و فيها عبره للمعتبرين كما قال تعالى:

«وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ» و قال: «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ» و على هذا الاحتمال فيكون عطف قوله:(و تخويفا للمثلات) عليه من قبيل العطف للتوكيد، أى تخويفا بالعقوبات الواقعه بأهل الجنائيات، هكذا فسير الشارحان البحرانى و المعتزلى هذه الفقره، الأول تصرّيحاً و الثانى تلويحاً، و لكنه خلاف الظاهر، لأنه قال عليه السلام: للمثلات و لم يقل: بالمثلات، و الأظهر عندى هو أنّ المراد بها التمثيل و التّكليل بجذع الأنف و قطع الأذن و نحوهما ممّا كان شعاراً فى الجاهليّه، و قد نهى رسول الله صلى الله عليه و آله عنه و خوف له، كما يدلّ عليه وصيّته الآتيه فى الكتاب للحسن و الحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم: يا بنى عبد المطلب لا الفينكم تخوضون دماء المسلمين خوفا تقولون: قتل أمير المؤمنين ألا لا تقتلن

لی إلی قاتلی: انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربه بضربه و لا یمثل بالرجل فانی سمعت رسول الله صلی الله علیه و آله یقول: إیاکم و المثله و لو بالکلب العقور.

و فی الکافی باسناده عن إسحاق بن عمّار قال قلت لأبی عبد الله علیه السلام إنّ الله یقول فی کتابه:

«وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوِیئِهِ سُلْطَانًا فَلَا یُسْرِفُ فِی الْقَتْلِ» ما هذا الاسراف الذی نهی الله عنه؟ قال: نهی أن یقتل غیر القاتل أو یمثل بالقاتل الحدیث، و الأخبار فی هذا الباب کثیره، و لعلنا نشیر إلى بعضها عند شرح الوصیه الآتیه إن ساعدنا التوفیق إن شاء الله.

الترجمه

و شهادت می دهم باین که نیست هیچ معبودی بجز ذاتی که مستجمع است جمیع صفات کمالیه را در حالتی که منفرد است در صفات و در حالتی که شریک نباشد او را در افعال و مصنوعات، شهادتی که آزموده شده باشد اخلاص او و اعتقاد کرده باشد خاص و خالص او، هم چنان شهادتی که تمسک می کنیم به آن همیشه مادامی که باقی گذاشته است خداوند سبحانه ما را در دار دنیا ذخیره می سازیم آنرا بجهت هولهایی که ملاقات میکند ما را در دار اخری، پس بتحقیق آن شهادت عقیده ایمان است که باید مؤمن عقد قلب به آن نماید و جدّ و جهد در آن بجا آورد و اوّل احسان است و یا این که گشاینده نعمت های ابدی و فیوضات سرمدی است و خشنود کننده خداوند رحیم است و طرد کننده شیطان رحیم، و شهادت می دهم به این که محمّد بن عبد الله صلوات الله و سلامه علیه و آله بنده پسندیده خداست و پیغمبر فرستاده او، و در حالتی که فرستاده او را با دین و شریعتی که مشهور است و با علم نبوتی که مأثور است یعنی اختیار شده بر سایر دین ها یا این که نقل می شود از قرنهای بقرنها، و با کتابی که نوشته شده است بر صحایف و اوراق و بر

لوح محفوظ پیش از وجود انفس و آفاق و با نور درخشنده و با روشنی تابنده و با امری که ظاهر است، یا این که فاصل است میان حق و باطل فرستادن آن بجهت زائل کردن و محو نمودن شبهه های باطله است و شکوکات فاسده، و از جهت حجه آوردن بر مردمان با معجزات قاهره و براهین ظاهره و از برای ترسانیدن به آیه های قرآنی و خطابات فرقانی و بجهت ترسانیدن از برای تمثیل ها و تنکیلهای که از شعار جاهلیت بود، و آن عبارتست از این که جنایت بزنند بر مرد با چیزی فطیع از بریدن گوش یا دماغ و مثل آنکه باعث شهرت و جاری مجرای مثل بوده باشد چنانکه در حق حمزه سید الشهداء نمودند.

الفصل الثالث

اشاره

و التماس فی فتن انجذم فیها جبل الدین، و تزعزت سواری الیقین، و اختلف التجر، و تشتت الأمر، و ضاق المخرج، و عمی المصدر، فالهدی خامل، و العمی شامل، عصی الرحمن، و نصر الشیطان، و خذل الإیمان، فانهارت دعائمه، و تنكرت معالمه، و درست سبله، و عفت شرکه، أطاعوا الشیطان فسلکوا مسالکه، و وردوا مناھله، بهم سارت أعلامه، و قام لواؤه، فی فتن داستهم بأخفافها، و وطئتهم بأظلافها، و قامت علی سنابکها، فهم فیها تايهون، حائرون، جاهلون، مفتونون، فی خیر دار و شرّ جیران، نومهم سهود، و كحلهم دموع، بأرض عالمها ملجم، و جاهلها مکرم.

اللغه

(الفتن) جمع الفتنه و هی الحیره و منه بأيکم المفتون و إعجابک بالشیء

و الضلال و الاثم و الكفر و الفضيحة و العذاب، و إذابه الذهب و الفضة. و الاضلال و الجنون و المحنة و المال و اختلاف الناس في الاء و أكثر المعاني مناسب للمقام و (انجذم) انقطع و (الززع) تحريك الريح الشجره، و تززع تحرك و (السواري) جمع الساريه و هي الاسطوانه و (النجر) بفتح النون كالنجر و النجار بالكسر و الضم الأصل و (الخامل) الساقط يقال خمل الرجل خمولا من باب قعد فهو خامل أى ساقط لانباهه له مأخوذ من خمل المنزل إذا عفا و درس و (انهارت) أى سقطت و (الدعائم) جمع الدعامة بالكسر ما يستند إليه الحائط و نحوه إذا مال و يمنعه من السقوط و (التنكر) التغير عن حال تسرك إلى حال تكرها و (المعالم) جمع معلم كمقعد مظهره الشيء و ما يستدل به عليه و (الشرك) من الطريق بضمتين جواده أو الطرق التي لا نخفى عليك و لا تستجمع لك مفردا شركه و (المناهل) جمع المنهل و هو المشرب و (الدوس) الوطىء بالرجل و (السنايك) جمع السنبك طرف الحافر و (التايهون) جمع التايه و هو الضال و (السهود) كالشهد الأرق.

الاعراب

قوله عليه السلام: و الناس في فتن، يحتمل أن يكون الجملة حالیه و العامل أرسله و هو الأظهر و يحتمل أن يكون استينافیه و الناس مرفوع بالابتداء، و في فتن متعلق بمقدر خبر له، و قوله عليه السلام في فتن داستهم، يحتمل أن يكون متعلقا بقوله:

سارت أعلامه و قام لواؤه، و يحتمل أن يكون خبرا بعد خبر للناس، و قوله:

فهم الفاء تفريعیه، و قوله: في خير دار يحتمل أن يكون الجار متعلقا بقوله: مفتونون أو ما قبله من الأوصاف، و يحتمل أن يكون خبرا ثالثا للناس، و قوله: بأرض عالمها ملجم يحتمل أن يكون متعلقا بما تعلق به قوله في خير دار، و يحتمل أن يكون خبرا رابعا.

المعنى

إشارة

اعلم أنك قد عرفت أن الجملة أعنى قوله عليه السلام (و الناس في فتن) يحتمل أن يكون حالیه و على ذلك فالمراد بالناس هو أهل زمان البعثة و المراد بالفتن فتن

العرب في الجاهلية، و يحتمل أن يكون مستأنفه و عليه فالجمله مسوقه لذمّ أحوال أهل زمانه عليه السّلام فيكون المراد بالفتن فتن بنى اميّه و معاويه عليه الهاويه و على الاحتمال الأوّل فمعناه أنّه سبحانه أرسل النّبىّ صلّى الله عليه و آله و بعثه و الحال أنّ النّياس يومئذ كانوا فى ضلالات و تشتت آراء، و اختلاف أهواء (انجذام) أى انقطع (فيها) أى فى تلك الفتن (حبل الدّين) و انفصمت عروه الشّرع المبيّن و تشبيهه الدّين بالحبل من جهة أنّ المعتصم به مأمون إذ هو حبل الله سبحانه و قد أمر الله بالاعتصام به حيث قال:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا» أى تمسكوا بدين الله أو بالقرآن أو بأهل البيت عليهم السّلام كما فى الأخبار الكثيره، قال فى الكشّاف عند تفسير الآية قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلات لاستظهاره به و وثوقه بحمايته بامسك المتدلى من مكان مرتفع بحبل و ثيق يأمن انقطاعه، و أن يكون الحبل استعاره لعهد و الاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعاره الحبل بما يناسبه، و المعنى و اجتمعوا على استعانتكم بالله و وثوقكم به و لا- تفرّقوا عنه أو و اجتمعوا على التمسك بعهد و هو الايمان و الطاعه أو بكتابه لقوله عليه السّلام: القرآن حبل الله المتين لا تنفضى عجائبه و لا يخلق من كثرة الرّد من قال به صدق و من عمل به رشد و من اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم انتهى.

و بالجمله الدّين هو حبل الله المتين، و ذكر الانجذام من قبيل ترشيح التشبيه و المراد بذلك الانجذام هو انحراف الخلق عن الحقّ و عدم تمسكهم به و عدولهم عن سواء السبيل (و تزعزعت) أى تحرّكت و اضطربت (سوارى اليقين) أى دعائمه و اسطواناته، و المراد باليقين هو الحقّ و العقائد اليقينية و اضطراب دعائمه كناية عن عدم استقامه النّاس عليه و تزلزل عقايدهم، أو كناية عن موت أهل الدّين الذين كان

بهم قوامه و انقراض العاملين الذين لم يأخذهم في الله لومه لائم (و اختلف النجر) أى الاصل الجامع للخلق و هى الفطره التى فطر الناس عليها (و تشتت الأمر) أى تفرق أمر الدين بتفرق الأهواء و تشتت الآراء (و ضاق) للخلق بعد تورطهم فى فتن الشبهات و اقتحامهم فى الهلكات (المخرج) منها (و عمى) عليهم (المصدر) أى طريق الصدور عنها و الخلاص منها.

و إسناد العميالى المصدر من باب المجاز العقلى و الاسناد إلى المحل إذ العمى فى الحقيقه صفه البصر و المراد به هنا فقد البصيره تشبيها للمعقول بالمحسوس فكما أنّ فاقد البصر لا يهتدى إلى مقاصده المدرکه بحسّ البصر فكذلك انتفاء البصيره يوجب الضلاله عن طريق الحقّ و العجز عن الوصول إلى الواقع (فالهدى شامل) أى أعلام الهدايه بينهم حال عماهم عن المصدر ساقطه و مندرسه و أنوار الدرايه منكسفه و منطمسه (و رين (العمى شامل) عليهم أى غشاوه الضلاله محيطه بقلوبهم فهم مشتركون فى تورط الشبهات مغتمرون فى ظلم الجهالات (عصى الرّحمن) بخمول الهدى (و نصر الشيطان) بشمول العمى و اتباع الهوى (و خذل الايمان) بانفصام عروته الوثقى.

(و) لأجل خذلانه و اضطراب قواعده و أركانه (انهارت دعائمه) و سقطت سواريه (و تنكرت معالمه) و تغيرت آثاره و دعائم الايمان و معالمه كناية عن حمله الدين و دعاه الحقّ، و انهيارهم كناية عن عدم قبول قولهم، و تنكرهم إشاره إلى عدم معرفه الخلق لهم لقلتهم (و درست سبله) و طرقة (و عفت شرکه) و جواده فلم يبق له سبيل يوصل إليه و لا جادّه سالكه اليه، و هذا كله مبالغه فى ضعف الايمان و وهن الدّين (أطاعوا الشيطان) بمخالفه الاوامر و التّواهى و إتيان المعاصى و المناهى (فسلكوا مسالكه) و اتبعوا آثاره (و وردوا مناهله) و شربوا من عيون ضلالته (بهم سارت أعلامه و قام لواؤه) و قوى شوكته و استحکم خبائله حيث كانوا من جنوده معاونين له شركاء معه ساعين فى إطفاء نور الهدايه و إعلاء لواء الضلاله

(فى فتن) و الظاهر أنّ المراد بهذه الفتن غير ما سبق أولاً (١) إذ النكره إذا اعيدت كانت غير الاولى، و على تقدير تعلقه بقوله سارت فالمغايره أظهر، و شبه عليه السد لام هذه بأنواع الحيوان فاستعار لها أخفافا و أظلافا و حوافر و قال (داستهم) أى وطأتهم (بأخفافا، و وطأتهم بأظلافا، و قامت على سناكبها) أى أطراف حوافرها.

قال الشارح البحرانى و يحتمل أن يكون هناك إضممار، أى داستهم بأخفاف إبلها و وطأتهم بأظلاف بقرها و قامت على سناكبك خيلها، فحذف المضاف و اقيم المضاف إليه مقامه و حينئذ يكون التجوز فى نسبة الوطى و الدوس و القيام إليها فقط و هو المجاز فى الاسناد.

و كيف كان (فهم فيها) أى فى هذه الفتن (تائهون) ضالون عن القصد (حارين) متحIRON فى أن الصواب فى أى وجه ما لهم (٢) قبله و لا-دبره (جاهلون) غير عالمين بالحق، مفتونون بالفتن العمياء الصماء (٣) (فى خير دار) و هو مكّه زادها الله شرفا (و شرّ جيران) يعنى قريشا.

قال الشارح المعتزلى و هذا لفظ النبىّ صلى الله عليه و آله حين حكى بالمدينه حاله كانت فى مبدء البعثه، فقال: كنت فى خير دار و شرّ جيران (نومهم سهود، و كحلهم دموع) صفتان للجيران، قال المعتزلى: هو مثل أن يقول جودهم بخل و أمنهم خوف، أى لو استتمهم محمد صلى الله عليه و آله التوم لجادوا عليه بالسّهود عوضا عنه، و لو استجداهم الكحل لكان كحلهم الذى يصلونه به الدموع (بأرض عالمها) أى العارف بصدق محمد صلى الله عليه و آله و المؤمن به (ملجم) بلجام الخوف و التقيه (و جاهلها) أى الجاحد لنبوته و المنكر له (مكرم) بكرامه العزّ و المكنه.

ص: ٢٩٩

١- (١) من قوله و الناس فى فتن، منه.

٢- (٢) يقال ماله قبله و لا دبره أى لا يهتد الى وجه امره، قاموس.

٣- (٣) يقال فتنه عمياء صماء أى لا يرى منها مخرجا او المراد بها صاحبها يقع فيها على غير بصيره فيعمون فيها و يصمون عن تأمل الحق و استماع النصيح، مجمع البحرين.

كلّ ما ذكرناه فى معنى هذا الفصل قد أشرنا سابقا إلى أنّه مبنى على كون قوله: و النَّاسِ فى فتن جملته مسوقه لبيان حال ابتداء البعثه، و أمّا على الاحتمال الآخر، و هو كونه جمله استينافيه مسوقه لبيان حال أهل زمانه حسبما استظهره جمع من الشّراح و منهم الشّرح البحرانى حيث قال: و اعلم أنّ الذى يتبادر إلى الدّهن أنّ هذا القدر الذى أوردّه السيّد من هذه الخطبه فصول ملفقه ليست على نظامها التى خرجت عليه مع ما يفهم من ساير عباراته أيضا فيكون المراد بالفتن الفتن الحادّته بعد زمن النّبى صلّى الله عليه و آله و هى فتن معاويه و أصحاب الجمل و غيرها.

و على هذا الاحتمال فالمراد بالدّين فى قوله جبل الدّين دين النّبى صلّى الله عليه و آله، و بالتّجر هو الفطره الاصلية التى كانت متّفقا عليها بوجود الرّسول و اختلفت بعده فسلك كلّ فرقه مسلكا غير مسلك الفرقة الاخرى، و بقوله: أطاعوا الشّيطان الاطاعه له بعده لهم عن الحقّ و بغيهم عليه عليه السّلام و خروجهم إلى حربته و قتالهم معه عليه السّلام، و بقوله: تائبون حائرون، أنّهم متردّدون فى أنّ الحقّ مع عليّ عليه السّلام أم مع غيره.

و قوله: فى خير دار و شرّ جيران اختلف فيه الشّارحون، فقال الرّاوندى على ما حكاه عنه فى شرح المعتزلى: إنّ خير دار الكوفه و قيل الشّام لأنّها الأرض المقدّسه و أهلها شرّ جيران يعنى أصحاب معاويه و على التفسير الأوّل يعنى أصحابه قال: و قوله: نومهم سهود يعنى أصحاب معاويه لا ينامون طول اللّيل بل يرتبون أمره و إن كان وصفا لأصحابه بالكوفه و هو الأقرب، فالمعنى أنّهم خائفون يسهرون و يبكون لقله موافقتهم إياه و هذا شكايه منه عليه السّلام لهم، و كحلهم دموع: أى نفاقا فأنّه إذا تمّ نفاق المرء ملك عينيه. و الأقوال الاخر مفضّله فى شرح البحرانى فلتطلب منه.

الترجمه

حق سبحانه و تعالى ارسال فرمود حضرت رسالت پناه صلوات الله عليه و آله را

و حال آنکه مردمان افتاده بودند در فتنه های جاهلیت از کفر و ضلالت و تفرق رأی ها و اختلاف خواهشات، چنان فتنه هایی که بریده شده بود در آن فتنه ها ریسمان متین دین مبین، و مضطرب شده بود ستون های یقین، و مختلف شده بود اصل دین ایشان، و متفرق گشته بود کار اسلام و ایمان، و تنگ شده بود بر ایشان محل خارج شدن از آن فتنه ها، و کور شده بود بر آنها محل مراجعت از آنها، پس نور هدایت در میان ایشان خاموش است، و کوری بر همه ایشان عام و شامل است، معصیت کرده شده است خداوند و دود، و یاری داده شده است ابلیس مطرود، و خوار گذاشته شده است ایمان و طاعت حضرت معبود، پس سرنگون شد ستونهای ایمان، و تغییر یافت آثار آن، پس محو شد راه های آن، و زایل گشت جاده های آن، اطاعت و فرمانبرداری کردند شیطان را، پس رفتند در راههای ضلالت آن و آشامیدند از چشمه های شقاوت آن، به اعانه ایشان سیر نمود علم های آن و راست ایستاد رایت کفر آیت آن، در فتنه هایی که پایمال کرد ایشان را با پاپوش های خود همچو شتران، و لگدکوب کرد ایشان را با ناخن های خود مثل کاوها، و راست ایستاد بر آنها بر طرف سم های خود مثل اسب ها، پس ایشان در آن فتنه ها سرگردانند متحیرانند نادانانند فریفته کانند، در بهترین سرا که مکه معظمه است و بدترین همسایه ها که کفار قریش است، همچنان همسایه هائی که خواب ایشان بیخوابی است، و سرمه ایشان اشکهای جاریست، در زمینی که دانای آن لجام کرده شده است با لجام خوف و خشیت، و نادان آن اکرام کرده شده است به انواع عزت و کرامت.

اشاره

و هم موضع سرّه، و لجاء أمره، و عيبه علمه، و موئل حكمه، و كهف كتبه، و جبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، و اذهب ارتعاد فرائصه.

اللغه

(اللجاء) محرّكه كالملجأ الملاذ من لجأ إليه كمنع و فرح لاذ و (العيبه) ما يجعل فيه الثياب و من الرّجل موضع سرّه و (الموئل) المنجأ من وئيل إليه يئيل وئلا و وؤلا و وئلا و وائل موائله و وئالا لجأ و خلص و (الكهف) غار واسع فى الجبل فان كان صغيرا قيل له الغار و البيت المنقور فى الجبل، و فلان كهف لأنّه يلجأ إليه كالبيت على الاستعاره و (الانحناء) الاعوجاج و (الارتعاد) الاضطراب و (الفرايص) جمع الفريصه و هى اللحمه بين الجنب و الكتف لا تزال ترتعد.

الاعراب

الضمائر الثمانيه راجعه إلى محمّد صلى الله عليه و آله كما مرّ ذكره فى أوائل الخطبه، و هذا هو الأظهر بقريته المقام و الاوفق بنسق أجزاء الكلام، و استبعاده فى كتبه لا وجه له بعد امكان التّأويل القريب حسبما نشير إليه.

وقيل: برجوع الجميع إليه إلاّ الأخيرين فإنّهما راجعان إلى الدّين و هو غير بعيد بل أنسب معنى.

وقيل: إنّ الجميع راجع إليه إلاّ فى كتبه، و قيل: برجوع الجميع إلى الله إلاّ الأخيرين فإنّهما للنبيّ صلى الله عليه و آله، و هذان و إن كانا سالمين عن التّأويل إلاّ أنّ فيهما خروج الكلام عن النّسق كما فى السابق عليهما و هو ظاهر.

المعنى

اشاره

اعلم أنّه عليه السّلام قد وصف آل محمّد عليهم السّلام بثمانيه أوصاف إشاره إلى علوّ مقامهم و سموّ مكانهم و رفعه درجاتهم و عظمه شؤوناتهم، و المراد بآله صلى الله عليه و آله هم

الأئمة المعصومون سلام الله عليهم أجمعين حسبما تعرفه مفضّلاً إن شاء الله في موقعه المناسب.

و من العجب العجاب أن الشّارح البحراني (ره) جعل الأمور المذكوره أوصافاً لأهل النّبىّ صلّى الله عليه وآله الأديين من بنى هاشم كالعباس و حمزه و جعفر و عليّ ابن أبي طالب عليهم السّلام.

أقول: أمّا عليّ عليه السّلام فمسلم و أمّا العباس و حمزه و جعفر و نظراؤهم من ساير بنى هاشم فأين لهم قابليته لحفظ سرّ الله أم أنّى لهم استعداد لأن يكونوا لجاى أمر الله أم كيف لهم الاحاطه بكتب الله بل القابل لها و لساير الأوصاف المذكوره إنّما هو آل الله و آل رسوله سلام الله عليه و عليهم الذين هم العروه الوثقى و منار الهدى و أعلام التقى و كهف الورى، و هم الملجأ و المنجى.

و بالجمله فاول الاوصاف المذكوره

ما أشار عليه السّلام إليه بقوله:(هم موضع سرّه) و المراد بالسرّ علم لا يجوز إظهاره للعموم و الأئمه عليهم السّلام موضعه و مأواه و مستقرّه و مقامه و خزّانه و حفّاظه لا- يظهره أو لا يظهره منه إلا ما يحتمل على من يتحمل إذ العموم لا يقدر على تحمل أسرار الله سبحانه، و لذلك قال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله.

و فى البحار من كتاب السّيد حسن بن كبش باسناده عن أبى بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: يا أبا محمّد أنا «إنّ ظ» عندنا سرّاً من سرّ الله و علما من علم الله لا يحتمله ملك مقرّب و لا نبيّ مرسل و لا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان و الله ما كلّف الله أحدا ذلك الحمل غيرنا، و لا استبعد بذلك أحدا غيرنا و إنّ عندنا سرّاً من سرّ الله و علما من علم الله أمرنا الله بتبليغه فبلغنا عن الله عزّ و جلّ ما أمرنا بتبليغه ما «فلم خ ل» نجد له موضعا و لا أهلا و لا حماله (1) يحملونه حتى خلق

ص: ٣٠٣

١- (١) الظاهر ان الحماله بتشديد الميم من صيغ المبالغه و التواء للمبالغه كعلامه او للتانيث بتقدير موصوف مؤنث اى طايفه حملة ثم القابل لذلك العلم باعتبارانه يوضع فيه يسمى موضعا و باعتبار انه مستعد لقبوله يسمى اهلا و باعتبار انه يتحملة يسمى حماله فهى بالذات واحد و بالاعتبار مختلف، صالح المازندراني

اللّٰه لذلك أوقاما خلقوا من طينه خلق منها محمّد صلّى اللّٰه عليه وآله وذريته و من نور خلق اللّٰه منه محمّدا وذريته و صنعهم بفضل صنع رحمته التي منها محمّدا وذريته «و آله خ ل» فبلغناهم عن اللّٰه عزّ و جلّ ما أمرنا بتبليغه فقبلوه و احتملوا ذلك عنّا فقبلوه و احتملوه و بلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا و حديثنا فلو لا أنّهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلك و لا و اللّٰه ما احتملوه.

ثمّ قال عليه السّلام إنّ اللّٰه خلق قوما «أوقاما خ ل» لجهنم و النّار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم فاشمأزوا من ذلك و نفرت قلوبهم و ردّوه علينا و لم يحتملوه.

و كذبوا به و قالوا: ساحر كذاب فطبع اللّٰه على قلوبهم و أنساهم ذلك، ثمّ أطلق اللّٰه لسانهم ببعض الحقّ فهم ينطقون به و قلوبهم منكروه ليكون ذلك دفعا عن أوليائه و أهل طاعته و لو لا ذلك ما عبد اللّٰه في أرضه فأمرنا اللّٰه بالكفّ عنهم و الكتمان منهم فاکتموا ممّن أمر اللّٰه بالكفّ عنهم و استروا عمّن أمر اللّٰه بالسّتر و الكتمان منهم.

قال: ثمّ رفع عليه السّلام يده و بكى، و قال: اللّٰهم إنّ هؤلاء لشردمه قليلون فاجعل محياهم محيانا و مماتهم مماتنا، و لا تسلّط عليهم عدوّا لك فتفجعنا بهم، فإنّك إن فجعنا بهم لم تعبد أبدا في أرضك، و رواه في الكافي عن أبي بصير مثله.

أقول: و بهذه الرّوايه يحصل الجمع بين قولهم عليهم السّلام: إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو مؤمن امتحن اللّٰه قلبه للايمان، و بين الخبر الخالي عن الاستثناء، فإنّ الثّاني محمول على السّير المختصّ بهم عليهم السّلام الذي لا يحتمله أحد غيرهم، و الأوّل محمول على السّر الذي هو أدنى من ذلك.

و هو السّر الذي تقدّم إليهم النّص من اللّٰه سبحانه لظهاره لبعض خواصهم على مراتب استعدادهم، و هو الذي أشار إليه الصّادق عليه السّلام بقوله: لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان اه، فإنّ أبا ذر لا استعداد له على احتمال السّر الذي احتمله سلمان، و كذلك كميل بن زياد مع كونه من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام لا يحتمل ما احتمله أبو ذر (ره)، فهو و إن كان صاحب سرّه عليه السّلام لكن بالنّسبه إلى غيره من ساير

النَّاسِ، و لذلك أَنَّهُ بعد ما سئل عنه عليه السَّلام عن الحقيقه و أَجاب عليه السَّلام بقوله: مالك و الحقيقه، قال: أ و لست صاحب سرك؟ فلم يقرره عليه السَّلام على عموم ما ادَّعاه، بل أَجاب بقوله عليه السَّلام: بلى و لكن (١) يترشح عليك ما يطفح مني، فأنَّ استدراكه عليه السَّلام بقوله: و لكن اه، إشاره إلى أن ما يظهره من السَّير عليه من قبيل نداوه الطفحان (٢) و رشحته الفايضه من جوانبه، و أَنَّهُ ليس صاحب السَّر على نحو العموم.

و بالجمله فقد وضح و ظهر ممَّا ذكرنا أن أسرار الله سبحانه هي علوم لا يجوز إظهارها ما جاز إظهارها منها إلاَّ للكامل على اقتضاء مراتب الاستعداد.

و قد روى في الخرائج باسناده عن عبد الرّحمان بن كثير عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: أتى الحسين عليه السَّلام ناس فقالوا له: يا أبا عبد الله حدّثنا بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: إنكم لا تحتملونه و لا تطيقونه، قالوا: بلى نحتمل، قال: إن كنتم صادقين فليتنحّ اثنان و أحدتّ واحدا فان احتمله حدّثتكم، فتنحّى اثنان و حدّث واحدا فقام طائر العقل و مرّ على وجهه و ذهب، و كَلّمه صاحبه فلم يردّ عليهما شيئا و انصرفوا.

و فيه بالاسناد المذكور قال أتى رجل الحسين بن عليّ عليهما السَّلام فقال:

حدّثني بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: إنك لن تطيق حمله، قال: بل حدّثني يا بن رسول الله إنني أحتمله، فحدّثه بحديث فما فرغ الحسين عليه السَّلام من حديثه حتّى ابيضّ رأس الرّجل و لحيته و أنسى الحديث، فقال الحسين عليه السَّلام أدركته رحمه الله حيث أنسى الحديث.

و في البحار من كتاب المحتضر للحسن بن سليمان من كتاب ابن شريفه الواسطي يرفعه إلى ميثم التمار، قال: بينما أنا في السّوق إذ أتى أصبغ بن نباته فقال:

ص: ٣٠٥

- ١- (١) گفت صاحب سر من هستی و لكن چون دیک سینہ من بجوش آید آنچه از سر می ریزد ترا معلوم شود، مجالس
- ٢- (٢) طفح الاناء كمنع طفحها و طفوحا امتلاء و ارتفع و طفحه و اطفحه و منه سكران طافح و المطفحه مغرفه تأخذ طفاحه القدر ای زبدها و قد اطفح القدر كافعل و اناء طفحان يفيض من جوانبه قاموس منه.

ويحك يا ميثم لقد سمعت من أمير المؤمنين عليه السّلام حديثاً صعباً شديداً، قلت: و ما هو؟ قال: سمعته يقول: إنّ حديث أهل البيت صعب مستصعب لا- يحتمله إلا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان، فقامت من فورتى فأتيت عليّاً عليه السّلام فقلت: يا أمير المؤمنين حديث أخبرني به أصغ عنك قد ضقت به ذرعاً، فقال عليه السّلام:

ما هو؟ فأخبرته به، فتبسّم ثمّ قال: اجلس يا ميثم، أو كلّ علم يحتمله. عالم؟ إنّ الله تعالى قال للملائكة:

«إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» فهل رأيت الملائكة احتملوا العلم؟ قال: قلت: و إنّ هذا أعظم من ذلك، قال:

و الا-خرى إنّ موسى بن عمران أنزل الله عليه التّوراه فظنّ أن لا- أحد أعلم منه فأخبره أنّ في خلقه أعلم منه، و ذلك إذ خاف على نبيّه العجب؟ قال: فدعا ربّه أن يرشده إلى العالم، قال: فجمع الله بينه و بين الخضر عليهما السّلام، فخرق السفينه فلم يحتمل ذلك موسى، و قتل الغلام فلم يحتمله، و أقام الجدار فلم يحتمله.

و أمّا النبيون فإنّ نبيّنا صلّى الله عليه و آله أخذ يوم غدير خم بيدي فقال: اللهم من كنت مولاه فعلىّ مولاه، فهل رأيت أحداً احتمل ذلك إلا من عصم الله منهم، فأبشروا ثمّ ابشروا قد خصّيتكم بما لم يخصّ به الملائكة و النبيين و المرسلين فما احتملت ذلك في أمر رسول الله و علمه فحدّثوا عن فضلنا و لا حرج و لا عظيم أمرنا و لا اثم، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: امرنا معاشر الأنبياء أن نخاطب الناس على قدر عقولهم.

قال المحدّث المجلسي (ره) بعد ذكر الحديث: لعلّ المراد بآخر الخبر أنّ كلّما رويتم في فضلنا دون درجتنا، لأنّنا نكلم الناس على قدر عقولهم، أو المعنى أنّا كلّفنا بذلك و لم تكلفوا بذلك فقولوا في فضلنا ما شئتم و هو بعيد.

الثاني

ما تبه عليه بقوله:(و لجا أمره) قال البحراني و أشار بكونهم عليهم السّلام ملجأ

أمره إلى أنهم الناصرون له والقائمون بأوامر الله و الذابون عن الدين فاليهم يلتجى و بهم يقوم سلطانه.

أقول: المستفاد من ظاهر كلامه أنّ المراد بالأمر هو الامور الدينيه و أنهم ملجاء لنفس الأوامر، و الأظهر الأقوى عندى أن المراد أنهم لجاء للعباد فى الأوامر الدينيه بمعنى أنّ الخلق إذا تنازعوا فى شىء منها و عجزوا فيها عن التّيل إلى الواقع فهم الملجأ و الملاذ، لأنهم اولو الأمر قال تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فى شَىءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» قال على بن إبراهيم القمى فى تفسيره: حدّثنى أبى عن حمّاد عن حريز عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: نزل فان تنازعتم فى شىء فارجعوه إلى الله و إلى الرّسول و إلى اولى الأمر منكم.

و هو يدلّ على أن المنزل فارجعوه مكان فردّوه، و يحتمل أن يكون تفسيراً له و يدلّ أيضاً على أنّ الموجود فى مصحفهم قول و إلى اولى الأمر منكم، و على ذلك فالآيه صريحه فى الدّلاله على المطلوب من ردّ الامور الدينيه التى اختلف فيها إلى كتاب الله و إلى رسوله و الأئمه عليهم السّلام و أمّا على ما هو الموجود فى هذه المصاحف التى بأيدينا فالدّلاله أيضاً غير خفيّه على مذهبنا لأنّ الرّد إلى الأئمه القائمين مقام رسول الله صلّى الله عليه و آله بعد وفاته هو مثل الرّد إلى الرّسول فى حياته، لأنهم الحافظون لشريعته و الخلفاء فى أمته فجزوا مجراه فيه، و مثلها قوله تعالى:

«وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ»

روى فى البحار من تفسير العياشى عن عبد الله بن عجلان عن ابى جعفر عليه السلام فى هذه الآيه، قال: هم الأئمه عليهم السلام.

و عن عبد الله بن جندب قال كتب إلى أبو الحسن الرضا عليه السلام: ذكرت رحمك الله هؤلاء القوم الذين وصفت انهم كانوا بالأمس لكم إخوانا و الذى صاروا إليه من الخلاف لكم و العداوه لكم و البراءه منكم و الذى تأفكوا(1) به من حيات أبى صلوات الله عليه و رحمته، و ذكر فى آخر الكتاب ان هؤلاء القوم سنج لهم شيطان اغترهم بالشبهه و لبس عليهم أمر دينهم، و ذلك لما ظهرت فرينهم و اتفقت كلمتهم و نعموا على عالمهم و أرادوا الهدى من تلقاء أنفسهم فقالوا: لم(2) و من و كيف، فأتاهم الهلاك من مأمّن احتياطهم، و ذلك بما كسبت أيديهم و ما ربك بظلام للعبيد، و لم يكن ذلك لهم و لا عليهم، بل كان الفرض عليهم و الواجب لهم من ذلك الوقوف عند التحير و ردّ ما جهلوا من ذلك الى عالمه و مستنبطه، لأنّ الله يقول فى محكم كتابه:

«وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ».

يعنى آل محمد عليهم السلام، و هم الذين يستنبطون من القرآن و يعرفون الحلال و الحرام و هم الحجّه لله على خلقه هذا.

و قد ظهر ممّا ذكر أنّ الأئمه عليهم السلام هم و لاه الأمر و أنّهم المقصودون بأولى الأمر فى الآيتين، أمّا الآيه الثانيه فلما ذكرنا، و أمّا الآيه الاولى فللأخبار المستفيضه.

أمّا الأخبار فمنها ما رواه فى البحار عن تفسير فرات بن ابراهيم عن عبيد

ص: ٣٠٨

١- (١) اى تكلفوا الافك و الكذب بسببه، منه.

٢- (٢) اى لم حكتم بموت الكاظم (عليه السلام) و من الامام بعده و كيف حكتم بكون الرضا (عليه السلام) اماما بعده، بحار الانوار

ابن كثير معنعنا أنه سأل جعفر بن محمد عليهما السلام عن قول الله:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قال: اولى الفقه و العلم، قلنا: أخاص أم عام؟ قال عليه السلام: بل خاص لنا.

و فى الكافى عن جابر الجعفى قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الآيه، قال: الأوصياء.

و فيه أيضا عن بريد العجلى قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز ذكره:

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ».

فقال عليه السلام: إيانا عنى أن يؤدّ الأول إلى الامام الذى بعده الكتب و العلم و السّلاح، و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل الذى فى أيديكم، ثم قال للناس:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ».

ايانا عنى خاصه أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا فان خفتم تنازعا فى أمر فردّوه إلى الله و إلى الرسول و إلى اولى الأمر منكم، كذا نزلت و كيف يأمرهم الله عزّ و جلّ بطاعه و لاه الأمر و يرخص منازعتهم إنّما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم: أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اولى الأمر منكم، و الأخبار فى هذا الباب كثيره لا تحصى.

و أمّا دليل العقل فلاّنه سبحانه أمر بوجوب طاعه اولى الأمر على نحو العموم (1) فلاّ بدّ من كونه معصوما و إلّا لزم أن يكون تعالى قد أمر بالقبيح لأنّ من

ص: ٣٠٩

١- (١) و ذلك لانه سبحانه اطلق الامر بطاعتهم و لم يخص شيئا من شىء اذ لو اراد خاصا لبينه و فى فقد البيان منه تعالى دليل على اراده العموم كما هو واضح، منه

ليس بمعصوم لا يؤمن صدور القبيح عنه، فاذا وقع كان الاقتداء به قبيحا و المعصوم بعد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله منحصر
باجماع الامه فى الأئمه، و سيأتى تمام الكلام فى هذا المقام فى مقدمات الخطبه الشَّقشقيه إنشاء الله هذا.

و يحتمل أن يكون المراد بالأمر فى قوله عليه السَّلام: و لجاأ أمره، الأعم من الأمور الدَّيئيه، و ربَّما فسِّر به فى الآيتين أيضا،
فالمراد به على ذلك جميع الأمور المقدره المشار إليها فى قوله سبحانه:

«تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ» و فى قوله:

«فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ».

و قد مضى فى الفصل التَّيَّاسع من فصول الخطبه الاولى فى شرح قوله عليه السَّلام: و مختلفون بقضائه و أمره، ما يوجب زياده
البصيره فى المقام، و قد مضى هناك فى روايه الكافى عن الباقر عليه السلام أنه لينزل فى ليله القدر إلى ولى الأمر تفسير الأمور
سنه سنه يؤمر فيها فى أمر نفسه بكذا و كذا و فى أمر النَّاس بكذا و كذا، إلى آخر ما مرَّ هناك، و هذا الاحتمال أقرب بالنظر إلى
عموم وظيفتهم عليهم السَّلام

الثالث

ما أشار عليه السَّلام اليه بقوله: (و عيبه علمه) يعنى أن علمه مودع عندهم كالثياب النَّفيسه المودعه فى العيبه، و تشبيههم بالعيبه من
حيث إنَّهم كانوا حافظين و صائنين له عن الضَّياعه و الاندراص حسن الاستعاره بالعيبه الحافظه للباس عن الأدناس.

قال البحرانى و كونهم عيبه علمه مرادف لكونهم موضع سرّه، إذ يقال فى العرف فلان عيبه العلم إذا كان موضع أسرارهِ.

و أقول أما تراد فهما فى اللغه و العرف فقد صرَّح به بعض اللغويين أيضا، و لكن الظاهر أن السَّير أخص من العلم، لما قد عرفت
سابقا من أن السَّر هو العلم الذى يكتُم و قد صرَّح به غير واحد من اللغويين و هو المتبادر منه أيضا، فىكون حقيقه فيه و على

هذا فيكون العلم أعم منه و هو الأنسب بالمقام أيضا، من حيث أنّ التأسيس أولى من التأكيد.

و كيف كان فلا- غبار على أنّ علم الله و علم رسوله المتلقى منه سبحانه مودع عندهم و هم الحافظون له، و يدل عليه الأخبار المتواتره القطعيه.

منها ما رواه في الكافي باسناده عن يونس بن رباط قال: دخلت أنا و كامل التمار على أبي عبد الله عليه السلام، فقال له كامل: جعلت فداك حديث رواه فلان، فقال:

اذكره، فقال: حدّثني أنّ النبي صلّى الله عليه و آله حدث عليا عليه السلام بألف باب يوم توفى رسول الله صلّى الله عليه و آله كلّ باب يفتح له ألف باب فذلك ألف ألف باب، فقال لقد كان ذلك، قلت جعلت فداك فظهر ذلك لشيعةكم و مواليكم؟ فقال عليه السلام: يا كامل باب أو بابان، فقلت له جعلت فداك فما يروى من فضلكم من ألف ألف باب إلا باب أو بابان؟ قال: فقال: و ما عسيتم أن ترووا من فضلنا ما تروون من فضلنا إلا ألفا غير معطوفه.

و في البحار من كتاب المحتضر للحسن بن سليمان من نوادر الحكمة يرفعه إلى أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه المفضل بن عمر فقال: مسأله يا بن رسول الله، فقال عليه السلام: سل يا مفضل، قال: ما منتهى علم العالم؟ قال عليه السلام: قد سألت جسيما و لقد سألت عظيما ما السماء الدنيا في السماء الثانية إلا كحلقة درع ملقاه في أرض فلاه، و كذلك كلّ سماء عند سماء اخرى، و كذلك السّماء السابعة عند الظلمه، و لا الظلمه عند الثور و لا ذلك كلّه في الهواء و كا «لا ظ» لأرضين بعضها في بعض و لا مثل ذلك كلّه في علم العالم يعنى الامام إلا مثل مدّ من خردل دقته دقا ثمّ ضربته بالماء «ثم خ» حتّى إذا اختلط و رغا(١) اظهر اخذت منه لعقه(٢) باصبعك، و لا- علم العالم في علم الله إلا- مثل حبه من خردل دقته دقا ثمّ ضربته بالماء حتّى إذا اختلط و رغا انتهزت منه(٣) برأس ابره نهزه ثمّ قال عليه السلام: يكفيك من هذا البيان بأقله و أنت

ص: ٣١١

١- (١) رغوہ اللبن زبده و رغا و ارغا و رغا صارت له رغوہ، قاموس اللغه

٢- (٢) لعقته لعقه من باب تعب لعقا مثل فلس اكلته باصبع و اللعقه بالفتح المره و بالصم اسم لما يلحق بالاصبع، مصباح اللغه

٣- (٣) تناولت منه

بأخبار الموت تصيب.

و من كتاب المحتضر أيضا نقلا من كتاب الأربعين روايه سعد الأوبلى عن عمار ابن خالد عن اسحاق الأزرق عن عبد الملك بن سليمان قال: وجد فى ذخيره أحد حوارى المسيح رقب مكتوب بالقلم السريانى منقولاً من التوراه و ذلك لما تشاجر موسى و الخضر عليهما السّلام فى قضيه السّفينه و الغلام و الجدار و رجع موسى إلى قومہ سأل أخوه هارون عمّا استعمله من الخضر و شاهد من عجائب البحر.

قال بينما أنا و الخضر على شاطئ البحر اذ سقط بين أيدينا طائر أخذ فى منقاره قطره من ماء البحر ورمى بها نحو المشرق، ثم أخذ ثانيه ورمى بها نحو المغرب، ثم أخذ ثالثه ورمى بها نحو السّماء، ثم أخذ رابعه ورمى بها نحو الأرض، ثم أخذ خامسه و ألقاها فى البحر فبهت الخضر و أنا، قال موسى: فسألت الخضر عن ذلك فلم يجب، و إذا نحن بصياد يصطاد فنظر إلينا و قال: ما أريكما فى فكر و تعجب، فقلنا: فى أمر الطائر، فقال: أنا رجل صياد و قد علمت إشارته و أنتما نبيان لا تعلمان، قلنا: ما نعلم إلا ما علمنا الله عزّ و جلّ، قال: هذا طائر فى البحر يسمّى مسلم، لأنّه إذا صاح يقول فى صياحه مسلم، و أشار بذلك إلى أنّه يأتى فى آخر الزّمان نبىّ يكون علم أهل المشرق و المغرب و أهل السّماء و الأرض عند علمه مثل هذه القطره الملقاه فى البحر، و يرث علمه ابن عمّه و وصيه، فسكن ما كنا فيه من المشاجره و استقلّ كلّ واحد منّا علمه، بعد ان كنا به معجبين و مشينا ثم غاب الصياد فعلمنا أنّه ملك بعثه الله إلينا يعرفنا بنقصنا حيث ادّعينا الكمال.

أقول: و بهذه الأخبار يعرف المعيار إجمالاً لعلومهم عليهم السّلام، و فيها كفايه لمن ألقى السّمع و هو شهيد، و أمّا تحقيق كفيته هذا العلم و أنّه هل هو على نحو الاحاطه الفعلية أو الاراديه فلعلنا نشير إليه فى الموقع المناسب إن شاء الله تعالى.

الرابع

ما أشار عليه السّلام إليه بقوله: (و موئل حكمه) و المراد بالحكم إمّا الأحكام الشرعيه أى خطاب الله المتعلّق بأفعال المكلفين من حيث الاقتضاء أو التّخير و إمّا

القضاء الرَّافع للخصومات، و على أى تقدير فهم موثله و منجاه، اليهم يلتجى فيه و بهم يحصل الخلاص و النجاه لأن ما عندهم هو الحكم المتلقى من الوحي الالهى الذى هو مطابق للواقع و الواقع مطابق له، و هو كله صواب لا ريب فيه و هم المرشدون إليه و الأدلاء عليه.

و يشهد به ما فى البحار من مجالس المفيد باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال: أما أنه ليس عند أحد من الناس حقّ و لا صواب إلا شىء أخذوه منا أهل البيت، و لا أحد من الناس يقضى بحقّ و عدل إلا و مفتاح ذلك القضاء و بابه و أوّله و سنّته أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، فاذا اشتبهت عليهم الامور كان الخطاء من قبلهم إذا اختطّوا و الصواب من قبل على بن أبى طالب عليه السلام.

و فى الكافى عن أبى جعفر عليه السلام، قال: قال الله عزّ و جلّ فى ليله القدر:

«فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ» يقول: ينزل فيها كلّ أمر حكيم و المحكم ليس بشيئين إنّما هو شىء واحد فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّ و جلّ، و من حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت، و قد مضى بتمامه فى الفصل التاسع من فصول الخطبه الاولى عند شرح قوله و مختلفون بقضائه و أمره فتذكر.

و فى البحار من بصائر الدرجات عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: اعطيت خصالا ما سبقنى إليها أحد، علمت المنايا و البلايا و الانساب و فصل الخطاب.

و عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال: يا أبا بصير إنّنا أهل بيت أو تينا علم المنايا و البلايا و فصل الخطاب و عرفنا شيعتنا كعرفان الرّجل أهل بيته.

و المراد بفصل الخطاب الحكم الفاصل بين الحقّ و الباطل، أو المفصول الواضح الدلالة على المقصود، أو ما كان من خصائصهم من الحكم المخصوص فى كلّ واقعه و الجوابات المسكته للخصوم فى كلّ مسأله و سيأتى شطر من قضاياه أعنى أمير المؤمنين عليه السلام فى شرح الخطبه الآتية عند قوله: و يكثر العثار فيها و الاعتذار منها.

إذا عرفت ما ذكرناه فنقول: إنّ اللازم حينئذ أخذ الأحكام منهم و الرجوع إليهم و لا يجوز الاستبداد بالعقول الناقصة و الآراء الفاسده فى الأحكام الشرعيه و الاعتماد فيها على الاقيسه و الاستحسانات كما حققناه فى شرح الفصل الحادى عشر من فصول الخطبه الاولى.

و قد قال أبو الحسن عليه السلام فيما رواه فى بصائر الدرجات عن محمد بن حكيم عنه عليه السلام: إنّما هلك من كان قبلكم بالقياس و إنّ الله تبارك و تعالى لم يقبض نبيه صلى الله عليه و آله حتى أكمل له جميع دينه فى حلاله و حرامه، فجاءكم بما تحتاجون إليه فى حياته و تستغنون به و بأهل بيته بعد موته و أنّها مخبئه عند أهل بيته حتى أنّ فيه لأرش الخدش، ثم قال عليه السلام: إنّ أبا حنيفة ممن يقول: قال على عليه السلام و قلت أنا.

و كذلك لا يجوز الرجوع فى المرافعات إلى القضاء السوء فمن رجع إليهم كان بمنزله الذين قال الله عزّ و جلّ:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَ مَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ» الآية.

و يأتى تفصيل حالات هؤلاء القضاء و ما يترتب على الرجوع إليهم فى الكلام السابع عشر و الثامن عشر و شرحهما إن ساعدنا التوفيق إن شاء الله.

الخامس

ما أشار عليه السلام إليه بقوله: (و كهف كتبه) تشبيههم بالكهف باعتبار أنّهم يلتجى إليهم فيها، أو أنّهم المأوى لها و الحاوون لما فيها كالكهف الذى يحوى من يأوى إليه، و المراد بالكتب إمّا كتب الله و هو على تقدير رجوع الضمير فيه إليه سبحانه، فالمراد بها القرآن و ما انزل قبلها من الصحف و الكتب السماويه.

أمّا كونهم كهف القرآن و مأويه و الحافظين له و العالمين به تأويله و تنزيله

و ظهره و بطنه و بطن بطنه و هكذا إلى سبعة أبطن و كذلك ساير أوصافه من العموم و الخصوص و الاطلاق و التقييد و الأحكام و التشابه إلى غير ذلك، فواضح و قد مضى شطر من الكلام على هذا الباب في التذييل الثالث من تذييلات الفصل السابع عشر من فصول الخطبه الاولى.

و أمّا ساير الكتب السّماويه ففي حديث أبي ذر عن النّبيّ صلّى الله عليه و آله قلت: كم كتابا أنزل؟ قال صلّى الله عليه و آله: مائه كتب و أربعة كتب أنزل على شيث خمسين صحيفه، و على اخنوخ ثلاثين صحيفه، و على إبراهيم عشر صحايف، و انزل على موسى قبل التّوراه عشره صحايف و انزلت التوراه و الانجيل و الزّبور و الفرقان و كانت صحف إبراهيم كلها أمثالا.

و روى في البحار من إرشاد القلوب بالاسناد إلى المفيد يرفعه إلى سلمان الفارسي رضى الله عنه قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام. يا سلمان الويل كلّ الويل لمن لا يعرف لنا حقّ معرفتنا و أنكر فضلنا، يا سلمان إيّا أفضل محمّد صلّى الله عليه و آله أم سليمان ابن داود عليه السّلام؟ قال سلمان قلت: بلى محمّد صلّى الله عليه و آله أفضل، فقال: يا سلمان فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من فارس إلى سبا في طرفه عين و عنده علم من الكتاب و لا أفعل أنا ذلك و عندي ألف كتاب الله، انزل الله على شيث بن آدم خمسين صحيفه، و على ادريس ثلاثين صحيفه، و على إبراهيم الخليل عشرين صحيفه، و التوراه و الانجيل و الزّبور و الفرقان، فقلت: صدقت يا سيدي، قال الامام عليه السّلام: إنّ الشّاك في امورنا و علومنا كالمستهزىء في معرفتنا أو حقوقنا، و قد فرض الله و لا يتنافى كتابه في غير موضع و بين ما أوجب العمل به و هو مكشوف.

و من كتاب التّوحيد عن هشام بن الحكم في خبر طويل قال جاء بريهه جاثليق النّصارى فقال لأبي الحسن عليه السّلام: جعلت فداك أتى لكم التّوراه و الانجيل و كتب الأنبياء، قال: هي عندنا وراثه من عندهم نقرئها كما قرءوها و نقولها كما قالوها إنّ الله لا يجعل حجّه في أرضه يسأل من شيء يقول: لا أدري الخبر.

و من بصائر الدّرجات باسناده عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام:

يا أبا محمّد عندنا الصّحف التي قال الله صحف إبراهيم و موسى، قلت الصّحف هي

الألواح؟ قال: نعم.

هذا كله على احتمال أن يكون المراد بالكتب الكتب المنزلة من الله سبحانه و أما على تقدير رجوع الضمير في كتبه إلى النبي صلى الله عليه و آله فالمراد بالكتب القرآن و غيره مما اشير إليه في الأخبار.

مثل ما رواه في البحار من البصائر باسناده عن أبي الصّباح الكنانى عن أبي جعفر عليه السلام قال: حدّثنى أبى عمّن ذكره، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و آله و فى يده اليمنى كتاب و فى يده اليسرى كتاب فنشر الكتاب الذى فى يده اليمنى فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم كتاب لأهل الجنّة بأسمائهم و أسماء آبائهم لا يزداد فيهم واحد و لا ينقص منهم واحد، قال:

ثمّ نشر الذى بيده اليسرى فقرأ: كتاب من الله الرحمن الرحيم لأهل النّار بأسمائهم و أسماء آبائهم و قبائلهم لا يزداد فيهم واحد و لا ينقص منهم واحد.

و من البصائر أيضا باسناده عن الأعمش قال: قال الكلبي: يا أعمش أى شىء أشدّ ما سمعت من مناقب علىّ عليه السّلام؟ قال: فقال حدّثنى موسى بن طريف عن عبايه قال: سمعت عليا عليه السّلام و هو يقول أنا قسيم النّار فمن تبعنى فهو منى و من عصانى فهو من أهل النّار، فقال الكلبي عندي أعظم مما عندك، أعطى رسول الله صلى الله عليه و آله عليا عليه السّلام كتابا فيه أسماء أهل الجنّة و أسماء أهل النّار، فوضعه عند أمّ سلمه فلما ولى ابو بكر طلبه فقالت: ليس لك، فلما ولى عمر طلبه، فقالت: ليس لك، فلما ولى علىّ عليه السّلام دفعته إليه.

و منه أيضا باسناده عن أبى بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: يا أبا محمّد إنّ عندنا الجامعه و ما يدريهم ما الجامعه قال: قلت: جعلت فداك و ما الجامعه؟ قال: صحيفه طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله صلى الله عليه و آله أملاء من فلق (1) فيه و خطه علىّ عليه السّلام يمينه فيها كلّ حلال و حرام و كلّ شىء يحتاج إليه النّاس حتّى الأرش فى الخدش.

و فى الاحتجاج فى حديث طويل عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: و كان عليه السّلام يقول:

علمنا غابر و مزبور و نكت فى القلوب و نقر فى الأسماع و إنّ عندنا الجفر

ص: ٣١٤

١- (١) كلمتى من فلق فيه بالكسر و يفتح اى من شفته، صحاح. مكرر - بالاضافه الى فيه، منه.

الأحمر، و الجفر الأبيض، و مصحف فاطمه عليها السّلام، و عندنا الجامعه فيها جميع ما يحتاج الناس إليه فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال عليه السّلام: أمّا الغابر فالعلم بما يكون، و أمّا المزبور فالعلم بما كان، و أمّا النكت في القلوب فهو الالهام و أمّا التّقر في الاسماع فحديث الملائكه نسمع كلامهم و لا نرى أشخاصهم، و أمّا الجفر الأحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله صلّى الله عليه و آله و لن يخرج حتّى يقوم قائمنا أهل البيت، و أمّا الجفر الأبيض فوعاء فيه توراها موسى و انجيل عيسى و زبور داود و كتب الله الاولى، و أمّا مصحف فاطمه ففيه ما يكون من حادث و أسماء من يملك و من لا يملك إلى أن يقوم الساعه و ليس فيه قرآن، و أمّا الجامعه فهو كتاب طوله سبعون ذراعاً إملاء رسول الله صلّى الله عليه و آله من فلق فيه و خط عليّ بن أبي طالب عليه السّلام بيده فيه و الله جميع ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة حتّى أن فيه أرش الخدش و الجلده و نصف الجلده، الحديث.

و في البحار من بصائر الدّرجات عن أحمد بن محمد بن الحسين بن سعيد عن أحمد بن عمر عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السّلام، قال: فقلت له: إنّي أسألك جعلت فداك عن مسأله ليس هاهنا احد يسمع كلامي، قال: فرفع أبو عبد الله عليه السّلام ستره (١) بيني و بين بيت آخر فاطلع فيه، ثمّ قال: يا با محمد سل عمّا بدا لك قال قلت: جعلت فداك: إنّ الشّيعة يتحدّثون أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله علّم عليّاً عليه السّلام بابا يفتح منه ألف باب، قال: فقال أبو عبد الله عليه السّلام: يا أبا محمّد علّم و الله رسول الله صلّى الله عليه و آله علّم عليّاً ألف باب يفتح له من كلّ باب ألف باب، قال: قلت: له هذا و الله العلم فنكت (٢) ساعه في الأرض ثمّ قال: إنّه لعلم و ما هو بذاك.

قال: ثمّ قال: يا أبا محمّد و إنّ عندنا الجامعه و ما يدرهم ما الجامعه، قال:

قلت جعلت فداك: و ما الجامعه، قال: صحيفه طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلّى الله عليه و آله و إملاه من فلق فيه و خطه عليّ عليه السّلام بيمينه، فيها كلّ حلال و حرام و كلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في الخدش و ضرب بيده إلى فقال تأذن (٣)

ص: ٣١٧

١- (١) لعل رفع الستر للمصلحه او يكون تلك الحاله من الاحوال التي لا يحضرهم فيها علم بعض الاشياء، بحار

٢- (٢) النكت ان تضرب في الارض بقضيب فتؤثر فيها، بحار.

٣- (٣) يدل على ان ابراء ما لم يجب نافع، بحار

لى يا أبا محمّد؟ قال: قلت جعلت فداك: إنّ «أناظ» لك اصنع ما شئت، قال: فغمزنى بيده فقال حتّى أرس هذا فكأنه مغضب(١) قال: قلت جعلت فداك: هذا والله العلم، قال: إنّهُ لعلم و ليس بذاك، ثم سكت ساعه.

ثم قال: إنّ عندنا الجفر و ما يدريهم(٢) ما الجفر مسك(٣) شاه أو جلد بعير، قال: قلت جعلت فداك: ما الجفر؟ قال: وعاء أحمر و أديم أحمر فيه علم التّبيين و الوصيين، قلت: هذا والله هو العلم، قال: إنّهُ لعلم و ما هو بذاك، ثم سكت ساعه.

ثم قال: و إنّ عندنا لمصحف فاطمه عليها السّلام و ما يدريهم ما مصحف فاطمه، قال عليه السّلام فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، و الله ما فيه من قرآنكم حرف واحد إنّما هو شيء أملاء الله عليها أو أوحى إليها، قال: قلت: هذا والله هو العلم، قال:

إنّهُ لعلم و ليس بذاك، قال ثم سكت ساعه.

ثم قال: إنّ عندنا لعلم(٤) ما كان و ما هو كائن إلى أن تقوم السّاعه، قال:

قلت: جعلت فداك: هذا والله هو العلم، قال: إنّهُ لعلم و ما هو بذاك، قال: قلت جعلت فداك فأى شيء هو العلم، قال: ما يحدث بالليل و النّهار الأمر بعد الأمر و الشّيء بعد الشّيء إلى يوم القيامة.

قال فى البحار: قوله عليه السّلام و الله ما فيه من قرآنكم حرف واحد أى فيه علم ما كان و ما يكون.

فان قلت: فى القرآن أيضا بعض الأخبار، قلت: لعله لم يذكر فيه ما فى القرآن.

فان قلت: يظهر من بعض الأخبار اشتمال مصحف فاطمه عليها السّلام أيضا على الأحكام،

ص: ٣١٨

١- (١) اى غمز غمزا شديدا كانه مغضب، بحار.

٢- (٢) اى لا يدرون ان الجفر صغير بقدر مسك شاه او كبير على خلاف العاده بقدر ما يمسك بعير و كانه اشاره الى انه كبير، بحار.

٣- (٣) المسك الجلد او خاص بالسخله، منه.

٤- (٤) اى من غير جهه مصحف فاطمه أيضا، بحار

قلت: لعلّ فيه ما ليس في القرآن.

فان قلت: قد ورد في كثير من الأخبار اشتغال القرآن على جميع الأحكام والأخبار ممّا كان أو يكون، قلت. لعلّ المراد به ما نفهم من القرآن لا- ما يفهمون منه، ولذا قال: قرآنكم على أنّه يحتمل أن يكون المراد لفظ القرآن، ثمّ الظاهر من أكثر الأخبار اشتغال مصحفها عليها السلام على الأخبار فقط فيحتمل أن يكون المراد عدم اشتغاله على أحكام القرآن انتهى هذا.

و في المقام إشكال قويّ: و هو أنّ المستفاد من قوله عليه السلام: إنّ عندنا لعلم ما كان و ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، أنّهم عليهم السّلام يعلمون جميع الشّرايع و الأحكام و ما كان و ما يكون، و مثله ورد في الأخبار الكثيره و على ذلك فأى شيء يبقى حتّى يحدث لهم بالليل و النهار كما يدلّ عليه آخر الحديث و يستفاد من الأخبار الاخر أيضا.

و قد اجيب عنه بوجه الأوّل أنّ العلم ليس ما يحصل بالسّماع و قراءه الكتب و حفظها، فان ذلك تقليد و إنّما العلم يفيض من عند الله سبحانه على قلب المؤمن يوما فيوما و ساعه فساعه فيكشف به من الحقائق ما تطمئنّ به النفس و ينشرح له الصّدر و يتنوّر به القلب، و الحاصل أنّ ذلك مؤكّد و مقرّر لما علم سابقا يوجب مزيد الايمان و اليقين و الكرامه و الشّرف بافاضه العلم عليهم بغير واسطه المرسلين.

الثاني أن يفيض عليهم عليهم السّلام تفاصيل عندهم مجملاتها و إن أمكنهم استخراج التفاصيل ممّا عندهم من اصول العلم و موادّه.

الثالث أنّهم عليهم السّلام في الثّلاثين سابقا على الحياه البدني و لاحقا بعد وفاتهم يعرجون في المعارف الرّبانيه الغير المتناهيه على مدارج الكمال إذ لا غاية لعرفانه تعالى و قربه.

قال العلامة المجلسي بعد تقويته هذا الوجه: و يظهر ذلك من كثير من الأخبار و ظاهر أنّهم إذا تعلموا في بدء إمامتهم علما لا يقفون في تلك المرتبه و يحصل لهم

بسبب مزيد القرب و الطاعات زوايد العلم و الحكم و الترقّيات فى معرفه الرّبّ تعالى، و كيف لا يحصل لهم و يحصل ذلك لسائر الخلق مع نقص قابليتهم و استعدادهم، فهم عليهم السّلام أولى بذلك و أخرى.

ثمّ قال «قده» و لعل هذا أحد وجوه استغفارهم و توبتهم فيكل يوم سبعين مرّه و أكثر، إذ عند عروجهم الى كلّ درجه رفيعه من درجات العرفان يرون أنّهم كانوا فى المرتبه السّابقه فى النّقصان فيستغفرون فيها و يتوبون إليه تعالى.

السادس

ما أشار عليه السّلام إليه بقوله (و جبال دينه) قال الشّارح المعتزلى: لا يتحلحلون(١) عن الدّين أو أنّ الدّين ثابت بوجودهم كما أنّ الأرض ثابتة بالجبال لولا الجبال لمادت بأهلها و قال البحرانى و أشار بكونهم جبال دينه إلى أنّ دين الله سبحانه بهم يعتصم عن وصمات الشّياطين و تبديلهم و تحريفهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممّن يؤذيه.

أقول: و المعنيان متقاربان و المقصود واحد و هو أنّ وجودهم سبب لبقاء الدّين و انتظام أمر المسلمين، و بهم ينفى عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين.

كما روى فى البحار من كتاب قرب الاسناد عن هارون عن ابن صدقه عن جعفر بن محمّد عن آباءه عليهم السّلام أنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله قال: فى كلّ خلف من أمتى عدل من أهل بيتى ينفى عن الدّين تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهل، و إنّ أئمتكم و فدكم إلى الله فانظروا من توفدون فى دينكم و صلواتكم.

و من علل الشّرايع باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ الله لم يدع الأرض إلاّ و فيها عالم يعلم الزّيادة و النّقصان من دين الله عزّ و جلّ، فاذا زاد المؤمنون شيئاً ردّهم، و إذا نقصوا أكمله لهم و لولا ذلك لالتبس على المسلمين أمرهم و عن أبى حمزه قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: لن تبقى الأرض إلاّ و فيها من

ص: ٣٢٠

١- (١) حلحهم اى ازالهم عن مواضعهم ق ج. «٢٠»

يعرف الحقّ فاذا زاد النَّاس فيه قال: قد زادوا، و إذا نقصوا منه قال: قد نقصوا، و إذا جاءوا به صدّقهم و لو لم يكن كذلك لم يعرف الحقّ من الباطل، و الأخبار في هذا المعنى كثيرة.

السابع و الثامن

ما أشار عليه السّلام إليه بقوله: (بهم أقام انحناء ظهره، و أذهب ارتعاد فرايصه) و المراد بذلك على تقدير رجوع الضمير في ظهره و فرايصه إلى الدّين واضح، و هو أنّهم أسباب لقوام الدّين و رافعون لاضطرابه حسبما عرفت آنفا، و أمّا على تقدير رجوعهما إلى النّبىّ صلّى الله عليه و آله فهو إشاره إلى أنّ الله سبحانه جعلهم اعضاءا يشدّون ازره و يقوّمون ظهره، وانحناء ظهره كناية عن ضعفه في بدء الاسلام، وارتعاد الفرائص كناية عن الشّيء ببعض لوازمه إذ كان ارتعاد الفرائص من لوازم شدّه الخوف، يعنى أنّ الله ازال عنه صلّى الله عليه و آله بمعونتهم خوفه الذى كان يتوقّعه من المشركين على حوزة الدين، و اتصافهم عليهم السّلام بهذين الوصفين ظاهر لا ريب فيه لأنّهم لم يألوا جهدهم في نصره النّبىّ صلّى الله عليه و آله و تقويه دينه قولاً أو فعلاً، و قد قال تعالى:

«وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ».

و قد روى العامه و الخاصّه عن أبى هريره قال: مكتوب على العرش لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى و محمّد عبدى و رسولى أيدته بعلّى عليه السّلام، فأنزل الله عزّ و جلّ:

«هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ» فكان النّصر عليا عليه السّلام و دخل مع المؤمنين فدخل في الوجهين جميعا، و بمضمونه أخبار اخر من الطريقتين، و قال سبحانه أيضا:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» قال أبو هريره. نزلت هذه الآية في علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، و هو المعنى بقوله: المؤمنين و بالجملة فانتصار النّبىّ صلّى الله عليه و آله بأمر المؤمنين عليه السّلام و حمايته له باليد و اللسان و جدّه فى

إعلاء كلمه الاسلام ممّا هو غنى عن البيان:

بدر له شاهد و الشّعب من أحد و الخندقان و يوم الفتح إن علموا

و كفى بذلك شهيدا مبيته على فراش رسول الله صلّى الله عليه و آله حتّى باهى الله سبحانه بذلك على ملائكته و أنزل:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» و برازه(1) يوم الخندق لعمر بن عبدود حتّى أنزل فيه:

«وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ» بعلى بن أبى طالب، و قتله عمرو على ما ورد فى الروايات الكثيره، و فى ذلك اليوم قال صلّى الله عليه و آله: ضربه على أفضل من عباده الثقلين.

و أمّا سائر الأئمه عليهم السّلام فقد كان همهم مقصوره على حمايه حمى الدّين و إحياء أحكام سيّد المرسلين، بعضهم بالقتال و الجدال كالحسين عليه السّلام، و بعضهم باللسان و البيان كسائر المعصومين سلام الله عليهم أجمعين، و ذلك مع ما هم عليه من التّقيه و الخوف، و لذلك أنّ الصّادقين عليهما السلام لما تمكّنا من إظهار الأحكام و نشر الشّرايع و زالت عنهم التّقيه التى كانت على غيرهم قصروا اوقاتهم فى إحياء الشّريعه و إقامة السّينه على ما هو معروف، و قد كان أربعة آلاف نفر من اهل العلم متلمذا عنده و قد صنّفوا من أجوبته فى المسائل أربعمائيه كتاب، هى معروفه بكتب الاصول، فبوجودهم استقام امر الدّين و استحکم شريعه خاتم النّبیین، و بقائهم يملاء الله الارض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا.

الترجمه

آل حضرت رسالت مآب صلوات الله عليه و عليهم موضع اسرار خفيّة آن جنابند و پناهگاه امور دينيه اويند و صندوق علم اويند و محل نجات و خلاصى احكام اويند كه بجهت التجاء ايشان خلاصى مى يابند مردم از باديه عجز و سرگردانى و مخزن كتاب هاى اويند و كوه هاى دين اويند كه نگاه مى دارند دين را از اضطراب

ص: ۳۲۲

و از تحریف و تبدیل همچنان که کوه ها نگاه می دارند زمین را از تموج و تزلزل، بسبب وجود ایشان راست کرد خمی و کجی پشت او را که در بدو اسلام ضعیف بود و بواسطه ایشان زایل فرمود لرزیدن گوشت پاره های میان پهلو و شانه آنرا که حاصل بود به جهت خوف بر دین و از ترس بر حوزه شرع مبین.

الفصل الخامس منها یعنی قوما آخرین (منها فی

اشاره

(المنافقین خ ل)

زرعوا الفجور، و سقوه الغرور، و حصدوا الثبور، لا يقاس بآل محمد «صلى الله عليه وآله» أحد من هذه الأمة، و لا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا، هم أساس الدين، و عماد اليقين، إليهم يفى الغالى، و بهم يلحق التالى، و لهم خصائص حقّ الولاية، و فيهم الوصية و الوراثه، الان إذ رجع الحقّ إلى أهله، و نقل إلى منتقله.

اللغه

(حصدت) الزرع و غيره حصدا من بابى ضرب و قتل فهو محصود و حصيد و (الثبور) الهلاك و الخسران و (أساس) الشىء أصله و (الغلو) التجاوز عن الحدّ قال تعالى: لا تغلوا فى دينكم، إى لا تجاوزوا الحدّ و (تلوت) الرّجل أتلوه تلوا تبعته و المراد بالتالى هنا المرثاد الذى يريد الخير ليوجر عليه.

الاعراب

قال الجوهري: الآن اسم للوقت الذى أنت فيه و هو ظرف غير متمكن وقع معرفه و لم يدخله الالف و اللام للتعريف لأنّه ليس له ما يشركه انتهى، و هو فى محلّ الرّفع على الابتداء، و كلمه إذ مرفوع المحلّ على الخبريّة و مضافه إلى الجملة بعدها أى الآن وقت رجوع الحقّ إلى أهله فاذا فى المقام نظير إذا فى قولك:

أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائما، على ما ذهب إليه فى الكشاف من كون إذا

فيه خيرا، و يمكن أن يكون الآن خيرا مقدّما و إذ مبتدأ مثل إذ في قوله تعالى على قراءه بعضهم لمن «مَنْ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ».

أى من منّ الله على المؤمنين وقت بعثه، ذكره الزّمخشرى أيضا هذا، و يحتمل أن يكون إذ بمعنى قد للتحقيق و هو أقرب معنى و إليه ذهب بعضهم فى قوله تعالى:

«وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ».

أو يكون للتوكيد و الزيادة حكاة ابن هشام عن أبى عبيده و ابن قتيبه فى قوله تعالى:

«وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ».

المعنى

قيل: الاشارة بمفتتح كلامه عليه السلام فى هذا الفصل إلى الخوارج و قيل: إلى المنافقين كما ورد مصرّحا به فى بعض النسخ.

و قال البحرانى: يحتمل أن يكون متناولا لكلّ من نابذه و خرج عن طاعته زاعما أنه بذلك متعصّب الدّين و ناصر له و يدخل فى ذلك القاسطون و هم أصحاب معاويه و المارقون و هم الخوارج و من فى معناهم إذ زعم الكلّ أنّهم لقتاله طالبون للحقّ ناصرون له.

و قال الشّارح المعتزلى: و إشارته هذا ليست إلى المنافقين كما ذكره الرضى (ره) و إنّما هى إشاره إلى من تغلّب عليه و جحد حقّه كمعاويه و غيره، و لعلّ الرضى (ره) عرف ذلك و كنى عنه.

و كيف كانفقد استعار فجور هؤلاء و عدولهم عن الحقّ للحبّ الذى يبرز و قرنه بما يلايم المشبّه به ترشّحا للاستعاره، فقال عليه السّلام: (زرعوا الفجور) فإنّ الزّرع لما كان عباره عن إلقاء الحبّ فى الأرض حسن استعارته لبذر الفجور فى أراضى قلوبهم، و لأنّ انتشاره عنهم و نموّه فيهم يشبه نموّ الزرع و انتشاره فى الأرض، هكذا قيل والأظهر أنّهاستعاره مكّتيه تخيليه حيث شبه الفجور بالحبّ المزروع و أثبت الزّرع تخيلا.

ثمّ لما كان استمرارهم على الفجور والغى إنّما نشأ من غرورهم و من تماديهم فى الغفلة قرنه بقوله عليه السّلام: (و سقوه الغرور) أى سقوه بماء الغرور و تشبيهه بالماء من حيث إنّ الماء كما أنّه سبب حياه الزّرع و نموّه و مادّه زيادته، فكذلك الغرور منشأ فجورهم و مادّه زياده طغيانهم، و لأجل ذلك حسن استعاره لفظ السّقى الذى هو من خصائص الماء له و نسبته إليهم.

ثمّ لما كانت غايه ذلك الفجور هو الهلاك و العطب فى الدّنيا بسيف الأولياء و فى الآخرة بالنّار الحاميه حسن اتباعه بقوله: (و حصدوا الثّبور) و جعله (١) الثبور الذى هو الهلاك نتيجة لزراعه الفجور و ثمره لها أى كانت نتيجة ذلك الزرع و السّقى حصادا هو الهلاك.

ثمّ لما ذكر عليه السّلام مثالب الأعداء أشار إلى مناقب الأولياء و قال: (لا يقاس بآل محمّد) صلّى الله عليه و آله (من هذه الامه أحد) و لا- يوازنهم غيرهم، و لا- يقاسون بمن عداهم، كما صرّح عليه السّلام به ايضا فيما رواه فى البحار من كتاب المحتضر للحسن بن سليمان من كتاب الخصائص لابن البطريق رفعه إلى الحرث، قال: قال على عليه السّلام: نحن أهل بيت لا- نقاس بالناس، فقام رجل فأتى عبد الله بن العباس فأخبره بذلك، فقال: صدق على عليه السّلام، أو ليس كان النّبىّ صلّى الله عليه و آله لا يقاس بالناس ثمّ قال ابن عباس: نزلت هذه الآية فى على عليه السّلام:

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ».

و من كتاب المحتضر أيضا من كتاب الخطب لعبد العزيز بن يحيى الجلودى قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام: فقال: سلونى قبل أن تفقدونى فأنا عيبه رسول الله صلّى الله عليه و آله فاذا «فأنا خ ل» فقأت (٢) عين الفتنة بباطنها و ظاهرها، سلوا من عنده علم المنايا و البلايا و الوصايا و فصل الخطاب، سلونى فأنا ينسوب المؤمنين حقًا، و ما من فئه

ص: ٣٢٥

١- (١) عطف على الاتباع، منه

٢- (٢) فقأ العين كمنع قلعها، ق

تهوى مائه أو تضلّ مائه إلاّ وقد أتيت بقائدها و سايقها، و الذى نفسى بيده لو طوى لى الوساده فأجلس عليها لقضيت بين أهل التوراه بتوراتهم و لأهل الانجيل يانجيلهم و لأهل الزبور بزبورهم و لأهل الفرقان بفرقانهم، قال: فقام ابن الكوا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و هو يخطب النّاس، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن نفسك، فقال:

ويلك أ تريد أن ازكى نفسى و قد نهى الله عن ذلك مع أنّى كنت إذا سألت رسول الله صلّى الله عليه و آله أعطانى و إذا سكّت ابتدأنى و بين الجوانح منى علم جمّ و نحن أهل بيت لا نقاس بأحد.

و بالجمله فهم عليهم السّلام لا يقاسون بأحد و لا يقاس أحد بهم و لا يستحقّ أحد بلوغ مراتبهم و نيل مقاماتهم (و لا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا) هذا العطف بمنزله التعليل لابطال قياس المساواه بينهم و بين غيرهم، و فى هذه الجمله على و جازتها إشاره إلى مطالب نفيسه كلّ واحد منها خير من الدّنيا و ما فيها.

الاول أنّهم أولياء النّعم شاهدها و غائبها و ظاهرها و باطنها.

الثانى أنّ نعمتهم جاريه على العباد أبد الدهر لا يختصّ بآن دون آن، و فيوضاتهم متواتره لا تنحصر بوقت دون وقت.

الثالث ما هو كالتّيجّه لسابقه، و هو أنّ التّسويه بينهم و بين غيرهم حينئذ باطله ضروره أنّ المنعم أفضل من المنعم عليه.

اما الاول فلاّتهم اصول نعم الله سبحانه و خزائن كرمه و لوجودهم خلقت الدّنيا و ما فيها و بوجودهم ثبتت الأرض و السّماء كما قال الصّيدق عليه السّلام فيما رواه فى الكافى عن مروان بن مياح عنه عليه السّلام، قال: إنّ الله خلقنا فأحسن خلقنا و صورنا فأحسن صورنا و جعلنا عينه فى عباده، و لسانه النّاطق فى خلقه، و يده المبسوطة على عباده بالرّأفة و الرّحمه، و وجهه الذى يؤتى منه، و بابه الذى يدلّ عليه، و خزّانه فى سمائه و أرضه، بنا أثمرت الأشجار و أينعت الثّمار و جرت الأنهار، و بنا ينزل غيث السّماء و نبت عشب الأرض، و بعبادتنا عبد الله و لو لا نحن ما عبد الله.

فقد ظهر منه أنهم عليهم السلام و سايط الفيوضات النازله و النعم الواصله، و أنهم يد الله المبسوطه، كما ظهر أن ايجادات الخلق و ما تضمنت من العبادات و الشرعيات و تكاليف المكلفين و ما تضمنت من الوجودات كلها آثارهم و من شئوناتهم ولايتهم.

لهم خلق الله العوالم كلها و حكمهم فيها بها من خليقه

فهم عله الایجاد و الله موجد بهم قال للاشياء كوني فكانت

و إلى هذه النعمه اشيرت في آيات كثيره.

منها قوله تعالى: «وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً».

قال الباقر عليه السلام: النعمه الظاهره النبى صلى الله عليه و آله و ما جاء به من معرفته و توحيده. و أما النعمه الباطنه فولایتنا أهل البيت و عقد مودتنا.

و منها قوله تعالى: «ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ».

روى في البحار عن أبى خالد الكابلى قال: دخلت على محمد بن على عليهما السلام فقدم لى طعاما لم آكل أطيب منه، فقال لى يا أبا خالد كيف رأيت طعامنا؟ فقلت جعلت فداك ما أطيبه غير أنى ذكرت آيه فى كتاب الله فنغصته (١)، قال عليه السلام و ما هى؟ قلت: ثم لتسألن يومئذ عن النعيم، فقال عليه السلام و الله لا تسأل عن هذا الطعام أبدا، ثم ضحك حتى افتر (٢) ضاحكا و بدت أضراسه، و قال أ تدرى ما النعيم؟ قلت: لا، قال: نحن النعيم الذى تسألون عنه.

و منها قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا» روى فى تفسير العياشى عن الأصبغ بن نباته فى هذه الآيه، قال: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: نحن نعمه الله التى أنعم على العباد.

ص: ٣٢٧

١- (١) على بناء المفعول اى تكدر التذاذى به يقال نغصت معيشته أى تكدرت، منه

٢- (٢) افتر بالتشديد ضحكك ضحكا حسنا، لغه

و منها قوله تعالى: «فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ».

روى فى الكافى عن أبى يوسف البزاز، قال: تلا أبو عبد الله عليه السّلام هذه الآيه، قال عليه السّلام أ تدرى ما آلاء الله؟ قلت: لا قال: هى أعظم نعم الله على خلقه و هى ولايتنا.

و منها قوله تعالى: «فَبِأَىِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ».

قال أبو عبد الله عليه السّلام فى مروى داود الرقى: أى بأى نعمنى تكذّبان، بمحمّد صلّى الله عليه و آله أم بعلّى عليه السّلام فبهما أنعمت على العباد إلى غير ذلك من الآيات التى يطول ذكرها.

و بالجملة فوجود الأئمة سلام الله عليهم نعمه و ولايتهم نعمه.

و ما نعمه الآ و هم أولياؤها فهم نعمه منها أت كلّ نعمه

و اما الثانى و هو عدم اختصاص فيوضاتهم بوقت دون وقت و جريان نعمتهم أبدا الدهر فقد ظهر وجهه اجمالا من روايه الكافى السابقه عن مروان بن مياح عن الصادق عليه السّلام.

و تفصيله أنّ النعم على كثرتها إمّا دنيويّه أو اخرويّه.

أمّا الدنيويّه فقد ظهر من الروايه السابقه أنّهم سبب إبداع الموجودات و ايجاد المبدعات، و أنّهم عين الله الناظره و يده الباسطه و خزّان الله فى الأرض و السّماء و بابه الذى منه يؤتى، كما ظهر فى الفصل الخامس عشر من فصول الخطبه الاولى عند شرح قوله عليه السّلام أو حجّه لانزومه، أنّ نظام العباد و انتظام البلاد إلى يوم التناد إنّما هو بوجود الامام، و أنّ الأرض لو تبقى بغير حجّه لساخت و انخسفت و يدلّ على ذلك مضافا إلى ما سبق، ما رواه فى البحار من كتاب إكمال الدين و أمالى الصدوق بالاسناد عن الأعمش عن الصادق عن أبيه عن على بن الحسين عليهم السّلام، قال: نحن أئمة المسلمين و حجج الله على العالمين و سادّه المؤمنين و قاده الغرّ المحجلين و موالى المؤمنين، و نحن أمان أهل الأرض كما أنّ النجوم أمان أهل السّماء، و نحن الذين بنا يمسك الله السّماء أن تقع على الارض إلاّ باذنه و بنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها و بنا ينزل الغيث و بنا ينشر الرّحمه

و يخرج بركات الأرض، ثم قال عليه السّلام: و لم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجه لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور و لا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجه الله، فيها و لو لا ذلك لم يعبد الله، قال سليمان: فقلت للصادق عليه السّلام: فكيف ينتفع النّاس بالحجه الغائب المستور؟ قال عليه السّلام: كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السّحاب، و مثله في الاحتجاج إلى قوله لم يعبد الله.

و أمّا النعم الاخرى فأمّا هي كلها متفرّعة على معرفه الله سبحانه و عبادته، و هم اصول تلك المعرفة إذ بهم عرف الله و بهم عبد الله و لولاهم ما عبد الله، كما دلت عليه روايه الكافي السّالفه و غيرها من الأخبار المتواتره، مضافا إلى ما مرّ في ثالث تذييات الفصل الرابع من فصول الخطبه الاولى أنّ ولايتهم عليهم السّلام شرط صحّه الأعمال و قبولها، و بها يترتب عليها ثمراتها الاخرى، و بدونها لا ينتفع بشيء منها.

هم العروه الوثقى التى كلّ من بها تمسك لم يسأل غدا عن خطيئه

فبولايتهم ينال السّعادة العظمى و تدرك الشّفاعه الكبرى و يكتسب الجنان و يحصل الرّضوان الذى هو أعظم الثّمرات و أشرف اللذات، كما قال سبحانه:

«وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ».

و اما الثالث و هو أفضلية المنعم من المنعم عليه ضرورى مستغن عن البيان خصوصا إذا كان الانعام بمثل هذه النعم الجليله التى أشرنا إليها، و أعظمها الهدايه إلى الله و الدّلاله على الله و الارشاد إلى رضوان الله.

و يرشد إلى ما ذكرناه ما رواه فى الاحتجاج عن أبى محمّد الحسن العسكرى عليه السّلام، قال: إنّ رجلا- جاء إلى على بن الحسين عليهما السّلام برجل يزعم أنّه قاتل أبيه،

فاعترف فأوجب عليه القصاص و سأله أن يعفو عنه ليعظم الله ثوابه فكان نفسه لم تطب بذلك، فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام لمدعى الدّم الذى هو الولي المستحق للقصاص إن كنت تذكر لهذا الرّجل عليك فضلا فهب له هذه الجنايه و اغفر له هذا الذّنْب، قال له يابن رسول الله. له عليّ حقّ و لكن لم يبلغ به إلى أن أعفو له عن قتل والدى، قال عليه السّلام فتريد ما ذا؟ قال: أريد القود فان أراد بحقه على أن اصالحه على الدّيه لصالحته و عفوت عنه، قال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: فما ذا حقه عليك؟ قال يا بن رسول الله: لقّانى توحيد الله و نبوّه رسول الله و إمامه عليّ و الأئمه عليهم السّلام، فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: فهذا لا يفى بدم أبيك بلى و الله هذا يفى بدماء أهل الأرض كلّهم من الأولين و الآخرين سوى الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام إن قتلوا فأنه لا يفى بدمائهم شىء الخبر.

(هم أساس الدّين) و بهم قوامه و دوامه كما أنّ قوام البناء على الأساس، و قد ظهر وجهه فى شرح قوله عليه السّلام بهم أقام انحناء ظهره اه فتذكر (و عماد اليقين) و دعامته و عليهم اعتماده و بهم ثباته، إذ بهم يرتفع الشّبهاب و يدفع الشكوكات، و يحتمل أن يكون المراد باليقين خصوص المعارف الحقهّ و العقائد اليقيته، و لعلّه الأنسب بقوله: اساس الدين (اليهم يفىء) أى يرجع (الغالى و بهم يلحق التّيالى) قال البحرانى أشار بقوله: إليهم يفىء الغالى إلى أنّ المتجاوز للفضائل الانسانيه التى مدارها على الحكمه و العفه و الشّجاعه و العداله، إلى طرف الافراط منها يرجع اليهم و يهتدى بهم فى تحصيل هذه الفضائل، لكونهم عليها، و يقوله عليه السّلام: و بهم يلحق التّيالى إلى أنّ المقصر عن يلوغ هذه الفضائل المرتكب لطرف التّفريط فى تحصيلها يلحق بهم عند طلبه لها و معاونه الله له بالهدايه إلى ذلك انتهى.

أقول: و ما ذكره (ره) ممّا لا غبار عليه إلاّ أنّ الاظهر بملاحظه السّياق و سبق قوله: هم أساس الدين: أنّ المراد بالغالى هو المفراط فى الدّين، و بالتالى المقصر فيه بخصوصه، و ان كان وظيفتهم عليهم السّلام العدل فى كلّ الامور و هم الأئمه الوسط

و النمط (١) الأوسط، كما فى الحديث: نحن النمط الأوسط و لا- يدركنا الغالى و لا يسبقنا التالى، و فى حديث آخر نحن التمرقه (٢) الوسطى، بنا يلحق التالى و إلينا يرجع الغالى.

قال بعض شارحى الحديث: استعار عليه السّلام لفظ التمرقه بصفه الوسطى لهم عليهم السّلام باعتبار كونهم أئمه العدل يستند الخلق إليهم فى تدبير معاشهم و معادهم، و من حقّ الامام العادل أن يلحق به التالى المفرط و المقصر فى الدّين، و يرجع إليه الغالى المتجاوز فى طلبه حدّ العدل كما يستند الى التمرقه المتوسطه من على جانبيها.

و فى البحار من أمالى الشيخ باسناده عن فضل بن يسار، قال: قال الصادق عليه السّلام: احذروا على شبابكم الغلاه لا يفسدوهم، فإنّ الغلاه شرّ خلق الله يصغرون عظمه الله و يدعون الرّبوبيه لعباد الله، و الله إنّ الغلاه لشرّ من اليهود و النصارى و المجوس و الذين أشركوا، ثم قال عليه السّلام: إلينا يرجع الغالى فلا نقبله و بنا يلحق المقصر فنقبله، فقيل له كيف ذلك يا بن رسول الله؟ قال عليه السّلام: لأنّ الغالى قد اعتاد ترك الصّلاه و الصّيام و الزكاه و الحجّ فلا يقدر على ترك عاداته و على الرّجوع إلى طاعه الله عزّ و جلّ، و أنّ المقصر إذا عرف عمل و أطاع (و لهم خصايص حقّ الولايه) العظمى و الخلافه الكبرى و هى الرّياسه الكليه و السلطنه الالهيه.

ص: ٣٣١

١- (١) النمط فى حديث اهل البيت نحن النمط الاوسط و لا- يدركنا الغالى و لا يسبقنا التالى النمط بالتحريك الجماعه من الناس امرهم واحد و مثله حديث على (عليه السلام) خير هذه الامه النمط الاوسط قال فى به كره الغلو و التقصير فى الدين و النمط الطريقه من الطرايق و الضرب من الضروب يقال هذا ليس من ذلك النمط اى ليس من ذلك الضرب مجمع البحرين

٢- (٢) قوله تعالى و نمارق مصفوفه واحدها النمرقه بكسر النون و فتحها و هى الوساده و فى الدعاء اللهم لا تجعلنا من الذين تقدموا فمرقوا و لا من الذين تاخروا فمحقوا و اجعلنا من النمرقه الاوسط. و فى حديث الشيعة كونوا النمرقه الوسطى يرجع اليكم الغالى و يلحق بكم التالى فالغالى من يقول فى اهل البيت (عليهم السلام) ما لا يقولون به فى انفسهم و التالى المرتاد يريد الخير ليبلغه ليوجر عليه.

و فى هذه الجملة تنبيه على أنّ للولاية خصايص بها يتأهل لها، و شروطا بها يحصل استحقاقها و أنّ تلك الخصائص و الشروط موجودة فيهم و مختصّه بهم لا- يوجد فى غيرهم، و ذلك بملاحظه كون اللّام حقيقه فى الاختصاص الحقيقى مضافا إلى دلاله تقديم الخبر الذى حقّه التأخير على المبتدأ على انحصار هذه الخصائص فيهم.

و بالجملة فهذه الجملة داله بمنطوقها على أنّ هؤلاء هم المستحقون للولاية و الرّياسه العامه من أجل وجود خواصّها فيهم، و بمفهومها على عدم استحقاق من سواهم لها لخلوّهم عن هذه الخواصّ.

و أمّا ما ذكره الشّارح المعتزلى فى تفسير كلامه عليه السّلام: من أنّ لهم خصايص حقّ ولايه الرّسول على الخلق فتأويل بعيد مخالف لظاهر كلامه عليه السّلام كما لا يخفى، و من العجب أنّه فسّر الولاية قبل كلامه ذلك بالاماره، فيكون حاصل معنى الكلام على ما ذكره أنّ لهم خصايص حقّ اماره الرّسول على الخلق.

و أنت خبير بما فيه أمّا أولا- فلأنّه إن أراد باماره الرّسول على الخلق الرّياسه العامه و السلطنه الكليه التى هى معنى الأولى بالتصرف، فتفسير الولاية بها حينئذ صحيح إلاّ أنّه لا داعى إلى ذلك التفسير إذ دلاله لفظ الولاية على ذلك المعنى أظهر من دلاله الاماره عليه، و إن أراد بها الاماره على الخلق فى الامور السّياسيه و مصالح الحروب فقط فهو كما ترى خلاف ظاهر كلامه عليه السّلام خصوصا بملاحظه سابقه و لاحقه الوارد فى مقام التمدح و إظهار الفضائل و المناصب الالهيه، و من المعلوم أنّ منصب اماره الحرب و نحوه ليس ممّا يعاب به و يتمدح عند منصب النبوه و الرّساله و أمّا ثانيا فلأنّنا لم نر إلى الآن توصيف النّبىّ صلّى الله عليه و آله فى كلام أحد من الامه و لا إطلاق الأمير عليه صلّى الله عليه و آله فى آيه و لا سنه، فأىّ داع إلى تمحل هذا التّأويل المشتمل على السّماجه؟ و الأولى الاعراض عن ذلك و التّصدى لبيان خصايص الولاية.

و قد اشير إليها فى أخبار كثيره أكثرها جمعا لها ما رواه فى الكافى عن

أبي محمّد القاسم بن علا رفعه عن عبد العزيز بن مسلم، و في العيون و البحار من كتاب إكمال الدين و معاني الأخبار و أمالي الصّيدوق جميعا عن الطالقاني عن القاسم بن محمّد بن عليّ الهاروني عن عمران بن موسى عن القاسم بن مسلم عن أخيه عبد العزيز ابن مسلم، قال: كنا مع الرّضا عليه السّلام «في أيام عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام خ ل» بمرور فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في «بدوخ» بدء مقدمنا فأداروا «فأدار الناس خ» امر الامامه و ذكروا كثره اختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي و مولاي عليه السّلام فاعلمته خوض «ما خاض خ» الناس فيه، فتبسم عليه السّلام ثمّ قال يا عبد العزيز جهلوا القوم و خدعوا عن آرائهم «أديانهم خ» (1) ان الله لم يقبض نبيه صلّى الله عليه و آله حتّى أكمل له الدّين و أنزل عليه القرآن فيه تبيان «تفصيل خ» كلّ شيء بيّن فيه الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام، و جميع ما يحتاج إليه النّاس كملا، فقال عزّ و جلّ:

«ما فرطنا في الكتاب من شيءٍ» و أنزل في حجه الوداع و هي آخر عمره صلّى الله عليه و آله: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ اتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا».

و أمر الامامه من تمام الدين و لم يمض حتّى بيّن لامته معالم دينهم «دينه خ» و أوضح لهم سبيلهم «سبله خ» و تركهم على قصد سبيل الحقّ و أقام لهم عليّا عليه السّلام علما و إماما و ما ترك شيئا يحتاج إليه الاممه إلاّ بينه. فمن زعم أن الله عزّ و جلّ لم يكمل

ص: ٣٣٣

١- (١) «بيان» قوله و خدعوا عن اديانهم اي خدعهم الشيطان صارفا لهم عن اديانهم و في الكافي عن آرائهم فعن تعليبيه قوله تعالى ما فرطنا الاستشهاد بالآيه على وجهين الاول ان الامامه اعظم الاشياء فيجب ان يكون مبينا فيه الثاني انه تعالى اخبر ببيان كل شيء في القرآن و لا- خلافا ان غير الامام لا- يعرف كل شيء من القرآن فلا- بد من وجود الامام المنصوص و على التقديرين مبنى الاستدلال على كون المراد بالكتاب القرآن كما هو الظاهر و قيل اللوح المحفوظ. قوله من تمام الدين اي لا شك انه من امور الدين بل اعظمها كيف لا و قد قدموه على تجهيز الرسول (صلّى الله عليه و آله) الذي كان من اوجب الامور فلا بد ان يكون داخلا- فيما بلغه (صلّى الله عليه و آله) و القصد الطريق الوسط و الاضافه بانيه الا بينه بعلي (عليه السلام) او للناس بالنص عليه قوله هل يعرفون الغرض ان نصب الامام موقوف على العلم بصفاته و شرايط الامامه و هم جاهلون بها فكيف يتيسر لهم نصبه و تعيينه قوله و امنع جانبا اي جانبه اشد منعا من ان يصل اليه يد احد و الاشاده رفع الصوت بالشئ يقال اشاده و اشاد به اذا اشاعه و رفع ذكره و صارت في الصفوه مثلثه اي اهل الطهاره و العصمه و اهل الاصطفاء و الاختيار و النافله العطيّه الزائده او ولد الولد يهدون بامرنا اي لا- بتعيين الخلق قرنا فقرنا منصوبان على الظرفيه قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم اي اخصهم و اقربهم من الولي بمعنى القرب او احقهم بمقامه الاستدلال بالآيه مبنى على ان المراد بالمؤمنين فيها الاثمه عليهم السّلام او على ان تلك الامامه انتهت الى النبي (صلّى الله عليه و آله) و هو لم يستخلف غير علي (عليه السلام) بالاتفاق قوله و قال الذين اتوا العلم، اقول قبل هذه الآيه و يوم تقوم الساعه يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعه كذلك كانوا يؤفكون، فالظاهر ان هذا جواب قول المجرمين و القائل هم الذين اتوا العلم و الايمان و مصداقهم الاكمل النبي (صلّى الله عليه و آله) و الاثمه «عليهم السلام» إذ هم المقصودون لا غيرهم، و ربما يوهم ظاهر الخبر ان المخاطب هم الاثمه «عليهم السلام» و المراد لبثهم في علم الكتاب لكن لا يساعده سابقه لاحقه نعم قال علي بن ابراهيم هذه الايه مقدمه و مؤخره و انما هو و قال الذين اتوا العلم و الايمان في كتاب الله لقد لبثتم الى يوم البعث و هو لا ينافي ما ذكرنا قوله اذ لا نبى اما تعليل لكون الخلافه فيهم و التقريب انه لا

نبي بعد محمد «صلى الله عليه وآله» حتى يجعل الامامه في غيرهم بعد جعل النبي فيهم او لكونهم أئمه الانبياء او لامتداد ذلك الى يوم القيامة و التقريب ظاهر هو قريب من الاول منزله الانبياء اى منزله لهم و لمن هو مثلهم او كانت لهم فيجب ان ينتقل الى من هو مثلهم و الزمام الخيط الذى يشد فى طرفه المقود و قد يطلق على المقود و الاس اصل البناء و السامى العالى و الثغور حدود بلاد الاسلام المتصله ببلاد الكفر و الذب المنع و الدفع و الفعل كنصر قوله لا تناله الايدى اى ايدى الاوهام و العقول و الساطع المرتفع و الغيب الظلمه و شده السواد و الدجى بضم الدال الظلمه و الاضافه للمبالغه و استعير لظلمات الفتن و الشكوك و الشبه و فى الكافى و اجواز البلدان و القفار جوز كل شىء وسطه و القفار جمع القفر و هو مفازة لا نبات فيها و لا ماء و فى الاحتجاج و البيد القفار جمع البيداء و هو اظهر و اللجه بالضم معظم الماء و الظماء بالتحريك شده العطش و الردى الهلاك و البقاع ما ارتفع من الارض و الاصطلاء افتعال من الصلى بالنار و هو التسخن بها و الهطل بالسكون و التحريك تتابع المطر و سيلانه الغزيره الكثيره قوله و الاخ الشقيق انما وصف الاخ بالشقيق لانه شق نسبه من نسبه و الداهيه الناد يقال ندا اى شرد و نفر و الاظهر انه مهموز كسحاب او كحبالى فى القاموس ناد الداهيه فلا ناديه و الناد كسحاب و النادى كحبالى الداهيه - حرم بضم الحاء و فتح الراء جمع الحرمة و هى ما لا تحل انتهاكه و تضييعه اى تدفع الضر و الفساد عن حرمت الله و هى ما عظمها و امر بتعظيمها من بيته و كتابه و خلفائه و فرايضه و اوامره و نوايه قوله تاهت الحلوم الحلوم العقول كالالباب و ضلت و تاهت و حارت متقاربه المعانى و حسر بصره كضرب اى كل و انقطع نظره من طول مدى و ما اشبه ذلك و فى الكافى خست كمنعت بمعناه و يقال تصاغر الى نفسه اى صغرت و التقاصر مبالغه فى القصر او اظهاره كالتناول و حصر كعلم عيبى فى المنطق و يقال ما يغنى عنك هذا اى ما ينفعك و يجديك و الغنا بالفتح النفع لا تصريح بالانكار المفهوم من الاستفهام حذف الجملة لدلاله ما قبلها على المراد اى لا يوصف الى آخر الجمل كيف تكرر للاستفهام الانكارى تاكيذا و انى مبالغه اخرى بالاستفهام الانكارى عن امكان الوصف و ما بعده و هو بحيث النجم الواو للحال و الباء بمعنى فى و الخبر مخذوف اى مرئى لان حيث لا يضاف الا الى الجمل من ايدى المتناولين متعلق بحيث - قوله كذبتهم اى قال لهم كذبا او بالتشديد اى اذا رجعوا الى انفسهم شهدت انفسهم بكذب مقالتهم قوله و منتهم الباطل و فى الكافى و غيره الاباطيل اى القت فى انفسهم الامانى و يقال منه السير اى اضعفه و اعياه و يقال مكان دحض و دحض بالتحريك اى زلق و فى القاموس رجل حائر بلئراى لم يتجه لشىء و لا ياتمر رشدا و لا- يطيع مرشدا قوله (عليه السلام) ام طبع الله على قلوبهم هذا من كلامه «عليه السلام» اقتبسه من القرآن و ليس فى القرآن بهذه - اللفظه و كذا قوله قالوا سمعنا و فى القرآن هكذا و لا تكونوا كالذين قالوا و كذا قوله و قالوا سمعنا و عصينا و ان كان موافقا للفظ الآيه كما لا يخفى و كذا قوله بل هو فضل الله لعدم الموافقه و وجه الاستدلال بالآيات ظاهر و تفسيرها موكول الى مظانه و اما قوله تعالى و لو اسمعهم لتولوا فلم يرد به العموم بان يكون المراد لو اسمعهم على اى وجه كان لتولوا حتى ينتج لو علم الله فيهم خير التولوا بل المراد انه لو اسمعهم و هم على تلك الحال التى لا- يعلم الله فيهم خيرا لتولوا فهو كالتعليل و التأكيد للسابق و قد اجيب عنه بوجوه لا يسمن و لا يغنى من جوع و لا نطيل الكلام بايرادها قوله لا ينكل بالضم اى لا يجبن و النسك بالضم العباده و الجمع بضمين قوله بدعوه الرسول «صلى الله عليه وآله» اى بدعوه الخلق نيابه عن الرسول صلى الله عليه وآله و آله كما قال النبي صلى الله عليه وآله و آله لا- يبلغه الا- انا او رجل منى و كما قال تعالى ادعو الى الله على بصيره انا و من اتبعنى او بدعاء الرسول اياه للامامه او بدعاء الرسول له فى قوله اللهم وال من والاهم و من قوله صلى الله عليه وآله اللهم اذهب عنهم الرجس و قوله صلى الله عليه وآله و آله اللهم ارزقهم فهمى و علمى و غيرها قوله لا مغمز فيه اى لا مطعن و يقال فلان مضطلع بهذا الامر اى قوى عليه قوله قائم بامر - الله اى لا- باختيار الامه او باجراء امر الله قوله فى قوله تعالى متعلق بمقدر اى ذلك المذكور فى قوله تعالى و يحتمل ان يكون تعليليه قوله و قال عز و جل لنبيه صلى الله عليه وآله فى الكافى بعد ذلك انزل عليك

الكتاب و الحكمة و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما و الغرض من ايراد هذه الآيه ان الله تعالى امتن على نبيه صلى الله عليه و آله بانزال الكتاب و الحكمة و ايتاء نهايه العلم وعد ذلك فضلا عظيما و اثبت ذلك الفضل لجماعه من تلك الامه بانهم المحسودون على ما آتاهم الله من فضله ثم بين أنهم من آل ابراهيم فهم الائمة عليهم السلام و الفضل العلم و الحكمة و الخلافه مع انه يظهر من الآيتين ان الفضل و الشرف بالعلم و الحكمة و لا ريب انهم عليهم السلام اعلم من غيرهم - من المدعين للخلافه و منه يظهر وجه الاستشهاد بقوله تعالى و من يؤت الحكمة و التعس الهلاك و العثار و السقوط و الشر و البعد و الانحطاط. من المجلد السابع من بحار الانوار

دينه فقد ردّ كتاب الله، و من ردّ كتاب الله فهو كافر، هل يعرفون قدر الامامه و محلّها من الامه فيجوز فيها اختيارهم؟ إنّ الامامه أجلّ قدرا و أعظم شأنًا و أعلى مكانا و أمتع جانبا و أبعد غورا من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم: إنّ الامامه خصّ الله بها إبراهيم الخليل عليه السّلام بعد النّبوه و الخله مرتبه ثالثه و فضيله شرّفه بها، و أشاد بها جلّ ذكره فقال:

«إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» فقال الخليل عليه السّلام سرورا بها «وَمِنْ ذُرِّيَّتِي» قال الله تبارك و تعالى: «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ».

فابطلت هذه الآيه إمامه كلّ ظالم إلى يوم القيامة و صارت في الصّيفوه ثم اكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذرّيته أهل الصّيفوه و الطهاره فقال:

«وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ» فلم تنزل في ذرّيته يرثها بعض عن بعض قرنا عن قرن «فقرنا خ» حتّى ورثها الله عزّ و جلّ النّبىّ صلى الله عليه و آله، فقال جلّ و تعالى:

«إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَ هَذَا النَّبِيُّ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ اللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ»

فكانت له خاصه، فقلدها عليا عليه السلام بأمر الله عز وجل على رسم ما فرض «فرضها خ» الله فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والايمن بقوله جل وعلا:

«وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ» فهي في ولد علي عليه السلام خاصة إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وآله فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟ إن الامامه هي منزله الأنبياء وارث الأوصياء.

إن الامامه خلافه الله وخلافه الرسول صلى الله عليه وآله ومقام أمير المؤمنين وميراث الحسن والحسين عليهم السلام، إن الامامه «الامام خ» زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين.

إن الامامه اس الاسلام التامى وفرعه السامى.

بالامام تمام الصلاه والزكاه والصيام والحج والجهاد وتوفير الفىء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف.

ص: ٣٣٥

الامام يحلل حلال الله و يحرم حرام الله و يقيم حدود الله و يذب عن دين الله و يدعو الى سبيل ربه بالحكمه و المواعظه الحسنه و الحجّه البالغه.

الامام كالشمس الطاعه المجلله بنورها للعالم و هى فى الافق بحيث لا تنالها الأيدى و الأبصار.

الامام البدر المنير و السراج الظاهر و النور الساطع و النجم الهادى فى غياهب الدجى و أجواز البلدان و الفقار «و البيد الفقارخ» و لجج البحار.

الامام الماء العذب على الظماء و الدال على الهدى و المنجى من الردى.

الامام النار على البقاع الحارّ لمن اصطفى به و الدليل فى المهالك من فارقه فهالك.

الامام السحاب الماطر و الغيث الهاطل و الشمس المضيئه و السماء الظليله و الأرض البسيطة و العين الغزيره و الغدير و الروضه.

الامام الأنيس الرفيق و الوالد الشفيق «الأمين الرفيق و الوالد الرقيقخ» و الأخ الشقيق و الأم البره بالولد الصيغير و مفرع العباد فى الداهيه «وخ» الناد.

الامام أمين الله في خلقه و حجته على عباده و خليفته في بلاده و الداعي إلى الله و الذاب عن حرم الله.

الامام المطهر من الذنوب و المبرى من العيوب المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم نظام الدين و عز المسلمين و غيظ المنافقين و بوار الكافرين الامام واحد دهره و لا يدانيه أحد و لا يعادله عالم و لا يوجد منه بدل و لا له مثل و لا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه و لا- اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذي يبلغ معرفه الامام او يمكنه اختياره هيئات هيئات، ضلت العقول و تاهت الحلوم، و حارت الألباب، و حسرت «خسئت خ» العيون، و تصاغرت العظماء و تحيرت الحكماء، و تقاصرت الحلمااء، و حصرت الخطباء، و جهلت الألباء، و كلت الشعراء، و عجزت الأدباء، و عييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، او فضيله من فضايله فأقرت «و اقرت خ» بالعجز و التقصير، و كيف يوصف بكلمة أو ينعت بكنهه أو يفهم شيء من أمره أو يوجد من يقوم «يقوم أحد خ» مقامه و يغنى غناه، لا كيف و أنى و هو بحيث النجم من أيدي «يدخ»

ص: ٣٣٧

المتناولين و وصف الواصفين فأين الاختيار من هذا و اين العقول عن هذا و اين يوجد مثل هذا ظنوا «أ يظنون خ» أن ذلك يوجد فى غير آل الرسول «محمد خ» عليهم السلام كذبتهم و الله أنفسهم و منتهم الأباطيل «الباطل خ» فارتقوا مرتقا صعبا دحضا تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامه الامام بعقول حائره باثره ناقصه، و آراء مضله، فلم يزدادوا منه إلا بعدا قاتلهم الله أنى يؤفكون «و خ» لقد راموا صعبا و قالوا إفكا و ضلوا ضلالا بعيدا و وقعوا فى الحيره اذ تركوا الامام عن بصيره «و زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل و كانوا مستبصرين» رغبوا عن اختيار الله و اختيار رسوله إلى اختيارهم و القرآن يناديهم:

«و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيره سبحانه الله و تعالى عما يشركون» و قال عز و جل: «و ما كان لمؤمن و لا مؤمنه إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيره من أمرهم» الآية.

و قال عز و جل: «ما لكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون إن لكم فيه لما تحيرون أم لكم أيمان علينا بالعه إلى يوم القيامه إن لكم لما تحكمون سئلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين» و قال عز و جل: «أ فلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أفعالها»، أم طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون»، أم قالوا

«سَيَمِغْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ»، «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَ لَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ»، وَ «قَالُوا سَيَمِغْنَا وَ عَصَيْنَا»، بَلْ هُوَ «فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ» فكيف لهم باختيار الامام و الامام عالم لا يجهل و راع «داع خ» لا ينكل معدن القدس و الطهاره و التَّسْكُ و الزهاده و العلم و العباده، مخصوص بدعوه الرسول و نسل المطهره البتول، لا مغمز فيه في «من خ» نسب و لا يدانيه ذو حسب فالبيت من قريش و الذروه من هاشم، و العتره من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، و الرضا من الله «عزَّ وَ جَلَّ خ» شرف الاشراف، و الفرع من عبد مناف، نامى العلم كامل الحلم مضطلع بالامامه، عالم بالسياسه، مفروض الطاعه، قائم بأمر الله ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ

و الأئمة «صلوات الله عليهم خ» يوفقهم الله و يؤتاهم من مخزون علمه و حكمه ما لا- يؤتاه غيرهم فيكون «علمهم خ» فوق كل علم أهل زمانهم في قوله تبارك و تعالى:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ.»

و قوله عز و جل: «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا.»

و قوله عز و جل في طالوت: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسِيطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللَّهُ يُؤْتِي مَلِكُهُ مَن يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ.»

و قال عز و جل لنبه صلى الله عليه و آله: «أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا.»

و قال عز و جل في الأئمة من أهل بيته و عترته و ذريته «صلوات الله عليهم خ»:

«أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا» و ان العبد إذا اختاره الله عز و جل لامور عباده شرح صدره لذلك و أودع قلبه ينايع الحكمة

و ألهمه العلم إلهاما فلم يعى بعده بجواب، و لا تحير فيه عن الصواب و هو «فهو خ» معصوم مؤيد موفق مسدد «مسدد من الخطاء خ» و قد أمن الخطايا و الزلل و العثار يخصه الله عز و جل بذلك ليكون حجته «حجه خ» على عباده و شاهده على خلقه:

«ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ».

فهل يقدرّون مثل هذا فيختاروه «نه خ» أو يكون مختارهم بهذه الصفة فيقدموه «نه خ» بعدد «تعدد خ» «نعدواظ» و بيت الله الحقّ و نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، و فى كتاب الله الهدى و الشفاء فنبذوه و اتبعوا أهواهم فدمّهم الله و مقتهم و اتعسهم، فقال عزّ و جلّ:

«وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

و قال عزّ و جلّ: «فَتَعَسَى لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ».

و قال عزّ و جلّ: «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ». و صلّى الله على محمّد و آله و سلّم تسليما كثيرا.

(و فيهم الوصيّه و الوراثه) قال الشارح المعتزلى، أمّا الوصيّه فلا ريب عندنا أنّ عليّا عليه السّلام كان وصيّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و إن خالف فى ذلك من هو منسوب إلى العناد، و لسنا نعى بالوصيّه النّصّ و الخلافه و لكن امورا اخرى لعلها إذا لمحت اشرف و أجلّ و أمّا الوراثه فالاماميه يحملونها على ميراث المال و الخلافه و نحن نحملها على وراثه العلم انتهى، أقول: و أنت خبير بما فيه أميا أولا- فلائنه قد تقرّر فى مقامه أنّ حذف المتعلّق يفسد العموم، و على ذلك فحيث لم يذكر عليه السّلام للوصيّه متعلّقا و لم يقيد

الوراثه بشيء مخصوص فلا- بد أن يكون المراد منه كل ما كان صالحا للوصيه وقابلا للتوريث من المال و العلم و الامامه و الخلافه، فكلامه عليه السلام بنفسه مع قطع النظر عن الأدله الخارجيه العقلية و النقلية العاميه و الخاصيه كما ستأتى فى مقدمه الخطبه الآتية دال على ثبوت الوصيه لهم فى جميع ما ذكر و وراثتهم لها كذلك، فيكون استحقاقهم لها من جهتي الوصيه و الوراثه معا.

و أمّا ثانيا فلاأنا لا ندرى أى أمر أشرف و أجل من الرياسه العامه و الخلافه الالهيه حتى يحمل الوصيه فى كلامه عليه السلام عليه، بل كل ما يتصور حملها عليه فهو دون مرتبه الخلافه التّاليه لمرتبه النبوه، و من كان له نظر بصيره و دقه يعرف تدليس الشّارح و أنه يزخرف كلامه و يورّى مرامه هذا، و من لطايف الأشعار المقوله فى صدر الاسلام المتضمّنه لوصايته عليه السلام قول عبد الرحمن بن خعيل «خثيل ظ»:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظه على الدّين معروف العفاف موقفا

عليا وصى المصطفى و ابن عمه و أول من صلى أخوا الدين و التقى

و قال الفضل بن عباس:

و كان وليّ الامر بعد محمّد علىّ و فيكلّ المواطن صاحبه

وصى رسول الله حقا و صهره و أول من صلى و ما ذمّ جانبه

و قال عقبه بن أبى لهب مخاطبا لعائشه:

أعائش خلى عن علىّ و عتبه بما ليس فيه أنّما أنت والده

وصى رسول الله من دون اهله فأنت على ما كان من ذاك شاهده

و قال أبو الهيثم بن التّيهان:

قل للزبير و قل لطلحه إنّنا نحن الذين شعارنا الانصار

نحن الذين رأّت قريش فعلنا يوم القليب اولئك الكفّار

كنا شعار نبينا و دثاره يفديه منّا الرّوح و الابصار

إنّ الوصى إمامنا و ولينا برح الخفاء و باحت الاسرار

و قال عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب:

و مَّا عَلِيٌّ ذَاكَ صَاحِبَ خَيْرٍ وَ صَاحِبَ بَدْرٍ يَوْمَ سَأَلَتْ كِتَابَهُ

و وصيَّ النَّبِيِّ المصطفى و ابن عمِّه فَمَنْ ذَا يَدَانِيهِ وَ مَنْ ذَا يِقَارِبِهِ

و من أحسن ما قاله المتأخرون قول القاضي التتوخي:

وزير النَّبِيِّ المصطفى و وصيِّه و مشبهه في شيمه و ضراب

و من قال في يوم الغدير محمّد و قد خاف من غدر العداة النواصب

اما اننى أولى بكم من نفوسكم فقالوا بلى ريب المريب الموارد

فقال لهم من كنت مولاه منكم فهذا اخي مولاه بعدى و صاحبي

اطيعوه طرافه منى بمنزل كهارون من موسى الكليم المخاطب

(الان اذ رجع الحق الى اهله و نقل الى منتقله) اى موضع انتقاله و المراد بالحق هو حق الولاية الذى سبق ذكره، فاللام للعهد و هذه الجملة كالنص فى أنّ الخلافة كانت فيما قبل فى غير أهلها و أنّه عليه السلام هو أهل لها دون من تقدّمه.

قال الشّارح المعتزلى بعد ما قال: إنّ هذا يقتضى أن يكون فيما قبل فى غير أهله و نحن نتأول ذلك على غير ما تذكره الاماميّه و نقول: إنّّه عليه السّلام كان أولى بالأمر و أحقّ لا على وجه النّص بل على وجه الأفضليّه، فأنّه أفضل البشر بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و أحقّ بالخلافة من جميع المسلمين، لكنّه ترك حقّه لما علمه من المصلحه و ما تفرّس فيه هو و المسلمون من اضطراب الاسلام و انتشار الكلمه لحسد العرب له و ضغنهم عليه، و جازى لمن كان أولى بشيء فتركه ثم استرجعه أن يقول:

قد رجع إلى أهله.

أقول: فيه أوّلا إنّ التّأويل خلاف الأصل لا يصار إليه إلاّ بدليل.

و ثانيا إنّ إنكار كونه عليه السلام أحقّ بالأمر من جهة النّص لا وجه له بل النّص على ذلك كتابا و سنّه فوق حد الاحصاء.

و ثالثا إنّّه عليه السّلام إذا كان أفضل البشر بعد الرّسول و الأحقّ بالخلافة من الجميع فلا بدّ على ذلك أن يكون هو الخليفة دون غيره، إذ تفضيل المفضول على

الفاضل و تقديم المحتاج إلى التكميل على الكامل قبيح عقلا و نقلا حسبا ستعرفه في مقدمات الخطبه الآتیه إنشاء الله، و من العجب أن الشارح مع كونه عدلي المذهب نسب ذلك القبح إلى الله سبحانه في خطبه الشرح حيث قال: و قدّم المفضول على الفاضل لمصلحه اقتضاها التكليف.

و رابعا إن تركه عليه السلام لحقه عن طوع و اختيار لم يدل عليه دليل يعوّل عليه إلا الأخبار العاميه الموضوعه «المختلقه خ ل» و الأخبار المتواتره من طرق الخاصه بل و المستفيضه من طريق العامه ناصه على خلافه و كفى بذلك شاهدا الخطبه الآتیه المعروفه التي هي صريحه في أن تركه عليه السلام للأمر لم يكن عن رضاء و اختيار، و تأويلات الشارح هناك مثل ساير ما تكلفه في تضاعيف الشرح أو هن من بيوت العنكبوت نظير احتجاجاته على حقيّه الجبت و الطاغوت، كما ستطلع عليه حيثما بلغ الكلام محلّه إنشاء الله، و لنعم ما قيل:

إذا لم يكن للمرء عين صحيحه فلا غرو أن يرتاب و الصبح مسفر

الترجمه

بعض دیگر از این خطبه در شأن منافقین است می فرماید، کاشته اند منافقین تخم فسق و فجور را در قلب خودشان و آب داده اند آنرا با آب غفلت و درویده اند هلاکت را در دنیا و آخرت که ثمره آن فجور و غرور است، قیاس کرده نمی شود به آل محمد صلوات الله و سلامه علیه و علیهم از این امت هیچ أحد، و برابر کرده نمی شود بایشان آن کسی که جاری شده نعمتهای ایشان بر او همیشه، ایشان اصل دین اند و ستون یقین اند، بسوی ایشان باز می گردد افراط کنندگان، و بایشان لاحق می شود تفریط نمایندگان، و ایشان راست خاصه های حق ولایت و خلافت، و در ایشانست وصیت حضرت رسالت و وراثت از خاتم نبوت، این هنگام وقت آنستکه راجع شود حق ولایت باهل خود، و زمان آنستکه نقل شود رتبه خلافت بمحل انتقال خود، یا آنکه این هنگام بتحقیق رجوع نمود حق باهلش و منتقل گردید بموضع انتقالش، و الله العالم بحقایق کلام ولیه علیه السلام.

اشاره

المعروفه بالشقشقيه

نسبه لها إلى ما عبر به عنها و هو لفظه الشّشقيه، حيث قال عليه السّلام: تلك شقشقه هدرت اه، و ربّما تعرف بالمقمصه أيضا من حيث اشتمالها على لفظ التّمصّ الوارد في أولها، و هو نظير التّعير عن السّور بأشهر ألفاظها كالبقره و آل عمران و الرّحمن و الواقعه و غير ذلك،

و لا بدّ قبل الشروع في المقصود من تمهيد مقدّمات

الاولى

إنّه قد وقع الخلاف بين علماء الخاصه و كثير من علماء العامه في أنّ هذه

الخطبه من كلام الامام عليه السّلام أو من كلام الرّضى رضى الله عنه.

أمّا الخاصّه فالظاهر اتّفاقهم على الأوّل، و لم يظهر لى إلى الآن من ينكر كونها منه عليه السّلام، و قد نقلها جمع كثير من المحققين من الفقهاء و المتكلمين و المحدثين و غيرهم في مؤلفاتهم من دون إشاره إلى خلاف فيها منهم.

و أمّا العامه فكثير منهم ذهبوا إلى الثّانى و أنكروا كونها من كلامه عليه السّلام نظرا إلى ما اشتملت عليه من التّظلم و الشكايه فى أمر الامامه و دلالتها على اغتصاب الخلافه، و قد أفرط بعضهم و قال: إنّه عليه السّلام لم يصدر منه شكايه قط و لا كلام فى هذا الأمر أصلا.

و منهم من أذعن بكونها منه عليه السّلام إلاّ أنّه على زعمه الفاسد أوّل المطاعن المشتمله عليها على وجه لا يوجب القدح فى سلفهم، و من هؤلاء الفرقة القاضى عبد الجبار البغدادي و الشّارح المعتزلى حسبما تعرفه فى كلامه الذى نحكيه.

أقول: و الحقّ أنّه لا غبار على كونها منه عليه السّلام و لا معنى لانكار ذلك.

أمّا أولا- فلشهاده فصاحتها و حسن اسلوبها و بديع نظمها على أنّها كلام فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق، فهى بنفسها شاهد صدق على أنّها صادرة

و أما ثانيا فلضعف مستند المنكر إذ الألفاظ المشتمله على التّظلم و الشكايه قد صدرت منه عليه السّلام فوق حد الاحصاء، كما يشهد به ملاحظه أخبار السقيفه و غيرها، و المناقشه بينه عليه السّلام و بين المتخلفين في أمر الخلافه ممّا صارت من الضروريات لا ينكره إلا جاهل أو متجاهل.

و أما ثالثا فلأنّ هذه الخطبه قد وجدت في كتب جماعه من العامه و الخاصه صنّفت قبل زمن الرّضى.

قال الشّارح البحرانى: قد وجدت في موضعين تاريخهما قبل مولد الرّضى بمده أحدهما أنّها مضمينه كتاب الانصاف لأبى جعفر بن قبه تلميذ أبى القاسم الكعبى أحد شيوخ المعتزله و كانت وفاته قبل مولد الرّضى الثانى أنى وجدت بنسخه عليها خط الوزير أبى الحسن على بن محمّد بن الفرات، و كان وزير المقتدر بالله و ذلك قبل مولد الرّضى بنيف و ستين سنه، و الذى يغلب على ظنى أنّ تلك النسخه كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمده انتهى.

و قال الشّارح المعتزلى حدّثنى شيخى أبو الخير مصدّق بن شبيب الواسطى فى سنه ثلاث و ستمائه، قال: قرأت على الشّيخ أبى محمّد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبه، فقلت له: أتقول إنّها منحوله؟ فقال: لا و الله، و إنى لأعلم أنّه كلامه كما أعلم أنّك مصدّق، قال: فقلت: له إنّ كثيرا من الناس يقولون: إنّها من كلام الرّضى، فقال: أنى للرّضى و لغير الرّضى هذا التّفنّس و هذا الاسلوب، قد وقفنا على رسايل الرّضى و عرفنا طريقته و فنّه فى المنثور و ما يقع مع هذا الكلام فى خلّ و لا خمر، قال: و الله لقد وقفت على هذه الخطبه فى كتب صنّفت قبل أن يخلق الرّضى بمأتى سنه، و لقد وجدت مسطوره بخطوط أعرفها و أعرف خطوط من هى من العلماء و أهل الأدب قبل أن يخلق النّقيب أبو محمّد والد الرّضى.

قال الشّارح: قلت: و قد وجدت أنا كثيرا من هذه الخطبه فى تصانيف شيخنا أبى القاسم البلخى إمام البغداديين من المعتزله و كان فى دوله المقتدر قبل أن يخلق

الرضي بمدته طويله، و وجدت أيضا كثيرا منها في كتاب أبي جعفر بن قبه أحد متكلمي الاماميه و هو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الانصاف، و كان أبو جعفر هذا من تلامذه الشيخ أبي القاسم البلخي و مات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضي (ره) موجودا، انتهى.

و قال المحدث العلامة المجلسي (ره) في البحار و من الشواهد على بطلان تلك الدعوى الواهيه الفاسده أن القاضي عبد الجبار الذي هو من متعصبى المعتزله قد تصدى في كتابه المبني لتأويل بعض كلمات الخطبه و منع دلالتها على الطعن في خلافه من تقدم عليه و لم ينكر استناد الخطبه إليه، و ذكر السيد المرتضى رضى الله عنه كلامه في الشافي و زيفه و هو أكبر من أخيه الرضي (ره) و قاضى القضاء متقدم عليهما، و لو كان يجد للقدح في استناد الخطبه إليه مساغا لما تمسك بالتأويلات الركيكه في مقام الاعتذار و قدح كما فعل في كثير من الروايات المشهوره، و كفى للمنصف وجودها في تصانيف الصيودوق (ره) و كانت وفاته سنه تسع و عشرين و ثلاثمأه، و كان مولد الرضي سنه تسع و خمسين و ثلاثمأه، انتهى كلامه (ره) و يشهد به أيضا روايه المفيد لها في كتاب الارشاد، و هو (ره) شيخ الرضي و استاده.

فقد ظهر و استبان ممّا ذكرنا كله أنه لا وجه لانكار كون الخطبه منه عليه السلام، و ظنى أنّ من أنكر ذلك إنّما أنكره من حيث إنّ رأى صراحتها في الطعن على المنتحلين للخلافه لا جرم بادر إلى الانكار كى لا يلتزم بمقتضاها كما هو دأبهم و ديدنهم في اكثر النصوص المفيده لانحصار الخلافه فيه عليه السلام، أو للطعن في غيره و كفى بذلك إنكار بعضهم حديث الغدير المتواتر الذى قاله النبي صلى الله عليه و آله بمحضر سبعين ألفا من المهاجر و الأنصار و الحاضر و الباد، و لیت الشارح المعتزلى أنكرها أيضا من أصلها كى يستريح من تكلفاته الفاسده و تأويلاته الباردة التى ارتكبها لرفع العار و الشناعه عن الثلاثه و لن يصلح العطار ما أفسد الدهر.

اعلم أنه قد طال التشاجر بين الخاصّة و العامه في مسأله الامامه

فاختلفوا تاره في أنّ نصب الامام بعد انقراض زمن النبوه هل هو واجب على الله أم علينا عقلا أو سمعا و ثانيه في أنّ العصمه هل هي لازمه للامام أم لا و ثالثه في أنّ الامام هل يجب أن يكون أفضل من رعيته و رابعه في أنّ الامام بعد الرسول صلّى الله عليه و آله من هو إلى غير ذلك من المسائل التي صارت معركه للآراء بين علماء الاسلام، و تفصيلها موكول إلى علم الكلام و لا حاجه لنا إلى إشباع الكلام فيها.

و إنّما المقصود بالبحث في هذه المقدمه هو أنّ الشارح المعتزلي مع قوله بأفضليته أمير المؤمنين عليه السّلام و اختياره تفضيله على المتخلفين الثلاثه بأيّ معنى حمل الأفضل أعنى الأكثر ثوابا أم الاجمع لمزايا الفضل و الخلال الحميده و مع مبالغته و مزيد اصراره في ديباجه الشّرح في تشييد مباني هذا الأصل و تاسيس اساسه أنكر فرع ذلك الأصل كشيوخه البغداديين، و ضاعت منه ثمره هذه الشّجره و التزم بترجيح المرجوح على الزاجح، و تقديم المفضول على الأفضل مع كونه قبيحا عقلا و نقلا.

و أسند ذلك القبيح تاره إلى الله سبحانه و تعالى كما قال في خطبه الشّرح: و قدّم المفضول على الأفضل لمصلحه اقتضاها التكليف، و أسنده اخرى إلى أنّ الامام عليه السّلام بنفسه قدّم غيره على نفسه لما تفرّس من اضطراب دعائم الاسلام مع عدم التّقديم له من حيث ضغن العرب و حقدهم له و وجود السخايم في صدورهم.

و قد كرّر ذلك الكلام في تضاعيف الشّرح و بالغ فيه شدّه المبالغه كمبالغته في إنكار النّصّ الجليّ على إمامه أمير المؤمنين عليه السّلام و ذهابه إلى أنّ استحقاقه عليه السّلام الخلافه إنّما كان من أجل الأفضليه لا من جهه التّنصيب و وجود النّصّ به من الله أو من النبيّ صلّى الله عليه و آله من حيث قصور النّصوص عن الدّلاله على رأيه الفاسد و نظره الكاسد أو التزامه بتأويلها مع تسليمه صراحتها نظرا إلى قيام الدّليل القطعي على زعمه على خلافها و هو الاجماع المنعقد على خلافه الأوّل و كون بيعته بيعه صحيحه شرعيّه إلى غير ذلك من المزخرفات التي طوس منها شرحه و شيّد بها مذهبه.

وقد ذكر منها شطرا يسيرا فى ذيل الخطبه السّابقه حسبما عرفت هناك و لفقّ منها كثيرا فى شرح هذه الخطبه و غيرها من الخطب الآتية، و قد التزمنا فى شرحنا ذلك أن ننبّه على هفواته و نكشف عن خطاياها و زلّاته بقدر الامكان على حسب ما يقتضيه المقام.

و لما كان بسط الكلام فى كلّ ما زلّ فيه قدمه أو طغى فيه قلمه يوجب الاطاله و الاطناب أحببنا أن نذكر فى هذه المقدّمه أصلا كافيا يرجع إليه، و دليلا و افيا يعتمد عليه فى إبطال جميع ما ذهب إليه ينتفع به فى شرح هذه الخطبه و سابقتها، و يسهل الحواله إليه فى شرح الخطبه التّاليه ممّا احتيجت إلى الاحاله فيها، فالمقصود فى هذه المقدّمه هو إثبات خلافه أمير المؤمنين عليه السّلام و إقامه الدليل على انحصار الخلافه بالتّقل و العقل كليهما. فأقول و بالله التكلان و هو المستعان: إنّ هنا مقصدين.

المقصد الاول: فى الأدله التّقليه و النّصوص اللفظيه

اشاره

فى الأدله التّقليه و النّصوص اللفظيه

و هى على قسمين.

القسم الاول: الآيات القرآنيه

اشاره

الآيات القرآنيه

، و هى كثيره لا تحصى و نحن نذكر منها طائفه ممّا هى اقوى دلالة و أثبت حجه.

منها آيه الولاية

قوله تعالى: «إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» تقريب الاستدلال أنّ الولي قد جاء فى اللغه تاره بمعنى الناصر و المعين، كقوله تعالى:

«الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ».

و اخرى بمعنى المتصرف و الأحقّ به و الأولى بذلك، و من ذلك السلطان وليّ من لا وليّ له و قوله صلى الله عليه و آله: أيما امرأه نكحت بغير إذن وليها، و لا يجوز أن يراد به فى الآيه

المعنى الأول، إذ الولاية بذلك المعنى عامه لجميع المؤمنين كما يشهد به الآيه السابقه، فلا بد أن يكون المراد به المعنى الثانى كى يستقيم الحصر المستفاد من كلمه إنّما، فاذا ثبت أنّ المراد به الأولى بالتصرف فالمراد به أمير المؤمنين عليه السلام لا غير.

أما أولا فللإجماع المركب. إذ كلّ من قال: إنّ المراد بالآيه هو الشخص الخاص بمقتضى كلمه الحصر فقد قال: إنّ المراد به هو على عليه السلام.

و أمّا ثانيا فللإجماع على أنّ إتياء الزكاه فى حال الرّكوع لم يكن إلّا فى حقّ على عليه السّلام، فتكون الآيه مخصوصه به و داله على إمامته.

و أمّا ثالثا فللتفاق المفسرين على ما حكاه شارح التّجريد القوشجى على أنّها نزلت فى حقه عليه السّلام حين أعطى السّائل خاتمه و هو راعى فى صلاته، و مثله ابن شهر آشوب فى كتاب الفضائل حيث قال فى محكى كلامه: اجتمعت الامه على أنّ هذه الآيه نزلت فى أمير المؤمنين عليه السلام انتهى.

و أمّا رابعا فللدلاله الأخبار المتظافره بل المتواتره من العامه و الخاصه على نزولها فيه عليه السّلام، و قد نقل السيّد المحدّث العلامة السيّد هاشم البحرانى فى كتاب غايه المرام من طرق العامه أربعة و عشرين حديثا فى نزولها فيه عليه السلام، و من طريق الخاصّه تسعه عشر حديثا، من أراد الاطلاع فليرجع إليه و فى ذلك قال حسان بن ثابت:

أبا حسن تفديك نفسى و مهجتى و كلّ بطىء فى الهواء و مسارع

أ يذهب مدحى و المخبر ضايح و ما المدح فى جنب الاله بضايح

فأنت الذى اعطيت اذ كنت راكعا فدتك نفوس القوم يا خير راع

فأنزل فيك الله خير و لايه و بينها فى محكمات الشرايع

هذا، و أورد النّاصب الفخر الزّازى فى التّفسير الكبير على الاستدلال بالآيه تاره بعدم إمكان أن يكون المراد بها على عليه السلام، و أخرى بأنّها على تقدير أن يكون المراد بها هو ذلك لا دلالة فيها على ولايته عليه السلام، لأنّه إنّما يتمّ إذا كان المراد

بلفظ الولي هو المتصرف لا الناصر والمحَب، و هو ممنوع بل حمله على الثاني أولى.

و استدل على الأول أعني عدم امكان كون المراد بها أمير المؤمنين سلام الله عليه بوجه:

الأول أنّ الزكاة اسم للواجب لا للمندوب بدليل قوله تعالى: و آتوا الزكاة، فلو أنه أدى الزكاة الواجبه في حال كونه في الركوع لكان قد أحر أداء الزكاة الواجب عن أول أوقات الوجوب، و ذلك عند أكثر العلماء معصيه و أنه لا يجوز إسناده الى علي عليه السلام، و حمل الزكاة على الصّيدقه النافله خلاف الأصل لما بينا أنّ قوله: و آتوا الزكاة، ظاهره يدلّ على أنّ كل ما كان زكاة فهو واجب.

الثاني هو أنّ اللائق بعلي عليه السلام أن يكون مستغرق القلب بذكر الله حال ما يكون في الصلاة، و الظاهر أنّ من كان كذلك فانه لا يتفرغ لاستماع كلام الغير و لفهمه، و لهذا قال تعالى:

«الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» و من كان قلبه مستغرقا في الفكر كيف يتفرغ لاستماع كلام الغير.

الثالث أنّ دفع الخاتم في الصّلاه للفقير عمل كثير و اللّايق بحال علي عليه السلام أن لا يفعل ذلك.

الرّابع أنّ المشهور أنّه عليه السلام كان فقيرا و لم يكن له مال تجب فيه الزكاة، و لذلك فأنهم يقولون: إنّهُ لما أعطى ثلاثه أقراص نزل فيه سوره هل أتى، و ذلك لا يمكن إلا إذا كان فقيرا، فأما من كان له مال تجب فيه الزكاة يمتنع أن يستحقّ المدح العظيم المذكور في تلك السوره على اعطاء ثلاثه أقراص و إذا لم يكن له مال تجب فيه الزكاة امتنع حمل قوله: و يؤتون الزكاة و هم راعون، عليه.

أقول: و يتوجه على الأوّل منع كون الزكاه اسما للواجب فقط، بل هو كسائر أسامي العبادات موضوع للواجب و المندوب كليهما، و إلّا لزم أن يكون للمندوبات اسم تختصّ به وراء أسامي الواجبات، و هو خلاف ما اتّفق عليه الكلّ إذ لم نطلع إلى الآن على أحد يفرّق بين الواجب و المندوب في الاسم، و لم نجد للمندوبات أسامي مستقلّة غير أسماء الواجبات في كتبهم الفقيهيه و الأُصوليه، و لا- في شيء من الكتاب و السنّه، و كون الزكاه في الآيه واجبه من حيث تعلّق الأمر بها لا يدلّ على كون مطلق التّسميه للواجب، إذ التّسميه مقدّمه على الحكم ذاتا و رتبه فلا دلالة فيها على أنّ كلّ ما كان زكاه فهو واجب و لو في غير مقام تعلّق الأمر كما في الآيه التي نحن بصددّها، و كما في قولنا الزكاه عبادّه، و نحو ذلك، و على فرض التنزل و المماشاه نمنع كون تأخير أدائها عن وقت الوجوب مطلقا معصيه إذ ربّما يجوز تأخيرها لعدم وجود المستحقّ، أو لعذر آخر و لا إثم على ذلك بوجه، بل يجوز التّأخير مع العزل أيضا على مذهب البعض، بل و مع عدم العزل أيضا إلى شهرين على مذهب أبي حنيفه و غيره من العامه، و كيف كان فلا خفاء في فساد ما توهمه.

و على الثّاني أنّ استغراق القلب بالذكر في الصلاه إنّما ينافي التّوجه إلى الامور الدنيويه الشّاغله عن الذكر، و أمّا إعطاء الخاتم للفقير المستحقّ ابتغاء لمرضاته سبحانه و التّوجه إلى سؤاله فلا ينافي الاستغراق، بل هو عين الذكر.

يعطى و يمنع لا تلهيه سكرته عن التّديم و لا يلهو عن الكاس

أطاعه سكره حتّى تمكّن من فعل الصّحاح فهذا أفضل النّاس

و لو كان مطلق التّوجه إلى الغير منافيا للاستغراق لم يتصوّر ذلك في حقّ النّبى صلّى الله عليه و آله مع أنّه قد حصل ذلك في حقّه كما يدلّ عليه: ما استدللّ به الشّافعيّ على جواز التّنبيه في الصّلاه على الحاجه بتسبيح و نحوه، بأنّ عليّا عليه السّلام قال: كانت لى ساعه أدخل فيها على رسول الله صلّى الله عليه و آله، فان كان في الصّلاه سبّح و ذلك إذنه، و إن كان في غير الصّلاه، أذن، و ما استدللّ به أبو حنيفه على عدم جواز ردّ جواب

السَّلام في الصَّلاه بأنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله دخل مسجد بنى عمرو بن عوف يصلى و دخل معه صهيب، فدخل معه رجال من الأنصار يسلمون عليه، فسألت صهيبا كيف كان يصنع إذا سلم عليه؟ قال: يشير بيده، و لو كان استماع كلام الغير مطلقا منافيا للاستغراق كيف يستمع السَّلام و يشير بيده على ما مرَّ أو يردَّ الجواب، على ما رواه الباقر عليه السَّلام من أنَّ عمَّارا سلم عليه صَلَّى اللهُ عليه وآله فردَّ عليه السَّلام و يأتي على ذلك دليل آخر (١) فانظر و على الثالث منع كون ذلك فعلا كثيرا أولا إذ ليس ذلك بأزيد من خلع النَّبي صَلَّى اللهُ عليه وآله نعليه في الصَّلاه و هما فعلا ن و ليس بأكثر من حمله صَلَّى اللهُ عليه وآله أمامه بنت أبي العاص، و كان إذا سجد وضعها و إذا قام رفعها، و قتل عقربا و هو يصلى، و أخذ بأذن ابن عباس و أداره عن يساره إلى يمينه، و أمر بقتل الأسودين في الصَّلاه:

الحية و العقرب و ثانيا على فرض التنزل و المماشاه أنَّ الكثرة إنَّما يسلم لو كان عليه السَّلام مباشرا للخلع و الاعطاء، و أمَّا إذا كان خلعه بفعل السائل بإشاره منه عليه السَّلام فلا.

و هو الذى رواه الحموينى من علماء العامة باسناده عن أنس بن مالك أن سائلا أتى المسجد و هو يقول: من يقرض الملى الوفى، و على صلوات الله عليه راعى يقول بيده خلفه للسائل أن اخلع الخاتم من يدي، قال: فقال النَّبي صَلَّى اللهُ عليه وآله: يا عمرو جبت قال: بأى و أمى يا رسول الله ما وجبت؟ قال: وجبت له الجنه، و الله ما خلعه من يده حتى خلعه من كل ذنب و من كل خطيئه، و قال الزمخشري في الكشاف:

إنَّ الآيه نزلت فى على عليه السَّلام حين سأله سائل و هو راعى فى صلاته فطرح له خاتمه كأنه كان مرحبا «مرخيا ظ» فى خنصره فلم يتكلّف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته و فى هذا المعنى قال دعبل الخزاعى:

إذا جاءه المسكين حال صلاته فامتدّ طوعا بالذراع و باليد

فتناول المسكين منه خاتما هبط الكريم الاجودى الاجود

فاختصّه الرّحمن فى تنزيله من حاز مثل فخاره فليعدد

ص: ٣٥٣

١- (١) و هو ما يأتي بعيد هذا من حمل النبي لامامه و قتله العقرب، منه

أَنَّ الْإِلَهَ وَلِيُّكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ يَشَأْ فَلْيُجِدْ

يَكُنْ الْإِلَهَ خَصِيمَهُ غَدًا وَاللَّهُ لَيْسَ بِمُخْلَفٍ فِي الْمَوْعَدِ

وَعَلَى الرَّابِعِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالزَّكَاةِ فِي الْآيَةِ الصَّدَقَةَ النَّافِلَةَ لِمَا عَرَفْتَ مِنْ صَحِيحَةِ إِطْلَاقِهَا عَلَيْهَا كَصَحْحِ إِطْلَاقِهَا عَلَى الْوَاجِبِ وَكَوْنِهِ فَقِيرًا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ يَجِبُ فِيهِ الزَّكَاةُ فَلَا يَنَافِي إِعْطَاءَ الزَّكَاةِ تَطَوُّعًا كَمَا قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

لَا يَقْبِضُ الْعَسْرَ بَسْطًا مِنْ أَكْفِهِمْ سَيِّانَ ذَلِكَ إِنْ أَثْرُوا وَإِنْ عَدَمُوا

كَلَّتَا يَدَيْهِ غِيَاثَ عَمٍّ نَفَعَهُمَا يَسْتَوْكِفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا الْعَدَمُ

هَذَا، وَغَيْرِ خَفِيِّ أَنَّ فَقْرَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَجْزِهِ وَعَدَمِ تَمَكُّنِهِ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ بَلْ إِنَّمَا هُوَ مِنْ كَثْرَةِ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ، وَكَفَى بِذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَخْلَفْ مِيرَاثًا وَكَانَتِ الدُّنْيَا كُلَّهَا بِيَدِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الشَّامِ وَنَحْوِهِ، وَشَاهِدَ صَدَقَ عَلَى مَا ذَكَرْنَا الْخَاتَمَ الَّذِي أَعْطَاهُ لِلسَّائِلِ وَقَدْ ذَكَرَ الْغَزَالِيُّ فِي مُحْكِيِّ كَلَامِهِ عَنْ كِتَابِ سِرِّ الْعَالَمِينَ أَنَّ ذَلِكَ الْخَاتَمَ كَانَ خَاتَمَ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي رَوَايَةِ عَمَّارِ بْنِ مُوسَى السَّابِطِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْخَاتَمَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَنَ أَرْبَعَةَ مِثْقَالِ حَلَقَتِهِ مِنْ فِضَّةٍ وَفِضَّةٍ خَمْسَةَ مِثْقَالِ وَهُوَ مِنْ يَاقُوتِهِ حَمْرَاءَ وَثَمَنُهُ خَرَاةُ الشَّامِ، وَخَرَاةُ الشَّامِ ثَلَاثُمِائَةَ حَمَلٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَرْبَعَةَ أَحْمَالٍ مِنْ ذَهَبٍ وَكَانَ الْخَاتَمَ لِمَرْثَانَ بْنِ طُوقٍ قَتَلَهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَخَذَ الْخَاتَمَ مِنْ أَصْبَعِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ جَمَلَةِ الْغَنَائِمِ وَأَمْرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ يَأْخُذَ الْخَاتَمَ فَأَخَذَ الْخَاتَمَ وَأَقْبَلَ وَهُوَ فِي أَصْبَعِهِ وَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَى السَّائِلِ فِي أَثْنَاءِ صَلَاتِهِ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَكَيفَ كَانَ فَقَدْ ظَهَرَ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّ عَدَمَ وَجُوبِ الزَّكَاةِ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَجْلِ عَدَمِ تَمَلُّكِهِ لِلنَّصَابِ كَمَا يَتَوَهَّمُ مِنْ ظَاهِرِ كَلَامِ النَّاصِبِ بَلْ قَدْ تَمَلَّكَ نَصْبًا كَثِيرًا وَبَذَلَ نَصْبًا كَثِيرًا وَإِنَّمَا الْمَانِعُ مِنْ تَعَلُّقِ الْوَجُوبِ هُوَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَرِيصًا عَلَى جَمْعِ الْمَالِ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، يَمْنَعُهُ مِنَ الْأَذْخَارِ مَلِكَةَ الْجُودِ وَالسَّخَاءِ وَالزُّهْدِ، وَلِأَنَّ اللَّازِمَ عَلَى

أئمه العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفه الناس كيلا يتبيغ (١) بالفقير فقره، و حاصل الكلام منع كونه فقيرا بالمعنى الذى يتوهم من كلام الناصب أولا، و منع امتناع حمل الآيه عليه على تقدير كونه عادما لمال يجب فيه الزكاه ثانيا فافهم جيدا هذا.

و استدل على الثانى أعى أولويه إراداه الناصر و المحب من لفظ الولي بالنسبه إلى المتصرف بوجه.

الأول أن اللايق بما قبل هذه الآيه و ما بعدها ليس إلا هذا المعنى، أما ما قبل هذه الآيه فلأنه تعالى قال:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ.»

و ليس المراد لا تتخذوا اليهود و النصارى أئمه متصرفين فى أرواحكم و أموالكم، لأن بطلان هذا كالمعلوم بالضرورة، بل المراد لا تتخذوا اليهود و النصارى أحبابا و أنصارا و لا تخالطوهم و لا تعاضدوهم، ثم لما بالغ فى النهى عن ذلك قال: إنما وليكم الله و رسوله و المؤمنون الموصوفون، و الظاهر أن الولاية المأمور بها هاهنا هى المنهى عنها فيما قبل، و لما كانت الولاية المنهى عنها فيما قبل هى الولاية بمعنى النصرة كانت الولاية المأمور بها هى الولاية بمعنى النصرة، و أما ما بعد هذه الآيه فهى قوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَ لَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ.»

فأعاد النهى عن اتخاذ اليهود و النصارى و الكفار أولياء، و لا شك أن الولاية المنهى عنها هى الولاية بمعنى النصرة فكذلك الولاية فى قوله: إنما وليكم الله، يجب أن يكون هى بمعنى النصرة، و كل من أنصف و ترك التعصب و تأمل فى مقدمه الآيه

ص: ٣٥٥

و فى مؤخرها قطع بأنّ الوليّ فى قوله: إنّما وليكم الله، ليس إلاّ بمعنى الناصر و المحبّ، و لا يمكن أن يكون بمعنى الامام، لأنّ ذلك يكون القاء الكلام الأجنبى فيما بين كلامين مسوقين لغرض واحد، و ذلك يكون فى غاية الركاهه و السقوط و يجب تنزيه كلام الله تعالى عنه.

الثانى أنّا لو حملنا الولاية بمعنى التصرف و الامامه لما كان المؤمنون المذكورون فى الآيه موصوفين بالولاية حال نزول الآيه، لأنّ على بن أبى طالب كرم الله وجهه ما كان نافذ التصرف حال حياه الرسول، و الآيه تقتضى كون هؤلاء المؤمنين موصوفين بالولاية فى الحال، أمّا لو حملنا الولاية على المحبه و النصره كانت الولاية حاصله فى الحال، فثبت أنّ حمل الولاية على المحبه أولى من حملها على التصرف، و الذى يؤكّد ما قلناه أنّه تعالى منع من اتخاذ اليهود و النصارى أولياء، ثم أمرهم بموالاه هؤلاء المؤمنين، فلا بدّ و أن تكون موالاه هؤلاء المؤمنين حاصله فى الحال حتّى يكون التّفى و الاثبات متواردين على شىء، و لما كانت الولاية بمعنى التصرف غير حاصله فى الحال امتنع حمل الآيه عليها.

الثالث أنّه تعالى ذكر المؤمنين الموصوفين فى هذه الآيه بصيغه الجمع فى سبعة مواضع، و هى قوله: و الذين آمنوا الذين يقيمون الصّلاه و يؤتون الزّكاه و هم راعون، و حمل الألفاظ الجمع و إن جاز على الواحد على سبيل التعظيم لكنّه مجاز لا حقيقه و الأصل حمل الكلام على الحقيقه.

الرابع أنّا قد بينا بالبراهين البين أن الآيه المتقدّمه و هى قوله: يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه إلى آخر الآيه من أقوى الدّلاله على صحّه إمامه أبى بكر، فلو دلت هذه الآيه على صحّه إمامه على بعد الرسول صلّى الله عليه و آله لزم التناقض بين الآيتين و ذلك باطل، فوجب القطع بأنّ هذه الآيه لا دلالة فيها على أنّ عليّا هو الامام بعد الرسول.

الخامس أنّ على بن أبى طالب كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الرّوافض، فلو كانت هذه الآيه داله على إمامته لاحتجّ بها فى محفل من المحافل، و ليس للقوم

أن يقولون إنه تركه للتقيه، فأنهم ينقلون عنه أنه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير و خبر المباهله و جميع فضائله و مناقبه و لم يتمسك البته بهذه الآيه فى إثبات إمامته، و ذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الروافض لعنهم الله.

السيد ادس هب أنها داله على إمامه على لكننا توافقنا على أنها عند نزولها ما دلت على حصول الامامه فى الحال، لأن علينا ما كان نافذ التصرف فى الامه حال حياه الرسول عليه الصلاه و السلام، فلم يبق إلا أن تحمل الآيه على أنها تدل على أن علينا سيصير إماما بعد ذلك، و متى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه و نحمله على إمامته بعد أبى بكر و عمر و عثمان، إذ ليس فى الآيه ما يدل على تعيين الوقت، فان قالوا: الامه فى هذه الآيه على قولين، منهم من قال: إنها لا تدل على إمامه على، و منهم من قال إنها تدل على إمامته و كل من قال بذلك قال: إنها تدل على إمامته بعد الرسول من غير فصل: فالقول بدلاله الآيه على إمامه على لا على هذا الوجه قول ثالث، و هو باطل، لأننا نجيب عنه، فنقول: و من الذى أخبركم أنه ما كان أحد فى الامه قال هذا القول، و من المحتمل بل من الظاهر أنه منذ استدل مستدل بهذه الآيه على إمامه على فان السائل يورد على ذلك الاستدلال هذا السؤال، فكان ذكر هذا الاحتمال و هذا السؤال مقرونا بذكر هذا الاستدلال.

السابع أن قوله: إنما وليكم الله و رسوله لا شك أنه خطاب مع الامه، و هم كانوا قاطعين بأن المتصرف هو الله و رسوله، و إنما ذكر الله هذا الكلام تطيبا لقلوب المؤمنين و تعريفا لهم بأنه لا حاجه بهم إلى اتخاذ الأحياب و الانصار من الكفار، و ذلك لأن من كان الله و رسوله ناصرا له و معينا فأى حاجه له إلى طلب النصره و المحبه من اليهود و النصارى، و إذا كان كذلك كان المراد بقوله: إنما وليكم الله و رسوله، هو الولاية بمعنى النصره و المحبه، و لا شك أن لفظ الولي المذكور مره واحده، فلما اريد هاهنا معنى النصره امتنع أن يراد به معنى التصرف، لما ثبت أنه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك فى مفهوميه معا.

الثامن أنه تعالى مدح المؤمنين فى الآيه السابقه بقوله:

«يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ» فاذا حملنا قوله: إنما وليكم الله و رسوله، على معنى المحبته و النصره كان قوله:

إنما وليكم الله و رسوله، يفيد فايده قوله: يحبهم و يحبونه أذله على المؤمنين أعزّه على الكافرين، و قوله: يجاهدون في سبيل الله، يفيد فايده قوله: يقيمون الصلاه و يؤتون الزكاه و هم راعون، فكانت هذه الآيه مطابقه لما قبلها مؤكده لمعناها فكان ذلك أولى، فثبت بهذه الوجوه أنّ الولايه المذكوره فى هذه الآيه يجب أن تكون بمعنى النصره لا بمعنى التصرف.

ثم قال الناصب أما الوجه الذى عولوا عليه و هو أنّ الولايه المذكوره فى الآيه غير عامه و الولايه بمعنى النصره عامه فجوابه من وجهين.

الأول أنا لا نسلّم أنّ الولايه المذكوره فى الآيه غير عامه و لا نسلّم أنّ كلمه إنما، للحصر و الدليل عليه قوله:

«إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ» و لا شك أنّ الحياه الدنيا لها أمثال اخرى سوى هذا المثل، و قال:

«إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ» و لا شك أنّ اللعب و اللهو قد يحصل فى غيرها.

الثانى لا نسلّم أنّ الولايه بمعنى النصره عامه فى كلّ المؤمنين و بيانه أنّه تعالى قسم المؤمنين قسمين أحدهما الذين جعلهم موليا عليهم و هم المخاطبون بقوله إنما وليكم الله و الثانى الأولياء، و هم المؤمنون الذين يقيمون الصلاه و يؤتون الزكاه و هم راعون، فاذا فسرنا الولايه هاهنا بمعنى النصره كان المعنى أنّه تعالى جعل أحد القسمين أنصارا للقسم الثانى، و نصره القسم الثانى غير حاصله لجميع المؤمنين و لو كان كذلك لزم فى القسم الذى هم المنصورون أن يكونوا ناصرين لأنفسهم، و ذلك محال، فثبت أن نصره أحد قسمى الامه غير ثابتة لكل الامه، بل مخصوصه بالقسم

الثانى من الامه، فلم يلزم من كون الولاية المذكوره فى هذه الآيه خاصه أن لا تكون بمعنى النصره، و هذا جواب حسن دقيق لا بد من التأمل فيه، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول: و الجواب عن الوجه الأول أولاً أن كون الولي فى الآيه السابقه و اللاحقه بمعنى الناصر لا دلالة فيه على كون المراد به فى هذه الآيه ذلك المعنى أيضا باحدى من الدلالات، و ما استدلل به عليه من أنه لو لا ذلك لزم إلقاء الكلام الأجنبي بين كلامين مسوقين لغرض واحد و ذلك فى غايه الركاهه، ففيه منع الأجنبيه أولاً إذ الولاية بمعنى النصره شأن من شؤونات الولاية المطلقه، فحيث إنه سبحانه نهى عن اتخاذ الكفار أولياء أى أنصارا أثبت الولاية المطلقه لنفسه و لرسوله و للمؤمنين الموصوفين، و من المعلوم أن الولاية المطلقه أعنى التصرف فى امور المؤمنين على وجه الاطلاق شامله على التصرف بالنصره، فعلى ذلك يكون فى الآيه دلالة على كون الله و رسوله و المؤمنين الموصوفين ناصرين لسائر المؤمنين على وجه الكمال، فعلى ذلك التثم أجزاء الكلام على أحسن اتساق و انتظام، و منع كون هذه الاجنبيه موجهه للركاهه ثانيا، إذ المجانبه بينها ليست بأزيد من المجانيه بين الشرط و الجزاء فى قوله تعالى:

«وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِمُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ» و على تقدير تسليم الركاهه فيكون ذلك اعتراضا على خليفته عثمان ثالثا، لظهور أن هذه الآيات الثلاث لم تنزل دفعه واحده، بل قد نزلت تدريجا و نجوما، و قد جمعها عثمان بهذا الوجه و حرّف الكلم عن مواضعها و لم يرتب الآيات كما هو حقها.

و ثانيا أن توافق الآيات و جريها على نسق واحد و إن كان مقتضيا لحمل الولي هاهنا على الناصر و موجبا لظهوره فيه، إلا أنه إذا امتنع حمله عليه بمقتضى

كلمه الحصر و الجملة الوصفية الظاهرتين فى المعنى الآخر حسبما عرفت فى تقريب الاستدلال و ستعرفه أيضا، فلا بدّ من رفع اليد عن ذلك الظهور، و بعبارة اخرى ظهور التناسق يوجب حمله على الناصر إلاّ أنّه معارض بظهور الحصر و الوصف فى المعنى الآخر ان لم يكونا نصين فيه، و الثانى أقوى من الأوّل فيجب المصير اليه.

و عن الثانى بأنّه إنّما يتمّ على مذهب من يجعل المشتقّ حقيقه فى الحال كما هو الأشهر، و أمّا على مذهب من يجعله حقيقه فى مطلق ما تصف بالمبدأ سواء كان فى الماضى أو فى الحال أو الاستقبال إذا كان محكوما عليه فلا، فيكون ذلك مثل قوله تعالى:

«السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» حيث إنّهم يستدلّون بهذه الآية على وجوب قطع يد السارق، و لو لم يكن سارقا حين نزول الآية إلاّ أنّ هذا القول لما كان غير مرضىّ عندنا على ما حقّقناه فى حاشيتنا على القوانين و نبهنا هناك أيضا على ضعف الاستدلال بآيه السّيرقة، فالأولى الاعراض عنه و الجواب على المذهب المختار الموافق للمشهور، و هو أنا لا ننكر كون المشتقّ حقيقه فى الحال أى حال التلبس، و لازمه الاتصاف بالولاية حال نزول الآية لظهور الجملات الخبرية فى كون حال التلبس فيها هو حال النطق إلاّ أنا نقول:

إنّ الحقيقه إذا كانت متعذّره بما ذكره الناصب من عدم الاتصاف بالولاية بمعنى التصرف حال النزول، فلا بدّ من المصير إلى المجاز و هو المتلبس به فى المستقبل، و أما ما ذكره من أنّا لو حملنا الولاية على النصره كانت الولاية حاصله فى الحال، ففيه أنّ حصول النصره حين نزول الآية من المؤمنين الموصوفين بل و من الرّسول أيضا غير معلوم.

فان قلت: سلّمنا و لكن بين المعين فرق واضح، و هو أن تصرّفهم أعنى المؤمنين حال النزول معلوم العدم و نصرتهم غير معلومه.

قلت: اللازم في صحة الاطلاق الحقيقي للمشتق هو العلم بالاتصاف بالمبدأ حال الاطلاق، و عدم العلم به غير كاف في صحة الاطلاق، بل هو كالعلم لعدم الاتصاف يوجب مجازيه الاطلاق، و بالجمله فقد تحقّق بما ذكرنا أنّ جعل الولي بمعنى الناصر لا يكفى في صحة الاطلاق الحقيقي و أنّ ما اعترض به على جعله بمعنى المتصرف وارد على جعله بمعنى الناصر حرفاً (1) بحرف. فاللازم حينئذ حمله على المعنى المجازي و هو المتّصف بالولاية أعمّ من أن يكون في الماضي و الحال و الاستقبال جميعاً كما في الله و رسوله، و من أن يكون في خصوص الاستقبال كما في المؤمنين الموصوفين، و هذا كله مبني على المماشاه مع الخصم، و إلّا فنقول: إن المراد بالولي في الآيه هو الأولى بالتصرف كما هو أحد معانيه اللغويّه و عليه فالاعتراض ساقط من أصله كما لا يخفى.

و عن الثالث أوّلاً بالتقضى، فإنّه قد قال في تفسير قوله تعالى:

«وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ» إنّ المراد من اولى الفضل ابو بكر و كنى عنه بلفظ الجمع، و الواحد إذا كنى عنه بلفظ الجمع دلّ على علوّ شأنه كقوله تعالى:

ص: ٣٤١

١- (١) لا يقال سلمنا ورود هذا الايراد على جعله بمعنى الناصر و لكنه لا يتوجه على جعله بمعنى المحب اذ المحبه قد كانت موجوده حال نزول الآيه لانا نقول اولاً انه استدلال بالادله الثمانيه على اولويه اراده الناصر بالنسبه الى المتصرف لا على اولويه اراده المحب كما هو صريح كلامه في اصل العنوان، و ثانياً سلمنا ان غرضه الاستدلال على اولويتها كليهما بالنسبه اليه حسبما يظهر من كلامه في اصل العنوان و من اراداته المحبه بالنصره و المحب بالناصر في تضاعيف الادله لكننا نقول انه ان اراد بالنصره النصره الناشئه عن المحبه و بالمحبه المحبه المشتمله على النصره، و بعبارة اخرى معنى واحداً شاملاً عليهما فيتوجه عليه الايراد كتوجهه على اراده النصره فقط حرفاً بحرف و ان اراد بالمحبه مجرد الحب الخالي عن النصره ففيه حينئذ انه مغاير للنصره قطعاً فلا وجه لعطفه عليه غير مره في كلامه لاستلزام ارادتها مع استعمال اللفظ في اكثر من معنى واحد و هو غير مرضى عند المحققين و عنده أيضاً حسبما صرح به في كلامه و استدلال به على عدم جواز اراده الناصر و المتصرف معاً، فافهم جيداً، امه

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ»، «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوثَرَ» فانظر أنّ الشَّخص الذي كناه الله سبحانه مع جلاله بصيغه الجمع كيف يكون علوّ شأنه انتهى.

و ثانياً بالحلّ، و هو أنّ الأصل في الاستعمال و إن كان هو الحقيقه إلاّ أنّه مع قيام القران القطعيه من الأخبار العاميه و الخاصيه على إرادته المعنى المجازى لا بدّ من حمل اللفظ عليه، مضافاً إلى ما في حسن التعبير بلفظ الجمع من اشتماله على التّعظيم و النكته اللطيفه التي لا تخفى، و هي ما أشار إليه في الكشّاف، قال:

فان قلت: كيف صحّ أن يكون لعلّي عليه السّلام و اللفظ لفظ الجماعه؟ قلت: جىء به على لفظ الجمع و إن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب التّياس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه و ليتبه على أنّ سجيّه المؤمنين لا- بدّ أن يكون على هذه الغايه من الحرص على البرّ و الاحسان و تفقد الفقراء حتّى أن لزمهم أمر لا يقبل التأخير و هم في الصّلاه لم يؤخّروه إلى الفراغ منها انتهى.

و عن الرابع بأنّه مما تضحك منه الثكلى، لأنّه خلاف ما اتفقت عليه الامه، أما الخاصه فلأنهم اتفقوا على أنّ الآيه أعنى قوله: يا أيها الذين آمنوا من يرتداه، إنما هي إشارة إلى ظهور الدّوله الحقه القاهره و إلى رجعه آل محمّد و سلطنتهم سلام الله عليه و عليهم، و عليه قد دلت الاخبار المتظافره من طرقهم و من طريق العامه كما رواها في غايه المرام، أو إلى أنّ المراد بالمرتدّين هم الناكثون و القاسطون و المارقون، و يقوم يحبّهم و يحبّونه، هم أمير المؤمنين عليه السّلام و أصحابه كما في أخبار اخر و أمّا العامه فلا تفاقهم على أنّ خلافه أبى بكر كانت مستنده إلى البيعه لا- إلى النصّ و أيضاً لو كان الآيه دالّه على صحّه خلافته للاستدلال بها يوم السّقيفه و ليس فليس، و العجب كل العجب أنّ الناصب يقول: إنّ المراد بقوم يحبّهم و يحبّونه هو ابو بكر و أصحابه، و الشّيعه يقولون: إنّ هؤلاء داخلون في قوله: من يرتدّ منكم عن دينه و إنّ المراد بالمرتدّين هم الغاصبون لحقّ آل محمّد صلّى الله عليه و آله فانظر ما ذا ترى من التّفاوت بين القولين و يأتي

إنشاء الله تحقيق إبطال مقال هذا الناصب في هذه الآية بما لا مزيد عليه في شرح الفصل الثامن من الخطبه المائه و الحاديه و التسعين.

و عن الخامس بأنّ عدم تمسّكه سلام الله عليه بهذه الآيه ممنوع، بل قد تمسك بها كما تمسك بخبر الغدير و المباهله و غيرهما، و قوله: و لم يتمسك البته بهذه الآيه إن أراد به عدم ورود تمسكه بها في أخبارهم فهو مسلم إلا أنه لا يوجب القطع بعدم التمسك، إذ جلّ مسائل الحقّه لم يرد به روايه منهم، و هو لا يدلّ على انتفاء تلك المسائل واقعا و إن أراد به عدم ورود خبر على ذلك من طرق الخاصّه كوروده في تمسّكه بخبر الغدير و المباهله، ففيه منع ذلك، لورود تمسكه بها في بعض أخبارهم مثل ورود التمسك بغيرها، و هو ما رواه في كتاب غايه المرام من مجالس الشيخ باسناده إلى أبي ذر في حديث منا شده أمير المؤمنين عليه السّلام عثمان و الزبير و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبي وقاص يوم الشورى و احتجاجه عليهم بما فيه من النصوص من رسول الله صلّى الله عليه و آله و الكلّ منهم يصدّقه فيما يقوله، فكان فيما ذكره عليه السّلام: فهل فيكم أحد أتى الزّكاه و هو راع فنزلت فيه:

«إِنَّمَا وَرِيكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ» غيرى؟ قالوا: لا و في ذلك الكتاب أيضا عن ابن بابويه باسناده عن أبي سعيد الوراق عن أبيه عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام في حديث منا شده على عليه السّلام لأبي بكر حين ولى أبو بكر الخلفه و ذكر عليه السّلام فضائله لأبي بكر و النصوص عليه من رسول الله فكان فيما قال له: فانشدك بالله ألى الولاية من الله مع ولاية رسول الله في آيه زكاه الخاتم أم لك؟ قال: بل لك، فقد ظهر ممّا ذكرنا غفله الناصب اللعين عن أخبار الشّيعه و لا- غرو في ذلك فأنّه جاهل بما هو أعظم من ذلك و ليس ذلك من الظالمين ببعيد.

و عن السّادس أولا بمنع عدم ثبوت الولاية له عليه السّلام حال نزول الآيه، لما قد

ذكرنا سابقا أنّ المراد بالولي هو الأولي بالتصرف، وهذا المعنى كان حاصله حال النزول، و ثانياً سلّمنا أنّ الآية مفيدة لكونه ولياً في المستقبل نظراً إلى كون الولي بمعنى المتصرف، إلا أنّنا نمنع قوله. و نحمله على إمامته بعد أبي بكر و عمر و عثمان اه، إذ الآية كما هي مثبتة لامامته عليه السلام، كذلك نافيه للامامه عن غيره حسبما حققناه في تقريب الاستدلال و سنحقيقه أيضاً بما لا- مزيد عليه، و عليه فلا- يبقى للثلاثة خلافه حتّى يتأخّر عليّ عليه السّلام عنهم أو يتقدّم عليهم و هو ظاهر، و ثالثاً أنّ قوله: فإنّ المحتمل اه، واضح الفساد، إذ مجرد احتمال الخلاف لا يوجب القدح في حجّيه الاجماع، و إلا لم يسلم شيء من الاجماع للحجّيه، و العجب كلّ العجب أنّ الناصب اللعين يسقط الاجماع عن الحجّيه هنا بمجرد احتمال المخالف، و يحتاج له كغيره على خلافه أبي بكر مع وجود الخلاف القطعي المحقق هناك من غير واحد من أعظم الصّحابه، فكيف يكون الاجماع على البيعه حجه مع وجود الخلاف القطعي و لا يكون ذلك دليلاً بمجرد احتمال الخلاف.

و عن السّابع أنّنا قد ذكرنا سابقاً أنّ التصرف بالتصره شأن من شئونات الولاية المطلقة و عليه فتطّيب قلوب المؤمنين كما يحصل بتعريفهم كون الله و رسوله ناصراً لهم كذلك يحصل بتعريفهم كونه سبحانه و رسوله أولى بالتصرف في أرواحهم و أبدانهم و متصرفاً فيهم بالنصره و بغير النصره في جميع حالاتهم و أطوارهم، بل حصول التطيب بالثاني أقوى و أكد من حصوله بالأوّل كما هو غير خفيّ على العارف الفطن.

و عن الثامن أنّ الآيتين لا- ربط لاحدهما بالآخرى، و لا داعي إلى تكلف التطبيق بينهما، إذ كلّ منهما مسوقه لمقصود غير ما قصد بالآخرى، مضافاً إلى ما في المناسبه التي أبدتها بينهما من سخافه لا تخفى هذا.

و بقي الكلام في الوجهين اللذين أجاب بهما الناصب اللعين عمّا عوّل عليه أصحابنا من كون الولاية المذكوره في الآية غير عامه، و الولاية بمعنى النصره عامه فاقول:

أما الوجه الأوّل ففيه أنّه إن أراد بقوله: لا نسلم أنّ كلمه أنّما للحصر عدم إفادتها الحصر فى خصوص تلك الآيه فيتوجّه عليه أنه لا يناسب على ذلك الاستدلال له بالآيتين، لعدم دلالة عدم إفادتها للحصر فيهما على زعمه عدم إفادتها له فى هذه الآيه بشىء من الدلالات، و إن أراد به عدم إفادتهما مطلقا كما هو الظاهر من كلامه، ففيه مضافا إلى أنّه خلاف ما صرح به نفسه فى تفسير قوله:

«قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ» «أَوَّلًا أَنَّ المتبادر منها هو الحصر فيكون حقيقه فيه، لأنّ التبادر علامه الحقيقه، و ثانيا أنّ المشهور بين الاصوليين و اللغويين و النحويين هو ذلك، و إليه ذهب الجوهري و صاحب القاموس و حكي عن البيضاوى فى المنهاج، و السكاكى فى المفتاح، و القزوينى فى الايضاح، و إليه ذهب من أصحابنا رضوان الله عليهم الشيخ و المحقق و علامه و الطبرسى و الطريحي و العميدى و نجم الأئمه الرضى و غيرهم بل قد ادعى عليه الاتفاق جماعه منّا و منهم، منهم علامه فى التهذيب قال: إنّما للحصر بالنقل عن أهل اللغة، و فى التّهايه قال أبو على الفارسى: إنّ النحاء أجمعوا عليه و صوّبهم فيه و نقله و قوله حجه، و الطريحي فى مجمع البحرين قال: و إنّما المتكرّر فى الكتاب و السنه و كلام البلغاء فهى على ما نقل عن المحققين موضوعه للحصر عند أهل اللغة، و لم نظفر بمخالف لذلك و استعمال العربيّه و الشعراء و الفصحاء إياها بذلك يؤيده انتهى.

و عن الأزهري فى كتاب الزهر عن أهل اللغة أنّ إنّما يقتضى ايجاب شىء و نفي غيره، و فى التلخيص تبعا للمفتاح فى مقام الاستدلال لافادتها للحصر قال لتضمّنه معنى ما و إلا، لقول المفسرين:

«إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ» بالنصب معناه ما حرّم الله عليكم إلا- الميته، و هو المطابق لقرائه الرّفيع و لقول النّحاء: إنّما لا ثبات ما يذكر بعده و نفي ما سواه انتهى، و مع ذلك كلّه لا وجه

لمنع إفادتها الحصر إذ قول اللغوى الواحد معتبر فى باب الأوضاع فضلا عن الشَّهره المحصَّله و الاتفاقات المحكيه مضافا إلى الأدله التى استدلو بها فى كتب الاصول و البيان و النحو و غيرها.

و اما الآيتان اللتان استدل بهما ففيهما أولا منع عدم إفادتهما الحصر فيهما و لو بالتأويل القريب يشهد بذلك وقوع كلمه ما و إلا عوضها فى الآيه الاخرى و هو قوله:

«وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدَّارِ الْآخِرَةُ».

إذ لا خلاف فى افادتها للحصر و ثانيا سلّمنا ذلك إلا أنّهما لا تثبتان الدَّعوى لكونهما أخصّ من المدعى حسبما أشرنا إليه سابقا و ثالثا أن الاستعمال أعمّ من الحقيقه، و المجاز خير من الاشتراك، فقد تحصّل ممّا ذكرنا كله أنّها حقيقه فى الحصر فتكون مجازا فى غيره فبطل القول بكونه حقيقه فى الثّانى كما حكى عن الامدى و أبى حيان و غيرهما، و القول بكونها مشتركه بينهما بالاشتراك اللفظى كما هو محتمل كلام الفيومى فى المصباح، و تفصيل الكلام زياده عن ذلك فليطلب من مواضعه.

و أما الوجه الثّانى ففيه أنّ جعل المؤمنين على قسمين أحدهما الناصرون و الآخر المنصورون لا يسمن و لا يغنى من جوع بيان ذلك أنّ كلمه إنّما مفيده للحصر و مقتضيه لاثبات الولاية لله و لرسوله و للمؤمنين الموصوفين نافيه لها عمّن سواهم، فمقتضى الآيه بحكم أداه الحصر هو اختصاص الولاية لهؤلاء الثلاثة و هو إنّما يتمّ لو جعل المراد بالآيه الأولى بالتصرف بخلاف ما لو اريد بها النصرة، ضروره عدم اختصاص النصرة بهم بل يعمهم و غيرهم من المؤمنين الغير الموصوفين بالصِّفه المذكوره لحصولها منهم و من غيرهم و حيثئذ فلا- يكون للحصر فايده و هذا معنى قولنا: إنّ الولاية بمعنى النصرة عامه من حيث عدم اختصاصها بالمؤمنين المتّصّفين بايتاء الزّكاه فى حال الرّكوع و ليس معناه أنّها عامه لجميع المؤمنين حتّى يعترض عليه بجعلهم على قسمين و تخصيصها بأحد القسمين كما توهمه الناصب.

لا يقال: إن هذا يتم لو جعل جملة و هم راكعون حالیه، و أمّا لو جعلت معطوفه فلا.

لانا نقول: لا- يجوز جعلها عطفًا لأنّ الصّيه لاه قد تقدّمت و هى مشتمله على الرّكوع فيكون إعادته ذكر الرّكوع تكرارًا، فوجب جعلها حالًا- أى يؤتون الرّكاه حالكونهم راكعين و قد وقع الاجماع على أنّ ايتاء الرّكاه حال الرّكوع لم يكن إلّا من علىّ عليه السّلام، فقد تحقّق ممّا ذكرنا كله أنّ الآيه الشريفه من أقوى الدلائل على خلافه أمير المؤمنين عليه السّلام و أنّ اعتراضات الناصب اللعين أو هن من نسج العنكبوت فهو من:

«الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا» الَّذِينَ صَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» و أقول على رغم الناصب:

يا من بخاتمه تصدّق راكعا إنى ادخرتك للقيامه شافعا

الله عرّفنى و بصرنى به فمضيت فى دينى بصيرا سامعا

و منها آيه الإطاعة

قوله تعالى: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» تقريب الاستدلال أنّه سبحانه أمر بطاعه اولى الامر كما أمر بطاعه الرّسول، و هو يقتضى عموم طاعتهم حيث إنّ سبحانه لم يخصّ طاعتهم بشىء من الاشياء ففى فقد البيان منه تعالى دلالة على اراده الكلّ و إذا ثبت ذلك لا بدّ و أن يكون ولى الامر معصوما عن الخطاء، إذ مع عدم عصمته عن الخطاء لم يؤمن من وقوع الخطاء منه، و على تقدير وقوع الخطاء منه يلزم أن يكون قد أمرنا الله بمتابعته فيلزم منه أمره سبحانه بالقبيح و هو محال، فثبت أن أمره سبحانه بمتابعه اولى الامر و طاعتهم مستلزم لعصمتهم، و إذا ثبت دلالة الآيه على العصمه و عموم الطاعه ثبت أنّ المراد باولى الامر فيها الأئمه عليهم السلام، إذ لا أحد يجب طاعته على ذلك الوجه بعد النّبىّ صلّى الله عليه و آله

ص: ٣٦٧

إلا هم سلام الله عليهم.

وبهذا التقرير ظهر ضعف ما ذهب إليه العامه من حمل أولى الأمر على المتخلفين الثلاثة كما ذهب إليه منهم طائفه، وحملة على امراء السرايا كما ذهبت إليه طائفه اخرى، وعلى علماء العامه كما هو مذهب طائفه ثالثه، ضروره انتفاء العصمه عنهم جميعا مضافا إلى عدم وجوب طاعه الامراء كالعلماء على نحو العموم باتفاق منا ومنهم، وإنما طاعه الامراء واجبه فيما تعلق بإمارتهم، وطاعه العلماء كذلك فى الأحكام الشرعية، على أن الامراء كالعلماء ربما يختلفون فى الآراء، ففى طاعه بعضهم عصيان بعض، وإذا أطاع المؤمن بعضهم عصى الآخر لا محاله هذا.

و ذهب النياصب فخر المشككين إلى أن المراد بأولى الأمر أهل الحل والعقد وأن الآيه داله على أن اجماع الامه حجّه حيث قال بعد ما أثبت دلالة الآيه على وجوب عصمه أولى الأمر بمثل ما أثبتناه ما هو صريح عبارته: فثبت قطعا أن أولى الأمر المذكور فى هذه الآيه لا بدّ وأن يكون معصوما قطعا، ثم نقول: ذلك المعصوم إمّا مجموع الامه أو بعض الامه لا جاز أن يكون بعض الامه لأننا بينا أن الله تعالى أوجب طاعه أولى الأمر فى هذه الآيه قطعا، و ايجاب طاعتهم قطعا مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول إليهم والاستفاده منهم، ونحن نعلم بالضروره أننا فى زماننا هذا عاجزون عن معرفه الامام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليهم عاجزون عن استفاده الدين والعلم منهم، وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن المعصوم الذى أمر الله المؤمنين بطاعته ليس بعضا من أبعاض الامه، ولا طائفه من طوائفهم، ولما بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم الذى هو المراد بقوله و أولى الأمر أهل الحلّ والعقد من الامه و ذلك يوجب القطع بأن اجماع الامه حجّه.

ثم إنه بعد طائفه من الكلام فى النقض والابرار فى ذلك المرام قال:

و أما حمل الآيه على ما تقوله الزوافض فى غاية البعد لوجه.

أحدها ما ذكرناه أن طاعتهم مشروطه بمعرفتهم وقدره الوصول إليهم، فلو أوجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم كان هذا تكليف ما لا يطاق، ولو أوجب علينا طاعتهم

إذا صرنا عارفين بهم و بمذاهبهم صار هذا الايجاب مشروطا، و ظاهر قوله: أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم، يقتضى الاطلاق، و أيضا ففى الآيه ما يدفع هذا الاحتمال، و ذلك لأنه تعالى أمر بطاعه الرسول و طاعه اولى الأمر فى لفظه واحده و هو قوله: و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم، و اللفظه الواحده لا يجوز أن تكون مطلقه و مشروطه، فلما كانت هذه اللفظه مطلقه فى حق الرسول و جب أن تكون مطلقه فى حق اولى الأمر.

الثانى أنه تعالى أمر بطاعه اولى الأمر، و أولو الأمر جمع و عندهم لا يكون فى الزمان إلا إمام واحد و حمل الجمع على الفرد خلاف الظاهر.

و ثالثها أنه قال: «فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله و الرسول».

و لو كان المراد بأولى الأمر الامام المعصوم لوجب أن يقال: فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الامام، فثبت أن الحق تفسير الآيه بما ذكرناه، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول: و أنت خبير بما ذهب اليه من الضعف و الفساد.

أما اولا- فلأن ما ذكره من دلالة الآيه على حجتيه الاجماع، إما أن يكون مراده به إجماع جميع الامه كما هو المستفاد من صدر كلامه و ذيله أعنى قوله:

الآيه داله على أن إجماع الامه حجّه و قوله: و ذلك يوجب القطع بأن إجماع الامه حجّه، و إما أن يكون مراده به خصوص إجماع أهل الحلّ و العقد و هم المجتهدون و هو الأظهر بملاحظه قوله: فوجب أن يكون ذلك المعصوم أهل الحلّ و العقد، فان كان مراده به الأول، ففيه أن إجماع جميع الامه لا يمكن انعقاده إلى يوم القيامة فكيف يحمل الآيه على غير الممكن، و ذلك لأنّ أمه محمّد صلّى الله عليه و آله كلّ من تابعه إلى يوم القيامة و كلّ موجود فى عصره فأنه بعض الامه، و إن كان مراده به الثانى، ففيه أنه لم يقدّم دليل على عصمه أهل الحلّ و العقد فلا يمكن حمل المعصوم الذى هو المراد بقوله و اولى الأمر على ما حققناه و حققه عليهم بل لم يقدّم دليل على عصمه جميع الامه أيضا و إن استدلوا عليها بما رووه عن النبى صلّى الله عليه و آله من قوله: لا يجتمع امتى على الخطاء أو على خطاء، و قوله صلّى الله عليه و آله لا يجتمع

امتى على الضلالة، وقوله: سألت ربى أن لا- يجمع امتى على الضلالة فأعطانيها إلى غير ذلك من الاخبار التي استدلوا بها فى باب حجته الاجماع الغير الناهضه لاثبات الدعى من حيث ضعف سندها و دلالتها من وجوه عديده، على ما حققه أصحابنا رضوان الله عليهم فى كتبهم الاصوليه.

و أمّا ثانيا فلانّ المراد من المؤمنين المخاطبين. بقوله: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله الآيه: إمّا المجتهدون خاصه، أو المقلدون خاصه، أو الاعمّ الشامل للجميع، و لا يمكن إرادته واحد من الاولين لما فيه من التخصيص الذى هو خلاف الاصل، مضافا إلى استلزامه اختصاص وجوب طاعه الله و رسوله باحدى الطائفتين، و إلى استلزامه حجته إجماع العوام على تقدير إرادته الثانى، لانّ المخاطبين بقوله: فان تنازعتم فى شىء، هم المخاطبون الاولون، و مفهومه عدم وجوب الردّ إلى الله و الرسول حين الاتفاق فيلزم حجته إجماع العوام حينئذ و لا- يقول به الخصم، و إذا لم يمكن إرادته أحد الاولين تعين إرادته الثالث أعنى جميع المؤمنين الشاملين للمجتهدين و المقلدين، و عليه فلا بدّ و أن يكون أولو الامر غير المجتهدين، لئلا يلزم اتّحاد المطيع و المطاع، مع أنّ ظاهر اللفظ أيضا المغايره فتعين أنّ المراد باولى الامر الائمه المعصومون و بطل ما توهمه الناصب من حملته على أهل الحلّ و العقد و هذا تحقيق نفيس فافهمه جيّدا هذا.

و أمّا الوجوه الثلاثه التى استبعد بها حمل اولى الامر فى الآيه على الائمه، فيتوجه على أولها أولا(1) أنّه مشترك الورد، إذ كما أنّ طاعه الامام المعصوم موقوف على معرفته و على قدره الوصول إليه و استفاده الأحكام منه، فكذلك طاعه أهل الحلّ و العقد موقوفه على معرفتهم و على قدره الوصول إليهم و استفاده الأحكام منهم و كما أنّا عاجزون فى زماننا هذا عن الوصول إلى حضره الامام عليه السّلام و عن استفاده الدّين و العلم منه فكذلك عاجزون عن الوصول إلى حضره جميع أهل الحلّ و العقد و عن استفاده العلم منهم و الاطلاع على آرائهم و إن كان عجزنا فى

ص: ٣٧٠

١- (١) هذا ايراد نقضى منه،

الأول مستندا إلى غيبته عليه السلام، و في الثاني إلى كثرتهم و انتشارهم في شرق الارض و غربها.

و ثانيا(1) أن توقف طاعه اولى الأمر على معرفتهم و استفاده الأحكام منهم لا يوجب كون وجوبها مشروطا بذلك، و إنما هي من مقدمات الوجود، و بالجمله إطاعه اولى الأمر واجب مطلق، و الواجب المطلق تحصيل مقدماته على عهده المكلف، فيجب تحصيل العلم برأيهم حتى يطيعهم، و عجزنا في هذا الزمان عن الوصول إلى حضره ولي الأمر و عن العلم برأيه إنما هو مستند إلى أنفسنا، لأنه إذا كنا نحن السبب في استتاره فكل ما يفوتنا من الانتفاع به و بتصرفه و بما معه من الاحكام يكون قد أتينا من قبل نفوسنا فيه، و لو أزلنا سبب الاستتار لظهر و انتفعنا به و أدى إلينا الحق الذي عنده و تمكنا من طاعته و امتثاله، هذا كله مضافا إلى عدم تمشى ما ذكره في زمان حضور الائمه فلم يكن مانع يومئذ عن حمل اولى الامر عليهم، و إنما المانع الذي توهمه الثأب و هو العجز عن الوصول إلى ولي الأمر مختص بزمان الغيبه الكبرى فدلله أخص من مدعاه.

و على الثاني أولا نمنع أنه لا يكون في الزمان إلا إمام واحد، فإنه متعدّد في زمان الرسول صلى الله عليه و آله و من بعده من الائمه، لوجود أولادهم المعصومين معهم و ثانيا أن الجمع باعتبار تعددهم و ان تعددت الازمنه، و لا دلالة في الآية على أن طاعتهم جميعا لا بدّ و أن يكون في زمان واحد، لا مكان حصولها تدريجا كما وجد واحد منهم و ثالثا بعد الاغماض عما ذكر أن حمل الجمع على الفرد و إن كان خلاف الظاهر إلا- أنه مع قيام المقتضى عليه لا ضير فيه بل اللازم حينئذ المصير إليه و المقتضى في المقام موجود، و هو أنك قد عرفت أن ولي الأمر لا بدّ و أن يكون معصوما، و قد عرفت انحصار العصمه فيهم و بطلان ما توهمه الثأب كغيره من وجودها في الاجماع، فلا- بدّ أن يكون المراد من اولى الامر الامام المعصوم و إن كان استعمال

ص: ٣٧١

الجمع فى الفرد خلاف الظاهر كما توهمه الناصب.

و على الثالث أنه غير مفهوم المراد إذ لا ملازمه بين كون المراد من اولى الامر الامام المعصوم و بين وجوب أن يقال: فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الامام، اللهم إلا أن يوجه بأن مراده أنه لو كان المراد من اولى الامر الامام المعصوم لوجب أن يقال:

فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله و إلى الرسول و إلى اولى الامر منكم، و حيث لم يقل كذلك علم أن اولى الامر داخلون فى مخاطبين بقوله: فان تنازعتم، فيكون ذلك قرينه على أن المراد باولى الامر فى قوله: و أطيعوا الرسول و اولى الامر منكم، هو أهل الحلّ و العقد، و الجواب أنا قد بينا سابقا أن الظاهر أن مخاطبين بقوله: فان تنازعتم، هم المخاطبون بقوله: يا أيها الذين آمنوا، فكما أن اولى الامر خارجه عن الخطاب الاوّل قطعاً حسبما ذكرنا سابقاً، فكذلك خارجه عن ذلك الخطاب أيضاً، و أمّا عدم ذكر الرد إليهم هنا فلا غناء ذكر الرد إلى الرسول عن الرد إليهم، لأن الرد إلى الاثمه القائمين مقام رسول الله صلى الله عليه و آله بعد وفاته هو مثل الرد إلى الرسول فى حياته لانهم الحافظون لشريعته و الهادون لامته فجزوا مجراه فيه.

لا يقال: هذا الكلام جار فى الرد إلى الرسول أيضاً، لأن الرد إليه ردّ إلى الله فلم يستغن عنه بذكره؟ لأننا نقول: إن المراد بالرد إلى الله هو الرد إلى كتاب الله، و بالردّ إلى الرسول هو الرد إلى السنّه، و من المعلوم عدم وفاء الكتاب بالمتنازعات و عدم كفايته فى رفع النزاع عنها، إذ الاحكام المشتمل عليها الكتاب أقلّ قليل من الاحكام، فلا يغنى ذكر الرد إليه عن ذكر الرد إلى السنّه المشتمله على جميع الاحكام الشرعيه الكافيه فى رفع النزاع عنها إلا قليل منها هذا.

و يؤيد (1) ما ذكرنا أعنى كون الردّ إلى اولى الامر مراداً بالآيه أيضاً ما رواه

ص: ٣٧٢

١- (١) و انما جعلناه مؤيد العدم كونه حجه على الناصب اللعين و ان كان من اقوى الادله عندنا منه.

علی بن ابراهیم القمّی فی تفسیره عن أبی عبد الله علیه السّلام قال: نزل فان تنازعتم فی شیء فارجعوه إلى الله و إلى الرّسول و إلى أولى الامر منكم، و هو یدلّ علی أنّ فی مصحفهم علیهم السّلام كان قول و إلى أولى الامر منكم، و إن عدم وجوده فی المصاحف التي بأيدينا من اسقاط المحرّفين الذين جعلوا القرآن عّضين، و اعتاضوا الدّنيا بالدّين، فقد تحقّق و اتّضح ممّا ذكرنا أنّ الآیه الشّریفه نصّ ظاهر جلیّ لو لا اتّباع الهوى من امثال النّاصب اللّعين.

«أولئك الذين كفروا بآيات ربهم و لقاءه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً».

و منها آیه الإبلاغ

قوله تعالى: «يا أيّها الرّسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته و الله يعصمك من النّاس» فقد ذهب الخاصّه ككثير من العامه إلى أنّها نزلت في عليّ عليه السّلام، و رووا في ذلك أخبارا كثيرة، مثل ما رواه الفخر الرّازي بعد ما ذكر وجوها سخيفه في شأن النزول قال: العاشر نزلت الآيه في فضل عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و لما نزلت هذه الآيه أخذ بيده، و قال: من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه، فلقاه عمر فقال: هنيئا لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي و مولى كلّ مؤمن و مؤمنه، و هو قول ابن عباس و البراء بن عازب و محمّد بن عليّ.

و في غايه المرام من تفسير الثّعالبي في تفسيره هذه الآيه قال: قال أبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السّلام: معناه بلّغ ما انزل إليك من ربّيك في فضل عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و في نسخه اخرى أنّه عليه السّلام قال: يا أيّها الرّسول بلّغ ما انزل إليك في عليّ، و قال:

هكذا نزلت، رواه جعفر بن محمّد، فلما نزلت هذه الآيه أخذ رسول الله صلّى الله عليه و آله بيد عليّ عليه السّلام و قال: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه.

و في كتاب فصول المهمه للمالكي قال روى الامام أبو الحسن الواحدى في

كتابه المسمى بأسباب النزول يرفعه بسنده إلى أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال:

نزلت هذه الآية: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك يوم غدیر خم فى على بن أبى طالب عليه السّلام، إلى غير ذلك من الاخبار المرويه من طرق العامه البالغه حد الاستفاضه و المراد من قوله: بلغ ما انزل، هو تبليغ ولايه على عليه السّلام إلى الناس و قد بلغه و أذاه حيث نزل بالغدير و أخذ بيده و قال: أيها الناس أ لست اولى بكم من أنفسكم قالوا: بلى يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه، اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله و ادر الحق معه كيف ما دار، و فى ذلك اليوم قال حسان بن ثابت:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم و اكرم بالنبي مناديا

يقول فمن مولاكم و وليكم فقالوا و لم يبدوا هناك التّعاديا

الهك مولانا و أنت ولينا و لن تجدن منا لك الدهر عاصيا

فقال له قم يا علىّ فاننى رضيتك من بعدى اماما و هاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له انصار صدق مواليا

هناك دعا اللهمّ وال وليه و كن للذى عادى علينا معاديا

و قال قيس بن سعد:

قلت لما بغى العدوّ علينا حسبنا ربّنا و نعم الوكيل

حسبنا ربّنا الذى فتق النصره بالامس و الحديث طويل

و علىّ امامنا و امام لسوانا أتى به التّنزيل

يوم قال النّبي من كنت مولاه فهذا مولاه خطب جليل

إنما قاله النّبي على الامه حتما ما فيه قال و قيل

و المراد من المولى فى قوله: من كنت مولاه فهذا علىّ مولاه، هو الاولى بالتصرف بقريته قوله أ لست اولى اه، و لعدم صلاحية إرادته غير هذا من معانيه السّته، و هو المعتق و المعقق و الجار و الحليف و الناصر، أمّا الاربعه الاول فواضح، و أمّا الخامس فلعدم احتياجه إلى البيان سيّما و قد قال الله تعالى:

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ».

و يؤيد إرادته ذلك المعنى اقتران هذه الجملة ببعض القرائن الموجوده فى بعض طرق ذلك الحديث.

و هو ما رواه على بن أحمد المالكي من أعيان علماء العامه قال: روى الحافظ أبو الفتوح سعد بن أبي الفضائل بن خلف العجلي فى كتابه الموحد فى فضل الخلفاء الاربعه رضى الله عنهم، يرفعه بسنده إلى حذيفه بن أسد الغفارى و عامر بن ليلى بن حمزه، قالوا: لما صدر رسول الله صلى الله عليه و آله من حجه الوداع و لم يحج بعد غيرها أقبل حتى إذا كان بالجحفة (١) و هى عن سمرا (٢) متقاربات بالبطحاء أن لا ينزل تحتهن أحد حتى إذا أخذ القوم منازلهم أرسل فقم ما تحتهن حتى نودى بالصيلاه صلاه الظهر عمد إليهن فصلى بالناس تحتهن، و ذلك يوم غدير خم، ثم بعد فراغه من الصيلاه قال: أيها الناس إنّه قد نبأنى اللطيف الخبير أنّه لن يعمر نبى إلا نصف عمر النبى الذى كان قبله و إنى لاظن أنى ادعى فاجيب. فأنى مسئول و أنتم مسئولون هل بلغت فما أنتم قائلون؟ قالوا: نقول: قد بلغت و جهدت و نصحت و جزاك الله خيرا، قال: أستم تشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا «رسول الله خ» عبده و رسوله، و أن جنته حقّ و أن ناره حقّ، و البعث بعد الموت حقّ؟ قالوا: بلى نشهد، قال:

اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون ألا فإن الله مولاى و أنا أولى بكم من أنفسكم ألا و من كنت مولاه فعلى مولاه، و أخذ بيد على عليه السلام فرفعها حتى نظرها

ص: ٣٧٥

١- (١) قال فى القاموس الجحفة كانت قرية جامعها على اثنين و ثمانين ميلا من مكة و كانت تسمى مهيعه و الخم على ثلاثه اميال من الجحفة و قال ابن شهر آشوب فى المناقب الغدير فى وادى الاراك على عشره فراسخ من المدينه و على أربعة اميال من الجحفة عند شجرات خمس دوحات عظام و قوله و هى عن سمرا هكذا فى النسخه و الظاهر انه تحريف من النساخ و لعل الاصل و نهى عن سمرا و يكون قوله ان لا ينزل تحتهن تفسير له و الفقم بالضم جانبا الفم و لعل المراد هنا جانباهن، منه أقول: هكذا ذكره المصنف اعلى الله مقامه فى الحاشيه لكن الظاهر ان الفاء من قوله: فقم، ليست جزءا للكلمه، و القم بمعنى الكنس، فمعنى فقم ما تحتهن أى فكنس ما تحتهن «المصحح»

٢- (٢) واحدها سمره شجر معروف، منه

القوم، ثم قال: اللهم وال من والاه و عاد من عاداه.

فإن قرأين الدلالة على المعنى المقصود في هذه الرواية غير خفيّة منها جمعه صلى الله عليه وآله بين التنبية على الولاية و بين اصول العقائد من التوحيد و النبوه و المعاد، فيعلم منه أنّ المراد بالمولى هو الامام الأولى بالتصريف، إذ هو الذى يليق بان يعتقد به بعد الاعتقاد بالتوحيد و الرساله و منها تصدير كلامه صلى الله عليه وآله بحرف التنبية(1) ثم توكيدها بتكرارها تنبيها على عظم المقصود، و من المعلوم أن النصرة لا يليق بأن يبالغ فيها تلك المبالغه و يهّم بها ذلك الاهتمام و منها حثهم على الاستماع بقوله ألا تسمعون، إلى غير هذه من وجوه الدلالة.

و بالجمله فقد تحقّق ممّا ذكرنا كله أنّه لا غبار على دلالة الآية على خلافته عليه السّلام و لو بمعاونه الأخبار المفسره المستفيضه العاميه و الخاصيه كما ظهر دلالة تلك الأخبار و غيرها من أحاديث الغدير المتواتره على المدعى لو لم نقل بكونها صريحه فى إثبات الدعوى.

و أنت بعد الخبره بما تلوناه عليك تقدر على دفع ما أورده بعض التواصب علينا فى الاستدلال بهذه الأخبار.

منها ما ذكره الشّارح القوشجى فى شرح التّجريد عند شرح قول المحقّق الطوسى: و لحديث الغدير المتواتر، حيث قال: و أجب بأنّه غير متواتر بل هو خبر واحد فى مقابله الاجماع كيف؟ و قد قدح فى صحته كثير من أهل الحديث، و لم ينقله المحققون منهم كالبخارى و مسلم و الواقدى، و أكثر من رواه لم يرو(2) المقدمه التى جعلت دليلا- على أنّ المراد بالمولى الأولى بالتصريف.

و منها ما ذكره أيضا كصاحب المواقف. من أنّ قوله: اللهم وال من والاه يشعر بأنّ المراد بالمولى هو الناصر و المحب، قال القوشجى: بل مجرّد احتمال ذلك كاف فى دفع الاستدلال، و ما ذكر من أن ذلك معلوم ظاهر من قوله: و المؤمنون

ص: ٣٧٦

١- (١) حيث قال الا فان الله مولاى ثم اكدها بقوله الا و من كنت مولاه، منه

٢- (٢) و هو قوله الست اولى بكم من انفسكم، منه

و المؤمنات بعضهم أولياء بعض، لا يدفع الاحتمال، لجواز أن يكون الغرض على التخصيص على مولاته و نصرته ليكون أبعد عن التخصيص الذي يحتمله أكثر العمومات، و ليكون أوفى بإفاده الشرف حيث قرن بموالاه النبي صلى الله عليه و آله.

و منها ما ذكره أيضا و هو أنه و إن سلم أن المراد بالمولى هو الأولى فأين الدليل على أن المراد الأولى بالتصرف و التدبير، بل يجوز أن يراد به الأولى في أمر من الامور كما قال تعالى:

«إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ».

و أراد الأولويه في الاتباع و الاختصاص به و القرب منه لا في التصرف فيه.

و منها ما ذكره صاحب المواقف و بعض شراح التجريد من أن أولى بمعنى أفعال و مولى بمعنى مفعول و لم يرد أحدهما بمعنى الآخر و إلا لصح أن يقترب لكل منهما ما يقترب بالآخر، و ذلك بأن يقال: فلان مولى من فلان كما يقال: فلان أولى من فلان، و فلان أولى فلان كما يقال مولى فلان، و ليس فليس إلى غير ذلك من الوجوه السيخيفه التي لفقوها و صرف العمر فيها ظلم في حقها فالتشاغل عنها أولى.

و لا- باس بأن نشير إلى دفع هذه الاعتراضات لتعرف أنها أضغاث أحلام من عمل الشيطان و ليقاس عليها غيره من الوجوه الضعيفه البيان فنقول:

أما الاعتراض الأول و هو انكار تواتر الحديث، ففيه أنه لم يصدر إلا عن الثعنت و التعصب يشهد بذلك مراجعه كتب الأخبار العاميه و الخاصيه.

و قد رواه المحدث العلامة السيد هاشم البحراني في كتاب غايه المرام بتسعه و ثمانين طريقا من طرق العامه و ثلاثه و أربعين طريقا من طرق الخاصه، قال السيد في الكتاب المذكور: أقول: خبر غدير خم قد بلغ حد التواتر من طرق العامه و الخاصه حتى أن محمّد بن جرير الطبري صاحب التاريخ أخرج خبر غدير خم و طرقه من خمسه و سبعين طريقا و أفرد له كتابا سماه كتاب الولايه و هذا الرجل عامي المذهب.

و ذكر أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد بن عقده خبر يوم الغدير و أفرد له كتابا و طرقه من مائة و خمسة طرق و هذا قد تجاوز حدّ التواتر فلا يوجد خبر قط نقل من طرق بقدر هذا الطرق، و الدليل على ما ذكرناه من أنّه لم يوجد خبر له طرق كخبر غدير خم ما حكاه السيّد العلامة عليّ بن موسى بن طاوس، و عليّ بن محمّد بن شهر آشوب ذكرنا عن شهر آشوب، قال: سمعت أبا المعالي الجويني يتعجب و يقول شاهدت مجلّدا بيغداد في يد صحاف فيه روايات غدير خم مكتوبا عليه المجلّد الثامن و العشرون من طرق قوله: من كنت مولاة فعليّ مولاة، و يتلوه المجلّد التاسع و العشرون انتهى.

و قال قاضي نور الله نور الله مرقدته في كتاب إحقاق الحقّ في ردّ الناصب اللعين فضل بن روزبهان: أنّه روى الحديث في صحاح القوم كالبخاري و رواه أحمد بن حنبل امامهم في مسنده بطرق متعدده على الوجه الذي ذكره المصنف (1)، و كذا رواه الثعلبي في تفسيره، و ابن المغازلي الشافعي في كتابه من طرق شتى، و ابن عقده في مائة و خمس طرق، و ذكر الشيخ ابن الكثير الشامي الشافعي عند ذكر أحوال محمّد بن جرير الطبري الشافعي أنّي رأيت كتابا جمع فيه أحاديث غدير خم في مجلّدين ضخمين و كتابا جمع فيه طرق حديث الطير، و نقل عن أبي المعالي الجويني أنّه كان يتعجب إلى آخر ما حكاه عنه في غايه المرام، ثم قال: و أثبت الشيخ ابن الجزري الشافعي في رسالته الموسومة بأسنى المطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام تواتر هذا الحديث من طرق كثيرة، و نسب منكره إلى الجهل و العصبية.

و قال ابن شهر آشوب: العلماء مطبقون على قبول هذا الخبر و إنّما وقع الخلاف في تأويله، ذكره محمّد بن إسحاق، و أحمد البلادري، و مسلم بن الحجاج، و أبو نعيم الاصفهاني، و أبو الحسن الدارقطني، و أبو بكر بن مردويه، و ابن شاهين

ص: ٣٧٨

١- (١) و هو مطابق لما ذكرناه فيما سبق بقولنا حيث نزل بالغدير و اخذ بيده و قال إلى آخر ما سبق هناك، منه

و أبو بكر الباقلائي، و أبو المعالي الجويني، و أبو اسحاق الثعلبي، و أبو سعيد الخرگوشي و أبو المظفر السّمجاني، و أبو بكر بن شيبه، و عليّ بن الجعد، و شعبه، و الأعمش و ابن عباس، و ابن الثّلاج، و الشعبي، و الزّهرى، و الاقليشى، و ابن اليسع، و ابن ماجه، و ابن عبدربه، و الاسكافي، و أبو يعلى الموصلى من عدّه طرق، و أحمد بن حنبل من أربعين طريقا، و ابن بطه من ثلاث و عشرين طريقا، و ابن جرير الطبرى من نيف و ستين طريقا، فى كتاب الولايه، و ابو العباس بن عقده عن مائه و خمس طرق، و أبو بكر الجعاني من مائه و خمس و عشرين طريقا.

و قد صنف عليّ بن هلال المهلبى كتاب الغدير، و أحمد بن محمّد بن سعد كتاب من روى غدير خم، و مسعود السحرى كتابا فيه رواه هذا الخبر و طرقها.

و استخرج منصور اللالى «الللكائى ظ» الرّازى فى كتابه أسماء رواها على حروف المعجم، و ذكر عن الصاحب الكافى أنه قال: روى لناقصه غدير خم القاضى أبو بكر الجعابى عن أبى بكر، و عمر، و عثمان، و عليّ، و طلحه، و الزّبير، و الحسن، و الحسين، و عبد الله بن جعفر، و عباس بن عبد المطلب، و عبد الله بن عباس، و أبو ذر، و سلمان، و عبد الرّحمن، و أبو قتاده، و زيد بن أرقم، و جرير بن حميد، و عدىّ بن حاتم، و عبد الله بن أنيس، و البراء بن عازب، و أبو أيوب، و أبو بريده الأسلمى، و سهل ابن حنيف، و سمره بن جندب، و أبو الهيثم، و عبد الله بن ثابت الأنصارى، و سلمه ابن الأكوع، و الخدرى، و عقبه بن عامر، و ابو رافع، و كعب بن عجره، و حذيفه ابن اليمان، و أبو مسعود البدرى، و حذيفه بن أسيد، و زيد بن ثابت، و سعد بن عباده، و خزيمه بن ثابت، و حباب بن عتبه، و جند بن سفيان، و عمر بن أبى سلمه، و قيس بن سعد، و عباده بن الصامت، و أبو زينب، و ابو ليلى، و عبد الله بن ربيعه، و اسامه بن زيد، و سعد بن جناده، و حباب بن سمره، و يعلى بن مرّه، و ابن قدامه الأنصارى، و ناحيه بن عميره، و أبو كاهل، و خالد بن الوليد، و حسان بن ثابت، و النّعمان بن عجلان، و أبو رفاعه، و عمر بن الحمق، و عبد الله بن يعمر، و مالك بن الحويرث، و أبو الحمراء، و ضمّره بن الحبيب «الحديد خ»، و وحشى بن حرب، و عروه ابن أبى الجعد،

و عامر بن النميرى، و بشر بن عبد المنذر، و رفاعه بن عبد المنذر، و ثابت بن وديعه و عمرو بن حريث، و قيس بن عاصم، و عبد الأعلى بن عدى، و عثمان بن حنيف، و ابى بن كعب، و من النساء فاطمه الزهراء، و عايشه، و ام سلمه، و ام هانى، و فاطمه بنت حمزه، انتهى.

و بالجمله فقد بلغ هذا الخبر فى الاشتهار إلى حد لا يوازيه خبر من الأخبار و تلقته محققوا الامه بالقبول و الاعتبار، فلا يردّه إلا معاند جاحد، أو من لا اطلاع له على كتب الحديث و الآثار.

و أمّا الاعتراض الثانى و هو اشعار آخر الحديث باراده النصرة و المحبه، فهو إنّما يتم لو قيل إنّ اللفظ بعد ما اطلق على أحد معانيه لا يناسب أن يطلق ما يدانيه و يناسبه فى الاشتقاق على معنى آخر، و ليس كذلك، بل قد يعدّ ذلك من المحسنات البديعيه، فالاشعار بذلك خصوصا مع المقدمه المتواتره ممنوع، على أنّ مؤخر الخبر جمله دعائيه مستأنفه ليس ارتباطه بوسط الحديث كارتباط المقدمه به، فاشعاره بذلك لا يكافؤ إشعار المقدمه بخلافه.

هذا كله مضافا إلى أنّ من تأمّل فى الآيه بعين البصيره و الاعتبار يعلم أنّ سياقها يقتضى أنّ المأمور بتبليغه أمر عظيم يفوت بفوات تبليغه ركن من أركان الشريعه على ما يقتضيه قوله: و إن لم تفعل فما بلغت رسالته، خصوصا على قراءه فما بلغت رسالته بصيغه الجمع كما فى الكشاف و غيره، و أى أمر يفوت من الشريعه بعدم تبليغ أنّ عليّا عليه السلام ناصر المؤمنين، و أى خوف كان للرّسول صلّى الله عليه و آله فى إظهار نصرته عليه السلام حتّى يقول الله و الله يعصمك من الناس مع أنّ نصرته للايمان و حمايته للاسلام و كونه ناصرا للمؤمنين و ذابا عن دين سيّد المرسلين كان بديهيا غير محتاج إلى البيان.

فبديهه العقل حاكمه بأنّ نزول النبى صلّى الله عليه و آله فى زمان و مكان لم يكن نزول المسافر متعارفا فيهما، حيث كان الهواء على ما روى فى بعض طريق الحديث فى شدّه الحراره حتّى كان الرّجل يستظلّ بدابته و يضع الرّداء تحت قدميه من شدّه

الرّمضاء و حرّ الهاجره، و المكان ملؤمن الاشواك، ثمّ صعوده على منبر من الأقتاب و الدّعاء لعلّى عليه السّلام على وجه يناسب شأن الملوك و الخلفاء لم يكن إلّا لنزول الوحي الحتمى الفورى فى ذلك الزّمان لاستدراك أمر عظيم الشّأن جليل الخطب يختص بخصوص على عليه السّلام كنصبه للامامه و الخلافه، لا لمجرّد طلب المحبه و النصره الجاريه فى حقّه و فى حقّ غيره من أهل بيته صلّى الله عليه و آله.

و مع ذلك كله فلا مجال لاحتمال إرادته النصره حتّى يدفع به الاستدلال كما توهمه النّاصب القوشجى، كما لا مجال لاحتمال التّخصيص بعد ملاحظه كثره مجاهداته فى الدّين، و نهايه نصرته فى غزواته للمؤمنين حتّى يحتاج إلى التّخصيص على ما توهمه أيضا.

و أمّا الاعتراض الثّالث ففيه أنّ التقييد بقوله: من أنفسهم، أو من أنفسكم، على اختلاف الرّوايتين دليل على أنّ المراد بالأولى هو الأولى بالتّصرف دون الأولى فى أمر من الامور، إذ لا معنى للأولويه من النّاس بنفس النّاس إلّا الاولويه فى التصرف نعم لو لم يوجد القيد لتّم المعارضه بقوله: إنّ أولى النّاس بابراهيم، فأنّه لو كان نظم الآيه مثلا إنّ أولى النّاس بابراهيم من نفسه، لكان المراد الأولى بالتّصرف.

و أمّا الاعتراض الرّابع ففيه أنّ عدم ورود مولى بمعنى الأول ممنوع، و قد نقله الشّارح القوشجى فى قوله تعالى:

«مَأْوَاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ» عن أبى عبيده، و استدللّ على مجيئه بهذا المعنى بهذه الآيه، و بقوله صلّى الله عليه و آله أيّما امرأه نكحت بغير إذن مولاها، أى الاولى بها و المالك لتدبير أمرها، ثمّ قال: و مثله فى الشّعر كثير.

و أمّا الاستدلال عليه بعدم صحه اقتران كلّ منهما بما يقارنه الآخر، ففيه أن كون أحد اللفظين بمعنى الآخر لا يقتضى صحه اقترانه بكلّ ما يقترن به الآخر و لا جريان حكم أحدهما على الآخر مطلقا ألا ترى أنّ الصّلاه بمعنى الدّعاء مع أنّ تعديه الأوّل بعلّى و تعديه الثّانى باللام، يقال: صلى عليه و دعا له، و لو قيل دعا عليه لم

يكن بمعناه، و أنّ كلمه إلاّ بمعنى غير لا يجوز حذف موصوفها، و لا يقال جائنى إلا زيد بخلاف غير فأنه يقال: جائنى غير زيد، و السّر فى ذلك أنّ استعمالات كلام العرب منوطه على التّوقيف و التّوظيف فكلّ مقام استعملت فيه كلمه مخصوصه على كيفيه خاصه فلا بدّ من متابعتها، و لا يجوز التّعدي عنها لبطلان القياس فى اللغات.

و حاصل الكلام أنّه بعد تواتر الحديث كما اعترف به أكابر أهل السنه و وضوح دلالتّه، يكون ارتكاب القدح فيه و المنع عليه ناشيا عن اعوجاج الفطره و سوء الاستعداد و التّورّط فى العصبية و العناد، ذلك جزاؤهم جهنم بما اتخذوا آيات الله و أوليائه هزوا هذا.

و الآيات القرانيه التّمازله فى حقّ أمير المؤمنين و أولاده المعصومين سلام الله عليهم أجمعين كثيره جدا و سيأتى الاشاره إليها إجمالاً- فى أخبار مناشدته صلوات الله عليه مع الصّحابه يوم الشورى و غيرها، و طوينا عن الزّيادة على ما ذكرناه لغرضين، أحدهما مخافه الاطناب، و الثّانى الخوف عن عدم مساعدته العمر لاتمام الكتاب و من اراد الاطلاع عليها تفصيلا فليرجع إلى كتب اصحابنا المؤلفه فى ذلك المقصد، ككتاب كشف الحقّ للعلامه الحلى، و كتاب غايه المرام للسّيد هاشم المحدث البحرانى، و غيرهما من مؤلفات القوم، فإنّ فيها كفايه لمن له علم و درايه، و إذا عرفت عذرنا فى الاقتصار من الآيات على هذا المقدار فلنتصد إلى الاخبار فنقول:

القسم الثّانى: السنه النّبويه و الاخبار الداله على إمامته عليه السّلام

السنه النّبويه و الاخبار الداله على إمامته عليه السّلام

، و هى أكثر من أن تحصى، و قد صنف علماؤنا فى ذلك و اكثروا و لنقتصر هاهنا على القليل لأنّ الكثير غير متناه.

فمنها خبر الغدير المتواتر الذى رويناها سابقا.

و منها قوله صلّى الله عليه و آله لعلّى عليه السّلام: أنت اخى و وصيّى و خليفتى من بعدى و قاضى دينى، تمسك به فى التّجريد و هو نصّ صريح دالّ على خلافته عليه السّلام و اورد عليه بعض

شراحه اولاً (١) بأنه خبر واحد في مقابله الاجماع و لو صحّ لما خفى على الصحابه و التابعين و المهرة المتفنين و المحدثين سيما على و اولاده الطاهرين، و لو سلم فغايبته إثبات خلافته عليه السلام لا نفى لخلافه الآخرين و ثانياً (٢) أنه اراد به الوصيه و الخلافه على المدينة، و يحتمل ذلك في قضاء دينه و إنجاز مواعده، و مع تطرق هذه الاحتمالات لا يمكن التمسك به في وجوب خلافته.

أقول: اما ما ذكره من أنه خبر واحد في مقابله الاجماع، ففيه منع صحه الاجماع حسبما يأتي في مقامه إنشاء الله، و ما ذكره من أنه لو صح لما خفى على الصحابه، ففيه أنه لم يخف على علي و اولاده الذين هم رؤساء الصيحابه، و قد تمسكوا به و بنظيره في غير واحد من احتجاجاتهم و صرحوا به في اخبارهم و رواياتهم، اما غيرهم ممن عقدوا قلبهم على إطفاء نور الله و أجمعوا أمرهم على غضب خلافه الله فلم يخف عليهم أيضا و إنما أخفوه عمدا حيث كان إظهاره نقضا لغرضهم، و ما ذكره من أنه على تقدير تسليمه إنما يثبت خلافته و لا ينفي خلافه الآخرين، ففيه بعد تسليم (٣) عدم نفيه لخلافه الآخرين أن كفايته لاثبات خلافته عليه السلام فقط كافيه لنا، و ما المقصود إلا ذلك، و أما خلافه الآخرين فقد قامت الأدله القاطعه و البراهين الشاطعه على عدمها حسبما تطلع عليها في مواردنا إن شاء الله تعالى.

و أما الايراد باحتمال كون الوصيه و الخلافه على المدينة ففيه أنه خلاف الظاهر، إذ ظاهر اللفظ الاطلاق و لا يعدل عنه إلا بدليل و ليس فليس، بل نقول:

إن حذف المتعلق دليل العموم، بل قوله صلى الله عليه و آله: من بعدى، لا يخلو من إشعار بعدم

ص: ٣٨٣

١- (١) هذا الايراد من الشارح القوشجي، منه

٢- (٢) هذا الايراد من الشارح الراغب منه

٣- (٣) قوله بعد تسليم عدم نفيه اه اشاره إلى دلالة الحديث على النفي بمقتضى ظهور لفظ بعدى في ذلك حيث ان لفظ بعدى و ان كان من حيث الوضع محتملا للبعديه بلا فصل و بفصل الا ان المفهوم منه بحسب العرف هو الاول الا ترى ان القائل اذا قال هذا المال للفقراء بعدى تبادر منه الى الافهام انه اراد بعد موته بلا فصل فيكون حقيقته العرفيه ذلك و كذا اذا ذكر اهل التواريخ ان فلانا جلس على سرير الملك بعد فلان لا يفهم منه الا ذلك، منه

كون مراده الخلافه على المدينه كما لا- يخفى، و كيف كان فلا- ريب فى بطلان الاحتمال المذكور كما لا ريب فى بطلان احتمال كون متعلق الوصيّه قضاء الدين و انجاز الموعد لما ذكرنا من أصله الاطلاق خصوصا بملاحظه قوله: و قاضى دينى فانّ تصريحه به مشعر بل مفيد لعدم كون متعلق الخلافه و الوصايه ذلك فقط و إلا كان الأنسب أن يقال و وصيى فى قضاء دينى.

و هذا كله على التنزل و المماشاه و إلا فنقول: إنه صلى الله عليه و آله لم يكن له دين يبقى على ذمته إلى وفاته حتى يوصى به إليه، لما روى أنه فى أيام مرضه طلب براهه الذمه عن الناس و لم يدع عليه أحد شيئا سوى من ادعى عليه ضرب سوط من عمد، و على هذا فالظاهر أنّ الدين فى قوله صلى الله عليه و آله: و قاضى دينى بكسر الدال كما صرح به المحقق الطوسى فى التجريد، و عليه فهو دليل آخر على المدعى إذ الحاكم فى أمر الدين لا بد و أن يكون خليفه معصوما.

و منها ما رواه الشارح المعتزلى فى شرح الخطبه القاصعه و هى الخطبه المأه و الحاديه و التسعون، عن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام قال: كان على عليه السلام يرى مع رسول الله صلى الله عليه و آله قبل الرساله الضوء و يسمع الصوت، و قال صلى الله عليه و آله له عليه السلام:

لو لا أتى خاتم الأنبياء لكنت شريكا فى النبوه، فان لا تكن نبيا فانك وصي نبي و وارثه بل أنت سيد الأوصياء و إمام الأتقياء.

و منها ما رواه الشارح هناك أيضا عن الطبرسى فى تاريخه عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: لما نزلت هذه الآيه.

«وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» و ساق الحديث إلى أن قال: ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه و آله فقال: يا بنى عبد المطلب إني و الله ما أعلم أنّ شابا فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به إني قد جئتكم بخير الدنيا و الآخره و قد أمرنى الله أن أدعوكم إليه فأياكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون

أخى و وصيى و خليفتى فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعا و قلت: أنا و إنى لأحدثهم سنًا و أرمضهم عينا و أعظمهم بطنا و أحمشهم ساقا، انا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأعاد القول فامسكوا و أعدت ما قلت: فأخذ برقبتي ثم قال لهم: هذا اخى و وصيى و خليفتى فيكم فاسمعوا له و اطيعوا، فقام القوم يضحكون و يقولون لأبى طالب قد أمرك ان تسمع لابنك و تطيع.

أقول: وجوه الدلالة فى هذه الروايه من طرق شتى غير خفيه على من استضاء قلبه بنور الولاية أو ألقى السمع و هو شهيد، و سيأتى إنشاء الله بتمامه فى مقامه، و العجب كل العجب من الشارح كيف خفى عليه وجوه الدلالة و عزب عن الاهتداء إليها.

و منها ما رواه هناك أيضا قال: قال النبى صلى الله عليه و آله فى الخبر المجمع على روايته بين ساير فرق الاسلام: أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى، ثم قال: فأثبت له جميع مراتب هارون و منازلته عن موسى، فاذا هو وزير رسول الله صلى الله عليه و آله، و شاذ أزره، و لولا أنه خاتم النبیین لكان شريكا فى أمره انتهى.

أقول: توضيح الاستدلال و تحقيقه أنه صلى الله عليه و آله أثبت لعلى عليه السلام جميع مراتب هارون من موسى و استثنى النبوه و يبقى الباقي على عمومته، و من جملة المنازل أنه كان خليفه لموسى عليه السلام بدليل قوله تعالى: اخلفنى فى قومي، فكان خليفه فى حياته فيكون خليفه بعد وفاته لو عاش، لكنه لم يعيش و على عليه السلام عاش فتكون خلافته ثابتة.

قال القوشجى فى شرح التجريد: و اجيب بأنه غير متواتر بل هو خبر واحد فى مقابله الاجماع، و بمنع عموم المنازل بل غايه الاسم المفرد المضاف إلى العلم الاطلاق، و ربما يدعى كونه معهودا معينا كغلام زيد، و ليس الاستثناء المذكور إخراجا لبعض أفراد المنزله بمنزله قولك إلا النبوه، بل منقطع بمعنى لكن، فلا يدل على العموم كيف، و من منازلته الاخوه و لم يثبت لعلى عليه السلام، اللهم إلا أن يقال إنها بمنزله المستثنى لظهور انتفائها، و لو سلم العموم فليس من منازل هارون الخلافه

والتصرف بطريق النيابة على ما هو مقتضى الامامه لأنه شريك له في النبوه، وقوله اخلفني ليس استخلافًا، بل مبالغه و تأكيداً في القيام بأمر القوم، فلو سلم فلا- دلالة على بقائها بعد الموت، و ليس انتفاؤها بموت المستخلف عزلاً و لا نقصاً، بل ربّما تكون عوداً إلى حاله أكمل هي الاستقلال بالنبوه و التبليغ من الله، و تصرف هارون و نفاذ أمره لو بقي بعد موسى إنّما يكون لنبوته، و قد انتفت النبوه في حقّ عليّ فينتفى ما بيني عليها و يتسبّب عنها، و بعد اللتيا و التي لا دلالة فيه على نفى إمامه الأئمه الثلاثة قبل عليّ عليه السلام انتهى.

و يتوجه عليه وجوه من الكلام و ضروب من الملامم الأوّل أنّ إنكار تواتر الخبر ممّا لا يصغى إليه بعد ما سمعته من الشارح المعتزلي من كونه مجمعا على روايته بين فرق الاسلام، و قد رواه السيد المحدث البحراني في كتاب غايه المرام بمأه طريق من طرق العامه، و بسبعين طريقاً من طرق الخاصه.

الثاني أنّ عدم إفاده المفرد المضاف للعموم بحسب الوضع مسلم، إلا- أنه لا- غبار على إفادته له في المقام بخصوصه بقريته الاستثناء و بدليل الحكمه، لأننا لو حملنا المنزله على بعض المنازل دون بعض فأمّا أن يكون معيّنه أو مبهمه، و الأوّل ممتنع، ضروره عدم دلالة اللفظ على التعيين، و الثاني أيضاً ممتنع لما فيه من الاجمال و عدم الافاده، نظير ما قاله الاصوليون في إفاده المفرد المعرف للعموم إذا لم يكن ثمّ معهود، مثل قوله: أحلّ الله البيع.

الثالث أنّ الأصل في الاستثناء الاتصال و حمل إلا بمعنى لكن خلاف الظاهر.

الرابع أنّ معنى قوله: اخلفني في قومي، كن خليفتي فيهم كما صرح به في الكشاف، و على ذلك فكان تصرفه في القوم بطريق النيابة عن موسى كما كان نافذ التصرف بالاصاله بمقتضى نبوته و حيث انتفى النبوه في حقّ عليّ عليه السلام فيكون تصرفاته بطريق النيابة.

الخامس هب أنّ بقاء هارون بعد موسى لا يقتضى كونه نافذ التصرف من حيث

النَّيَابَهُ وَالْخِلَافَةَ لِامْكَانِ النَّبُوَّةِ الْمَسْتَقْلَةِ فِي حَقِّهِ مِنَ اللَّهِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى وَ أَكْمَلُ رَتْبِهِ مِنْ مَرْتَبَةِ الْخِلَافَةِ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّ النَّبُوَّةَ لَمَّا كَانَتْ غَيْرَ مُمْكِنَةٍ فِي حَقِّ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمُقْتَضَى الْإِسْتِثْنَاءِ فَلَا بَدَّ وَأَنْ يَكُونَ نَفُوذَ تَصَرُّفِهِ الْمَسْتَدَنَّ إِلَى الْخِلَافَةِ فِي حَالِ حَيَاةِ النَّبِيِّ الْمَسْتَفَادِ مِنْ عَمُومِ الْمَنْزِلَةِ مُسْتَمِرًّا إِلَى مَا بَعْدَ الْوَفَاةِ، وَ إِلَّا لَزِمَ الْعِزْلُ وَ النَّقْصُ وَ تَنْفَرُ الطَّبَاعُ، إِذْ نَفُوذَ التَّصَرُّفِ مَرْتَبَهُ جَلِيلُهُ لَا يَحِطُّ عَنْهَا مِنْ ثَبَتِ لَهُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَقْتَضِي غَايَةَ التَّنْفِيرِ، وَ بَعْبَارِهِ أُخْرَى الْمَجِيبُ قَدْ سَلِمَ كَوْنُ انْتِفَاءِ الْخِلَافَةِ بِمَوْتِ الْمَسْتَخْلَفِ مُوجِبًا لِلْعِزْلِ وَ النَّقْصِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ ذُبَّ عَنْهُ بِامْكَانِ جَبْرَانِ ذَلِكَ النِّقْصَانِ بِحُصُولِ مَرْتَبِهِ هِيَ أَكْمَلُ مِنْ مَرْتَبَةِ الْخِلَافَةِ، وَ عَلَيْهِ فَأَقُولُ: إِنَّ الْجَابِرَ لِلنَّقْصِ لَمَّا لَمْ يُمْكِنَ فِي حَقِّ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَزِمَ بَقَاءُ الْخِلَافَةِ فِي حَقِّهِ عَلَى حَالِهَا لِوُجُودِ مُقْتَضَى الْبَقَاءِ وَ هُوَ ظَاهِرٌ لَا يَخْفَى.

السِّيَادَسُ أَنَّ عَدَمَ دَلَالَتِهِ عَلَى نَفْيِ إِمَامَةِ الثَّلَاثَةِ مَمْنُوعٌ، لِأَنَّهُ إِذَا دَلَّتِ الرَّوَايَةُ عَلَى عَمُومِ الْمَنْزِلَةِ حَسْبَمَا عَرَفْتُمْ، فَمِنْ جَمَلِهِ مَنَازِلُ هَارُونَ هُوَ التَّدْبِيرُ وَ التَّصَرُّفُ وَ نَفَاذُ الْحُكْمِ عَلَى فَرَضِ التَّعْيِشِ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى عَامِهِ الْآمَةِ بِحَيْثُ لَمْ يَشَدَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ، فَبَعْدَ إِثْبَاتِ الْعَمُومِ وَ تَسْلِيمِ الْخِصْمِ يَلْزَمُ دُخُولَ عَامِهِ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي حَالِ حَيَاتِهِ وَ ارْتِحَالِهِ تَحْتَ تَصَرُّفِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا كَانَ عَامَهُ قَوْمِ مُوسَى تَحْتَ تَصَرُّفِ هَارُونَ، وَ هَذَا يَنْفِي إِمَامَةَ الثَّلَاثَةِ مُطْلَقًا، فَقَدْ تَحَقَّقَ مِمَّا ذَكَرْنَا كُلَّهُ كَفَايَةَ الرَّوَايَةِ فِي إِثْبَاتِ خِلَافَتِهِ وَ نَفْيِ خِلَافَةِ الثَّلَاثَةِ، وَ يَأْتِي إِِنْشَاءُ اللَّهِ مُزِيدَ تَحْقِيقِ وَ بَسْطِ لَذَلِكَ فِي التَّنْبِيهِ الثَّلَاثِ مِنْ شَرْحِ الْفَصْلِ الثَّمَانِ مِنْ فُصُولِ الْخُطْبَةِ الْمَاءِ وَ الْحَادِيَةِ وَ الثَّمَانِينَ، وَ لَنَعْمَ مَا قَالَ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فَمِنْ شَرَفِ الْأَقْوَامِ يَوْمًا بِرَأْيِهِ فَإِنَّ عَلَيْنَا شَرَفَتْهُ الْمَنَاقِبُ

وَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ وَ الْحَقِّ قَوْلُهُ وَ إِنْ رَغِمَتْ مِنْهُ أَنْوْفُ الْكُؤَادِبِ

بَأَنْكَ مَنِّي يَا عَلِيُّ مَعَالِنَا كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى أَخِي وَ صَاحِبِ

وَ قَالَ آخِرًا:

وَ أَنْزَلَهُ مِنْهُ عَلَى رَغْمِهِ الْعَدَى كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى عَلَى قَدَمِ الدَّهْرِ

فمن كان في اصحاب موسى و قومه كهارون لازلتم على زلل الكفر

و قال ابن حماد:

نصّ النبيّ على الهادي أبي الحسن نصّا على صدقه اجمعت انت معي

في قوله لك منى اليوم منزله كانت لهارون من موسى فلا نزع

و أنّما قال هذا حين خلفه على المدينة ان انصفت فافتنع

و منها ما رواه في غايه المرام عن ابن المغازلي الشافعي باسناده عن جابر بن عبد الله عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ قِطْعَهُ مِنْ نُورٍ فَأَسْكَنَهَا فِي صَلْبِ آدَمَ فَسَاقَهَا حَتَّى قَسَمَهَا جَزَيْنِ فَجَعَلَ جِزءً فِي صَلْبِ عَبْدِ اللَّهِ وَ جِزءً فِي صَلْبِ أَبِي طَالِبٍ، فَأَخْرَجَنِي نَبِيًّا وَ أَخْرَجَ عَلِيًّا وَصِيًّا.

و منها ما رواه في غايه المرام أيضا عن ابن شيرويه الديلمي و هو من أعيان علماء العامه من كتاب الفردوس في باب الخاء، قال باسناده عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: خلقت أنا و عليّ من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بأربعة آلاف عام، فلما خلق الله آدم ركب ذلك التور في صلبه فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففني النبوه، و في عليّ الخلافه.

و منها ما رواه في كشف الحقّ من كتاب المناقب لأبي بكر أحمد بن مردويه، و هو حجه عند المذاهب الأربعة، رواه باسناد إلى أبي ذر، قال: دخلنا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقلنا: من أحب أصحابك إليك و إن كان أمر كنا معه، و إن كانت نائبه كنا من دونه؟ قال هذا عليّ أقدمكم سلما و إسلاما.

و اورد (1) عليه بأنه يدلّ على فضيله أمير المؤمنين عليه السلام و أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يحبه حبّا شديدا و لا يدلّ على النصّ بامارته، و لو كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ناصّا على خلافته لكان هذا محلّ إظهاره، و هو ظاهر، فأنّه لما لم يقل إنّه الأمير بعدى علم عدم النصّ فكيف يصحّ الاستدلال به.

و اجيب (2) بأنّ النصّ على المعنى المراد كما يكون بالدلاله على ذلك من

ص: ٣٨٨

١- (١) المورد هو الناصب فضل بن روزبهان، منه

٢- (٢) المجيب قاضي نور الله، منه

مجزء مدلول اللفظ، كذلك يكون باقاه القران الواضحه النافيه للاحتمالات المخالفه للمعنى المقصود، و ما نحن فيه من هذا القبيل، فان قول السائل و ان كان امر كنا معه و ان كانت نائبه كنا من دونه مع قوله صلى الله عليه و آله: هذا على اقدمكم اه، نص على اراده الخلافه، فان قوله: اقدمكم، بمنزله الدليل على اهليته للتقدم على ساير الامه، فقوله: لو كان رسول الله صلى الله عليه و آله ناصا لقال انه الامير بعدى، من باب تعيين الطريق الخارج عن شرح المحصلين، بل لو قال النبى ذلك لكان يتعسف الناصب الشقى و يقول الاماره ليست نصيا صريحا فى الخلافه لاستعماله فى اماره الجيوش و فى اماره قوم دون قوم، كما قال الأنصار، منا امير و منكم امير و بالجمله التصريح و التطويل لا ينفع المعاند المحيل و لو تليت عليه التوراه و الانجيل.

و منها ما رواه فيه أيضا من كتاب ابن المغازلى الشافعى باسناده عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال: لكل نبى وصى و وارث، و ان وصى و وارثى على بن أبى طالب عليه السلام، و احتمال كون المراد بالوصايه غير الخلافه مدفوع، بأن الظاهر من قوله صلى الله عليه و آله: لكل نبى وصى و وارث هو أن المراد بالوصى الوصى فى أمر النبوه، و إلا يقال إن لكل احد وصى و من المعلوم أن الوصايه فى أمر النبوه هو عباره اخرى للخلافه و سيأتى لذلك مزيد توضيح بعيد ذلك.

و منها ما رواه فيه أيضا من مسند أحمد بن حنبل عن سلمان أنه قال: يا رسول الله من وصيك؟ قال: يا سلمان من وصى أخى موسى؟ قال: يوشع بن نون، قال: فان وصى و وارثى يقضى دينى و ينجز موعدى على بن أبى طالب عليه السلام.

و أورد عليه الناصب فضل بن روزبهان بأن الوصى قد يطلق و يراد به من أوصى له بالعلم و الهدايه و حفظ قوانين الشريعة و تبليغ العلم و المعرفه، فان اريد هذا من الوصى فمسلم أنه كان وصيا لرسول الله صلى الله عليه و آله و لا خلاف فى هذا، و إن اريد الوصىه بالخلافه فقد ذكرنا بالدلائل العقلية و النقلية عدم النص فى خلافه على، و لو كان ناصا جليا لم يخالفه الصحابه و إن خالفوا لم يطعمهم العساكر و عامه العرب سيما الأنصار.

و فيه اولا أن الوصيّ بمعنى الأوّل الذي سلم اتّصافه به أيضا لا بدّ و أن يكون خليفه إذ لا نعى بالخلافه إلا حفظ قوانين الدين و حمايه شريعته سيد المرسلين و هدايه الامه إلى أعلام المعرفه و منار اليقين، و أنّى حصل هذا المعنى فى حق الثلاثة المتحيرين فى بوادى الضلاله التائهيين فى مفازة الجهاله العاجزين عن معرفه ظواهر الكتاب و السنه و عن تفسير معنى الأب و الكلاله، فضلا عن ضبط معانيها و عن معرفه أحكامها و عن هدايه الامه إليها.

و ثانيا أنّ ضرب يوشع مثلا لعلّى عليه السّلام يعطى كون مراده بالوصايه الخلافه، حيث إنّ يوشع كان خليفه لموسى بعده كما صرّح به غير واحد منهم الشهرستاني فى بيان أحوال اليهود حيث قال فى محكّي كلامه: إنّ الأمر كان مشتركا بين موسى و بين أخيه هارون إذ قال: أشركه فى امرى، فكان هو الوصيّ فلما مات هارون فى حياته انتقل الوصايه إلى يوشع وديعه ليوصلها إلى شبير و شبرا بنى هارون قرارا و ذلك أنّ الوصيّه و الامامه بعضها مستقرّ و بعضها مستودع.

و ثالثا أنّ أى دليل عقلى أو نقلى قام على عدم النصّ و إن هو إلاّ مصادره على الدّعى.

و أمّا ما ذكره من أنّه لو كان نصّيا جليّا لم يخالفه الصحابه، ففيه أنّ من الصحابه من كان قلبه منورا بنور الايمان و العرفان فلم يخالفوه بل ائتمّوا به و اقتبسوا أنواره و اتبعوا آثاره حتّى أتتهم اليقين و مضوا إلى لقاء ربّ العالمين، و أمّا غيرهم فقد كان همّهم من أوّل الأمر على اطفاء نور الله و كتمان آيات الله فلا- غرو فى كتمانهم و إخفائهم ذلك، و أمّا العساكر فمخالفتهم إنما هو للحقد و السّخايم الثابته فى صدورهم من أجل قتله أقاربهم و أحبائهم و إخوانهم و أولادهم، و لم يكن بطن من بطون قريش إلاّ و كان لهم على على عليه السّلام دم أراقه فى سبيل الله كما اعترف به غير واحد منهم ذلك النّاصب، و منهم الشّارح المعتزلى و غيرهما، و من المعلوم أنّ الطبايع البشريه مجبوله على بغض من قتل أقارب قوم و أقوامهم، و حرى

على المبغض بمقتضى جبلته أن يخالف القاتل و يعانده و يمنعه ممّا يرومه بقدر وسعه و طاقته.

و منها خبر الثقلين المتواتر بين الفريقين، و قد رواه في غايه المرام بتسعه و ثلاثين طريقا من طرق العامه و اثنين و ثمانين طريقا من طرق الخاصه، و من جمله طرقه أحمد بن حنبل في المسند عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إني قد تركت فيكم ما إن تمسّ بكم به لن تضلوا بعدى: الثقلين واحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتى أهل بيتى هذا و الاخبار الناصه على خلافته و إمامته بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فوق حدّ الاحصاء و المقام لا- يقتضى الزيادة على ما روينا، و سيأتى إنشاء الله كثير منها فى تضعيف الشرح فى مواضعها المناسبه و من الله التوفيق و الاستعانه.

المقصد الثانى: فى الادله العقليه الداله على إمامته عليه السلام

اشاره

فى الادله العقليه الداله على إمامته عليه السلام

و هى كثيره.

منها أنّ الامام يجب أن يكون معصوماً و غير على عليه السلام لم يكن معصوماً

فتعين أن يكون هو الامام، أمّيا الكبرى فبالاجماع ممّا و من العامه، و أمّيا الصغرى أعنى وجوب عصمه الامام فلما قد مرّ فى الاستدلال بقوله:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ» و محصل ما ذكرناه هناك أن طاعه اولى الامر واجبه مطلقا فلو لم يكن معصوما لم يؤمن منه الخطاء، فاما أن يجب متابعتة عند صدوره منه، و إما أن يجب ردعه عنه و إنكاره منه، فعلى الاول يلزم أن يكون قد أمرنا الله سبحانه بالقبيح و هو محال، و على الثانى فيكون الانكار له مضادا لوجوب طاعته، و أيضا الحاجه إلى الامام إنما هو لاقامه الحدود و الاحكام و حمل الناس على فعل الواجب و الكفّ عن الحرام و انتصاف حقّ المظلوم من الظالم و منع الظالم من الظلم، فلو جازت عليه المعصيه

ص: ٣٩١

و صدرت عنه انتفت هذه الفوائد و افتقر إلى إمام آخر و تسلسل، و يأتي في شرح الفصل الثامن من الخطبه المأه و الحاديه و التسعين تقرير آخر لوجوب عصمه الامام إن شاء الله تعالى.

و منها أنّ الامام يجب أن يكون منصوفا و غير على عليه السلام لم يكن منصوفا

بالاجماع فهو المتعين

، و إنما قلنا بوجوب التنصيص لما عرفت من أنّ شرط الامام العصمه و هي من الامور الخفيه التي لا يعلمها إلا الله تعالى و ايضا سيره النبي صلى الله عليه و آله تقتضى التنصيص، لانه اشفق بالامه من الوالد بولده و لهذا لم يقصر في إرشاد امور جزئيه مثل ما يتعلّق بدخول المسجد و الخروج منه و لم يترك شيئا مما يحتاج إليه الامه إلا بينه حتى ارش الخدش و الجلده و نصف الجلده، و مع ذلك كيف يهمل أمرهم فيما هو من أهمّ الواجبات و أعظم المهمات و لا ينصّ على من يتولى أمرهم بعده و يأتي تقرير آخر إنشاء الله لوجوب النصّ و لزومه في شرح الكلام المأه و الحادى و الستين من التّقيب أبى جعفر البصرى، و هو أطف كلام و أمتن دليل نقله الشارح المعتزلى عن التّقيب هناك فليراجع ثمه.

هذا مضافا إلى أنّ الله تعالى قد أخبرنا باكمال الدين و إتمام النعمه، و من المعلوم أنّ الامامه من تمام الدين فمن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد ردّ كتاب الله و من ردّ كتاب الله فهو كافر، و توضيح هذا الدليل يظهر من روايه الكافى عن الرضا عليه السلام التي سبقت في آخر فصول الخطبه السابقه عند شرح قوله عليه السلام: و لهم خصايص حقّ الولايه، فارجع إليها تجدها في إثبات هذه الدّعوى كنزا مشحونا بأنواع الدرر و الجواهر، و بحرا مؤاجا ليس له ساحل.

و منها أنّ الامام لا بدّ أن يكون أفضل من رعيته

و غير على عليه السلام من الثلاثه لم يكن أفضل فتعين عليه السلام، أمّا أنّ الامام لا بدّ أن يكون أفضل فالأنه لو لم يكن أفضل لا يخلو إمّا أن يكون مساويا أو مفضولا، أما المساوى فيستحيل تقديمه لأنّه يفضى إلى التّرجيح بلا مرجح، و أمّا المفضول فترجيحه على الفاضل يبطله العقل لحكمه بقبح تعظيم المفضول و إهانته الفاضل و رفع مرتبه المفضول و خفض مرتبه الفاضل،

و هو بديهى عند العوام فضلا عن الخواص فانظر إلى عقلك هل يحكم بتقديم المبتدى فى الفقه على مثل ابن عباس، و قد نصّ على إنكاره القرآن أيضا فقال تعالى:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ.»

و قال «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ.»

و أما أن غير على عليه السّلام لم يكن أفضل منه فبتسليم الخصم أعنى الشّارح المعتزلى الذى عمده مقصودنا من تمهيد هذه المقدّمه إبطال مذهبه الذى أشرنا إليه فى صدر المقدّمه، حيث ذهب إلى كونه أفضل منهم، و قد قال فى أوائل شرحه بعد ذكر اختلاف العامه فى تفضيل الأربعة ما هذا لفظه: و أما نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديون من تفضيله عليه السّلام، و قد ذكرنا فى كتبنا الكلاميّة ما معنى الأفضل و هل المراد به أكثر ثوابا أم الأجمع لمزايا الفضل و الخلال الحميده، و بيّنا أنه عليه السّلام أفضل على التفسيرين معا، و ليس هذا الكتاب موضوعا لذكر اللّجاج فى ذلك أو فى غيره من المباحث الكلاميّة لنذكره و لهذا موضع هو أليق به انتهى.

أقول: و لا بأس بأن نسط الكلام فى المقام ايضا للمرام و نذكر يسيرا من مناقب أمير المؤمنين و فضائله عليه السّلام رغما لانوف التّواصب اللّثام إذ الاستقصاء غير ممكن، كما روى الخطيب الخوارزمى و هو من أعيان علماء العامه باسناده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: لو أنّ الرّياض أقلام و البحر مداد و الجنّ حِباب و الانس كتاب ما أحصوا فضائل على بن أبى طالب عليه السّلام.

و روى مثله من طريق الخاصه، و هو ما عن الصّيدوق فى أماليه باسناده عن سعيد بن جبیر قال: أتيت عبد الله بن عباس فقلت: يا بن عمّ رسول الله صلّى الله عليه و آله إننى جئتك أسألك عن على بن أبى طالب عليه السّلام و اختلاف النّاس فيه، فقال ابن عباس: جئت

تسألني عن خير خلق الله من الامه بعد محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ جئت تسألني عن وصي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَزِيْرِهِ وَخَلِيْفَتِهِ وَصَاحِبِ حَوْضِهِ وَلِوَاثِهِ وَشَفَاعَتِهِ، وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ عَبَّاسٍ بِيَدِهِ لَوْ كَانَتْ بَحَارَ الدُّنْيَا مَدَادًا وَأَشْجَارُهَا أَقْلَامًا وَأَهْلُهَا كِتَابًا فَكَتَبُوا مَنَاقِبَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفَضَائِلَهُ مِنْ يَوْمِ خَلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الدُّنْيَا إِلَى أَنْ يَفْنِيَهَا مَا بَلَغُوا مَعْشَارَ مَا آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فمن يقول عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَابْنُ عَبَّاسٍ مِثْلَ هَذَا كَيْفَ يُمْكِنُ دَرْكُ فَضَائِلِهِ لَكِنْ مَا لَا يَدْرِكُ كُلَّهُ لَا يَتْرَكَ كُلَّهُ، وَالمِيسُورُ لَا يَسْقُطُ بِالمَعْسُورِ. فَيَنْبَغِي أَنْ نُوْرِدَ شَطْرًا مِنْهَا لِيَعْلَمَ بِذَلِكَ أَفْضَلِيَّتَهُ عَلَى غَيْرِهِ المَقْتَضِيَهُ لِأَحْقِيَّتِهِ بِالخِلَافَةِ وَالمُوصَايَةِ وَاسْتِحْقَاقِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهَا فَقَطْ دُونَ غَيْرِهِ، لِقَبْحِ تَرْجِيحِ المَرْجُوحِ عَلَى الرَّاجِحِ، وَالمُفْضُولِ عَلَى الفَاضِلِ.

فأقول وَبِاللهِ التَّوْفِيقِ: إِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُ جَمِيعِ أُمَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَلْ أَفْضَلُ جَمِيعِ مَنْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ حَيْثُ كَثُرَ الثَّوَابُ وَ مِنْ حَيْثُ جَمِعَ لِخِصَالِ الحَمِيدَةِ وَالكَمَالَاتِ الدَّائِمَةِ وَالفَضَائِلِ النَّفْسَانِيَةِ.

أَمَّا كَثْرَةُ الثَّوَابِ فَلظهور أَنَّ الثَّوَابَ مُتْرَبٌ عَلَى العِبَادَةِ وَبكَثْرَتِهَا وَقِلَّتِهَا تَتَفَاوَتُ الثَّوَابُ وَالجِزَاءُ زِيَادَةً وَنَقْصَانًا، وَسَتَعْرِفُ أَنَّهُ أَعْبَدُ مِنَ الكُلِّ فَيَكُونُ أَكْثَرَ مَثُوبَةً وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ العِبَادَاتِ إِلَّا ضَرْبَتُهُ يَوْمَ الخَنْدَقِ الَّتِي قَالَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَلَهُ:

إِنَّهَا أَفْضَلُ مِنَ عِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ، لَكِنِّي فِي إِثْبَاتِ هَذَا المَرَامِ فَضْلًا عَنْ سَائِرِ عِبَادَاتِهِ الَّتِي لَا يَضْبِطُهَا الصَّحْفُ وَالدَّفَاتِرُ، وَ لَا يَحْصِيهَا الرُّبْرُ وَ الطَّوَامِيرُ.

وَ أَمَّا الخِصَالُ الحَمِيدَةُ وَ الفَضَائِلُ وَ الفَوَاضِلُ النَّفْسَانِيَةِ وَ سَائِرِ جِهَاتِ الفَضْلِ فَكَثِيرَةٌ جَمَّةٌ.

منها سبقه إلى الاسلام

، وَ قَدْ صرَّحَ بِهِ نَفْسَهُ فِي المَخْتَارِ السَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ بِقَوْلِهِ أ تَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَنَّا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ، وَ فِي المَخْتَارِ السَّادِسِ وَالخَمْسِينَ بِقَوْلِهِ: فَأَنِّي وَلِدْتُ عَلَى الفِطْرَةِ وَ سَبَقْتُ إِلَى الأِيْمَانِ وَالهَجْرَةِ، وَ تَعْرِفُ تَفْصِيلَ سَبِقَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ وَ تَحْقِيقَهُ فِي شَرْحِ المَخْتَارِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

و أقول هنا: قد اعترف أبو بكر أيضا بمسابقته عليه السّلام إلى الاسلام منه فيما رواه أبو ذرعه الدّمشقي و أبو اسحاق الثعلبي في كتابيهما أنّه قال ابو بكر: يا أسفا على ساعه تقدّمني فيها عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فلو سبقته لكان لي سابقه الاسلام.

و في مناقب ابن شهر آشوب من أنساب الصّحابه عن الطبري التّاريخي، و المعارف عن القتيبي أنّ أوّل من أسلم خديجه ثمّ عليّ ثمّ زيد ثمّ أبو بكر، يعقوب النسوي في التّاريخ، قال الحسن بن زيد: كان ابو بكر الرّابع في الاسلام، تاريخ الطبري أنّ عمر اسلم بعد خمسه و اربعين رجلا واحدى و عشرين امرأه و في هذا المعنى قال الحميري.

من كان وحد قبل كلّ موحد يدعو الآله الواحد القهارا

من كان صليّ القبلتين و قومه مثل النّواحق تحمل الأسفارا

و قال أيضا

من فضله أنّه قد كان اول منصلي و آمن بالرّحمن اذ كفروا

سبع سنين و اياما محرّمهمع النّبي على خوف و ما شعروا

و له أيضا

الم يؤت الهدى و النّاس حيريفوحد ربّه احد العليّا

و صليّ ثانيا في حال خوفسنين بحريث سبعا اسيا

و قال آخر

ا ما لا يرون اقام الصّلاهو توحيده و هم مشركونا

و يشهد ان لا اله سويربنا احسن الخالقينا

سنين كوامل سبعا بيتناجي الاله له مستكينا

بذلك فضله ربناعلى اهل فضلكم اجمعينا

و منها المسابقه بالصّلاه

و ستعرف تفصيلها أيضا في شرح المختار إن شاء الله تعالى.

و اقول هنا روى في المناقب عن المرزبانى عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن

عباس فى قوله تعالى:

«وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

نزلت فى على عليه السلام خاصه و هو أول مؤمن و أول مصل بعد النبى صلى الله عليه و آله و فيه عن السدى عن ابى مالك عن ابن عباس فى قوله:

«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ».

فقال: سابق هذه الامه على بن أبى طالب عليه السلام.

و فيه من كتاب ابى بكر الشيرازى عن مالك بن انس عن سمى عن ابى صالح عن ابن عباس قال:

«وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ».

نزلت فى أمير المؤمنين عليه السلام سبق الناس كلهم بالايمن و صلى القبلتين و بايع البيعتين بيعه بدر و بيعه الرضوان، و هاجر الهجرة: مع جعفر من مكة إلى حبشه و من حبشه إلى المدينة، و فى هذا المعنى قال الحميرى:

وصى رسول الله و الاول الذى أناب الى دار الهدى حين أيفعا

غلاما فصلى مستسرا بدينه مخافه ان يبغى عليه فيمنعا

بمكة اذ كانت قريش و غيرها تظل لاوثان سجودا و ركعا

و له ايضا

أ لم يصل على قبلهم حججاو وخذ الله رب الشمس و القمر

و هؤلاء و من فى حزب دينهمقوم صلاتهم للعود و الحجر

و له أيضا

فانك كنت تعبه غلاما بعيدا من اساف و من منات

و لا وثنا عبت و لا صليباو لا عزى و لم تسجد للات

روى فى المناقب عن ابن جبیر أنه لما نزل قوله تعالى:

«وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ».

جمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ بنى هاشم و هم يومئذ أربعون رجلا- و أمر عليًا أن ينضج رجل شاه و خبز لهم صاعا من طعام و جاء بعس من لبن ثم جعل يدخل إليه عشرة عشره حتى شبعوا، و إنَّ منهم لمن يأكل الجذعه(1) و يشرب الفرق.

و فى روايه مقاتل عن الضَّحَّاك عن ابن عباس أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قال: و قد رأيتم هذه الآيه ما رأيتم و فى روايه براء بن عازب و ابن عباس أنه بدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سحركم به الرَّجُل، ثم قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: إني بعثت على الأسود و الأبيض و الأحمر إنَّ الله أمرنى أن أنذر عشيرتك الأقربين، و إني لا أملك لكم من الله شيئا إلا أن تقولوا لا إله إلا الله، فقال أبو لهب لهذا دعوتنا، ثم تفرَّقوا عنه فنزلت:

«تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ».

ثم دعاهم دفعه ثانیه و أطعمهم و سقاہم، ثم قال لهم يا بنى عبد المطلب أطيعونى تكونوا ملوك الأرض و حكامها، و ما بعث الله نبيا إلا جعل له وصيا أخا و وزيرا فأیکم يكون أخى و وزیرى و وصيى و وارثى و قاضى دينى، و فى روايه الطبرى عن ابن جبیر عن ابن عباس فأیکم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى فيکم، فأحجم القوم.

و فى روايه أبى بكر الشيرازى عن مقاتل عن الضَّحَّاك عن ابن عباس، و فى سند العشره و فضائل الصَّحَابِ عن أحمد باسناده عن ربيعه بن ناقد عن على عليه السَّلام فأیکم يبايعنى على أن يكون أخى و صاحبى؟ فلم يقم إليه أحد و كان على أصغر

ص: ٣٩٧

١- (١) الجذع من الابل ما دخل فى السنه الخامسه و من البقر و المعز ما دخل فى السنه الثانيه و الفرق و ران سدر جمع فرقه السقاء الممتلى لا يمكن ليمخض حتى يفرق هكذا فى النهايه و القاموس منه.

القوم يقول: أنا فقال في الثالثة: أجل و ضرب بيده على يد أمير المؤمنين عليه السّلام و في تفسير الخركوشي عن ابن عباس و ابن جبير و أبي مالك، و في تفسير الثعلبي عن البراء بن عازب فقال عليّ عليه السّلام و هو أصغر القوم: أنا يا رسول الله، فقال أنت فلذلك كان وصيه قالوا: فقام القوم و هم يقولون لأبي طالب أطع ابنك فقد امر عليك، و قد نظمه السيّد الحميري بقوله:

و يوم قال له جبريل قد علموا انذر عشيرتك الادين ان بصروا

فقام يدعوهم من دون امته فما تخلف عنهم منهم بشر

فمنهم آكل في مجلس جذعا و شارب مثل عسّ و هو محتقر

فصدّهم عن نواحي قصعه شبعاً فيها من الحبّ صاع فوّه الوزر

فقال يا قوم انّ الله ارسلني اليكم فاجيبوا الله و اذكروا

فايكم يجتبي قولي و يؤمن بي اني نبيّ رسول فانبري(١) عذر

فقال(٢) تبا أ تدعونا لتلفتنا عن ديننا ثم قال القوم فانشمروا

من الذي قال منهم و هو أحدّهم سنا و خيرهم في الذكر اذ سطروا

آمنت بالله قد اعطيت نافله لم يعطها احد جنّ و لا بشر

و انّ ما قلته حقّ و أنّهم ان لم يجيبوا فقد خانوا و قد خسروا

ففارقه تايها و الله اكرمه فكان سباق غايات اذا ابتدروا

و قال آخر

فلما دعا المصطفى اهلها الى الله سرا دعاه رفيقا

و لاطفهم عارضا نفسه على قومه فجزوه عقوقا

فبايعه دون اصحابه كان لحمل اذاه مطيقا

و وّحد من قبلهم سابقا و كان على كلّ فضل سبقا

و اما العلم

فهو عليه السّلام ينبوعه و مصدره و مورده و مأواه و عنه اخذ العلوم

- ١- (١) برى السهم نحتته و قد انبرى ق
- ٢- (٢) اى قال قائل منهم و هو ابو لهب اللعين، منه

جميعها و هو أبو عذرها و سابق مضمارها و الناس كلهم عياله في جميع فنونها و هو البحر المتراكم الزخار و المتلاطم التيارات، و قد أشار عزّ و جلّ إلى غزازه علمه عليه السّلام بلسان الرّمز و الاشاره في قوله: حمّ عسق، روى الصّفوانى في الاحن و المحن عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال حم اسم من أسماء الله عسق علم على سبق كلّ جماعه و تعالى عن كل فرقه بالكنايه، و في قوله:

«قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا» الآية.

قال ابن شهر آشوب في المناقب ما لفظه: محمّد بن مسلم و أبو حمزه الثّمالي و جابر بن يزيد عن الباقر عليه السّلام، و عليّ بن فضال و الفضيل بن يسار عن الصادق عليه السّلام، و أحمد بن محمّد الحلبي و محمّد بن الفضيل عن الرّضا عليه السّلام، و قد روى عن موسى ابن جعفر عليه السّلام، و عن زيد بن عليّ عليه السّلام، و عن محمّد بن الحنفية، و عن سلمان الفارسي و عن أبي سعيد الخدرى، و عن إسماعيل السّدى أنّهم قالوا في قوله:

«قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ».

هو عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فاذا انضمّ إلى ذلك قوله تعالى:

«وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ».

يثبت كونه عليه السّلام عالما بجميع فنون العلم، قال العونى:

و من عنده علم الكتاب و علم ما يكون و ما قد كان علما مكتما

و شهد رسول الله صلّى الله عليه و آله أيضا له بالعلم في قوله: عليّ عيبه علمى، و قوله صلّى الله عليه و آله عليّ أعلمكم علما و أقدمكم سلما، و قوله صلّى الله عليه و آله أعلم امتى من بعدى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، رواه في المناقب عن عليّ بن هاشم و ابن شيرويه الدّيلمى باسنادهما إلى سلمان، و قال صلّى الله عليه و آله أيضا باجماع المخالف و المؤالف: أنا مدينه العلم و عليّ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب، في المناقب رواه أحمد من ثمانية طرق، و إبراهيم الثّقفى من سبعة طرق، و ابن بطه من ستّة طرق، و القاضي الجعابى من خمسة طرق، و ابن

شاهين من أربعه طرق، و الخطيب التّاريخي من ثلاثه طرق، و يحيى بن معين من طريقتين، و قد رواه السّمعاني و القاضي الماوردي و أبو منصور السّكري و أبو الصلت الهروي و عبد الرزاق و شريك عن ابن عباس و مجاهد و جابر، و نعم ما قيل:

هذا الامام لكم بعدى يسدّدكم رشدا و بوسعكم علما و آدابا

إنّي مدينه علم الله و هو لها باب فمن رامها فليقصد البابا

قال ابن شهر آشوب بعد روايته هذا الحديث: و هذا يقتضى وجوب الرجوع إلى أمير المؤمنين عليه السّلام لأنّه صلّى الله عليه و آله كُنّي عنه بالمدينه و أخبر أنّ الوصول إلى علمه من جهه عليّ عليه السّلام خاصه، لأنّه جعله كباب المدينه الذى لا يدخل إليها إلاّ منه، ثمّ أوجب ذلك الأمر به بقوله: فليأت الباب، و فيه دليل على عصمته، لأنّه من ليس بمعصوم يصحّ منه وقوع القبح، فاذا وقع كان الاقتداء به قبيحا فيؤدّى إلى أن يكون صلّى الله عليه و آله قد أمر بالقبيح، و ذلك لا يجوز، و يدلّ أيضا أنّه أعلم الامه انتهى، أقول: و مثل هذا الحديث قوله تعالى:

«وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ وَ اتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا».

و قد مضى فى شرح الفصل الرابع من الخطبه الاولى حديث شريف فى تفسير هذه الآيه فليراجع ثمّه، و قد روى المخالف و المؤلف أيضا أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله فتح له ألف باب من العلم يفتح من كلّ باب ألف باب، و إليه أشار الحميرى بقوله:

علّى أمير المؤمنين أخو الهدى و أفضل ذى نعل و من كان حافيا

اسرّ اليه احمد العلم جمله و كان له دون البريه داعيا

و دوّنه فى مجلس منه واحد بألف حديث كلّها كان هاديا

و كلّ حديث من اولئك فاتح له الف باب فاحتواها كما هيا

و فى المناقب النّقاش فى تفسيره قال ابن عباس: علّى علم علما علمه رسول الله صلّى الله عليه و آله و رسول الله علمه الله، فعلم النّبى علم الله و علم علّى من علم النّبى، و ما علمى و علم أصحاب محمّد فى علم علّى إلاّ كقطره فى سبعة أبحر، الضّحّاك عن ابن عباس قال: اعطى علّى بن أبى طالب

عليه السلام تسعه أعشار العلم و أنه لأعلمهم بالعشر الباقي فأمّا قول عمر بن الخطاب و اعترافه بعلمه عليه السلام فكثير رواه الخطيب في الأربعين قال: قال عمر: العلم ستّة أسداس لعلّي من ذلك خمسه أسداس، و للناس سدس، و لقد شاركنا في السدس حتّى لهو أعلم به منّا، ابانه بن بطه كان عمر يقول فيما يسأله عن عليّ فيفرّج عنه: لا أبقاني الله بعدك، تاريخ البلاذري لا أبقاني الله لمعضله ليس لها أبو الحسن الابانه و الفايق أعوذ بالله من معضله ليس لها أبو الحسن، في المناقب و قد ظهر رجوعه إلى عليّ عليه السلام في ثلاث و عشرين مسأله حتّى قال:

«لَوْ لَا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ» و قد رواه الخلق منهم أبو بكر بن عبّاس «عياش ظ» و ابو المظفر السمعاني قال الصّاحب:

هل في مثل فتواك اذ قالوا مجاهره لو لا عليّ هلكننا في فتاونا

خطيب خوارزم:

اذا عمر تخطأ في جواب و تبّه عليّ بالصّواب

يقول بعدله لو لا عليّ هلكت هلكت في ذاك الجواب

هذا و قد مضى في شرح الفصل الرّابع من الخطبه السّابقه عند شرح قوله عليه السلام: و عيبه علمه الاشاره الاجماليه إلى ميزان علمه عليه السلام.

و قد أفصح عن غزارة علمه بما رواه في التّوحيد عن الصّادق عن الباقر عليه السلام في حديث طويل قال: و لم يجد جدّي أمير المؤمنين عليه السلام حملة لعلمه حتّى كان يتنفس الصّبيّ عداء و يقول على المنبر: سلونى قبل أن تفقدونى فانّ بين الجوانح منى علما جما هاه هاه ألا لا أجد من يحمله.

و أفصح عنه أيضا بقوله عليه السلام في هذه الخطبه التي نحن في شرحها: ينحدر عنّي السيل و لا يرقى إلّى الطير.

و عن إحاطته و كونه غير فاقد لشيء من فنون العلوم بقوله الذى ما زال عليه السلام يقول: سلونى قبل ان تفقدونى.

و عن إحاطته بالأخبار الارضيّه بما يأتى فى الخطبه الثانيه و التسعين من قوله عليه السلام: فاسالونى قبل أن تفقدونى فو الذى نفسى بيده لا- تسألونى عن شىء فيما بينكم و بين السّاعه و لا عن فئه تهدى بآيه و تضل بآيه إلا أنبتكم بناعقها و قائدها و سائقها و مناخ ركابها و محط رحالها و من يقتل من اهلها قتلا و يموت منهم موتا.

و عن علمه بالأخبار السّماويه بل كونه عليه السلام أخبر بها من الأخبار الأرضيه بقوله فى الخطبه المأه و الثامنه و الثمانين: أيها الناس سلونى قبل أن تفقدونى فلأنا بطرق السماء أعلم منى بطرق الأرض.

و عن إحاطته بالأخبار الغيبيه خطبه المتضمّنه للأخبار عن الملاحم، و هى كثيره مثل كلامه السّادس و الخمسين و يأتى إنشاء الله فى شرحه جمله من أخباره الغيبيه، و هكذا الخطبه الثانيه و التسعون و مثل الخطبه المأه و الخطبه المأه و الثمانيه و العشرين إلى غير هذه ممّا لا نطيل بتعدادها.

و عن إحاطته بالكتب المنزله بما رواه فى المناقب عن ابن البخترى من سنّه طرق، و ابن المفضّل من عشر طرق، و إبراهيم الثقفى من أربعه عشر طريقا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال بحضره المهاجرين و الأنصار و أشار إلى صدره كيف ملاء علما لو وجدت له طالبا سلونى قبل أن تفقدونى هذا سفظ العلم هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه و آله و هذا ما زقنى رسول الله زقا فاسألونى فإنّ عندى علم الأولين و الآخرين، أما و الله لو ثبت لى الوساده ثم اجلست عليها لحكمت بين أهل التّوراه بتوراتهم و بين أهل الانجيل بإنجيلهم و بين أهل الزّبور بزبورهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم حتّى ينادى كلّ كتاب بأنّ علينا حكم فى بحكم الله، و فى روايه حتّى ينطق الله التّوراه و الانجيل، و فى روايه اخرى حتّى يزهر كلّ كتاب من هذه الكتب و يقول: يا ربّ

إن علياً قضى بقضائك ثم قال: سلونى قبل ان تفقدونى فوالذى فلق الحبّه و برء النسمه لو سألتمونى عن آيه آيه فى ليله انزلت او فى نهار مكيتها و مدنيها و سفريها و حضريها ناسخها و منسوخها و محكمها و متشابها و تأويلها و تنزيلها لأخبرتكم هذا مجمل ما يتعلّق بجهات علمه عليه السّلام.

و أما التفصيل فاستمع لما يملأ عليك إن كنت طالبا للهدى مبتغيا رشدا، فأقول و بالله التّوفيق:

أما العلم الالهى فيظهر سبقه عليه السّلام فيه على الجميع من خطبه الشّريفه المتضمّنه للتّوحيد و المعرفه و تمجيد الحقّ الأوّل عزّ و جل باعتبار نعوت جلاله و صفات جماله لا سيّما الخطبه التسعون المعروفه بالأشباح، و الخطبه المأه و الخامسه و الثمانون التى تجمع من اصول العلم ما لا تجمعه خطبه، فراجع المقامين و انظر كيف خاض فى غمار عمّانه و غاص على فرائده و جمانه.

و أما علم التفسير و القرائه فيصحّ مسابقته فيه بما مرّ آنفا و بما تقدّم فى ثالث تذييلات الفصل السابع عشر من الخطبه الاولى، و أقول: هنا مضافا إلى ما سبق:

قال الشّارح المعتزلى: إذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحّحه ذلك لأنّ أكثره عنه عليه السّلام و عن عبد الله بن عباس و قد علم الناس حال ابن عباس فى ملازمته له و انقطاعه إليه و أنّه تلميذه و خريجه و قيل له أين علمك من علم ابن عمّك، قال: كنسبه قطره من المطر إلى البحر المحيط انتهى.

و قد روى عن ابن عباس أنّه قال: حدّثنى أمير المؤمنين عليه السّلام فى باء بسم الله الرّحمن الرّحيم من أوّل اللّيل إلى الفجر و لم يتمّ، و عن قوّه قال علىّ عليه السّلام لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا فى تفسير فاتحه الكتاب، و عن فضائل العكبرى قال الشعبى: ما أحد أعلم بكتاب الله بعد نبيّ الله من علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

و فى المناقب القراء السّبعه إلى قراءته يرجعون، فأما حمزه و الكسائى فيقولان علىّ قراءه علىّ و ابن مسعود و ليس مصحفهما مصحف ابن مسعود فهما إنّما يرجعان إلى علىّ عليه السّلام و يوافقان ابن مسعود فيما يجرى مجرى الاعراب، و قد قال ابن

مسعود

ص: ٤٠٣

ما رأيت أحدا أقرء من عليّ بن أبي طالب للقرآن، و أما نافع و ابن كثير و أبو عمرو فمعظم قراءاتهم يرجع إلى ابن عباس، و ابن عباس قرء عليّ بن كعب و عليّ عليه السلام و الذي قرأه هؤلاء القراء يخالف قراءه ابى فهو إذا مأخوذ عن عليّ عليه السلام و أميا عاصم فقرأ عليّ بن أبي عبد الرحمن السلمي، و قال أبو عبد الرحمن قرأت القرآن كله عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فقالوا: أفصح القراءات قراءه عاصم لأنه أتى بالأصل و ذلك أنه يظهر ما ادغمه غيره و يحقق من الهمز ما لئنه غيره و يفتح من الالفات ما أماله غيره، و العدد الكوفي في القرآن منسوب إلى عليّ عليه السلام و ليس في الصحابه من ينسب إليه العدد غيره، و إنما كتب عدد ذلك كل مصر من التابعين.

و أميا علم الفقه و الفروع فهو عليه السلام مرجع الفقهاء كلهم فيه و عنه عليه السلام تلقوه أميا فقهاؤنا الاماميه أنار الله برهانهم فحالهم ظاهر، و أما فقهاء العامه فقد قال الشارح المعتزلى كل فقيه في الاسلام فهو عيال و مستفيد من فقهه، أما أصحاب أبي حنيفه كأبي يوسف و محمد و غيرهما فأخذوا عن أبي حنيفه، و أما الشافعي فقرأ عليّ محمد ابن الحسن فيرجع فقهه أيضا إليه، و أما أحمد بن حنبل فقرأ عليّ الشافعي فيرجع فقهه أيضا إلى أبي حنيفه و قرء أبو حنيفه عليّ جعفر بن محمد عليهما السلام، و قرء جعفر عليّ أبيه و ينتهي الأمر إلى عليّ عليه السلام، و أما مالك بن أنس فقرأ عليّ ربيعه، و قرء ربيعه عليّ عكرمه، و قرء عكرمه عليّ عبد الله بن عباس، و قرء عبد الله بن عباس عليّ عليّ عليه السلام انتهى ما قاله الشارح.

و أقول: ما عند فقهاء العامه من الحق في الفروع الفقيهيه فقد خرج من أمير المؤمنين و أولاده المعصومين عليهم السلام، و ما عندهم من الباطل فقد نسجتها استحساناتهم العقلية و أقيستهم الباطله و آراؤهم الفاسده.

و قال في المناقب: إن جميع فقهاء أهل الأمصار إليه يرجعون و من بحره يغترفون أما أهل الكوفه و فقهاؤهم سفيان الثوري و الحسن بن صالح بن حيّ و شريك بن عبد الله و ابن أبي ليلى و هؤلاء يقرعون المسائل و يقولون هذا قياس قول

علّي عليه السّلام و يترجمون الأبواب بذلك، و أمّا أهل البصره و فقهاؤهم الحسن و ابن سيرين و كلاهما كانا يأخذان عمّن أخذ عن عليّ عليه السّلام، و ابن سيرين يفصح بأنّه أخذ عن الكوفيين، و عن عبيده بن السّمانى و هو أخصّ النّاس بعليّ عليه السّلام، و أمّا أهل مكّه فأخذوا عن ابن عباس و عن عليّ عليه السّلام و قد أخذ عبد الله معظم علمه عنه عليه السّلام و أمّا أهل المدينه فعنه عليه السّلام أخذوا، و قد صنّف الشّافعى كتابا مفردا فى الدّلاله على اتّباع أهل المدينه لعليّ عليه السّلام و عبد الله، و قال محمّد بن الحسن الفقيه لو لا عليّ بن أبى طالب عليه السّلام ما علمنا حكم أهل البغى.

و أمّا علم المناظره فى الأخبار أنّ أوّل من سنّ دعوه المبتدعه بالمجادله إلى الحقّ عليّ عليه السّلام، و قد ناظره الملاحده و الزّنادقه فى متناقضات القرآن فأجاب لهم بأجوبه متينه، و أجاب مشكلات مسائل الجائليق حتّى أسلم، و قال عليه السّلام لرأس الجالوت لما قال له: لم تلبثوا بعد نبيكم إلاّ ثلاثين سنه حتّى ضرب بعضكم وجه بعض بالسّيف، فقال عليه السّلام: و أنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتّى قلتم لموسى عليه السّلام: اجعل لنا إلها كما لهم آلهه، روى أبو بكر بن مردويه فى كتابه عن سفيان أنّه قال ما حاجّ عليّ عليه السّلام أحدا إلاّ حجّه (1) أقول: و يشهد بذلك الرّجوع إلى احتجاجاته المرويه فى كتاب الاحتجاج لأحمد بن أبى طالب الطبرسى و فى مجلّد احتجاجات الأئمه عليه السّلام و مجلّد الفتن و المحن من البحار للمحدّث العلامه المجلسى (ره).

و أمّا القضاء و الفصل بين الخصوم فيدل على سبقه عليه السّلام فيه على الكلّ شهاده الرّسول صلّى الله عليه و آله فى حقه و قوله: أفضاكم عليّ، و يفصح عنه ما أخبر به عن نفسه فيما روينا عنه قريبا من قوله لو ثبت لى الوساده ثم اجلست عليها لحكمت بين أهل التوراه بتوراتهم الحديث، و من قوله عليه السّلام الآتى فى الكلام المأه و التاسع عشر: و عندنا أهل البيت أبواب الحكم و ضياء الأمر، و يدلّ عليه قضاياه عليه السّلام فى الوقايح الاتفاقيه بما

ص: ٤٠٥

يحتار في أكثرها العقول و سيأتي شطر منها في شرح هذه الخطبه و غيرها إنشاء الله تعالى و رجوع الصحابه إليه عليه السلام فيها مأثور مسطور، و قول عمر في مواطن كثيره:

لو لا على لهلك عمر، معروف مشهور.

و أمّا علم الفصاحه و البلاغه فهو بارعه و حائز قصب السبق في مضماره حتى قيل في وصفه: إن كلامه عليه السلام فوق كلام المخلوق و دون كلام الخالق، و قد تقدم من الرضى في ديباجه المتن وصفه بأنه مشرع الفصاحه و موردها و منشأ البلاغه و مولدها و منه ظهر مكنونها و عنه اخذت قوانينها، و يشهد بذلك خطبته البارعه المدونه في هذا الكتاب و سنشير إلى بعض مزايا كلامه عليه السلام في تضايف الشرح إنشاء الله تعالى، و قد تقدم في ديباجه الشرح الاشاره إلى بعضها على ما ساعد المجال قال ابن نباته: حفظت من كلامه عليه السلام ألف خطبه ففاضت ثم فاضت.

و أمّا علم النجوم فيدل على براعته عليه السلام فيه ما يأتي منه في الكلام الثامن و السبعين و شرحه إنشاء الله تعالى من الأحكام النجوميه العجيبه لم يهتد إليها المنجمون.

و أمّا علم النحو و الأدب فقد اتفق العلماء على أنه عليه السلام هو واضعه و مخترعه، قال أبو القاسم الزجاجي في محكى كلامه عن أماليه: حدثنا أبو جعفر محمّد بن رستم الطبرى، حدثنا أبو الحاتم السجستاني حدثنا يعقوب بن إسحاق الحضرمي حدثنا سعيد بن مسلم الباهلي حدثنا أبي عن جدي عن أبي الأسود الدئلي، قال: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام فرأيتته متفكرا فقلت له: فيم تفكريا أمير المؤمنين؟ قال عليه السلام إنى سمعت ببلدكم هذا لحننا فأردت أن أصنع كتابا في اصول العربيه، فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا و بقيت فينا هذه اللغه، ثم أتيت بعد ثلاث فألقى إلى صحيفه فيها: بسم الله الرحمن الرحيم الكلام اسم و فعل و حرف، فالاسم ما انبأ عن المسمى، و الفعل ما انبأ عن حركه المسمى و الحرف ما انبأ عن معنى ليس باسم و لا-فعل، ثم قال عليه السلام لى تتبعه و زد فيه ما وقع لك، و اعلم يا أبا الأسود أنّ الأشياء ثلاثه: ظاهر و مضمّر و شىء ليس بظاهر و لا مضمّر و إنّما تتفاضل العلماء فيما ليس

بظاهر ولا مضمّر قال أبو الأسود، فجمعت منه اشياء و عرضتها عليه عليه السّلام، فكان من ذلك حروف النّصب فذكرت منها إنّ وأنّ و ليت و لعل و كأنّ و لم أذكر لكنّ فقال عليه السّلام: لم تركتها: فقلت: لم أحسبها منها، فقال عليه السّلام: بلى هي منها فزدها فيها انتهى.

و أمّا علم الحساب فيدل على وفور علمه عليه السّلام فيه ما رواه في المناقب عن ابن أبي ليلى أنّ رجلين تغديا في سفر و مع أحدهما خمسة أرغفه و مع الآخر ثلاثة و واكلها ثالث فأعطاهما ثمانية دراهم عوضا فاختصما و ارتفعا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال هذا أمر فيه دنائه و الخصومه فيه غير جميله و الصّالح فيه أحسن، فأبى صاحب الثلاثة الّا مرّ القضاء فقال عليه السّلام: إذا كنت لا ترضى الّا بمرّ القضاء فإنّ لك واحده من ثمانية و لصاحبك سبعة أليس كان لك ثلاثة ارغفه و لصاحبك خمسة؟ قال: بلى قال: فهذه أربعة و عشرون ثلثا اكلت منها و الضّيف ثمانية فلما أعطاكما الثمانية الدراهم كان لصاحبك سبعة و لك واحده، و يأتي روايه هذه القضيّه بطريق آخر في تضاعيف الشّرح في موقعه بأبسط وجه إنشاء الله تعالى.

و أمّا علم الكيمياء فهو أكثرهم حظا منه، قال في المناقب و قد سئل عن الصّنعه فقال عليه السّلام: هي اخت التّبوه و عصمه المروه و النّاس يتكلمون فيها بالظاهر و انا أعلم ظاهرها و باطنها، ما هي و الله إلّا ماء جامد و هواء راكد و نار جائله و أرض سائله، قال: و سئل في أثناء خطبته هي الكيمياء يكون فقال عليه السّلام: كان و هو كائن و سيكون، فقليل من أيّ شيء هو؟ فقال عليه السّلام: من الزّبيق الزّجاج و الاسرب و الزّاج و الحديد المزعفر و زيخار النحاس الاخضر الحور «الجبورخ» الّا- توقف على عابرهن، فقليل فهمنا لا يبلغ إلى ذلك فقال عليه السّلام اجعلوا البعض أرضا و اجعلوا البعض ماء و افلحوا الأرض بالماء و قدمت فقليل زدنا يا أمير المؤمنين، فقال عليه السّلام لا زياده عليه فإنّ الحكماء القدماء ما زادوا عليه كيمياء «كيمماظ» يتلاعب به النّاس.

و أمّا زهده و طلاقه للدّنيا و رغبتة بالكلّيّه عنها

فهو من المتواترات القطعيّه أظهر و أبهر من الشّمس في رابعه النّهار، و يفصح عن ذلك و يبيّن عنه و تأتيك من سبيا

بنيا يقين الخطب و الكلمات المدونه عنه فى هذا الكتاب و غيره المتضمنه لزهده عليه سلام الله رب العالمين ملأ السموات و الأرضين و قد أقسم فيما يأتى من كلماته القصار بالقسم البارّ و قال: و الله لدنياكم هذه أهون فى عينى من عراق (١) خنزير فى يد مجذوم، و قال فى الكلام المأتين و الثانى و العشرين: و إنّ دنياكم عندى لأهون من ورقه فى فم جراده تقضمها، ما لعلّى و لنعيم يفنى و لذه لا تبقى.

و فى المناقب المعروفون من الصّحابه بالورع علىّ و أبو بكر و عمرو بن مسعود و أبو ذر و سلمان و مقداد و عثمان بن مظعون و ابن عمر، و معلوم أنّ ابا بكر توفى و عليه بيت مال المسلمين نيف و أربعون ألف درهم، و عمر مات و عليه نيف و ثمانون ألف درهم، و عثمان مات و عليه ما لا يحصى كثره، و علىّ مات و ما ترك إلا سبعمائه درهم فضلا عن عطائه أعدّها لخادم.

امالى الطوسى فى حديث عمّار يا علىّ إنّ الله قد زينك بزينه لم يزين العباد بزينه أحبّ إلى الله منها، زينتك بالزهد فى الدنيا و جعلك لا تزرى منها شيئا و لا تزرى منك شيئا، و وهبك حبّ المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعا و يرضون بك إماما.

اللؤلؤيات قال عمر بن عبد العزيز: ما علمنا أحدا كان فى هذه الامه أزهّد من علىّ بن ابى طالب عليه السّلام بعد النّبىّ صلّى الله عليه و آله، و يروى أنه كان عليه وقت لا يكون عنده ثلاثه دراهم يشتري بها إزارا و ما يحتاج إليه ثمّ يقسم كلّ ما فى بيت المال على النّاس ثمّ يصلّى فيه و يقول: الحمد لله الذى أخرجنى منه كما دخلته، و اتى إليه بمال فكوم كومه من ذهب و كومه من فضّه و قال يا صفراء اصفرى يا بيضاء ابيضى و غزى غيرى،

هذا خباى «جناى خ» و خياره فيهو كلّ جان يده إلى فيه

الأشعث العبد قال: رأيت علىّ عليه السّلام اغتسل فى الفرات يوم جمعه ثم ابتاع قميصا كرايس بثلاثه دراهم فصلّى بالنّاس الجمعه و ما خيط جربانه بعد، و فى فضائل أحمد راى علىّ عليه السّلام إزار غليظ اشتراه بخمسه دراهم، و راى عليه إزار مرقوع فقيل له فى ذلك فقال عليه السّلام يقتدى به

ص: ٤٠٨

١- (١) جمع عرق و هو العظم الذى نحت عنه اللحم ق

المؤمنون و يخشع له القلب و تذلل به النفس و يقصد به المتابع، مسند أحمد و كان كمّه لا يجاوز أصابعه و يقول ليس للكمين على اليدين فضل، و نظر إلى فقير انخرق كمّ ثوبه فخرق كمّ قميصه و ألقاه إليه، مسند الموصلي الشّعبى عن الحارثى عن عليّ عليه السّلام قال: ما كان لي ليله اهدى لي فاطمه شيء ينام عليه إلا جلد كبش، و اشترى ثوبا فأعجبه فتصدق به.

و أمّا العباده و صالح الأعمال

فقد علم إجمالاً- بما قدّمناه في كونه أكثر ثواباً و أقول مضافاً إلى ما سبق: إنّه عليه السّلام قد كان بالغاً فيها غايتها، و كفى به شهيداً أنّه كان يؤخذ النّشاب من جسده عند الصّلاه و هو غير شاعر له لاستغراقه في شهود جمال الحق و فنائه في الله و انقطاعه لكليته عمّن سواه، و كان السّجاد عليّ بن الحسين عليهما السّلام يصلّى في اليوم و الليله ألف ركعه ثم يأخذ صحف عبادات أمير المؤمنين عليه السّلام و ينظر ما فيها سيرا، ثم يتركها من يده كالمتضرّج المتأسّف على تقصير نفسه في العباده، و يقول: من يقدر على عباده عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، و فيه نزل قوله تعالى:

«تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ».

روى ابن شهر آشوب في المناقب عن النّيسابورى في روضه الواعظين أنّه قال عروه بن الزّبير: سمع بعض التّابعين أنس بن مالك يقول: نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السّلام:

«أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ» الآية.

قال الرّجل: فأتيت عليّاً عليه السّلام وقت المغرب فوجدته يصلّى و يقرأ القرآن إلى أن طلع الفجر، ثم جدد وضوءه و خرج إلى المسجد و صلّى بالنّاس صلاه الفجر، ثم

قعد فى التّعقيب إلى أن طلعت الشمس، ثم قصده الناس فجعل يقضى بينهم إلى أن قام إلى صلاة الظهر فجدد الوضوء ثم صلى بأصحابه الظهر، ثم قعد فى التّعقيب إلى أن صلى بهم العصر، ثم كان يحكم بين الناس و يفتيهم إلى أن غابت الشمس، و فيه عن الباقر عليه السلام فى قوله تعالى:

«إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام و شيعته «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» و فيه عن محمّد بن عبد الله بن الحسن عن آبائه عليهم السلام و سدى عن أبى مالك عن ابن عباس و محمّد بن على الباقر عليه السلام فى قوله تعالى:

«وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنِ اللَّهُ» و الله لهو على بن أبى طالب عليه السلام.

قال بعض السادات

مفرق الاحزاب ضرباب الطليمكسر الاصنام كشاف الغمم

الزاهد العابد فى محرابها الساجد الزاكع فى جنح الظلم

صام هجيرا و على سائله جاد بافطار الصيام ثم نم

و قال العبدى

و كم غمره للموت لله خاضها و لجه بحر فى الحكوم اقامها

و كم ليله ليلا و لله قامها و كم صبحه مسجوره الحرّ صامها

و فيه أيضا عن عروه الزبير قال تذاكرنا صالح الاعمال فقال ابو الدرداء اعبد الناس على بن ابى طالب عليه السلام سمعته قائلا بصوت حزين و نغمه شجيّه فى موضع خال الهى كم من موبقه حملتها «حلمتها خ» عنى فقابلتها بنعمتك و كم من جريره تكرمت على بكشفها بكرمك الهى إن طال فى عصيانك عمرى و عظم فى الصحف ذنبى فما انا مؤمل غير غفرانك و لا انا براج غير رضوانك ثم ركع ركعات فاخذ فى الدعاء و البكاء فمن

ص: ٤١٠

مناجاته: الهى افكر فى عفوك فتھون علىّ خطيئتي ثم اذكر العظيم من اخذك فيعظم علىّ بليتي ثم قال آه ان انا قرئت فى الصحف سيئه انا ناسيها و انت محصيتها فتقول خذوه فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته و لا تنفعه قبيلته يرحمه البلاء اذا اذن فيه بالنداء آه من نار تنضح الاكباد و الكلى آه من نار لواعه للشواء آه من غمره من لهبات لظى ثم أنعم (١) فى البكاء فلم اسمع له حسا فقلت غلب عليه النوم اوقظه لصلاه الفجر فاتيته فان هو كالخشبه الملقاه فحركته فلم يتحرك فقلت انا لله و انا اليه راجعون مات و الله علىّ بن ابى طالب عليه السلام قال فأتيت منزله مبادرا انعه اليهم فقالت فاطمه عليها السلام ما كان من شأنه؟ فاخبرتها فقالت هى و الله الغشيه التى تأخذه من خشيه الله تعالى، ثم اتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق و نظر الّى و انا ابكى فقال: مم بكائك يا ابا الدرداء؟ فكيف و لو رأيتنى و دعى بى إلى الحساب و ايقن اهل الجرائم بالعذاب و احوشتنى (٢) ملائكه غلاظ و زبانيه فظاظ فوقفت بين يدي ملك الجبار قد أسلمتنى الاحباء و رحمنى اهل الدنيا اشدّ رحمه لى بين يدي من لا يخفى عليه خافيه.

و منها الشجاعه

و لقد كان أشجع الناس و أنسى شجاعه من كان قبله و محا اسم من كان يأتى بعده و تعجبت الملائكه من حملانه، و فيه قال النبى صلّى الله عليه و آله لما خرج لقتال عمرو بن عبدود: برز الايمان كله إلى الشرك كله، فلما قتله قال صلّى الله عليه و آله له:

ابشر يا على فلو وزن عملك اليوم بعمل امّتى لرجح عملك بعملهم، رواه فى المناقب لأحمد بن حنبل و النسائى عن ابن مسعود، و أنزل الله تعالى.

«وَ كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ » بعلّى الآيه، كما عن مصحف ابن مسعود، قال ربيعه السّعدى: أتيت حذيفه اليمان فقلت يا أبا عبد الله: إنا لتحدث عن علىّ و مناقبه فيقول أهل البصره: إنكم لتفرّطون فى علىّ فهل تحدثنى بحديث؟ فقال حذيفه و الذى نفسى بيده لو وضع جميع أعمال امّه محمّد صلّى الله عليه و آله فى كفه الميزان منذ بعث الله

ص: ٤١١

١- (١) انعم فى البكاء اى بالغ و الحس بالكسر الصوت

٢- (٢) احوش الصيد جاءه من حواليه ليصرفه الى الحياز

محمّدا إلى يوم القيامة و وضع عمل عليّ عليه السّلام في الكفّه الاخرى لرجح عمل عليّ على جميع أعمالهم، فقال ربيعه هذا الذي لا يقام له و لا يقوم، فقال حذيفه: يا لكع و كيف لا يحمل و إن كان أبو بكر و عمر و حذيفه و جميع أصحاب النّبي صلّى الله عليه و آله يوم عمرو بن عبدود و قد دعا إلى المبارزه فأحجم النّاس كلهم ما خلا عليّا، فأنّه نزل إليه فقتله و الذي نفس حذيفه بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجرا من عمل أصحاب محمّد إلى يوم القيامة.

قال الشّارح المعتزلي: و كانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه عليه السّلام قتلهم أظهر و أكثر قالت اخت عمرو بن عبدود ترثيه

لو كان قاتل عمر و غير قاتلهبكيته ابدا ما دمت في البلد

لكنّ قاتله من لا نظير لهو كان يدعى ابوه بيضه البلد

و في غزاه احد انهزم المسلمون و خشى رسول الله صلّى الله عليه و آله و ضربه المشركون بالسيوف و الرّماح و عليّ يدافع عنه فنظر إليه النّبي صلّى الله عليه و آله بعد إفاقته من غشيته و قال صلّى الله عليه و آله: ما فعل المسلمون؟ فقال: نقضوا العهد و ولّوا الدّبر، فقال: اكفني أمر هؤلاء فكشفهم عنه و صاح صايح بالمدينه قتل رسول الله، فانهلعت القلوب و نزل جبرئيل قائلا لا سيف الا- ذو الفقار و لا- فتى الا- عليّ، و قال للنّبي صلّى الله عليه و آله يا رسول الله لقد عجبت الملائكه من حسن مواساه عليّ لك بنفسه، قال النّبي صلّى الله عليه و آله ما يمنعه عن ذلك و هو مني و أنا منه، إلى غير ذلك ممّا لا يحكيه قلم و لا يضبطه رقم، و ستطلع على فتوحاته و مجاهداته تفصيلا في مواقعها إنشاء الله، كما ستطلع على ساير مكارم أخلاقه و محاسن خصاله على حسب الاستطاعه و التمكن في مقاماته المناسبه، و لو أردنا شرح معشار فضائله و خصائصه لاحتجنا إلى افراد كتاب يماثل حجم هذا الكتاب بل يزيد.

قال الجاحظ في محكى كلامه و نعم ما قال حالكونه من أعظم النّاس عداوه لأمير المؤمنين عليه السّلام: صدق عليّ عليه السّلام في قوله: نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد كيف

يقاس بقوم. منهم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، والأطيان عليّ وفاطمه، والسبطان الحسن والحسين، والشهيدان أسد الله حمزه وذو الجناحين جعفر، وسيد الورى عبد المطلب و ساقى الحجيج العباس و حامى النبى و معينه و محبه أشدّ حبًا و كفيله و مربيه و المقر بنوته و المعترف برسالته و المنشد فى مناقبه أبياتا كثيرة، و شيخ قريش أبو طالب و النجده و الخير فيهم، و الأنصار من نصرهم، و المهاجرون من هاجر لهم و معهم، و الصّديق من صدّقهم، و الفاروق من فارق بين الحقّ و الباطل فيهم، و الحواري حواريتهم، و ذو الشّهادتين لأنّه شهد لهم، و لا خير إلا فيهم و لهم و منهم و معهم، و أبان رسول الله أهل بيته بقوله: إنى تارك فيكم الخليفين كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، و عترتى أهل بيتى نبأنى اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يرد اعلىّ الحوض، و لو كانوا كغيرهم لما قال عمر لما طلب مصاهره على عليه السّلام إنى سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يقول كل سبب منقطع يوم القيامة إلا سببى و نسبى فأما علىّ فلو أفردنا لفضائله الشّريفه و مقاماته الكريمه و درجاته الزّفيعة و مناقبه السنه لأنّنا فى ذلك الطوامير الطوال و الدّفاتر، العرق صحيح، و النسب صريح، و المولد مكان معظم، و المنشأ مبارك مكرم، و الشّأن عظيم، و العمل جسيم و العلم كثير، و ليس له نظير، و البيان عجيب، و اللسان خطيب، و الصّدر رحيب، و أخلاقه وفق اعراقه، و حديثه يشهد علىّ تقديمه انتهى.

و أنت اذا أحطت خبرا بما مهدناه فى هذه المقدّمه عرفت فساد ما توهمه التّواصب اللّثام من عدم وجود النّص علىّ إمامه أمير المؤمنين و سيد المتقين و يعسوب الدين و قائد الغرّ المحجلين عليه و علىّ أولاده آلاف التّحيه و السّلام، كما عرفت فساد القول بتفضيل غيره عليه، كما اتّفق لجماعه منهم، و كذا القول بتفضيله علىّ غيره مع القول بصحة خلافة الثّلاثه و تقديمهم عليه كما هو مذهب الشّارح المعتزلى و من يحذو حذوه من معتزله بغداد و غيرهم علىّ ما حكى عنهم فى أوائل الشّرح، و عمدته ما أوقعه كغيره فى هذا الوهم الفاسد و الرّأى الكاسد ما ذكره فى تضاعيف شرح هذه

الخطبه و لا بأس أن نذكر كلامه بطوله ثم نتبعه بما يلوح عليه من ضروب الكلام و وجوه الملام.

فأقول: قال الشارح خذله الله عند شرح قوله عليه السلام: أما و الله لقد تميمصها إلى قوله: أرى تراثى نهبا، ما لفظه: إن قيل بينوا لنا ما عندكم في هذا الكلام أليس صريحه دالا على تظلم القوم و نسبتهم إلى اغتصاب الأمر فما قولكم في ذلك إن حكمتهم عليهم بذلك فقد طعنتم فيهم، و إن لم تحكموا عليهم بذلك فقد طعنتم في المتكلم عليهم؟ قيل: أمّا الاماميّ من الشيعه فتجرى هذه الألفاظ على ظواهرها و تذهب إلى أن النبيّ نصّ على أمير المؤمنين و أنّه غصب حقّه، و أمّا أصحابنا رحمهم الله قلهم أن يقولوا إنّ لما كان أمير المؤمنين هو الأفضل و الأحقّ و عدل عنه الى من لا يساويه في فضل و لا يوازيه في جهاد و علم و لا يماثله في سدد و شرف ساغ اطلاق هذه الألفاظ و إن كان من وسم بالخلافه قبله عدلا تقيا و كانت بيعته بيعه صحيحه، ألا ترى أنّ البلد قد يكون فيه فقيهان أحدهما أعلم من الآخر بطبقات كثيره فيجعل السلطان الأنقص علما منهما قاضيا فيتوجد الأعظم و يتألم و ينفث احيانا بالشكوى و لا يكون ذلك طعنا في القاضى و لا تفسيقا له و لا حكما منه بأنّه غير صالح، بل للعدول عن الأحقّ و الأولى، و هذا أمر مركز في طباع البشر و مجبول في أصل الغريزه و الفطنه، فاصحابنا لما أحسنوا الظن بالصّحابه و حملوا ما وقع منهم على وجه الصواب و أنّهم نظروا إلى مصلحه الاسلام و خافوا فتنه لا يقتصر على ذهاب الخلافه فقط، بل و يفضى إلى ذهاب النبوه و المله، فعدلوا عن الأفضل الأشرف الأحقّ إلى فاضل آخر دونه فعقدوا له، احتاجوا إلى تأويل هذه الألفاظ الصّادره عمّن يعتقدونه في الجلاله و الرّفعه قريبا من منزله النبوه، فتأولوها بهذا التّأويل و حملوها على التّألم للعدول عن الأولى، و ليس هذا بأبعد من تأويل الاماميّ قوله تعالى:

«وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى»

وقولهم: معنى عصى أنه عدل عن الأولى، لأنّ الأمر بترك أكل الشجره كان أمرا على سبيل الندب فلما تركه آدم كان تاركا للأفضل والأولى فسمي عاصيا باعتبار مخالفه الأولى، و حملوا غوى على خاب لا على الغوايه بمعنى الضلال، و معلوم أنّ تأويل كلام أمير المؤمنين عليه السلام و حملة على أنّه شكّا من تركهم الأولى أحسن من حمل قوله تعالى: و عصى آدم، على أنّه ترك الأولى.

إن قيل: لا- يخلو الصّحابه أن يكون عدلت عن الأفضل لعله و مانع فى الأفضل أولا- لمانع فان كان لا لمانع كان ذلك عقدا للمفضول بالهوى فيكون باطلا، و إن كان لمانع و هو ما يذكرونه من خوف الفتنة و كون الناس كانوا يبغضون عليا و يحسدونه فقد كان يجب أن يعذرهم أمير المؤمنين عليه السلام فى العدول عنه و يعلم أنّ العقد لغيره هو المصلحه للاسلام، فكيف حسن منه أن يشكّوهم بعد ذلك و يتوجد إليهم؟ و أيضا فما معنى قوله: فطفقت أرتاى بين أن أصول بيد جدّاء، على ما تأولتم به كلامه فانّ تارك الأولى لا يصل عليه بالحرب.

قيل: يجوز أن يكون أمير المؤمنين لم يغلب على ظنّه ما غلب على ظنون الصّحابه من الشّغب و ثوران الفتنة، و الظنون يختلف باختلاف الامارات فربّ انسان يغلب على ظنّه أمر يغلب على ظنّ غيره خلافة، و أمّا قوله: أرتاى بين أن أصول، فيجوز أن يكون لم يعن به صيال الحرب، بل صيال الجدل و المناظره، يبين ذلك أنّه لو كان جادلهم و أظهر ما فى نفسه لهم فربما خصموه بأن يقولوا له: قد غلب على ظنوننا أنّ الفساد يعظم و يتفاقم إن وليت الأمر، و لا يجوز مع غلبه ظنوننا لذلك أن نسلم الأمر إليك، فهو عليه السلام قال: طفقت أرتاى بين أن أذكر لهم فضائلهم و احاجّهم بها فيجيبونى بهذا الضّرب من الجواب الذى يصير حجتى بهم جدّاء مقطوعه و لا قدره لى على تشييدها و نصرتها، و بين أن أصبر على ما منيت به و وقعت إليه.

إن قيل: إذا كان لم يغلب على ظنّه وجود العله و المانع فيه و قد استراد

الصَّحَابَهُ وَشَكَاهُمْ لِعَدُولِهِمْ عَنِ الْأَفْضَلِ الَّذِي لَا عِلَّةَ فِيهِ عِنْدَهُ، فَقَدْ سَلِمْتُمْ أَنَّهُ ظَلَمَ الصَّحَابَةَ وَنَسِبَهُمْ إِلَى غَضَبِ حَقِّهِ فَمَا الْفَرْقُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ أَنْ يَظْلِمَهُمْ لِمُخَالَفَةِ النَّصِّ وَكَيْفَ هَرَبْتُمْ مِنْ نَسِبَتِهِ لَهُمْ إِلَى الظُّلْمِ لِدَفْعِ النَّصِّ وَوَقَعْتُمْ فِي نَسِبَتِهِ لَهُمْ إِلَى الظُّلْمِ الْخِلَافِ الْأَوَّلِيِّ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ فِي الْأَوَّلِيِّ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّ مُخَالَفَةَ الْأَوَّلِيِّ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ فِي الْأَوَّلِيِّ كِتَارُكُ النَّصِّ، لِأَنَّ الْعَقْدَ فِي كِلَا الْمَوْضِعَيْنِ يَكُونُ فَاسِدًا؟ قِيلَ: الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ظَاهِرٌ لِأَنَّهُ لَوْ نَسِبَهُمْ إِلَى مُخَالَفَةِ النَّصِّ لَوَجِبَ وَجُودُ النَّصِّ، وَ لَوْ كَانَ النَّصُّ مَوْجُودًا لَكَانُوا فَسَاقًا أَوْ كُفَّارًا لِمُخَالَفَتِهِ، وَ أَمَّا إِذَا نَسِبَهُمْ إِلَى تَرْكِ الْأَوَّلِيِّ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ فِي الْأَوَّلِيِّ فَقَدْ نَسِبَهُمْ إِلَى أَمْرٍ يَدْعُونَ فِيهِ خِلَافَ مَا يَدْعَى عَلَيْهِ السِّيْلَامُ وَاحِدَ الْأَمْرَيْنِ لِأَزْمٍ، وَ هُوَ إِذَا كَانَ يَكُونُ ظَنَّهُمْ صَحِيحًا أَوْ غَيْرِ صَحِيحًا، فَإِنْ كَانَ ظَنَّهُمْ هُوَ الصَّيْحِيحُ فَلَا كَلَامَ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ ظَنَّهُمْ صَحِيحًا كَانُوا كَالْمُجْتَهِدِ إِذَا ظَنَّ وَأَخْطَأَ، فَإِنَّهُ مَعْدُورٌ وَ مُخَالَفَةُ النَّصِّ خَارِجٌ عَنِ هَذَا الْبَابِ لِأَنَّ مُخَالَفَةَ غَيْرِ مَعْدُورٍ بِحَالٍ فَافْتَرَقَ الْمُحْمَلَانِ، انْتَهَى كَلَامُهُ.

أقول: لا يخفى ما فيه من وجوه الجهل و ضروب التَّجاهل اما أولا فلأنَّ قوله:

وَ إِنْ كَانَ مِنْ وَسْمٍ بِالْخِلَافَةِ عَدْلًا تَقِيًّا، أَوَّلَ الْكَلَامِ وَ سَتَطَّلَعُ عَلَى فَسْقِ أَسْلَافِهِ عِنْدَ التَّعَرُّضِ لِمَطَاعَنِهِمْ حَيْثَمَا بَلَغَ الْكَلَامَ مَحَلَّهُ إِنْشَاءَ اللَّهِ.

وَ أَمَّا ثَانِيًا فَلأنَّ قَوْلَهُ: وَ كَانَتْ بِيَعْتُهُ بِيَعَهُ صَحِيحًا، مَمْنُوعٌ إِذْ خِلَافُهُ أَبِي بَكْرٍ لَمْ تَتَعَقَّدْ إِلَّا بِاعْتِبَارِ مُتَابِعِهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ لَهُ بَرِيءٌ أَرْبَعَةٌ: أَبِي عُبَيْدَةَ وَ سَالِمٌ مَوْلَى حَذِيفَةَ وَ بَشْرُ بْنُ سَعْدٍ وَ أَسِيدُ بْنُ حَصِينٍ لَا غَيْرَ، وَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْهَا وَجُوهُ الصَّحَابَةِ حَسْبَمَا تَعَرَّفَهُ فِي مَحَلِّهِ، وَ قَدْ صَرَّحَ الشَّارِحُ فِي شَرْحِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السِّيْلَامُ: فَصِيرُهَا فِي حُوزِهِ خِشْيَاءٌ بِأَنَّ اسْتِقْرَارَ الْخِلَافَةِ لَهُ لَمْ يَحْصُلْ إِلَّا بِوُجُودِ عُمَرَ حَيْثُ قَالَ: وَ عُمَرُ هُوَ الَّذِي شَيَّدَ بِيَعَهُ أَبِي بَكْرٍ وَ رَقْمَ الْمُخَالَفِينَ فِيهَا فَكَسَرَ سَيْفَ الزَّبِيرِ لَمَّا جَرَّدَهُ وَ دَفَعَ فِي صَدْرِ الْمُقَدَّادِ وَ وَطَأَ فِي السِّيْقِيْفَةِ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَ قَالَ: اقْتُلُوا سَعْدًا قَتَلَ اللَّهُ سَعْدًا وَ حَطَمَ أَنْفَ الْحَبَابِ ابْنَ الْمُنْذِرِ الَّذِي قَالَ يَوْمَ السِّيْقِيْفَةِ: أَنَا جَذِيلُهَا الْمُحْكَكُ وَ عَذِيْقُهَا الْمَرْجَبُ، وَ تَوَعَّدُ

من لجا إلى دار فاطمه من الهاشميين و أخرجهم منها، و لولاه لم يثبت لأبي بكر أمر و لا قامت له قائمه انتهى.

و هذا الكلام كما ترى صريح فى أنّ عقد البيعه لأبى بكر لم يكن من إجماع الكلّ و اجتماعهم عن طوع و رغبه، و إنّما حصل عن تشييد عمر و تأسيسه، و على تقدير تسليم أن يكون أهل البيعه جماعه كثيره فنقول: لاخفاء فى أنّهم تابعون لتصرف الشرع فيهم لا تصرف لهم فى أنفس غيرهم من آحاد الامه و فى أقل مهمّ من مهماتهم، فكيف يولون الغير على أنفس الخلايق منهم و من غيرهم، فإنّ من لا يعقل له التصرف فى أقل الامور لأدنى الأشخاص كيف يكون له القدره على جعل الغير متصرفا فى نفوس أهل الشرق و الغرب و فى دمائهم و أموالهم و فروجهم.

و هذا الذى ذكرناه إنّما هو على سبيل المماشاه و إلا فقد صرح صاحب المواقف و شارحه السيد الشريف بانعقاد البيعه بالواحد و الاثنى حيث قال: و إذا ثبت حصول الامامه بالاختيار و البيعه فاعلم أنّ ذلك الحصول لا يفتقر إلى الاجماع من جميع أهل الحلّ و العقد إذ لم يقم عليه أى على هذا الافتقار دليل من العقل أو السمع، بل الواحد و الاثنان من أهل الحلّ و العقد كاف فى ثبوت الامامه و وجوب اتباع الامام على أهل الاسلام، و ذلك لعلمنا بأنّ الصّحابه مع صلابتهم فى الدين و شدّه محافظتهم على امور الشرع كما هو حقها اكتفوا فى عقد الامامه بذلك المذكور من الواحد و الاثنى كعقد عمر لأبى بكر و عقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان، و لم يشترطوا فى عقدها اجتماع من فى المدينه من أهل الحلّ و العقد فضلا عن إجماع الامه من علماء أمصار الاسلام و مجتهدى جميع أقطارها على هذا كما مضى و لم ينكر عليهم أحد، و عليه أى و على الاكتفاء بالواحد و الاثنى فى عقد الامامه انطوت الأعصار بعدهم إلى وقتنا هذا انتهى.

و مع ذلك كله كيف يمكن أن يقال، ان: بيعه أبى بكر كانت بيعه صحيحه شرعيّه، و كيف يحلّ لمن يؤمن بالله و اليوم الآخر ايجاب اتباع من لم ينص الله و رسوله، و لا اجتمعت الامه عليه على جميع الخلق لأجل مبايعه رجل واحد، و هل يرضى العاقل لنفسه الانقياد إلى هذا المذهب و أن يوجب على نفسه ذل الطاعه لمن لا يعرف

عدالته و لا يدري حاله من الايمان و عدمه و لا يعرف حقه من باطله لأجل أن شخصا لا يعرف عدالته و معرفته بايعه، إن هو إلا محض الجهل و الحمق و الضلال عن سبيل الرّشاد.

و اما ثالثا فإنّ قوله: ألا ترى أنّ البلداه، ظاهر هذا المثال بملاحظه تطبيقه مع الممثل يعطى أنّ تقديم أبى بكر إنّما حصل بفعل الله سبحانه، و هو ظاهر ما ذكره فى خطبه الشّرح من قوله: و قدّم المفضول على الأفضل لمصلحه اقتضاها التكليف، و حينئذ فيتوجه عليه أولا أنّه مناف لما صرّح به بعد ذلك: من أنّ الصّحابه نظروا إلى مصلحه الاسلام فعدلوا من الأفضل الأشرف، حيث إنّ المستفاد منه أنّ تقديمه إنّما كان بفعل الصّحابه لا بفعل الله و ثانيا أنّه يستلزم أن يقدم اللّطيف الخبير المفضول المحتاج إلى التكميل على الفاضل الكامل و هو مع أنّه قبيح عقلا و نقلا افتراء عليه سبحانه، و قد قال تعالى:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ۚ وَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» و قال: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» و ثالثا أنّه لو كان هذا التّقديم من الله لم يصحّ لعلّى عليه السّلام الشكايه مطلقا لأنّها حينئذ يكون ردّا على الله و الرّد على الله على حدّ الشرك بالله.

و اما رابعا فإنّ قوله: و أنّهم نظروا إلى مصلحه الاسلام اه، ممنوع بل نقول إنّ تقديمهم له إنّما نشأ من حبّ الجاه و الرّياسه و عداوه لامام الامه كما يكشف عنه قول طلحه حين كتب أبو بكر وصيّيه لعمر بالولايه و الخلافه: و ليته أمس و لآك اليوم.

و قال الغزالي فى كتابه المسّمى بسرّ العالمين على ما حكاه عنه غير واحد فى مقاله الرّابعه التى وضعها لتحقيق أمر الخلافه بعد عده من الأبحاث و ذكر الاختلاف ما هذه عبارته: لكن اسفرت الحجه وجهها و أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته صلوات الله عليه فى يوم غدیر باتّفاق الجميع و هو يقول: من كنت مولاه، فعلى

مولاه، فقال عمر: بَخَّ يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي و مولى كل مؤمن و مؤمنة فهذا تسليم و رضاء و تحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى لِحَبِّ الرِّياسه و حمل عمود الخلافه و عقود البنود و خفقان الهواء فى قعقه الرّايات و اشتباك ازدحام الخيول و فتح الامصار سقايم كأس الهوى فعادوا إلى الخلاف الأول فبنذوا الحق وراء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون.

و اما خامسا فلأنّ تمثيله بالآيه لا وجه له، إذ ارتكاب التّأويل فى الآيه الشّريفه بحمل العصيان فيها على ترك الأولى و حمل الغي على الخيبه إنّما هو من أجل قيام الأدله القاطعه و البراهين السّاطعه من العقل و الثّقل على عصمه الأنبياء عليهم السّلام حسبما عرفت تفصيلا فى التذنيب الثالث من تذنيبات الفصل الثّانى عشر من فصول الخطبه الاولى، و أمّا فيما نحن فيه فمجرد حسن الظن بالصّحابه لا يوجب ارتكاب التّأويل و رفع اليد عمّا هو ظاهر فى التّظلم و التّشكى بل صريح فى الطعن و اغتصاب الخلافه.

و اما سادسا فإنّ الجواب عن الاعتراض الذى ذكره بقوله: قيل: يجوز أن يكون أمير المؤمنين عليه السّلام لم يغلب على ظنه ما غلب على ظنون الصّحابه، تكلف بارد إذ كيف يمكن أن يجهل علىّ الذى هو باب مدينه العلم و دار الحكمه بما عرفه عامه الخلق مع جهالتهم و انحطاط درجاتهم منه فى العلم من الثرى إلى الثريا و لا سيّما أنّ هذه الخطبه ممّا خطب عليه السّلام بها فى أواخر عمره الشّريف كما يشهد به مضمونها، فهب أنّه لم يغلب على ظنه فى أوّل الأمر ما غلب على ظنون الصّحابه إلاّ أنّه كيف يمكن أن يخفى عليه فى هذه السنين المتطاولة ما ظهر على الصّحابه فى بادى الرّأى.

فان قلت: هذه الخطبه منه حكايه حال ماضيه و لا تنافى اطلاعه على ما اطلع [\(١\)\(٢\)\(٣\)](#)

ص: ٤١٩

-
- ١- (١) البند بالباء الموحده ثم النون العلم الكبير فارسى معرب، لغه
 - ٢- (٢) حكايه صوت السلاح و نحوه لغه
 - ٣- (٣) الشبك و الاشتباك التداخل و منه اشتباك الاصابع، منه

عليه الصحابه بعد هذه الحال.

قلت: المنافاه واضحه إذ اللّازم عليه بعد اطلاعه بما ظنوه أن يعذرهم و يعتذر عنهم و لا يتكلم بمثل هذا الكلام الحاكي عن سوء فعالهم و الكاشف عن قبح أعمالهم، و يأتي لهذا إن شاء الله مزيد تحقيق في شرح الكلام المأتين و الرابع عشر.

و أما سابعا فإنّ ما أجاب به بقوله: و أما قوله: أرئأى بين أن أصول، فيجوز أن يكون لم يعن به صيال الحرب بل صيال الجدل و المناظره، فاسد جدّا.

أما أولاً فلائنّ ظاهر الكلام هو الصيّال بالحرب مؤيدا بما هو صريح كلامه عليه السّلام في الخطبه السادسة و العشرين و هو قوله: فنظرت فاذا ليس لى معين إلّا أهل بيتى فضننت بهم عن الموت و اغضيت على القذى و شربت على الشّجى و صبرت على أخذ الكظم و على أمرّ من طعم العلقم، و قد قال الشّارح هناك: فأما قوله:

لم يكن لى معين إلّا أهل بيتى فضننت بهم عن الموت، فقول ما زال عليه السّلام يقوله:

و لقد قاله: عقيب وفاه الرّسول صلّى الله عليه و آله، قال: لو وجدت أربعين ذوى عزم، ذكر ذلك نصر بن مزاحم فى كتاب صفّين و ذكره كثير من أرباب السّيره انتهى.

و أمّا ثانيا فلائنّ عليه السّلام قد ذكر فضائله و مناقبه و النّصوص الوارده فيه و احتج بها يوم السّقيفه كما ستعرفه فى محلّه، فلم يصبر عن الاحتجاج بها حتّى يقول فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجى، و كيف كان فقد تحصل ممّا ذكرنا كله أنّ تكلفات الشّارح و تأويلاته فاسده جدّا و تطلع على فسادها زياده على ما ذكر فى تضاعيف الكتاب إن ساعدنا التّوفيق و المجال إن شاء الله.

إلى هنا تم الجزء الثانى من هذه الطبعه النفيسه البهيّه، و قد تصدى لتصحيحه و تهذيبه العبد «السيد ابراهيم الميانجى» عفى عنه و وقع الفراغ فى اليوم الخامس عشر من شهر رجب الاصب سنه ١٣٧٨ و يليه الجزء الثالث، و اوله: «المقدمه الثالثه» و الحمد لله كما هو أهله

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفا ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آواده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه
اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹



مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

